

هَيَّا نُؤْمِنُ سَاعَةً

قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ

يحتوى الكتاب على سبعين لقاءً إيمانيًا

جمع وترتيب

أحمد عبد المتعال



بطاقة فهرسة

حقوق الطبع محفوظة

مكتبة كنوز المعرفة

اسم الكتاب: هيا بنا نؤمن ساعة قبل قيام الساعة

إعداد: أحمد عبد المتعال

رقم الإيداع: ٢١٠٤٤-٢٠١١

الطبعة الأولى ٢٠١١



شارع جيهان - أمام بوابة الجامعة ت: ٠١٠٠٠٤٠٤٦

Tokoboko_5@yahoo.com

فهرس كتاب هيا نؤمن ساعة قبل قيام الساعة

- بين يدي الكتاب ١٣.
- اللقاء الإيماني الأول: (أمة الإسلام أمة لن تموت أبدا) ٢٤.
- على درب التوحيد (معنى التوحيد <١>) ٢٦.
- مشاهد من الدار الآخرة (ذكر الموت < ١ >) ٢٧.
- أول الخلفاء الراشدين (أبو بكر الصديق رضي الله عنه <١>) ٢٨.
- اللقاء الإيماني الثاني: (الأسباب الحقيقية وراء حالة اليأس التي أصابت كثيرًا من المسلمين) ٣١
- على درب التوحيد (معنى التوحيد < ٢ >) ٣٢.
- مشاهد من الدار الآخرة (ذكر الموت < ٢ >) ٣٣.
- أول الخلفاء الراشدين (أبو بكر الصديق رضي الله عنه < ٢ >) ٣٤.
- اللقاء الإيماني الثالث: (الجرائم التي فعلها المتآمرون على الإسلام والمسلمين) ٣٨.
- على درب التوحيد (معنى التوحيد < ٣ >) ٣٩.
- مشاهد من الدار الآخرة (لكل أمة أجل) ٤١.
- أول الخلفاء الراشدين (أبو بكر الصديق رضي الله عنه <٣>) ٤٢.
- اللقاء الإيماني الرابع: (المعركة ليست بين المسلمين والكافرين ولكن بين الله عز وجل والكافرين)
٤٥.
- من التوحيد (معنى لا إله إلا الله محمدًا عبد الله ورسوله) ٤٦.
- مشاهد من الدار الآخرة (وفاة أنبياء الله) ٤٧.
- أول الخلفاء الراشدين (أبو بكر الصديق رضي الله عنه <٤>) ٤٨.
- اللقاء الإيماني الخامس: (أخي المسلم لا تكن يائسا فالمستقبل لدين الله) ٥٣.
- على درب التوحيد (من فضائل التوحيد <١>) ٥٥.
- مشاهد من الدار الآخرة (أحوال الصالحين عند قبض أرواحهم وفي قبورهم) ٥٧.
- ثاني الخلفاء الراشدين (عمر بن الخطاب رضي الله عنه <١>) ٥٨.
- اللقاء الإيماني السادس: (الأمة بين الانتصارات والهزائم) ٦١.
- على درب التوحيد (من فضائل التوحيد <٢>) ٦٣.
- مشاهد من الدار الآخرة (أحوال الكافرين والعصاة عند قبض أرواحهم وفي قبورهم) ٦٤.
- ثاني الخلفاء الراشدين (عمر بن الخطاب رضي الله عنه <٢>) ٦٥.
- اللقاء الإيماني السابع: (الدلائل المؤكدة على أن فجر الإسلام قادم <١>) ٦٨.
- على درب التوحيد (من فضائل التوحيد < ٣ >) ٦٩.

- مشاهد من الدار الآخرة (سؤال الملكين في القبر) ٧٠
- ثاني الخلفاء الراشدين (عمر بن الخطاب رضي الله عنه <٣>) ٧١
- اللقاء الإيماني الثامن: (الدلائل المؤكدة على أن فجر الإسلام قادم <٢>) ٧٥
- على درب التوحيد (من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب) ٧٦
- مشاهد من الدار الآخرة (عذاب القبر) ٧٧
- ثاني الخلفاء الراشدين (عمر بن الخطاب رضي الله عنه <٤>) ٧٨
- اللقاء الإيماني التاسع: (جراح أعقبها النصر والتمكين <١>) ٨٣
- على درب التوحيد (الخوف من الشرك) ٨٤
- مشاهد من الدار الآخرة (عذاب البرزخ) ٨٤
- ثاني الخلفاء الراشدين (عمر بن الخطاب رضي الله عنه <٥>) ٨٦
- اللقاء الإيماني العاشر: (جراح أعقبها النصر والتمكين <٢>) ٩٠
- على درب التوحيد (الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله) ٩١
- مشاهد من الدار الآخرة (مستقر الأرواح في البرزخ) ٩٢
- ثاني الخلفاء الراشدين (عمر بن الخطاب رضي الله عنه <٦>) ٩٣
- اللقاء الإيماني الحادي عشر: (يجب الحذر من إلقاء المسؤولية على جهة معينة) ٩٧
- على درب التوحيد (ما جاء في الرقى والتمائم والتولة) ٩٨
- مشاهد من الدار الآخرة (تقوم الساعة على شرار الناس) ١٠٠
- ثالث الخلفاء الراشدين (عثمان بن عفان رضي الله عنه <١>) ١٠١
- اللقاء الإيماني الثاني عشر: (ينبغي عدم اليأس ولا التهويل ولا التهوين من الواقع) ١٠٤
- على درب التوحيد (من تبرك بالشجر أو الحجر ونحوهما فقد أشرك) ١٠٥
- مشاهد من الدار الآخرة (النفخ في الصور) ١٠٧
- ثالث الخلفاء الراشدين (عثمان بن عفان رضي الله عنه <٢>) ١٠٨
- اللقاء الإيماني الثالث عشر: (وما النصر إلا من عند الله <١>) ١١١
- على درب التوحيد (من الشرك الذبح لغير الله) ١١٢
- مشاهد من الدار الآخرة (أهوال القيامة وأول من تنشق عنه الأرض) ١١٣
- ثالث الخلفاء الراشدين (عثمان بن عفان رضي الله عنه <٣>) ١١٤
- اللقاء الإيماني الرابع عشر: (وما النصر إلا من عند الله <٢>) ١١٨
- على درب التوحيد (من وسائل الشرك الذبح في مكان يُذبح فيه لغير الله) ١١٩
- مشاهد من الدار الآخرة (أحوال الناس يوم القيامة <١>) ١٢٠
- اللقاء الإيماني الخامس عشر: (إطمئنان المؤمن لنصر الله عز وجل) ١٢٤

١٢٥	على درب التوحيد (من الشرك النذر لغير الله ﷻ)
١٢٧	مشاهد من الدار الآخرة (أحوال الناس يوم القيامة <٢>)
١٢٨	رابع الخلفاء الراشدين (علي بن أبي طالب ﷺ <٢>)
١٣١	اللقاء الإيماني السادس عشر: (العاقبة للمتقين)
١٣٢	على درب التوحيد (من الشرك الاستعاذة بغير الله <١>)
١٣٣	مشاهد من الدار الآخرة (أحوال يوم القيامة <٣>)
١٣٤	من الخلفاء الراشدين (علي بن أبي طالب ﷺ <٣>)
١٣٨	اللقاء الإيماني السابع عشر: (المبشرات على أن فجر الإسلام قادم <١>)
١٣٩	على درب التوحيد (من الشرك الاستغاثة بغير الله <٢>)
١٤٠	مشاهد من الدار الآخرة (حوض رسول الله ﷺ)
١٤١	رابع الخلفاء الراشدين (علي بن أبي طالب ﷺ <٤>)
١٤٥	اللقاء الإيماني الثامن عشر: (المبشرات على أن فجر الإسلام قادم <٢>)
١٤٥	على درب التوحيد (من الشرك أن يدعو غير الله ﷻ)
١٤٧	مشاهد من الدار الآخرة (أحوال يوم القيامة <٥>)
١٥٢	اللقاء الإيماني التاسع عشر: (المبشرات على أن فجر الإسلام قادم <٣>)
١٥٣	على درب التوحيد (البرهان على استحقاق الله ﷻ العبادة وحده)
١٥٥	مشاهد من الدار الآخرة (أحوال يوم القيامة <٦>)
١٥٦	أمين هذه الأمة (أبو عبيدة بن الجراح ﷺ <١>)
١٥٩	اللقاء الإيماني العشرون: (المبشرات على أن فجر الإسلام قادم <٤>)
١٦٠	على درب التوحيد (ليس لرسول الله ﷺ من الأمر شيء)
١٦١	مشاهد من الدار الآخرة (خطاب الله ﷻ مع الأنبياء)
١٦٣	أمين هذه الأمة (أبو عبيدة بن الجراح ﷺ <٢>)
١٦٦	اللقاء الإيماني الحادي والعشرون: (المبشرات على أن فجر الإسلام قادم <٥>)
١٦٧	على درب التوحيد (ملائكة الرحمن ليس لها من الأمر شيء)
١٦٨	مشاهد من الدار الآخرة (الميزان)
١٧٠	أمين هذه الأمة (أبو عبيدة بن الجراح ﷺ <٣>)
١٧٣	اللقاء الإيماني الثاني والعشرون: (المبشرات على أن فجر الإسلام قادم <٦>)
١٧٤	على درب التوحيد (الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية <١>)
١٧٤	مشاهد من الدار الآخرة (الحساب <١>)
١٧٦	شهيد يمشي على وجه الأرض (طلحة بن عبيد الله ﷺ)

١٧٩	اللقاء الإيماني الثالث والعشرون: (المبشرات على أن فجر الإسلام قادم <٧>)
١٨٠	على درب التوحيد (الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية <٢>)
١٨١	مشاهد من الدار الآخرة (الحساب <٢>)
١٨٢	حواري رسول الله ﷺ (الزبير بن العوام رضى الله عنه <١>)
١٨٦	اللقاء الإيماني الرابع والعشرون: (ألا إن نصر الله قريب)
١٨٧	على درب التوحيد (الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية <٣>)
١٨٨	مشاهد من يوم القيامة (الحساب <٣>)
١٨٩	حواري رسول الله ﷺ (الزبير بن العوام رضى الله عنه <٢>)
١٩٢	اللقاء الإيماني الخامس والعشرون: (متطلبات النصر)
١٩٣	على درب التوحيد (الرد على الغلو في النبي ﷺ والأولياء)
١٩٥	مشاهد من الدار الآخرة (الحساب <٤>)
١٩٦	أول من رمى بسهم في سبيل الله (سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه <١>)
١٩٩	اللقاء الإيماني السادس والعشرون: (من ذاكرة التاريخ لرفع المعنويات <١>)
٢٠٠	على درب التوحيد (سبب كفر بني آدم الغلو في الصالحين)
٢٠٢	مشاهد من الدار الآخرة (الحساب <٥>)
٢٠٣	أول من رمى بسهم في سبيل الله (سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه <٢>)
٢٠٦	اللقاء الإيماني السابع والعشرون: (من ذاكرة التاريخ لرفع المعنويات <٢>)
٢٠٧	على درب التوحيد (التغليظ فيمن دعا الله عند قبر رجل صالح)
٢٠٨	مشاهد من الدار الآخرة (الحساب <٦>)
٢٠٩	أول من رمى بسهم في سبيل الله (سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه <٣>)
٢١٣	اللقاء الإيماني الثامن والعشرون: (من ذاكرة التاريخ لرفع المعنويات <٣>)
٢١٣	على درب التوحيد (ما جاء في الغلو في قبور الصالحين)
٢١٥	مشاهد من الدار الآخرة (الصراط <١>)
٢١٦	أول من رمى بسهم في سبيل الله (سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه <٤>)
٢٢٠	اللقاء الإيماني التاسع والعشرون: (من بشائر النصر والتمكين <١>)
٢٢١	على درب التوحيد (حماية جناب التوحيد وسد الطريق إلى الشرك)
٢٢٢	مشاهد من الدار الآخرة (على الصراط <٢>)
٢٢٣	قائد سرية دومة الجندل (عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه <١>)
٢٢٧	اللقاء الإيماني الثلاثون: (من بشائر النصر والتمكين <٢>)
٢٢٨	على درب التوحيد (بعض هذه الأمة سيعبد الأوثان <١>)

٢٢٩	مشاهد من الدار الآخرة (الشفاعة الخاصة للرسول ﷺ ودخول أهل الجنة الجنة)
٢٣١	قائد سرية دومة الجندل (عبد الرحمن بن عوف <small>رضي الله عنه</small> <٢>)
٢٣٤	اللقاء الإيماني الحادي والثلاثون: (من بشائر النصر والتمكين <٣>)
٢٣٥	على درب التوحيد (بعض هذه الأمة سيعبد الأوثان <٢>)
٢٣٧	مشاهد من الدار الآخرة (أهل الأعراف)
٢٣٨	رجل مستجاب الدعوة (سعيد بن زيد <small>رضي الله عنه</small>)
٢٤٠	اللقاء الإيماني الثاني والثلاثون: (من بشائر النصر والتمكين <٤>)
٢٤١	على درب التوحيد (ما جاء في السحر)
٢٤٢	مشاهد من الدار الآخرة (أسباب سقوط العقوبة عن العصاة)
٢٤٨	اللقاء الإيماني الثالث والثلاثون: (من بشائر النصر والتمكين <٥>)
٢٤٩	على درب التوحيد (أنواع السحر)
٢٥٠	مشاهد من الدار الآخرة (تلك هي الجنة)
٢٥١	سيدة نساء هذه الأمة (فاطمة بنت محمد <small>رضي الله عنها</small> <١>)
٢٥٥	اللقاء الإيماني الرابع والثلاثون: (من بشائر النصر والتمكين <٦>)
٢٥٦	على درب التوحيد (ما جاء في الكهان ونحوهم)
٢٥٧	مشاهد من الدار الآخرة (تلك هي الجنة <٢>)
٢٥٨	سيدة نساء هذه الأمة (فاطمة بنت محمد <small>رضي الله عنها</small> <٢>)
٢٦٢	اللقاء الإيماني الخامس والثلاثون: (من بشائر النصر والتمكين <٧>)
٢٦٢	على درب التوحيد (ما جاء في النشرة)
٢٦٤	مشاهد من الدار الآخرة (تلك هي الجنة <٣>)
٢٦٥	ثاني أمهات المؤمنين (سودة بنت زمعة <small>رضي الله عنها</small>)
٢٦٩	اللقاء الإيماني السادس والثلاثون: (من بشائر النصر والتمكين <٨>)
٢٧٠	على درب التوحيد (ما جاء في التطير)
٢٧١	مشاهد من الدار الآخرة (في الجنة جنتان من ذهب وجنتان من فضة)
٢٧٢	امرأة نزلت براءتها من السماء (عائشة بنت الصديق <small>رضي الله عنه</small> <١>)
٢٧٦	اللقاء الإيماني السابع والثلاثون: (من بشائر النصر والتمكين <٩>)
٢٧٧	على درب التوحيد (ما جاء في التنجيم)
٢٧٧	مشاهد من الدار الآخرة (أول من يدخل الجنة من الأنبياء والأمم)
٢٧٨	امرأة نزلت براءتها من السماء (عائشة بنت الصديق <small>رضي الله عنه</small> <٢>)
٢٨٣	اللقاء الإيماني الثامن والثلاثون: (من بشائر النصر والتمكين <١٠>)

- على درب التوحيد (ما جاء في الاستسقاء بالنجوم وبالأنواء) ٢٨٤
- مشاهد من الدار الآخرة (أول أمة محمد ﷺ دخولا الجنة) ٢٨٦
- امرأة نزلت براءتها من السماء (عائشة بنت الصديق ﷺ <٣>) ٢٨٧
- اللقاء الإيماني التاسع والثلاثون: (من بشائر النصر والتمكين <١١>) ٢٩٠
- على درب التوحيد (ما جاء في من يتخذ أندادا من دون الله) ٢٩٠
- مشاهد من الدار الآخرة (أصناف أهل الجنة <١>) ٢٩٢
- امرأة تراث صحائف المصحف (حفصة بنت عمر بن الخطاب ﷺ) ٢٩٣
- اللقاء الإيماني الأربعون: (تاريخ الأمة شاهد على أن بعد الذل عزاً <١>) ٢٩٧
- على درب التوحيد (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ) ٢٩٨
- مشاهد من الدار الآخرة (النساء أكثر أهل الجنة بالخور العين <١>) ٢٩٩
- اللقاء الإيماني الحادي والأربعون: (تاريخ الأمة شاهد على أن بعد الذل عزاً <٢>) ٣٠٥
- على درب التوحيد (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) ٣٠٥
- مشاهد من الدار الآخرة (النساء أكثر أهل الجنة بالخور العين <٢>) ٣٠٦
- امرأة يزوجها الله لرسوله ﷺ (زينب بنت جحش ﷺ) ٣٠٧
- اللقاء الإيماني الثاني والأربعون: (تاريخ الأمة شاهد على أن بعد الذل عزاً <٣>) ٣١١
- على درب التوحيد (ما جاء في القنوط من رحمة الله ﷻ) ٣١١
- مشاهد من الدار الآخرة (من يدخل الجنة بغير حساب) ٣١٢
- أم المساكين (زينب بنت خزيمة ﷺ) ٣١٤
- أعظم امرأة بركة على قومها (جويرية بنت الحارث ﷺ) ٣١٥
- اللقاء الإيماني الثالث والأربعون: (تاريخ الأمة شاهد على أن بعد الذل عزاً <٤>) ٣١٧
- على درب التوحيد (الصبر على أقدار الله) ٣١٧
- مشاهد من الدار الآخرة (أدنى أهل الجنة منزلة وآخرها دخولا) ٣١٩
- امرأة يزوجها ملك الحبشة لرسول الله ﷺ (أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان ﷺ) ٣٢٠
- اللقاء الإيماني الرابع والأربعون: (أثر التوحيد على الثبات في زمن الفرقة) ٣٢٤
- على درب التوحيد (ما جاء في النهي والتحذير عن الرياء) ٣٢٤
- مشاهد من الدار الآخرة (عدد أبواب الجنة وساعاتها) ٣٢٦
- امرأة ابنة نبي وعمها نبي وزوجها نبي (صفية بنت حيي بن أخطب ﷺ) ٣٢٨
- اللقاء الإيماني الخامس والأربعون: (صدود الكفار بأموالهم هو حسرة عليهم <١>) ٣٣١
- على درب التوحيد (من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا) ٣٣٢
- مشاهد من الدار الآخرة (درجات الجنة) ٣٣٣

- من أمهات المؤمنين (ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها) ٣٣٤
- اللقاء الإيماني السادس والأربعون: (صدود الكفار بأموالهم هو حسارة عليهم <٢>) . ٣٣٧
- على درب التوحيد (ما جاء فيمن أطاع العلماء والأمرأ في تحريم ما أحل الله) . ٣٣٨
- مشاهد من الدار الآخرة (وصف تربة وطينة الجنة) ٣٣٩
- أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ (مارية القبطية رضي الله عنها) ٣٤٠
- اللقاء الإيماني السابع والأربعون: (إن الله سينصر دينه بنا أو بغيرنا) ٣٤٤
- على درب التوحيد (ما جاء في التحاكم بغير ما أنزل الله) ٣٤٥
- مشاهد من الدار الآخرة (غرف وقصور الجنة) ٣٤٦
- ذات النطاقين (أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها) ٣٤٧
- اللقاء الإيماني الثامن والأربعون: (مظاهر حفظ الله لهذا الدين <١>) ٣٥١
- على درب التوحيد (بيان حكم من جحد شيئاً من الأسماء والصفات) ٣٥٢
- مشاهد من الدار الآخرة (صفة أهل الجنة) ٣٥٢
- اللقاء الإيماني التاسع والأربعون: (مظاهر حفظ الله لهذا الدين <٢>) ٣٥٨
- على درب التوحيد (كفران نعمة الله) ٣٥٩
- مشاهد من الدار الآخرة (أول طعام أهل الجنة) ٣٦٠
- سيف الله المسلول (خالد بن الوليد رضي الله عنه <٢>) ٣٦١
- اللقاء الإيماني الخمسون: (مظاهر حفظ الله لهذا الدين <٣>) ٣٦٥
- على درب التوحيد (فلا تجعلوا لله أندادا) ٣٦٦
- مشاهد من الدار الآخرة (ريح الجنة) ٣٦٧
- أسد الله ، وسيد الشهداء (حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه) ٣٦٨
- اللقاء الإيماني الحادي والخمسون: (مظاهر حفظ الله لهذا الدين <٤>) ٣٧٢
- على درب التوحيد (ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله) ٣٧٣
- مشاهد من الدار الآخرة (سلام الرب سبحانه وتعالى والملائكة على أهل الجنة) . ٣٧٤
- أول سفير في الإسلام (مصعب بن عمير رضي الله عنه) ٣٧٥
- اللقاء الإيماني الثاني والخمسون: (مظاهر حفظ الله لهذا الدين <٥>) ٣٧٩
- على درب التوحيد (ما جاء في الإشراف في المشيئة والحلف وسب الدهر) ٣٨٠
- مشاهد من الدار الآخرة (صفة أشجار الجنة وزرعها وثمارها) ٣٨١
- شيخ المقرئين وجامع القرآن (زيد بن ثابت رضي الله عنه) ٣٨٢
- اللقاء الإيماني الثالث والخمسون: (مظاهر حفظ الله لهذا الدين <٦>) ٣٨٦
- على درب التوحيد (ما جاء في التسمي بأحد أسماء الله) ٣٨٧

- ٣٨٩ مشاهد من الدار الآخرة (أنهار الجنة وعيونها)
- ٣٩٠ خادم رسول الله ﷺ (أنس بن مالك رضي الله عنه)
- ٣٩٣ اللقاء الإيماني الرابع والخمسون: (مظاهر حفظ الله لهذا الدين <٧>)
- ٣٩٤ على درب التوحيد (ما جاء في نكران نعم الله)
- ٣٩٦ مشاهد من الدار الآخرة (طعام أهل الجنة وشرابهم)
- ٣٩٧ رجل اهتز لموته عرش الرحمن (سعد بن معاذ رضي الله عنه)
- ٤٠١ اللقاء الإيماني الخامس والخمسون: (شروط الاستخلاف والتمكين للمسلمين <١>)
- ٤٠١ على درب التوحيد (ما جاء في الهزل بشيء فيه الله أو القرآن أو الرسول)
- ٤٠٢ مشاهد من الدار الآخرة (آنية أهل الجنة)
- ٤٠٩ اللقاء الإيماني السادس والخمسون: (شروط الاستخلاف والتمكين للمسلمين <٢>)
- ٤٠٩ على درب التوحيد (تحريم كل اسم مُعَبَّدٍ لغير الله)
- ٤١١ مشاهد من الدار الآخرة (لباس وحلي ومناديل وفرش أهل الجنة)
- ٤١٣ رجل ساقاه أثقل في الميزان من جبل أحد (عبد الله بن مسعود رضي الله عنه)
- ٤١٦ اللقاء الإيماني السابع والخمسون: شروط الاستخلاف والتمكين للمسلمين <٣>)
- ٤١٦ على درب التوحيد (التوسل المشروع وغير المشروع)
- ٤١٨ مشاهد من الدار الآخرة (غلمان ونساء أهل الجنة)
- ٤٢٠ شيطان في الجاهلية ، وحواري في الإسلام
- ٤٢٠ (عمير بن وهب رضي الله عنه)
- ٤٢٣ اللقاء الإيماني الثامن والخمسون: (شروط الاستخلاف والتمكين للمسلمين <٤>)
- ٤٢٤ على درب التوحيد (لا يقال السلام على الله)
- ٤٢٤ مشاهد من الدار الآخرة (رؤية أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى ورضا الله عنهم)
- ٤٢٦ مؤذن الرسول (بلال بن رباح رضي الله عنه)
- ٤٣٠ اللقاء الإيماني التاسع والخمسون: (شروط الاستخلاف والتمكين للمسلمين <٥>)
- ٤٣١ مشاهد من الدار الآخرة (وصف النار)
- ٤٣٣ رجل صوته في الجيش خير من ألف رجل (أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه)
- ٤٣٧ اللقاء الإيماني الستون: (شروط الاستخلاف والتمكين للمسلمين <٦>)
- ٤٣٨ على درب التوحيد (لا يُرَدُّ من سأل بالله ﷻ)
- ٤٣٩ مشاهد من الدار الآخرة (أبواب النار ودركاتها)
- ٤٤٠ أمين سر رسول الله ﷺ (حذيفة بن اليمان رضي الله عنه <١>)
- ٤٤٤ اللقاء الإيماني الحادي والستون: (شروط الاستخلاف والتمكين للمسلمين <٧>)

- ٤٤٥ على درب التوحيد (ما جاء في اللو)
- ٤٤٦ مشاهد من الدار الآخرة (أودية جهنم وسجنها)
- ٤٤٧ أمين سر رسول الله ﷺ (حذيفة بن اليمان رضي الله عنه) (<٢>)
- ٤٥٠ اللقاء الإيماني الثاني والستون: (شروط الاستخلاف والتمكين للمسلمين <٨>)
- ٤٥٠ على درب التوحيد (ما جاء في سب الرياح)
- ٤٥٢ أبو المساكين (جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه)
- ٤٥٧ اللقاء الإيماني الثالث والستون: (الجزء الدنيوي لمن نفذ شروط التمكين ١)
- ٤٥٨ على درب التوحيد (ما جاء في سوء الظن بالله <١>)
- ٤٥٩ مشاهد من الدار الآخرة (شراب أهل النار)
- ٤٦٠ من المكثرين في رواية الحديث (جابر بن عبد الله بن حرام رضي الله عنه)
- ٤٦٤ اللقاء الإيماني الرابع والستون: (الجزء الدنيوي لمن نفذ شروط التمكين ٢)
- ٤٦٥ على درب التوحيد (ما جاء في سوء الظن بالله <٢>)
- ٤٦٦ مشاهد من الدار الآخرة (ملابس وأسرة أهل النار)
- ٤٦٧ أكثر الصحابة رواية للحديث (أبو هريرة رضي الله عنه)
- ٤٧١ اللقاء الإيماني الخامس والستون: (من أسباب تأخر موعود الله <١>)
- ٤٧٢ على درب التوحيد (ما جاء في منكري القدر)
- مشاهد من الدار الآخرة (سقوط الكفار والمشركين وعصاة المسلمين في النار ثم خروج عصاة أهل التوحيد من النار بالشفاعة)
- خطأ! الإشارة المرجعية غير معروفة .
- ٤٧٨ اللقاء الإيماني السادس والستون: (حتى لا تكون فلسطين أندلساً أخرى)
- ٤٨٢ على درب التوحيد (ما جاء في المصورين)
- ٤٨٣ مشاهد من الدار الآخرة (أصناف أهل النار وأول من تسعر بهم النار)
- ٤٨٥ اللقاء الإيماني السابع والستون: (قيام دولة المرابطين وأسباب النصر والتمكين)
- ٤٩٠ على درب التوحيد (ما جاء في كثرة الحلف)
- ٤٩٠ مشاهد من الدار الآخرة (تلاعن وندامة أهل النار)
- ٤٩٢ اللقاء الإيماني الثامن والستون: (سقوط الخلافة العباسية على أيدي التتار وأسباب السقوط)
- ٤٩٨ على درب التوحيد (ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه)
- ٤٩٩ مشاهد من الدار الآخرة (حوار أهل الجنة وأهل الأعراف وأهل النار)
- اللقاء الإيماني التاسع والستون: (انتصار المسلمون على التتار في عين جالوت وأسباب النصر والتمكين)
- ٥٠٠
- ٥٠٥ على درب التوحيد (ما جاء في الأقسام على الله عز وجل)

- مشاهد من الدار الآخرة (خطاب أصحاب النار مع رب العالمين ومع خزنة جهنم) . ٥٠٦
اللقاء الإيماني السبعون : (فتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح وأسباب النصر والتمكين) ٥٠٧
على درب التوحيد (ما جاء في قول الله تعالى: وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) ٥١٢
مشاهد من الدار الآخرة (خلود أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار) ٥١٣
فهرس كتاب هيا تؤمن ساعة قبل قيام الساعة ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بين يدي الكتاب

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ [النساء: ١] .

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً (٧٠) يُضْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (٧١)﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١] .

أحبيتي في الله ، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، أما بعد:

لقد كان يشغلني كثيراً أن المسلمين في حاجة ماسة لكتب جامعة تجمع كل ما يهم المسلم من العلم الشرعي في طياتها بصورة ميسرة ، والحمد لله رب العالمين أن وفق لجمع وترتيب وإعداد: " زاد المسلم اليومي من العلم الشرعي " ، والذي يمكن لأي مسلم أن يتناول درساً يومياً من دروسه والتي بلغت ٤٩٠ درساً في وقت لا يتجاوز من خمس إلى عشر دقائق فقط ، وذلك في غضون سبعين أسبوعاً يمكن للقارئ أن يلم بكل ما يهمه من العلم الشرعي ، كما يمكن لأي مسلم أن يعكف على قراءة هذا الكتاب فيقرأه في عدة أيام .

وأيضاً كان يشغلني كثيراً حاجة المسلمين الماسة لكتب ميسرة لبعث الأمل في نفوس المسلمين بعد ما أصاب كثيراً منهم اليأس والقنوط ، فلا ينبغي للمسلم أن يقتط من روح الله ، فهناك من المبشرات الكثير والكثير التي تفتح باب الأمل للمسلم ، وأيضاً التعرف على مسائل التوحيد المختلفة لتجنب البدع والمحدثات ، وكذا التعرف على الغيبات التي جاءت في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وكذا التعرف من قرب

على حياة الصحابة والصحابيات الكرام الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ، ومن هنا جاءت فكرة هذا الكتاب الذي بين أيديكم كتاب "هيا تؤمن ساعة قبل قيام الساعة" ولقد حاولت أن أختار مواضيع الكتاب لكي تكون سببا إن شاء الله عز وجل في زيادة الإيمان ، في الوقت الذي انصرف فيه كثير من الناس عن مجالس العلم والإيمان ، وذلك بسبب انغماسهم الشديد في الدنيا ، فكلنا بحاجة إلى تكرار اللقاءات الإيمانية دائما وأبداً لعل القلوب تصحو من سباتها وغفلتها .

وهذا الكتاب يمكن أن يجتمع عليه أفراد الأسرة المسلمة أو رواد المسجد في أحد أيام الأسبوع ، ويحوي بين طياته سبعين لقاءً إيمانياً يحتاج اللقاء في عرضه إلى ما يقارب النصف ساعة تقريبا ، راجياً المولى عز وجل أن يرزقنا الإيمان الصادق واليقين النافع إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أهداف الكتاب:

١- بعث الأمل في نفوس المسلمين بمعرفة المؤامرات التي أعدها أعداء الإسلام لتقنيط المسلمين ، وكذا المبشرات التي تفتح باب الأمل للمسلم ، وتزيد في يقينه وثقته بنصر الله تعالى وبأن فجر الإسلام قادم بإذن الله عز وجل ، وقد جاءت تلك المبشرات في كثير من الآيات القرآنية والنصوص النبوية .

٢- بيان التوحيد ببراهينه ، وجمع جمل من أدلته لإيضاحه وتبيينه ، وكذا الكشف عن مكامن الشرك وإن دقت ، وذلك باستعراض كتاب التوحيد للشيخ محمد عبد الوهاب بشرح مختصرة ، فالتوحيد هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين ديناً غيره وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب ، قال تعالى: ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥] ، وكذا فإن التوحيد هو أفضل شعب الإيمان ، فعن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» (١) .

٣- استعراض مشاهد من الدار الآخرة لترسيخ الإيمان بالغيب ، لأنه من أوئل واجبات وأعمال المؤمنين قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣)﴾ [البقرة: ٢-٣] .

(١) (صحيح) أخرجه (مسلم) ٣٥ .

٤- استعراض مشاهد من حياة مجموعة من مشاهير الصحابة والصحابيات الذين تربوا على مائدة القرآن وكان معلمهم إمام الأنبياء وخير الأنام محمد ﷺ ، فدراسة سير الخلفاء الراشدين وأمّهات المؤمنين والصحابة والصحابيات يبعث في شباب الإسلام روح الولاء لله تعالى ورسوله ﷺ ويدفع همهم إلى معالي الأمور ، ويكشف عن طاقاتهم المذخورة ويستثمرها حتى تنهض بهذه الأمة المكرومة التي بعدت كثيرا .

أسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يكتب لهذا الكتاب الانتشار وخصوصا بين الشباب ، فتبذل مجالسهم من مجالس اللهو ، والفجور ، والغفلة ، وسماع الغناء والموسيقى ، ورؤية القنوات الفضائية الإباحية ، ودخول مواقع الإنترنت الإباحية ، ومجالس الغيبة والنميمة ... إلخ ، إلى مجالس الإيمان ، فنحن نريد شبابا لا تشغلهم الملاحى ولا الشهوات عن طاعة الله عز وجل ورسوله ﷺ ، قدوتهم النبي ﷺ وصحابته الكرام ، شبابا تربوا في المساجد في حلقات العلم والإيمان على الكتاب والسنة .

بيان بإصدارات كتب الحديث المستخدمة في تحقيق أحاديث الكتاب

١- صحيح البخاري (المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي) ، الناشر: دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ ، تحقيق: د . مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق ، عدد الأجزاء: ٦ ،

٢- صحيح مسلم (المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي مع تعليقاته ، عدد الأجزاء: ٥ ،

٣- سنن أبي داود (المؤلف: أبو داود السجستاني الأزدي) ، الناشر: دار الفكر ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، عدد الأجزاء: ٤ ، مع الكتاب: تعليقات كمال يوسف الحوت ، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها .

٤- الجامع الصحيح سنن الترمذي (المؤلف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ، عدد الأجزاء: ٥ ، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها .

٥- سنن النسائي (المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي) ، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ ، تحقيق:

- عبدالفتاح أبو غدة ، عدد الأجزاء : ٨ ، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها .
- ٦- سنن ابن ماجه (المؤلف : محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني) ، الناشر : دار الفكر - بيروت ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، عدد الأجزاء : ٢ ، مع الكتاب : تعليق محمد فؤاد عبد الباقي ، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها .
- ٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل (المؤلف : أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني) ، الناشر : مؤسسة قرطبة - القاهرة ، عدد الأجزاء : ٦ ، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرناؤوط عليها .
- ٨- سنن النسائي الكبرى ، (المؤلف : أحمد بن شعيب النسائي) ، الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ - ١٩٩١ ، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن ، عدد الأجزاء : ٦ ،
- ٩- المعجم الكبير ، (المؤلف : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني) ، الناشر : مكتبة العلوم والحكم - الموصل ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ - ١٩٨٣ ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، عدد الأجزاء : ٢٠ .
- ١٠- الطبقات الكبرى ، (المؤلف : محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري) ، الناشر : دار صادر - بيروت ، عدد الأجزاء : ٨ ،
- ١١- مسند أبي يعلى ، (المؤلف : أبو يعلى الموصلي التميمي) ، الناشر : دار المأمون للتراث - دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ - ١٩٨٤ ، تحقيق : حسين سليم أسد ، عدد الأجزاء : ١٣ ، مذيلة بأحكام حسين سليم أسد عليها .
- ١٢- موطأ الإمام مالك ، (المؤلف : مالك بن أنس) ، الناشر : دار إحياء التراث العربي - مصر ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، عدد الأجزاء : ٢ ،
- ١٣- مجمع الزوائد ومنيع الفوائد ، (المؤلف : نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي) ، الناشر : دار الفكر ، بيروت - ١٤١٢ هـ ، عدد الأجزاء : ١٠ ،
- ١٤- المستدرك على الصحيحين ، (المؤلف : محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري) ، الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ - ١٩٩٠ ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، عدد الأجزاء : ٤ ، مع تعليقات الإمام الذهبي في التلخيص .
- ١٥- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (المؤلف : محمد ناصر الدين

- الألباني)، الناشر: المكتب الإسلامي، عدد الأجزاء: ١،
- ١٦- مشكاة المصابيح (المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي)، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٥ - ١٩٨٥، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، عدد الأجزاء: ٣،
- ١٧- صحيح الترغيب والترهيب (المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني)، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة: الخامسة، عدد الأجزاء: ٣،
- ١٨- السلسلة الصحيحة (المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني)، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض، عدد الأجزاء: ٧،
- ١٩- صحيح السيرة النبوية (المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني)، الناشر: المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: ١،
- ٢٠- شرح العقيدة الطحاوية (المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني)، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية - ١٤١٤، عدد الأجزاء: ١،
- ٢١- مختصر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني)، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية - ١٤٠٥ - ١٩٨٥، عدد الأجزاء: ١،
- ٢٢- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، (المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني)، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية - ١٤٠٥ - ١٩٨٥، عدد الأجزاء: ٨ .
- ٢٣- صحيح أبي داود (المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني)، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت،، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ٧،
- ٢٤- الأدب المفرد (المؤلف: محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي)، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٩، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، عدد الأجزاء: ١، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها .
- ٢٥- السلسلة الضعيفة، (المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني)، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض، عدد الأجزاء: ١١،

٢٦- فقه السيرة ، (المؤلف : محمد الغزالي) ، الناشر : دار القلم - دمشق
الطبعة : السابعة - ١٩٩٨ ، تحقيق : تحقيق العلامة المحدث محمد ناصر الدين
الألباني ، عدد الأجزاء : ١ ،

٢٧- سير أعلام النبلاء ، (المؤلف : الإمام شمس الدين الذهبي) ، الناشر :
مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - ، الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م ،
تحقيق : الشيخ : شعيب الارنؤوط ، الشيخ : حسين الاسد ، الأجزاء : ٢٣ .
تخريج أحاديث الكتاب :

اكتفيت بكتابة اسم الصحابي الذي روى الحديث ولم أذكر باقي السند للإيجاز
علما بأنه يمكن معرفة باقي الإسناد بالرجوع إلى كتب تخريج الحديث .
ولقد استعملت رموزا لكتب الحديث المستخدمة في تخريج أحاديث الكتاب
وذلك من أجل الاختصار وهذه الرموز مدونة في جدول : رموز كتب الحديث
المستخدمة في الكتاب ، وتستخدم هذه الرموز بالطريقة التالية :
(صحيح) أخرجه (خ) ١٢٩٢ ، و (م) ٢٦٥٨ : أي أن الحديث صحيح أخرجه
البخاري في صحيحه برقم ١٢٩٢ ، ومسلم في صحيحه برقم ٢٦٥٨ .
(صحيح) أخرجه (حم ت ك) وصححه الألباني في ص . ج ٢٥٤٦ : أي أن
الحديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، والترمذي في سننه ، والحاكم في
المستدرك وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٢٥٤٦ .

رموز كتب الحديث المستخدمة

الرمز	الكتاب	الرمز	الكتاب
خ	صحيح البخاري	ع	مسند أبي يعلى
م	صحيح مسلم	قط	سنن الدارقطني
ق	اتفق عليه البخاري ومسلم	فر	مسند الفردوس للدليمي
د	سنن أبي داود	حل	الحلية لأبي نعيم

ت	سنن الترمذي	هب	شعب الإيمان للبيهقي
ن	سنن النسائي	هق	سنن البيهقي
هـ	سنن ابن ماجه	عد	الكامل لابن عدي
٤	(د ت ن هـ)	عق	الضعفاء للعقيلي
٣	(ت ن هـ)	خط	التاريخ للخطيب
حم	مسند الإمام أحمد	الضياء	المختار للضياء المقدسي
عم	الزوائد لعبد الله بن أحمد	كر	ابن عساكر
مالك	موطأ الإمام مالك	بزار	البحر الزخار - مسند البزار
ك	الحاكم في المستدرک	مش	مشكاة المصابيح
خد	البخاري في الأدب	س. ص	السلسلة الصحيحة للألباني
تخ	البخاري في التاريخ	ص. ج	صحيح الجامع للألباني
حب	صحيح ابن حبان	ص	سنن سعيد بن منصور
طب	معجم الطبراني الكبير	ش	السنن لابن أبي شيبه
طس	معجم الطبراني الأوسط	عب	الجامع لعبد الرزاق
سفر	معجم السفر للسلفي	صت	صحيح الترغيب والترهيب
طص	معجم الطبراني الصغير	ص. د	صحيح أبي داود للألباني
شهاب	مسند الشهاب للقضاعي	إرواء	مختصر إرواء الغليل للألباني
بن خزيمة	صحيح أبو بكر ابن خزيمة	بن سعد	الطبقات الكبرى لابن سعد
رويانى	مسند الرويانى	الطيالسي	مسند أبو داود الطيالسي
بغوي	شرح السنة للبغوي	س. ض	السلسلة الضعيفة

المراجع والمصادر المستخدمة

جمعت المراجع والمصادر المختلفة المستخدمة في جدول وأعطيت لكل مرجع أو مصدر رقماً محدداً وإكتفيت بكتابة رقم المرجع أو المصدر بجوار النص داخل الكتاب للإشارة عليه ، والجدول التالي يبين أرقام المراجع والمصادر المختلفة .

مثال: فالله ناصر دينه بنا أو بغيرنا ، فهل ستتقاعس عن هذا الشرف؟! فهيا سابق الزمن قبل أن يأتيك ملك الموت فتندم يوم لا ينفع الندم (٤٥) .

أي أن هذا النص "من دروس فضيلة الشيخ محمد حسان" لأن ٤٥ تشير إلى "من دروس الشيخ محمد حسان" في "بيان المراجع والمصادر المستخدمة" .

بيان المراجع والمصادر المستخدمة

١	٢٠٠ سؤال في العقيدة للحكمي
٢	الإستيعاب في معرفة الصحابة لابن عبد البر
٣	أسد الغابة لابن الأثير
٤	الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر
٥	أصحاب الرسول لفضيلة الشيخ محمود المصري
٦	إعانة المستفيد في شرح كتاب التوحيد لفضيلة الدكتور صالح بن صالح الفوزان
٧	الاعتصام بحبل الله بين الواقع والمبشرات د. محمود عنبر
٨	البداية والنهاية للحافظ ابن كثير
٩	بستان الواعظين لابن الجوزي
١٠	التاريخ الإسلامي للحميدي
١٢	تاريخ الرسل والملوك للإمام الطبري
١٣	تاريخ دمشق لابن عساكر
١٤	التوسل لفضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني
١٥	الجامع في الرسائل الدعوية جمع وترتيب فضيلة الشيخ علي بن نايف الشحود
١٦	حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح للإمام ابن القيم
١٧	حلية الأولياء للأصبهاني

قبل قيام الساعة

إلى أعلى الكتاب

١٨	رحلة إلى الدار الآخرة لفضيلة الشيخ محمود المصري
١٩	الرحيق المختوم لفضيلة الشيخ صفى الرحمن المباركفوري
٢٠	الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري
٢١	زاد المعاد للإمام ابن القيم
٢٢	الزهد والرقائق لأسامة الجهمال
٢٣	زوجات النبي لفضيلة الشيخ سعيد أيوب
٢٤	سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي
٢٥	سيرة ابن هشام
٢٦	السيرة النبوية لفضيلة الدكتور على بن محمد لصلاحي
٢٧	شرح النووي لصحيح مسلم
٢٨	صفة الصفوة لابن الجوزي
٢٩	الطبقات الكبرى لابن سعد
٣٠	عيون الأثر لمحمد بن عبدالله بن يحيى بن سيد الناس
٣١	فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لفضيلة الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ
٣٢	الفتنة بين الصحابة لفضيلة الشيخ محمد حسان
٣٣	فقه العبادات لفضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين
٣٤	كفاية المستزيد بشرح كتاب التوحيد لفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
٣٥	مختصر منهاج القاصدين للمقدسي
٣٦	معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني
٣٧	مغازي الواقدي
٣٨	المفصل في فقه الدعوة إلى الله جمع لفضيلة الشيخ علي بن نايف الشحود
٣٩	من دروس فضيلة الشيخ سعيد بن مسفر
٤٠	من دروس فضيلة الشيخ عبد الباري الثبتي
٤٢	من دروس فضيلة الشيخ عبد الرحمن صالح المحمود

٤٣	من دروس فضيلة الشيخ على عبد الخالق القرني
٤٤	من دروس فضيلة الشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي
٤٥	من دروس فضيلة الشيخ محمد حسان
٤٦	من دروس فضيلة الشيخ محمد حسين يعقوب
٤٧	من دروس فضيلة الشيخ محمد صالح المنجد
٤٨	من دروس فضيلة الشيخ سفر عبد الرحمن الحوالي
٤٩	من دروس فضيلة الشيخ سلمان العودة
٥٠	سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لفضيلة الدكتور علي بن محمد الصلابي
٥١	من دروس الدكتور راغب السرجاني
٥٢	الانتصار على التتار (الأستاذ سامي بن خالد الحمود)
٥٣	مقالة للدكتور عبد الحليم عويس عن فتح القسطنطينية
٥٤	مواقف إيمانية لفضيلة الدكتور أحمد فريد
٥٥	شرح صحيح البخاري لابن بطال
٥٦	من دروس لفضيلة الدكتور عائض القرني
٥٧	من دروس لفضيلة الشيخ محمود المصري
٥٨	موسوعة الخطب والدروس جمعها ورتبها فضيلة الشيخ علي بن نايف الشحود
٥٩	من دروس لفضيلة الشيخ علي بن عمر بادحدح
٦٠	فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري لفضيلة الشيخ سعيد بن علي بن وهب القحطاني
٦١	موسوعة الدين النصيحة جمعها ورتبها فضيلة الشيخ علي بن نايف الشحود
٦٢	موسوعة خطب المنبر جمعها ورتبها فضيلة الشيخ علي بن نايف الشحود
٦٣	من دروس فضيلة الشيخ أبو إسحاق الحويني
٦٤	مجلة المنار

إخوتي في الله ، لا يفوتني أن أتقدم بخالص الشكر لأصحاب الفضل الذين أحبهم في الله تعالى ، والذين قدموا لي يد المساعدة في إعداد هذا الكتاب عملاً

بحديث رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ لَمْ يَشْكُرْ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرْ اللَّهَ»^(١) .

وأخص بالذكر شيخنا الجليل فضيلة الشيخ : أبا داود الدماطي يحيى حزة ، المحدث ، الفقيه الأصولي ، فلقد تعلمت منه الكثير ومازلت أتعلم منه ، أسأل الله تعالى أن ينفع به الإسلام والمسلمين ، والأخ الكريم فضيلة الدكتور راضي عبد الله مدرس العقيدة الإسلامية بكلية الدراسات الإسلامية بدمياط الجديدة على مراجعته للكتاب عقدياً ، والأخ الفاضل أحمد محمود الجبة المدرس المساعد بكلية اللغة العربية بالقاهرة على مراجعته للكتاب لغوياً ، والأخ العزيز مجاهد عبد القوي مجاهد على تعاونه المثمر البناء ، وكل من قدم لي يد المعاونة في إعداد هذا الكتاب ، ولا أستطيع أن أكافئ أصحاب الفضل إلا أن أقول لهم : جزاكم الله خيراً ؛ عملاً بحديث رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الشُّنَاءِ»^(٢) .

أحبي في الله ، إن كان ثمة تقصير في هذا الكتاب فمن نفسي ، ولا أستطيع أن أبرر ذلك إلا أن أقول ما قاله العماد الأصفهاني :

إنني رأيت أنه لا يكتب أحد كتاباً في يومه إلا قال في غده :

لو غير هذا لكان أحسن :: ولو زيد هذا لكان أحسن
ولو قدم هذا لكان أفضل :: ولو ترك هذا لكان أجمل

وهذا من أعظم العبر

وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر ، أ.هـ .

وفقنا الله وإياكم لطاعته والعمل بكتابه وسنة رسوله ﷺ .

سبحانك الله ومحمدك أشهد أن لا إله إلا الله أستغفرك وأتوب إليك .

تحتبه الراجعي محمور به

أحمد عبد المتعال

في ٥ شعبان ١٤٣٢هـ

(١) (صحيح) أخرجه (حم ت الضياء) وصححه الألباني في ص . ج ٦٥٤١ .

(٢) (صحيح) أخرجه (ت) وصححه الألباني في ص . ج ٦٣٦٨ .

اللقاء الإيمانى الأول :

(أمة الإسلام أمة لن تموت أبدا)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتى في الله ، الواقع الذي يعيشه المسلمون من خيانات مستمرة ومن إباحية في وسائل الإعلام الرسمية وغير الرسمية ، ومن سرقات واحتيالات ومن هروب بمليارات الدولارات من الدول الإسلامية ، في الوقت الذي يتضور بعضهم جوعا ، ومن انهيار للاقتصاد ، ومن ديون متراكمة ومن إفلاسات مشهورة .

الواقع الذي يعيشه المسلمون من فرقة وتناحر وتشاحن بين المسلمين وأحيانا بين المتزمين من المسلمين هذا الواقع يورث في نفوس بعض المسلمين أو نفوس كثير من المسلمين إحباطا ويأسا ، يشعرون أن القيام من جديد إن لم يكن من ضروب المستحيل فهو في غاية الصعوبة .

هؤلاء الذين يؤسوا لم يدركوا طبيعة هذا الدين ، ولم يدركوا طبيعة هذه الأمة وكذلك لم يدركوا طبيعة سنن الله في الأرض ، فالله سبحانه وتعالى شاء بحكمته أن يجعل الأيام دولا بين الناس قال تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] فكما تعاني أمة الإسلام من القرحة اليوم ، فلقد عانى الآخرون من القرحة بينما كانت أمة الإسلام في سلامة وعافية .

كل الأمم تسود فترة وتتبع غيرها فترات ، كل الأمم تقود زمنا وتنقاد لغيرها أزمانا ، بل كل الأمم تعيش مرة وتموت وتختفي مرات ، إلا أمة واحدة قد تنقاد فترة من الفترات ، وقد تتبع غيرها زمانا من الأزمان لكنها لن تموت أبدا ، تلك هي أمة الإسلام .

أين حضارة الرومان؟! لم يبق منها إلا أطلال وأبنية! أين حضارة الإغريق؟! لم يبق منها إلا فلسفة ومعابد وثنية! أين حضارة الفرس؟! ماتت ولم تترك ميراثا! أين حضارة الفراعنة؟! بقيت منها جمادات وديار كديار عاد وثمود وبقيت جثث محنطة وأوراق بالية لكن الفراعنة في بطون القبور أو في جوف البحر حيث ينتظرون الساعة قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] .

أين التتار وجيوشهم؟! ليس لهم وجود! أين الإمبراطورية التي لم تغرب عنها الشمس (انجلترا)؟! تابعة ذليلة، أين الإمبراطورية الروسية القيصرية ثم الشيوعية سقوط مروع وسيأخذ غيرهم دورات ثم يسقطون وسيعلو نجمهم فترة ثم يهبطون، ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩] .

أمة واحدة ما سقطت إلا وكان بعد السقوط قيام، وما ضعفت إلا وكان بعض الضعف قوة، وما ذلت إلا وكان بعد الذل عز، تلك هي أمة الإسلام. طبيعة هذه الأمة أنها شاهدة على غيرها من الأمم قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، حتى الأمم الغابرة قبل أمة الإسلام تشهد عليها بما جاء في القرآن، وكذلك الأمم المعاصرة نشهد عليها بما رأيناه بأعيننا وقومناه بمنهجنا وأحكامنا وشرعنا، وستظل تشهد على الأمم إلى يوم القيامة ما دامت الحياة، فنحن باقون، وغيرنا لا شك مندثر وذاهب .

فطبيعة هذه الأمة أنها تحمل الرسالة الخاتمة والكلمة الأخيرة من الله إلى خلقه، وليس هناك رسول بعد رسولنا محمد ﷺ، وليس هناك رسالة بعد الإسلام، فلا بد أن يحفظ الله المسلمين لأهل الأرض جميعا .

طبيعة هذه الأمة أنها الأمة الوحيدة التي كان من همها أن تعلم غيرها دون ثمن ولا أجر بل وربما يدفع المعلمون مالا ووقتا وجهدا ونفسا حتى يعلموا غيرهم، فَمَنْ من الأمم يفعل ذلك غير أمة الإسلام؟ ألم تكن الشعوب تغير على الشعوب لتأخذ أرضها وتأخذ خيرها وتقتل أهلها، بينما كان المسلمون يضحون بأرواحهم ليستنقذوا الناس من جحيم الكفر والضلال .

ألم يقل رباعي بن عامر رضي الله عنه قولا ما تكرر على مر التاريخ في سير المتحضرين من الأمم غير أمة الإسلام يبين مفهوم الرسالة الإسلامية بإيجاز فيقول: "لقد ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة" .

فلقد قال تعالى: ﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان: ٩]، هذه هي طبيعة الأمة الإسلامية، فلماذا الإحباط واليأس؟! (٥١) .

على درب التوحيد (معنى التوحيد <١>)

الحمد لله الذى جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنْجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

إخوتي في الله ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: بأن التوحيد الذى جاءت به الرسل إنما يتضمن إثبات الإلهية لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا الله: لا يُعبد إلا إياه ولا يُتوكل إلا عليه ولا يُوالى إلا هو ولا يُعَادَى إلا فيه ولا يُعمل إلا لأجله ، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ إِنَّهُ هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ (٥١) ﴾ [النحل: ٥١] .

وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم . . قالت طائفة من السلف - عن المشركين - تسألهم: من خلق السماوات والأرض؟ فيقولون: الله وَهُمْ مع هذا يعبدون غيره قال تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٨٩) ﴾ [المؤمنون: ٨٥-٨٩] ، فليس كل من أقر بأن الله تعالى رب كل شيء وخالقه يكون عابداً له دون ما سواه - أي لا يشرك به - وعامة المشركين أقروا بأن الله خالق كل شيء وأثبتوا الشفعاء الذين يُشركونهم به وجعلوا له أندادا قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَتَّبِعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨) ﴾ [يونس: ١٨] ، ولهذا كان أتباع هؤلاء - أي المشركين - من يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعوها ويصوم وينسك لها ويتقرب إليها ثم يقول: إن هذا ليس بشرك إنما الشرك إذا اعتقدت أنها المدبرة لى فإذا جعلتها سبباً وواسطة لم أكن مشركاً ، ومن المعلوم من دين الإسلام أن هذا شرك أ. هـ ملخصاً (٣١) .

أخرج مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِأَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ» ،

أَحْسِبُهُ قَالَ: «وَلَا أُدْخِلُكَ النَّارَ فَأَبَيْتَ إِلَّا الشَّرْكَ» ^(١).

مشاهد من الدار الآخرة (ذكر الموت <١>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبي الذين اتقوا وعقبي الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد . .

عباد الله، يموت كل صغير وكبير! يموت كل أمير ووزير! يموت كل عزيز وحقير! يموت كل غني وفقير! يموت كل نبي وولي! يموت كل شقي وتقي! يموت كل زاهد وعابد! يموت كل مُقِرّ وجاحد! يموت كل صحيح وسقيم! يموت كل مريض وسليم! تموت كل نفس غير ذي العزة والجبروت! .

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥)﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)﴾ [الجمعة: ٨] .

وأخرج الترمذي وابن ماجه في سننهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ يَعْنِي الْمَوْتَ» ^(٢).

وروى ابن ماجه في سننه عن ابن عمر رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا» قَالَ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْبَسُ؟ قَالَ: «أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا أُولَئِكَ الْأَكْيَاسُ» ^(٣).

فاسعوا - أيها الإخوة - في فكاك رقابكم وأجهدوا أنفسكم في خلاصها قبل أن تزهق، فوالله ما بين أحدكم وبين الندم إلا أن ينزل بكم الموت فإذا الندم لا ينفع، وإذا النصير لا يدفع، وإذا الشفيع لا يشفع، وإذا الذي فات لا يسترجع،

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٨٠٥ .

(٢) (حسن صحيح) أخرجه (ت هـ) وقال الألباني حسن صحيح في ص ٣٣٣٣ .

(٣) (حسن) أخرجه (هـ) وصححه الألباني في س ص ١٣٨٤ .

وإذا البائس المحابي به في النجاة لا يطمع (٩) .

وأخرج الإمام أحمد وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً للنبي صلى الله عليه وسلم : «اَسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ» قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ الْأَسْتَحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ: أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلِتَذْكُرَ الْمَوْتَ وَالْبَلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ» ^(١) .

* * *

أول الخلفاء الراشدين (أبو بكر الصديق رضي الله عنه <١>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله ، نحن اليوم على موعد مع صديق هذه الأمة ، إنه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وهو عبد الله بن أبي قحافة ، وأمه أم الخير ، وكان لأبي بكر من الولد عبد الله وأسماء ذات النطاقين وأمها قتيلة بنت عبد العزى ، وعبد الرحمن وعائشة وأمهما أم رومان بنت عامر ، ومحمد بن أبي بكر وأمه أسماء بنت عميس ، وأم كلثوم بنت أبي بكر وأمها حبيبة بنت خارجة بن زيد ، وكانت بها نساء - أي حاملاً - فلما توفي أبو بكر ولدت بعده (٢٩) .

إسلام أبي بكر رضي الله عنه وقيامه بالدعوة مباشرة:

جاء في (البداية والنهاية) لابن كثير ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج أبو بكر رضي الله عنه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له صديقاً في الجاهلية ، فلقيه فقال: يا أبا القاسم ، فقدت من مجالس قومك واتهموك بالغيب لأبائها وأمهايتها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني رسول الله أدعوك إلى الله ، فلما فرغ من كلامه أسلم أبو بكر ، فانطلق عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بين الأخشين أحد أكثر سرورا منه بإسلام أبي بكر ، ومضى أبو بكر فراح لعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص فأسلموا ، ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون وأبي عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وأبي سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبي الأرقم فأسلموا رضي الله عنهم (٨) .

(١) (حسن) أخرجه (حم ت ك هب) وحسنه الألباني في ص ج ٩٣٥ .

انظر أخي في الله: كيف تحرك أبو بكر الصديق لنصرة هذا الدين والدعوة إلى الله عز وجل ، ومن خلال هؤلاء الكرام الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق أخذ الإسلام ينتشر في مكة وفي خارج مكة ، ودخل في الإسلام أناس كثير من بطون قريش ومن موالها خاصة (٣٩) .

أخي الحبيب ، هذا ما فعله أبو بكر الصديق رضي الله عنه لهذا الدين من أول يوم أسلم فيه ، فماذا قدمت لدين الله؟!
تسمية أبي بكر رضي الله عنه عتيقا وصديقا:

أخرج الترمذي في سننه عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَنْتَ عَتِيقُ اللَّهِ مِنَ النَّارِ» فَيَوْمَئِذٍ سُمِّيَ عَتِيقًا ^(١) .

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في (زاد المعاد): فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْمِهِ أَخْبَرَهُمْ بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ ﻻ مِنْ آيَاتِهِ الْكُبْرَى ، فَاشْتَدَّ تَكْذِيبُهُمْ لَهُ وَأَذَاهُمْ وَضَرَاوَتُهُمْ عَلَيْهِ ، وَسَلَّوْهُ أَنْ يَصِفَ لَهُمْ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، فَجَلَّاهُ اللَّهُ لَهُ حَتَّى عَايَنَهُ ، فَطَفِقَ يُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوْا عَلَيْهِ شَيْئًا . وَأَخْبَرَهُمْ عَنْ عِيَرِهِمْ فِي مَسَرَّاهُ وَرُجُوعِهِ ، وَأَخْبَرَهُمْ عَنْ وَقْتِ قُدُومِهَا ، وَأَخْبَرَهُمْ عَنْ الْبَعِيرِ الَّذِي يَقْدُمُهَا ، وَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ ، فَلَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ إِلَّا نُفُورًا وَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ، وَسُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه صَدِيقًا ؛ لِتَصَدِّقَهُ هَذِهِ الْوَقْعَةُ حِينَ كَذَبَهَا النَّاسُ (١٩) .

أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان فيه صفات الخير :

أخرج البخاري في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: لَمْ أَعْقِلْ أَبَوِي قَطُّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ ، وَلَمْ يَمُرْ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفِي النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً ، فَلَمَّا ابْتَلَى الْمُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرَكُ الْغَمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغْنَةِ وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ - أَيِ قَبِيلَةِ مَوْصُوفَةِ بَجُودَةِ الرَّمِي - ، فَقَالَ: أَتَيْنَ تَرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ - أَيِ أَسِيرَ - فِي الْأَرْضِ وَأَعْبُدُ رَبِّي ، قَالَ ابْنُ الدَّغْنَةِ: فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يُخْرَجُ وَلَا يُخْرَجُ؛ إِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ - أَيِ تَتَبَرَّعُ بِالْمَالِ لِمَنْ عَدَمَهُ - وَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكُلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَ - أَيِ تَهَيِّئُ مَا يَقْدَمُ لِلضَّيْفِ

(١) (صحيح) أخرجه (ت) وصححه الألباني في مش ٢٩٠٥ .

من طعام وشراب - وتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ - أي ما ينزل بالإنسان من مصائب - ، فَأَنَا لَكَ جَارٌ أَرْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ فَرَجِعْ ، وَارْتَحِلْ مَعَهُ ابْنُ الدَّغْنَةِ فَطَافَ ابْنُ الدَّغْنَةِ عَشِيَّةً - أي بالعشي - فِي أَشْرَافِ قَرِيْشٍ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ مِثْلَهُ وَلَا يُخْرَجُ ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَيَصِلُ الرَّحِمَ وَيَحْمِلُ الْكُلَّ وَيَقْرِي الضَّيْفَ وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ؟ فَلَمْ تُكَذِّبْ قَرِيْشٌ بِجَوَارِ ابْنِ الدَّغْنَةِ وَقَالُوا لِابْنِ الدَّغْنَةِ: مَرُّ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَلْيَصِلْ فِيهَا وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ وَلَا يُؤْذِينَا بِذَلِكَ وَلَا يَسْتَعْلِنَ بِهِ فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا ، فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغْنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ ، فَلَيْتَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ وَلَا يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ ثُمَّ بَدَأَ لِأَبِي بَكْرٍ ، فَأَبْتَنَى مَسْجِدًا بِفَنَاءِ دَارِهِ وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَنْقُذُ عَلَيْهِ نِسَاءَ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاءَهُمْ وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَاءً لَا يَمْلِكُ عَيْنِيهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ ، وَأَفْرَعُ ذَلِكَ أَشْرَافُ قَرِيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغْنَةِ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا: إِنَّا كُنَّا أَجْرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجَوَارِكَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ فَأَبْتَنَى مَسْجِدًا بِفَنَاءِ دَارِهِ فَأَعْلَنَ بِالصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ فِيهِ ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا فَانْهَهُ ، فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلْ ، وَإِنْ أَيْبَى إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ بِذَلِكَ فَسَلِّهِ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ ؛ فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ وَلَكِنَّا مُقَرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ الْإِسْتِعْلَانَ ، قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: فَاتَى ابْنُ الدَّغْنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتَ لَكَ عَلَيْهِ - أي اتفقنا عليه - فِيمَا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي - أي تخرج من جوارِي - فَإِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ - أي نقضت عهدي - فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جَوَارِكَ وَأَرْضَى بِجَوَارِ اللَّهِ صلوات الله عليه ^(١) . ففِي هَذَا مِنَ الْفَقْهِ أَنَّهُ إِذَا خَشِيَ الْمُؤْمِنُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ ظَالِمٍ أَنَّهُ مَبَاحٌ وَجَائِزٌ أَنْ يَسْتَجِيرَ بِمَنْ يَمْنَعُهُ وَيَحْمِيهِ مِنَ الظُّلْمِ ، وَإِنْ كَانَ مَجِيرُهُ كَافِرًا ، إِنْ أَرَادَ الْأَخْذَ بِالرَّخْصَةِ ، وَإِنْ أَرَادَ الْأَخْذَ بِالشَّدَةِ عَلَى نَفْسِهِ فَلَهُ ذَلِكَ كَمَا رَدَّ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقَ عَلَى ابْنِ الدَّغْنَةِ جَوَارَهُ ، فَآثَرَ الصَّبْرَ مُحْتَسِبًا عَلَى اللَّهِ وَوَاقِعًا بِهِ (٥٥) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (بخ) ٣٦٩٢ .

اللقاء الإيمانى الثانى:

(الأسباب الحقيقية وراء حالة اليأس التى أصابت كثيراً من المسلمين)

الحمد لله الذى كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، ليس الواقع الذى نعيشه وراء هذه الحالة من الإحباط واليأس الذى يعيشه كثير من المسلمين ، ولكن وراء هذا الإحباط الذى أصاب كثيراً من المسلمين أسباب ، فهناك من يدبر ويخطط ويكيد حتى يزرع جذور اليأس في قلوب المسلمين ، فمن هم المتآمرون وما هي وسائلهم ؟

الحق أن هذه المؤامرة اشترك فيها كثيرون نذكر منهم:

١- المستشرقين وهم طائفة من العلماء الأوربيين أكل الغل قلوب معظمهم ، وحرق الحقد قلوب غالبيتهم ، وأعمى الحسد بصائر جلهم ، فجاءوا يتعلمون الإسلام ، لا ليهتدوا بهداه ولكن ليطنعوا فيه وليلبسوا على المسلمين دينهم ، فانتشرت كتبهم وعم خطرهم على المسلمين .

٢- المستغربين ، وهم من بني جلدتنا الذين فتنوا بالغرب وتاقت نفوسهم إليه ، واستغل الغرب الفرصة فمدوا إليهم أيديهم وصنعوهم على أعينهم وبثوا في عقولهم أفكارهم ثم أعادوهم إلى أوطانهم يحبطون أبناءهم ويشككون في دينهم ويفتنونهم من القيام إلا باتباع الغرب حتى أن بعضهم كان يقول: "إن بلادنا لن تتقدم إلا إذا نُقِلَ ما في باريس ولندن مجلوه ومره ، وبفضله وسيئه وبمعروفه ومنكره" ، هكذا عالم يلبس لباس العلماء ثم هو يطعن في الدين طعنا ، ألم يذهب بعضهم وهو من أبناء الأزهر الحافظين للقرآن إلى فرنسا فتعلم هناك ثم عاد إلى بلاد المسلمين يعلم تلامذته أن ينقضوا القرآن الكريم ، فيقول: هذه آية قوية وهذه آية ضعيفة قال تعالى: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٥] ، وكان يقول لتلامذته: ليس معنى أن القرآن ذكر وجود إبراهيم وإسماعيل أن هذا أمراً حقيقياً ، فلا بد من برهان مادي ، وكان يقول: إن الآيات المدنية أكثر نضجاً من الآيات المكية وكأن هذا من تراكم الخبرة عند الله تعالى ، تعالى الله عما يصفون ، وكان يكتب كتباً عن الصحابة وبالذات في زمن الفتنة فيطعن في كل من

استطاع بلا خجل ولا موارد . والأزهر منه براء .

٣- المستعمرين الذين جثوا على صدور الأمة عشرات السنين أذاقوها من العذاب ألوانا في مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وليبيا والجزائر وتونس والمغرب واليمن والسودان والعراق والكويت وفي كل بلاد المسلمين .

٤- بعض حكام المسلمين الذين أقنعوا شعوبهم أنهم لا طاقة لهم اليوم بجالات وجنوده (٥١) .

على درب التوحيد (معنى التوحيد <٢>)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنْجِياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (٣٦)﴾ [النحل: ٣٦] .

إخوتي في الله ، الحافظ بن كثير رحمه الله تعالى في هذه الآية: كل رسول يدعو إلى عبادة الله وينهى عن عبادة ما سواه فلم يزل سبحانه يرسل إلى الناس الرسل بذلك منذ حدث الشرك في بني آدم في قوم نوح الذين أرسل إليهم وكان أول رسول بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض إلى أن ختمهم بمحمد ﷺ . وكلهم كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)﴾ [الأنبياء: ٢٥] .

فالحكمة في إرسال الرسل دعوتهم أمهم إلى عبادة الله وحده والنهي عن عبادة ما سواه وأن هذا هو دين الأنبياء والمرسلين ، وإن اختلفت شريعتهم ، وقال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا (٤٨)﴾ [المائدة: ٤٨] ، وأنه لا بد في الإيمان من عمل القلب والجوارح ، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣)﴾ [الاسراء: ٢٣] .

فلقد أمر الله تعالى كل إنسان وألزم وأوجب أن يُفرد سبحانه وتعالى وحده

بالعبادة ، وأمر بالإحسان إلى الأب والأم ، وبخاصة في حالة الشيخوخة ، فلا تضجر ولا تستثقل شيئاً تراه من أحدهما أو منهما ، ولا تسمعهما قولاً سيئاً ، حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ ، ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح ، ولكن ارفق بهما ، وقل لهما - دائماً - قولاً ليناً لطيفاً .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : والنفي المحض ليس توحيداً وكذلك الإثبات بدون النفي فلا يكون التوحيد إلا متضمناً للنفي والإثبات ، وهذا هو حقيقة التوحيد (٣١) .

مشاهد من الدار الآخرة (ذكر الموت < ٢ >)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبي الذين اتقوا وعقبي الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

عباد الله ، اعلموا أن خطر الموت عظيم ، وإنما غفل عنه الناس لقلة علمهم به وذكرهم له ، فكثير منهم يذكره بقلب غافل ، قال حامد القصيري: كلنا قد أيقن بالموت وما نرى مستعداً ، وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها عاملاً ، وكلنا قد أيقن بالنار وما نرى لها خائفاً ، فعلام تفرحون؟ وما عساكم تنتظرون الموت فهو أول وارد عليكم من أمر الله بخير أو بشر (٣٥) .

وهذا مصداقاً لما أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا»^(١) .

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب - أي لذي عقل - فيها فرحاً ، وما ألزم عبد قلبه ذكر الموت إلا صغرت الدنيا عليه وهان عليه جميع ما فيها ، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذكرون الموت والقيام ثم يكون حتى كأن بين أيديهم جنازة (٣٥) .

وجاء في (بستان الواعظين ورياض السامعين) لابن الجوزي ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال لابنه عند الموت: ليتني ألقى رجلاً عاقلاً عند نزول الموت يخبرني

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٢٥٦ .

بما يجد ، فقال له ابنه: قد نزل بك الموت فصف لي الذي تجد ، فقال لي: يا بني كأن فيّ تحت وكأن غصن شوك يخرج من قدمي إلى هامتي وكأنني أتنفس من سم إبرة ، ثم مد يده وقال: اللهم لا قوِي فأنتصر ولا بريء فأعتذر ، اللهم إني مقرر مذنب مستغفر ، ثم مات ﷺ (٩) .

أول الخلفاء الراشدين (أبو بكر الصديق ﷺ <٢>)

الحمد لله الذي منّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﷺ ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .
أيها الأحبة في الله ، ما زلنا مع السيرة العطرة لصديق هذه الأمة أبي بكر الصديق لنتعرف عن قرب عن ورعه ، وإنفاقه ، وهجرته مع النبي ﷺ .

أبو بكر ﷺ خير من مؤمن آل فرعون :

أخرج البخاري في صحيحه عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي بِفِنَاءِ الْكُعْبَةِ إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَأَخَذَ بِمَنْكَبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَوَى ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِمَنْكَبِهِ وَدَفَعَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (١) .

قال بن القيم رحمه الله في كتاب (الفوائد): أن أبا بكر خير من مؤمن آل فرعون ، لأنّ ذلك كان يكتّم إيمانه والصديق أعلن به ، وخير من مؤمن آل ياسين لأن ذلك جاهد ساعة والصديق جاهد سنين .

ورع أبي بكر الصديق ﷺ:

روى البخاري في صحيحه عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَجَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَجِهِ ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكْهَنْتُ لِلنَّسَاءِ

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٥٣٧ .

فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَمَا أَحْسَنُ الْكِهَانَةَ إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ فَلَقِبَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتُ مِنْهُ ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ ^(١) .

وفي هذا الحديث دليلٌ على شدة ورع أبي بكر رضي الله عنه ، ولهذا كان قول أهل السنة والجماعة إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أفضل هذه الأمة .

إنفاق أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

جاء في (الإصابة في معرفة الصحابة) لابن حجر العسقلاني : أخرج أبو داود في الزهد بسند صحيح: عن هشام بن عروة أخبرني أبي قال : أسلم أبو بكر وله أربعون ألف درهم قال عروة : وأخبرتني عائشة أنه مات وما ترك ديناراً ولا درهما وقال يعقوب بن سفيان في تاريخه : حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا هشام عن أبيه أسلم أبو بكر وله أربعون ألفاً فأنفقها في سبيل الله ، وأعتق سبعة كلهم يعذب في الله أعتق بلالا ، وعامر بن فهيرة ، وزنيرة ، والنهدية ، وابنتها ، وجارية بني المؤمل ، وأم عيسى .

وروى أبو داود والترمذي في سننهما عن عُمَرَ رضي الله عنه يَقُولُ : أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ مَا أَنْتَصَدَقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي فَقُلْتُ الْيَوْمَ أَسْقِي أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقَتْهُ يَوْمًا فَجِئْتُ بِنَصْفِ مَالِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ ؟ » قُلْتُ مِثْلَهُ قَالَ وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ ؟ » قَالَ : أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قُلْتُ : لَا أَسَاقِيكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا ^(٢) .

وهذا فيه دليل على المنافسة في الخير ، والاعتراف لأهل الفضل بالفضل

﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين : ٢٦] .

هجرة رسول الله ﷺ بصحبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

جاء في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْمُسْلِمِينَ: « إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَحْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ ، وَهُمَا الْحَرَّتَانِ - أَيِ مَثْنَى حَرَّةٍ وَهِيَ الْأَرْضُ ذَاتُ الْحَجَارَةِ السُّودَاءِ - » ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قَبْلَ الْمَدِينَةِ ، وَرَجَعَ عَامَّةٌ مَنْ كَانَ هَاجِرَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قَبْلَ الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ لَهُ

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٦٢٩ .

(٢) (حسن) أخرجه (د ت) وحسنه الألباني في مش ٦٠٢١ .

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « عَلَى رِسْلِكَ - أي انتظر - فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي - أي بالهجرة - » ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَهَلْ تَرْجُو - أي تريد - ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » ، فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَصْحَبَهُ ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرُ وَهُوَ الْخَبَطُ - أي ما يخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر - أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : قَالَ عُرْوَةُ : قَالَتْ عَائِشَةُ : فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَقِنًا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فِدَاءُ لَهُ أَبِي وَأُمِّي ، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ . قَالَتْ : فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ ، فَدَخَلَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ : « أَخْرِجْ مِنْ عِنْدِكَ » فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

قَالَ : « فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ » ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : الصَّحَابَةُ - أي أريد الصحبة - بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « نَعَمْ » . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « بِالثَّمَنِ » .

قَالَتْ عَائِشَةُ : فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الْجِهَازَ - أي أسرع ما يحتاج له في السفر - وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً - أي الزاد الذي يصنع للمسافر - فِي جِرَابٍ ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ ؛ فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ .

قَالَتْ : ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بَغَارَ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ ، فَكَمْنَا - أي فمكثنا مختفين - فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ بِيَّتٍ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ - أي سريع الفهم حسن التلقي لما يسمعه ويعلمه - ، فَيُدَلِّجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ - أي يخرج وقت السحر منصرفاً إلى مكة - فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ - أي يدبرانه - إِلَّا وَعَاهُ حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ ، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا - أي يسير في العشي - حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةُ مِنَ الْعِشَاءِ ، فَيَبْتَئَانِ فِي رِسْلٍ وَهُوَ لَبَنٌ مِنْحَتُهُمَا وَرَضِيْفُهُمَا - أي يبيتان وعندهما لبن يشربانه - ، حَتَّى يَنْعَقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ - أي حتى يصبح بغنمه في آخر ظلام الليل - يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ ، وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ

رَجُلًا مِنْ بَنِي الدَّيْلِ وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِيًا - أي مرشداً في الطريق - خَرِيَّتًا - أي ماهراً بالطريق - ، . وَهُوَ عَلَى دِينِ كِفَارِ قُرَيْشٍ فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِمَا صَبَحَ ثَلَاثٍ ، انْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالِدَيْلٍ فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَا حِلٍ ^(١) .

وأخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِي الْغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا ، فَقَالَ: «مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا؟» ^(٢) .

ولقد نزل قرآن يتلى إلى قيام الساعة في صحبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لرسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠] .

المعنى: يا معشر أصحاب رسول الله ﷺ إن لا تنفروا معه أيها المؤمنون إذا استتفركم ، وإن لا تنصروه ؛ فقد أيدته الله ونصره يوم أخرجه الكفار من قريش من بلده (مكة) ، وهو ثاني اثنين (هو وأبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وألجؤوهما إلى نقب في جبل ثور "بمكة" ، فمكثا فيه ثلاث ليال ، إذ يقول لصاحبه (أبي بكر) لما رأى منه الخوف عليه: لا تحزن إن الله معنا بنصره وتأيدته ، فأنزل الله الطمأنينة في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعانه بجنود لم يرها أحد من البشر وهم الملائكة ، فأنجاه الله من عدوه وأذل الله أعداءه ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى . وكلمة الله هي العليا ، ذلك بإعلاء شأن الإسلام . والله عزيز في ملكه ، حكيم في تدبير شؤون عباده . وفي هذه الآية منقبة عظيمة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٦٩٢ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٤٥٣ ، و(م) ٢٣٨١ واللفظ للبخاري .

اللقاء الإيمانى الثالث:

(الجرائم التي فعلها المتآمرون على الإسلام والمسلمين)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحيتي في الله ، لعلنا نتساءل: ماذا فعلت تلك الطوائف المختلفة من المتآمرين؟ لقد فعلوا جرائم عدة منها:

١- جريمة تزوير التاريخ ، وهي جريمة بشعة فلقد كذبوا وزوروا والتقطوا الضعيف والموضوع وأعرضوا عن الصحيح والحسن ونقبوا على المصائب ، ولا بد أن في تاريخ كل أمة مصائب ، وتركوا الأجداد والفضائل ، ركزوا على الجوانب السياسية بمشكلاتها ، وأغفلوا الجوانب الأخلاقية والمعمارية والعسكرية والاقتصادية والفكرية والأدبية ، أساءوا التأويل عن عمد ، وطعنوا في الشرفاء عن قصد ، فخرج التاريخ إلينا مسخاً مشوهاً يستحي منه الكثير ويتناساه الأكثر ، وقال معظمهم إذا كان الأولون على هذه الشاكلة فكيف يرجى خير ممن لحق بهم ، جريمة كبرى ولا حول ولا قوة إلا بالله ن ومن أمثلة تزوير التاريخ أن صوروا للمسلمين أن الخلافة العثمانية كانت احتلالاً من الأتراك للبلاد العربية ، وأن أهل فلسطين باعوا أرضهم لليهود ، وهكذا .

٢- تشويه الواقع والحاضر ، فكما طمسوا تاريخ المسلمين المشرق طمسوا حاضرتهم ، واشترك في ذلك المربون والإعلاميون من المستغربين في تغييب الأمة وتخطيط الشعب ، وساعد الإعلام الغربي في هذه المهمة فسموا الأشياء بغير أسمائها: جعلوا الالتزام بالإسلام مرادفاً للإرهاب ، وجعلوا الحجاب مرادفاً للزمت ، وجعلوا تطبيق الشرع مرادفاً للرجعية والجمود والتخلف ، وإذا أكرم مسلم في الغرب قالوا: أكرم مسلم ، وإذا أكرم نصراني ذكره باسمه لا بدينه ، وإذا أساء مسلم قالوا: أساء مسلم ، وإذا نبغ مسلم قالوا: نبغ مصري أو سوري أو باكستاني وهكذا وصفوه بقوميته ، وآه من تصوير المتزمين في وسائل الإعلام ، كم من المرات يأتون بالشيخ أو المأذون في صورة هزلية مضحكة ، كم من المرات يأتون بالمسلمين في الأفلام التي يطلقون عنها إسلامية بصورة عجيبة ينظرون نظرات

حالة وأبصارهم معلقة بالسماء ويتسمون في بلاهة ويتحركون ببطء شديد ، سبحان الله ! كأن الانسان إذا أسلم لا بد أن يتخلف عقليا بهذه الصورة ! كم من مرة يأتون بمن التزم طريق الإسلام يتحول من الحديث بالعامية إلى الحديث بالعربية الفصحى ولكن في تنطع وتقعّر شديدين ومن حوله الناس لا يفهمونه وينظرون إليه مستنكرين . سبحان الله ! مع أن اللغة العربية هي أرقى لغات العالم أجمع ! جريمة كبرى إلى جانب جريمة تزوير التاريخ ، تلك هي جريمة تشويه الواقع .

٣- تعظيم الغرب ، فبعد أن كسّروا الرموز الإسلامية بالتاريخ المشوه والواقع المشوه رفعوا قيمة الغرب حتى لا يبقى أمام المسلمين خيار إلا اتباع الذليل والتقليد الأعمى ، عظموا سلاح الغرب ، ومدنية الغرب ، وأخلاق الغرب ، وعقل الغرب ، وأدب الغرب ، وفن الغرب بل وعظموا لغة الغرب حتى افتتن المسلمون وأصبح الرجل يحرص على تعليم الإنجليزية لابنه أكثر من حرصه على تعليم العربية ، وحتى ابتلينا بالمدارس الإسلامية للغات بحجة أننا يجب أن نعلم أولادنا لغة الغرب لندعوهم إلى الإسلام ، أنتعلمها على حساب اللغة العربية؟! وبحجة أن الأعمال المرموقة لا بد لها من اللغة الإنجليزية ، وحتى لو أحضرت لابنك في البيت مدرسا للغة العربية فسيظل ابنك معظما للغة الإنجليزية ، في حين أنك لو خاطبت فرنسيا في فرنسا باللغة الإنجليزية ما رد عليك إلا متأسفا ، وإذا أردت أن تعيش في ألمانيا فلا حديث إلا بالألمانية ، وهكذا يعتزون بلغاتهم المحدودة .

الأمر الذي جعل منتهى طموح كثير من شباب المسلمين في الحياة أن يلقي بوطنه وأهله وراء ظهره وينطلق إلى بلاد الغرب إلى أمريكا وأوروبا ليعيش في جنة الله في أرضه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله!

نتيجة لهذه الجرائم والمؤمرات أحبط كثير من المسلمين إحباطا شديدا ، ورضخوا للواقع وقنعوا بالسير في ذيل الحضارة الغربية ، ومع ضخامة هذه المؤامرة أن تعجب: كيف تحبط أمة تمسك في يدها بكتاب الله القرآن الكريم؟! ألم تسمعوا لقول الله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]؟! (٥١) .

على درب التوحيد (معنى التوحيد <٣>)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم

به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنَجِّياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

اسمع - رعاك الله - لهذه الأمثال النبوية الرائعة عن الصراط والسبل ، أخرج الإمام أحمد في مسنده وغيره عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا ، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ سُبُلٌ. قَالَ يَزِيدُ: مُتَفَرِّقَةٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» ثُمَّ قَرَأَ ﴿إِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ^(١) .

معاشر الإخوة ، من أقوال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : نذكر في الصراط المستقيم قولاً وجيزاً ، وحقيقته شيء واحد وهو طريق الله الذي نصبه لعباده موصلاً لهم إليه ، ولا طريق إليه سواه بل الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا طريقه الذي نصبه على ألسن رسله وجعله موصلاً لعبادة الله ، وهو إفراجه بالعبادات وإفراد رسله بالطاعة فلا يشرك به أحداً في عبادته ولا يشرك برسوله ﷺ أحداً في طاعته ، وقال سهل بن عبد الله: عليكم بالأثر والسنة فإنني أخاف أنه سيأتي عن قليل زمان إذا ذكر إنسان النبي ﷺ والافتداء به في جميع أحواله ذمومه ونفروا عنه وتبرأوا منه وأذلوه وأهانوه أ . هـ .

واسمع - بارك الله فيك - لحديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه الذي أخرجه الشيخان في صحيحيهما والذي قَالَ فِيهِ: كُنْتُ رَدَفَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا مُؤَخَّرَةُ الرَّحْلِ فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ . . قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» ثُمَّ سَارَ سَاعَةً قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ، قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ: «أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ» ^(٢) .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : كون المطيع لله تعالى يستحق الجزاء هو استحقاق إنعام وفضل من الله ﷻ ليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق (٣١) .

(١) حسن أخرجه (حم ن دارمي) وصححه الألباني في مش ١٦٦ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٥٩١٢ ، و(م) ٣٠ واللفظ لمسلم .

مشاهد من الدار الآخرة (لكل أمة أجل)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

عباد الله ، جاء في (بستان الواعظين ورياض السامعين) : أن ملك الموت كان صديقاً لسليمان عليه السلام وكان يزوره أبداً ، فدخل عليه يوماً وعنده رجل يكلمه سليمان ، فجعل ملك الموت ينظر إلى الرجل الذي مع سليمان نظراً منكراً ، فقال الرجل لسليمان بعد خروج ملك الموت : يا نبي الله من هذا الداخل عليك آنفاً ، فقال : ملك الموت ، فقال له : لقد رأيته يجد النظر إليّ ولكن لي إليك حاجة . قال : وما هي ؟ قال : تأمر الريح أن تحملني إلى الهند ، فأمر سليمان الريح فحملته إلى الهند ، ثم قال سليمان بعد أيام لملك الموت : وجدت عندي منذ أيام رجلاً فنظرت إليه نظراً منكراً ، فقال ملك الموت : كنت أعجب منه أمرت بقبض روحه في ذلك اليوم بجزائر الهند وهو عندك بالشام ، فقبض روحه في ذلك اليوم بالهند (٩) .

قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٦١) [النحل: ٦١] .

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٨٧)﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٧] .

معاشر الإخوة ، هل رأيتم أحداً خلد في الدنيا حتى تكونوا مخلصين؟ ، أم أنتم من الرحيل إلى الآخرة على شك فتكونوا بالقرآن كافرين ، فوالله لو كان الأمر كذلك لخلد خاتم النبيين ، فعظوا أنفسكم بأبائكم وأحبابكم وجيرانكم وإخوانكم فإن في ذلك بلاغاً لمن تذكر وعبرة لمن تفكر ، إخوانكم كانوا بالأمس معكم يأكلون مما تأكلون ويلبسون مما تلبسون ، فأصبحوا اليوم وقد صارت القبور لهم بيوتاً وصاروا بين أطباق الثرى خفوتاً ، قد قسم الوارث أموالهم ، ونكح العدو والصديق عيالهم وأهان العدو أطفالهم .

أخرج الترمذي عَنْ حَارِثَةَ بْنِ مُضَرَّبٍ قَالَ: أَتَيْنَا خَبَابًا نَعُودُهُ وَقَدْ اكَتَوَى سَبْعَ كَيَّاتٍ فَقَالَ لَقَدْ تَطَاوَلَ مَرْضِي وَلَوْ لَا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَمُتُوا الْمَوْتَ لَتَمَنَيْتُمْ، وَقَالَ: «يُوجَرُّ الرَّجُلُ فِي نَفَقَتِهِ كُلِّهَا إِلَّا التُّرَابَ أَوْ قَالَ: فِي الْبِنَاءِ»^(١).

أول الخلفاء الراشدين (أبو بكر الصديق ﷺ) <٣>

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﷺ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم، أما بعد . .
أيها الأحبة في الله، ما زلنا مع سيرة صديق هذه الأمة العطرة فيها بنا .
كان أبو بكر الصديق ﷺ وقافاً عند كتاب الله ﷻ:

أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة ﷺ في حديث حادثة الإفك قالت: فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا - أي قرآنًا - فِي بَرَاءَتِي قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ ﷺ، وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحَ بْنِ أُنَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ،: وَاللَّهِ لَا أَنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ - أي خاض مع من خاضوا في الحديث عن عائشة ﷺ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَلَا يَأْتِلْ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي أَحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحِ الثَّقَفَةِ الَّذِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا^(٢).
انظر أخي في الله: كيف أثر أبو بكر الصديق ﷺ رضا الله عز وجل على هواه، فهل آثرت رضا الله عز وجل على هواك؟!

موقف أبي بكر ﷺ يوم الحديبية:

جاء في صحيح البخاري عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَعَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ ﷺ قَالُوا: فَقَالَ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: « بَلَى »، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: « بَلَى »

(١) (صحيح) أخرجه (ت) وصححه الألباني في ص ١٨٧٥ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٩١٠ .

، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَغْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي» قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتُ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «بَلَى فَأَخْبَرْتُكَ أَنَا نَأْتِيهِ الْعَامَ» قَالَ: قُلْتُ: لَا ، قَالَ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ» قَالَ: فَاتَّيْتُ أَبَا بَكْرٍ ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيُّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى ، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُونَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى ، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: أَتَيْهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ وَهُوَ نَاصِرُهُ ، فَاسْتَمْسَكَ بِغُرْزِهِ فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ ، قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ ، قَالَ: بَلَى فَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ . قُلْتُ: لَا ، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ ^(١) .

فيا له من توافق تام بين كلمات رسول الله ﷺ وكلمات أبي بكر الصديق رضي الله عنه على الرغم من عدم سماع أبي بكر الصديق رضي الله عنه حديث رسول الله ﷺ وهذا يوضح الإيمان المتين لأبي بكر الصديق رضي الله عنه .

أبو بكر رضي الله عنه كان أحب الناس لرسول الله ﷺ:

أخرج الشيخان عن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ فَاتَّيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ» ، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ ، فَقَالَ: «أَبُوهَا» ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» فَعَدَّ رَجُلًا ^(٢) .

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرْفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ - أَي رَمَى بِنَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ الْخَطِرَةِ - فَسَلَّمَ» وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي ، فَأَبَى عَلَيَّ ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ ، فَقَالَ: «يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلَاثًا» ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ فَسَأَلَ أَثَمَ أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لَا ، فَاتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ ، حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ مَرَّتَيْنِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ ، وَوَأَسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي؟» مَرَّتَيْنِ فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا ^(٣) .

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٥٨١ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٤٦٢ و (م) ٢٣٨٤ .

(٣) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٤٦١ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ إِنْ يَكُنِ اللَّهُ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ؟، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْعَبْدُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا، قَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ لَا تَبْكُ إِنْ آمَنَ النَّاسُ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ - أَيَّ أَكْثَرِهِمْ جُودًا بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ عَلَيَّ - أَبُو بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَا تَخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخُوهُ الْإِسْلَامَ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يَتَّقِينَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ» ^(١). وهذه ثلاثة أدلة تبرهن على أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان أحب الرجال إلى رسول الله ﷺ.

رسول الله ﷺ يبشر أبا بكر رضي الله عنه بالجنة عدة مرات:

جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَابِتًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: «أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ تَبَعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: «أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: «أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: «أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعَنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ» ^(٢).

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ: فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّيَامِ وَبَابِ الرِّيَانِ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا عَلَى هَذَا الَّذِي يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ؟ وَقَالَ: هَلْ يُدْعَى مِنْهَا كُلُّهَا أَحَدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ» ^(٣). هذا هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي جمع أصنافا مختلفة من أعمال البر والخير فبشره رسول الله ﷺ بالجنة مرات.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٤٥٤ و(م) ٢٣٨٢ واللفظ للبخاري.

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ١٠٢٨.

(٣) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٤٦٦.

اللقاء الإيمانى الرابع :

(المعركة ليست بين المسلمين والكافرين ولكن بين الله عز وجل والكافرين)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

إخوتي في الله ، كل ما ذكرناه في اللقاءات السابقة من جرائم ومؤامرات وتزوير وتشويه وخيانات ونفاق وكذب يدخل تحت كلمة ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ ، ولكن الله - يا إخوة - يقابل مكرهم بمكره الذي يستحقونه ، قال تعالى: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٥٠) فَنَنْظُرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١)﴾ [النمل: ٥٠] ، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] .

الإخوة الفضلاء ، إن كان قد أصابكم شيء من الإحباط ذلك لأنكم لم تعرفوا المعركة على حقيقتها ، ولم تدركوا الصدام بكامل أبعاده ، هي ليست حرباً بين المسلمين والكافرين ، وإن كان في ظاهرها كذلك ، ولكن في حقيقتها حرب بين الله وبين من مرق عن طريقه وكفر بعبادته وارتضى غيره حكماً وقبل غير كتابه شرعاً ، ولكن الله مع رحمته وكرمه بالمؤمنين من عليهم فجعلهم جنداً وحزباً من أوليائه ، فالمؤمنون يقفون أمام الكافرين ملتزمين بمنهج ربهم واثقين بوعد راعي في جنته فارين من ناره مخلصين له ، إن فعلوا ذلك كان هو سبحانه جلت قدرته وتعالى أسماؤه المدافع عنهم المؤيد لهم ، المنتقم من عدوهم ، فاسمعوا لقوله تعالى حتى تعرفوا حقيقة المعركة ، ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦)﴾ [الطارق: ١٥-١٦] .

أيها المسلمون المعتزون بإسلامهم ، هل تعلمون لمن تعملون ، وإلى أي ركن تأوون؟ إنكم تعملون لله وتأوون إلى ركن شديد ، إذا جنح المتآمرون في جنح الظلام يتآمرون ويخططون أهم بعيدون عن عينه سبحانه وتعالى الذي قال في محكم كتابه: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي

الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ [لقمان: ١٦] ، وقال أيضا: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنَ ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٣) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ (٦٤)﴾ [الأنعام: ٦٣-٦٤] .

أيها المسلمون المعتزون بربهم ، هذا الإله العظيم الكريم الودود يبشركم سبحانه وتعالى في كتابه ، يقول صاحب الجبروت: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] ، يتعهد ربنا سبحانه وتعالى بنصر المؤمنين ويجعله حقا عليه ، والله يا إخوة لو لم تنزل غير هذه البشرى لكفت ، وحتى لا يذهب الخيال بأحدنا أن هذا النصر في الآخرة فقط بدخولنا الجنة وأن الدنيا للكافرين فقط نذكرهم بقول الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١] (٥١) .

من التوحيد (معنى لا إله إلا الله محمدا عبد الله ورسوله)

لقد بعث الله تعالى جميع الرسل لدعوة أقوامهم إلى التوحيد الخالص لله رب العلمين ، وإذا قرأنا في كتاب الله نجد أن كل نبي بعث إلى قومه ، قال لهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩] ، فهذه هي القضية التي تتكرر دائما ، وبعدها تأتي كل قضية أخرى ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] هذه هي عقيدة التوحيد التي بعث الله الرسل من أولهم إلى آخرهم لدعوة الناس إليها ، والآيات القرآنية بهذا الصدد كثيرة منها:

قال تعالى: ﴿وَالِهَكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١٦٣)﴾ [البقرة: ١٦٣] .
وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)﴾ [الأنبياء: ٢٥] .

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥)﴾ [الأعراف: ٦٥] فأجابوه ردا عليه بقولهم: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠)﴾ [الأعراف: ٧٠] .

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (٦٢) [الحج: ٦٢].

فتضمن ذلك نفي الإلهية عما سوى الله وهي العبادة وإثباتها لله وحده لا شريك له ، فدلّت لا إله إلا الله على نفي الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى كائناً ما كان وإثبات الإلهية لله وحده دون كل ما سواه ، وهذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل ودل عليه القرآن من أوله إلى آخره .

فما أجهل عباد القبور بحالهم ! وما أعظم ما وقعوا فيه من الشرك المنافي لكلمة الإخلاص لا إله إلا الله ! فإن مشركي العرب ونحوهم جحدوا لا إله إلا الله لفظاً ومعنى ، وهؤلاء المشركون أقروا بها لفظاً وجحدوها معنى ، فتجد أحدهم يقولها وهو يؤلّه غير الله بأنواع العبادة كالحب والتعظيم والخوف والرجاء والتوكل والدعاء وغير ذلك من أنواع العبادة ، بل زاد شركهم على شرك العرب بمراتب ؛ فإن أحدهم إذا وقع فى شدة أخلص الدعاء لغير الله تعالى ويعتقدون أنه أسرع فرجا من الله بخلاف حال المشركين الأولين فإنهم يشركون فى الرخاء وأما فى الشدائد فإنما يخلصون لله وحده كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (٦٥) [العنكبوت: ٦٥].

فهذا يتبين أن مشركي أهل هذه الأزمان أجهل بالله وبتوحيده من مشركي العرب ومن قبلهم (٣١) .

ومعنى شهادة أن محمدا عبده ورسوله ، أن رسول الله عبد فلا يعبد ، ورسول فهو مطاع فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع .

وللشهادتين ثمرات عظيمة منها: تحرير القلب والنفس من الرق للمخلوقين ، والاتباع لغير المرسلين .

مشاهد من الدار الآخرة (وفاة أنبياء الله)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٣٤) ﴿[الأعراف: ٣٤] .

إخوتي في الله ، الأنبياء والمرسلون هم صفوة خلق الله ، وليس في المخلوقين أحد أحب إلى الله تعالى منهم ، وبالرغم من ذلك لم يؤخرهم الله تعالى حين انقضى أجلهم .

أخرج الترمذي في سننه والحاكم في المستدرک عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنَيَّ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ وَبَيْضًا مِنْ نُورٍ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ مِنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَرَأَى رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ وَبَيْضُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الْأُمَمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ يُقَالُ لَهُ: دَاوُدُ، فَقَالَ: رَبِّ كَمْ جَعَلْتَ عُمْرَهُ، قَالَ: سِتِّينَ سَنَةً، قَالَ: أَيُّ رَبِّ زِدْهُ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَلَمَّا قُضِيَ عُمْرُ آدَمَ جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فَقَالَ: أَوْلَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَوْلَمْ تُعْطِهَا ابْنَكَ دَاوُدَ، قَالَ: فَجَحَدَ آدَمُ، فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَ آدَمُ فَنُسِيتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَخَطِئَ آدَمُ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ» (١) .

وأخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ - أَي لَطَمَهُ - فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدُهُ عَلَى مَنْ ثَوْرَ فَلْهُ بِكُلِّ مَا عَطَتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةً، قَالَ: أَيُّ رَبِّ ثُمَّ مَآذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَلَا أَنْ - أَي اقبضني الآن - فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَّةً بِحَجَرٍ» قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلَوْ كُنْتُ ثُمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَيْثِيبِ الْأَخْهَرِ» (٢) .

أول الخلفاء الراشدين (أبو بكر الصديق رضي الله عنه) <٤>

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته

(١) (صحيح) أخرجه (ت ك) وصححه الألباني في ص . ج ٥٢٠٨ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ١٢٧٤ ، و(م) ٢٣٧٢ واللفظ للبخاري .

عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .
أيها الأحبة في الله ، مازالنا بصدد الحديث عن أبي بكر رضي الله عنه فيها بنا .

موت رسول الله ﷺ وثبات أبي بكر رضي الله عنه ومبايعته للخلافة:

أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بِالسُّنْحِ قَالَ إِسْمَاعِيلُ: يَعْنِي بِالْعَالِيَةِ ، فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ وَلَيُبْعَثَنَّهُ اللَّهُ فَلْيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَبَّلَهُ . قَالَ: يَا أَيْيَ أَنْتَ وَأُمِّي طُبْتُ حَيًّا وَمَيِّتًا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُذِيقُكَ اللَّهُ الْمَوْتَيْنِ أَبَدًا ، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الْحَالِفُ عَلَى رَسُولِكَ ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ ، جَلَسَ عُمَرُ فَحَمِدَ اللَّهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ يَعْْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ وَقَالَ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ وَقَالَ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ قَالَ: فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ قَالَ: وَاجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ فَقَالُوا: مَنَا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ، فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فَذَهَبَ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ: فَاسْكَنَهُ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ بِذَلِكَ إِلَّا أَنِّي قَدْ هَيَّأتُ كَلَامًا قَدْ أَعْجَبَنِي خَشِيتُ أَنْ لَا يَلْبِغَهُ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَتَكَلَّمَ أَبْلَغَ النَّاسِ فَقَالَ فِي كَلَامِهِ: نَحْنُ الْأَمْرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ ، فَقَالَ حُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ: لَا وَاللَّهِ لَا نَفْعَ لِي ، مَنَا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَا وَلَكِنَّا الْأَمْرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ ، هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ دَارًا وَأَعْرَبُهُمْ أَحْسَابًا ، فَبَايَعُوا عُمَرَ أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ ، فَقَالَ عُمَرُ: بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ فَأَنْتَ خَيْرُنَا وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ فَبَايَعَهُ ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ ^(١) ، ومن هنا يتضح الإيمان العميق والفقه السديد وثبات المؤمن للصديق رضي الله عنه .

إشارات النبي ﷺ لاستخلاف أبي بكر رضي الله عنه من بعده:

أخرج مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٤٦٧ .

مَرَضِهِ: «ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ أَبَاكَ وَأَخَاكَ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَتَّى مُتَمِّنٌّ وَيَقُولَ قَائِلٌ: أَنَا أَوَّلِي، وَيَأْتِي اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ»^(١).

إنجازات أبي بكر الصديق رضي الله عنه في مدة خلافته:

١ - إنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه:

جاء في (البداية والنهاية) للحافظ بن كثير رحمه الله تعالى: بعد أن ارتد من ارتد من العرب، وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى الصديق، ولم يبق للجمعة مقام في بلد سوى مكة والمدينة، أشار كثير من الناس على الصديق أن لا ينفذ جيش أسامة لاحتياجه إليه فيما هو أهم؛ لأن ما جهز بسببه في حال السلامة، وكان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب، فامتنع الصديق من ذلك وأبى أشد الإباء إلا أن ينفذ جيش أسامة، وقال: والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ، ولو أن الطير تخطفنا والسباع من حول المدينة، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين، لأجهز جيش أسامة وأمر الحرس يكونون حول المدينة، فكان خروجه في ذلك الوقت من أكبر المصالح، والحالة تلك فساروا لا يمرون بجي من أحياء العرب إلا أربعوا منهم، وقالوا: ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة (٨).

٢ - حرب المرتدين:

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لَمَّا تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابِهِ عَلَى اللَّهِ؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ لَا أَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عَقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ ﷻ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ^(٢).

إن قرار حرب المرتدين لمن الأمور التي تدل على الفقه العميق للصديق رضي الله عنه، كما قال رسول الله ﷺ «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» أي يرزقه فهما صحيحا

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٣٨٧.

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ١٣٣٥، و(م) ٢٠ واللفظ للبخاري.

يدرك به حقائق الشريعة ، وأصول الأحكام .

٣- الفتوحات الإسلامية في الشام والعراق:

لما فرغ أبو بكر رضي الله عنه من قتال المرتدين أمر خالدًا رضي الله عنه والذين معه من المهاجرين والأنصار والتابعين بالمسير إلى العراق وكذا أمر أبا عبيدة بالمسير ومن معه بالمسير إلى الشام ، وكان لا يعتمد في حروب الفتوحات على أحد ممن ارتد من العرب ، فلم يدخل في الفتوح إلا من كان ثابتاً على الإسلام .

٤- جمع القرآن:

أخرج البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أُرْسِلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلِ أَهْلِ الْيَمَامَةِ إِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عِنْدَهُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ إِنَّ الْقَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقِرَاءِ الْقُرْآنِ ؛ وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقِرَاءِ بِالْمَوَاطِنِ فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرُ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ . قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِذَلِكَ وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ ، قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لَا نَتَهَمُكَ وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَتَّبِعُ الْقُرْآنَ فَاجْمَعُهُ ، فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ ، قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ ، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنه ، فَتَتَّبَعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعَهُ مِنْ الْعُسْبِ وَاللَّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ ، حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ حَتَّى خَاتَمَ بَرَاءَةَ فَكَانَتْ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتِهِ ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رضي الله عنه ^(١) .

استخلافه لعمر رضي الله عنه:

جاء في (الطبقات الكبرى) لابن سعد أن أبا بكر دعا عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٧٠١ .

عهده بالدنيا خارجاً منها ، وعند أول عهده بالآخرة داخلها حيث يؤمن الكافر ، ويوقن الفاجر ، ويصدق الكاذب أني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً ، فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه ، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب من الإثم والخير أردت ولا أعلم الغيب ، سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، والسلام عليكم ورحمة الله ، ثم أمر بالكتاب فختمه (٢٩) ، وهذه أيضاً من الفتوحات الربانية له .

وفاته ﷺ:

جاء في (صفة الصفوة) لابن الجوزي عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه قال: انظروا ماذا زاد في مالي منذ دخلت في الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة من بعدي ، فنظرنا فإذا عبدٌ نوبي كان يحمل صبيانه ، وإذا ناضح كان يسقي بستانا له ، فبعثنا بهما إلى عمر . فبكى عمر وقال: رحمة الله على أبي بكر لقد أتعب من بعده تعباً شديداً (٢٨) . هذا هو الصديق حتى عند مماته .

وجاء في (صفة الصفوة) لابن الجوزي أيضاً ، قال أهل السير: توفي أبو بكر ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، وهو ابن ثلاث وستين ، وأوصى أن تغسله أسماء زوجته فغسلته ، وأن يدفن إلى جنب رسول الله ﷺ وصلى عليه عمر بين القبر والمنبر ونزل في حفرة ابنه عبد الرحمن وعمر وعثمان وطلحة بن عبيد الله رحمه الله (٢٨) .

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى .
(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

اللقاء الإيمانى الخامس:

(أخي المسلم لا تكن يائساً فالمستقبل لدين الله)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحيتي في الله ، المستقبل للدين ، ونصرة الله لدين الله جل وعلا ، هذا وعد منه سبحانه ، ووعد من نبيه الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ، قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرَنَّ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر: ٥١] .

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور: ٥٥] .

وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيرَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (٣٣) [التوبة: ٣٢-٣٣] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقَرُهُمْ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يَغْلِبُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦] .

فالمستقبل لهذا الدين ورب الكعبة رغم كيد الكائدين ، ولن تستطيع جميع الأفواه ولو اجتمعت أن تطفى نور الله: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (٨) [الصف: ٨] ، نعم أقول بملء فمي: نامت الأمة بل وراحت في سبات عميق ، وأقول بملء فمي: مرضت واعتراها الركود إلى سنوات طويلة ، ولكن الأمة بحمد الله لم تمت ، ولن تموت بإذن الله جل وعلا مصداقاً لبشرى الحبيب ﷺ من حديث معاوية ؓ الذي أخرجه مسلم في صحيحه : « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ »^(١) .

فالله ناصر دينه بنا أو بغيرنا ، فهل ستتقاعس عن هذا الشرف؟! فهيأ سابق

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٠٣٧ .

الزمن قبل أن يأتيك ملك الموت فتندم يوم لا ينفع الندم (٤٥) .

أخي الحبيب ، يا من تظن أن النصر قد تأخر: اعلم أن الأدب مع الله يقتضي عدم استعجاله ، وأن حكمة الله البالغة اقتضت أن يختبر أحبابه وأصفياه ، وأن النصر يأتي في وقت يعلم الله فيه أن خير المؤمنين أصبح في النصر ، وليس في انتظار النصر .

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: ١٥] .

فمن كان يعتقد أن الله تعالى لن يؤيد رسوله محمداً ﷺ بالنصر في الدنيا بإظهار دينه ، وفي الآخرة بإعلاء درجته ، وعذاب من كذبه ، فلْيَمْدُدْ حبلاً إلى سقف بيته وليخنق به نفسه ، ثم ليقطع ذلك الحبل ، ثم لينظر: هل يُذْهِبَنَّ ذلك ما يجد في نفسه من الغيظ؟ فإن الله تعالى ناصر نبيه محمداً ﷺ لا محالة .

إذا فالله ينصر المؤمنين ، وقد تواعد بنصرهم ، وأخبر أن نصره قريب ، وأن نصره ينزل عليهم ، إذا رجعوا إليه سبحانه ، ووسط هذا الظلام الدامس هناك تساؤلات كثيرة: أما آن لهذا الليل أن ينجلي ، ولهذه الغمامة أن تنقشع؟ متى يأتي نصر الله؟ يقول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]

وأحمل لكم آية عجيبة ، آية هي كنز من كنوز المنان ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] .

أي لا تضعفوا أيها المؤمنون عن قتال عدوكم ، ولا تحزنوا لما أصابكم في أحد ، وأنتم الغالبون والعاقبة لكم ، إن كنتم مصدقين بالله ورسوله متبعين شرعه ، أتعلمون متى نزلت هذه الآية؟ لقد نزلت بعد غزوة أحد بعد الهزيمة!! وذلك ليُعَلِّمَ الله المؤمنين أن العزة والعلو لا يتأثران بهزيمة مرحلية ، ولا يرتبطان بنصر مرئي ، ولا يعتمدان على تمكين مشاهد . . وَلِيُعَلِّمَ الله المؤمنين أن الأيام دول ، وأن للتاريخ دورات ، فلهذا دورة ، ولهذا دورة ، أما الدورة الأخيرة فللمؤمنين إن شاء الله (٤٧) .

نعم يا إخوة ، أنتم الأعلون لأن ربكم الله قال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤] ، وأنتم الأعلون لأنكم أتباع محمد ﷺ خير الخلق وسيد الرسل فهو الماحي الذي يمحو الله به الكفر ، وأنتم

الأعلنون لأن كتابكم القرآن كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسن ، ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق من كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، وأنتم الأعلنون لأن شريعتكم الإسلام دين ودنيا ، جسد وروح عقل وقلب ما ترك الله في شريعته من شيء إلا وضحه (٥١) .

معاشر الإخوة ، قد يئن كثير من الأحبة الآن ويقولون بلسان الحال ، بل وربما بلسان المقال ، ويمنعهم الحياء أن يعلوا وأن يرفعوا صوتهم بهذا ويقولون: آية بشرى وأي أمل؟ آية بشرى تريد أن تضمدا بها جراحنا؟ آية بشرى وأي أمل وبرك الدماء وأكوام الأشلاء تجسد الفجيعة وتحكي المأساة؟! آية بشرى وأي أمل وقد زال ظل الخلافة ، وتمزقت الأمة إلى أجزاء ، بل وتفتتت الأجزاء هي الأخرى إلى أجزاء؟! آية بشرى وأي أمل وقد بتر من جسد الأمة القدس الحبيب: أولى القبليتين ، ومنتهى مسرى سيد الثقلين؟! آية بشرى وأي أمل وقد أصبحت الأمة قصعة مستباحة لأذل أمم الأرض ، هل عندك بعد ذلك من آمال تريد أن تزفها إلينا ؛ لتضمدا الجراح ولتطمئن القلوب؟ أقول نعم: إن أشد ساعات الليل سواداً هي الساعة التي يليها ضوء الفجر ، وفجر الإسلام قادم رغم كيد الكائدين ، والذي سيفصل في الأمر عند نهايته ليس ضخامة الباطل أبداً ، ولكن الله جل وعلا ، ويا لها من معية كريمة مباركة لو عرفنا قدرها .

قال جل وعلا: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢١)

[يوسف: ٢١] .

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٧١) **﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾** (١٧٢) **﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾** (١٧٣) [الصافات: ١٧١-١٧٣] (٤٥) .

على درب التوحيد (من فضائل التوحيد <١>)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد

أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .
 قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢) ﴿[الأنعام: ٨٢] .

إخوتي في الله ، لقد أخبر الله تعالى بأن الذين آمنوا ولم يخلطوا إيمانهم بشرك ،
 أولئك لهم الطمأنينة والسلامة ، وهم الموفقون إلى طريق الحق ، وقال الحافظ بن
 كثير فى الآية: أى هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده ولم يشركوا به شيئاً هم
 الآمنون يوم القيامة المهتدون فى الدنيا والآخرة .

وأخرج الشيخان فى صحيحيهما واللفظ لمسلم عن عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَمَّا
 نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ
 مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢) ﴿[الأنعام: ٨٢] ، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالُوا: أَيْنَا لَمْ
 يَظْلَمْ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿يَا
 بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣) ﴿[لقمان: ١٣]» (١) .

وأخرج الشيخان فى صحيحيهما أيضاً واللفظ لمسلم عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
 وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ، وَابْنُ أُمِّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ
 مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّانِيَةِ شَاءَ» ، وفى
 رواية للبخارى «أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ» (٢) .

وقال الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني: معنى قوله: «عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ» أى
 من صلاح أو فساد لأن أهل التوحيد لا بد لهم من دخول الجنة ، ويحتمل أن يكون
 المعنى: أن يدخله الجنة على حسب أعمال كل منهم فى الدرجات (٣١) .

وروى الترمذي فى سننه والضياء المقدسي فى المختارة عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
 سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي
 وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ
 ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا -
 أَي وهو ملؤها أو ما يقارب ملأها - ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٢ ، و(م) ١٢٤ واللفظ لمسلم .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٢٥٢ ، و(م) ٢٨ واللفظ لمسلم .

مَغْفِرَةً»^(١).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: فإن التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب فإنه يتضمن من محبة الله تعالى وإجلاله وتعظيمه وخوفه ورجائه وحده ما يوجب غسل الذنوب ولو كانت قراب الأرض أي ملئها.

فشرط حصول المغفرة وهو السلامة من الشرك قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾ [الشعراء: ٨٩] (٣١).

مشاهد من الدار الآخرة (أحوال الصالحين عند قبض أرواحهم وفي قبورهم)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد . . .

عباد الله، لقد بين الله عز وجل أحوال الصالحين عند قبض أرواحهم فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠)﴾ [فصلت: ٣٠].

وأخرج الإمام أحمد في مسنده وغيره عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةُ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ أَخْرِجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ نَسِيلٌ كَمَا نَسِيلُ الْقَطْرَةِ مِنْ فِي السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةٍ مِنْكَ وَجَدْتَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، قَالَ: فَيُصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيُشِيعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ

(١) (حسن) أخرجه (ت الضياء) وحسنه الألباني في ص. ج ٤٣٣٨.

السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَيَأْتِي مِنْهَا خَلْقُتَهُمْ وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي يُعِثُّ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَّقَ عَبْدِي فَأَفْرُسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْأَسْوَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِبَّهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرَّيْحِ فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ فَوْجُوكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي»^(١).

* * *

ثاني الخلفاء الراشدين (عمر بن الخطاب رضي الله عنه <١>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم، أما بعد . .
أيها الأحبة في الله، نحن اليوم علي موعِد مع فاروق هذه الأمة، وهو عمر ابن الخطاب بن نفيل أبو حفص، أمه حنتمة بنت هاشم، ولد عمر رضي الله عنه بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة .

جاء في (الإستيعاب في معرفة الصحابة) لابن عبد البر: عن هلال بن يساف . قال: أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة . وقال أبو عمر - أي ابن عبد البر - : فكان إسلامه عزاً ظهر به الإسلام، وهاجر فهو من المهاجرين الأولين، وشهد بدرًا وبيعة الرضوان وكل مشهد شهده رسول الله ﷺ، وتوفي رسول الله ﷺ وهو عنه راض، وولي الخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنه، وفتح الله له الفتوح بالشام والعراق ومصر وهو من دَوْن الدواوين في العطاء ورتب الناس فيه على سوابقهم، كان لا يخاف في الله لومة لائم (٢) .

(١) (صحيح) أخرجه (حم د ابن خزيمة ك هب الضياء) وصححه الألباني في ص ج ١٦٧٦ .

عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل الإسلام:

جاء في (صحيح السيرة النبوية للألباني) عن ابن إسحاق ، عن أم عبد الله بنت أبي حثمة قالت: والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا إذ أقبل عمر فوقف وهو على شركه فقالت: وكنا نلقى منه أذى لنا وشدة علينا .

قالت: فقال: إنه للانطلاق يا أم عبد الله؟

قلت: نعم والله لنخرجن في أرض من أرض الله إذ آذيتونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا مخرجاً .

قالت: فقال: صحبكم الله ، ورأيت له رقة لم أكن أراها ، ثم انصرف وقد أحزنه - فيما أرى - خروجنا .

قالت: فجاء عامر بحاجتنا تلك ، فقلت له: يا أبا عبد الله لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا . قال: أطمعت في إسلامه؟ قالت: قلت: نعم .

قال: لا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب .

قالت: يأسا منه لما كان يرى من غلظته وقسوته على الإسلام^(١) .

قال الألباني رحمه الله تعالى فيما معناه: هذا يرد قول من زعم أن ترتيب عمر بن الخطاب في الذين أسلموا الأربعين فإن المهاجرين إلى الحبشة كانوا فوق الثمانين ، اللهم إلا أن يقال: إنه كان تمام الأربعين بعد خروج المهاجرين .

إسلام الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

الراجح والله أعلم أن السبب الأساسي في إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، هو دعاء النبي ﷺ له ، أخرج الترمذي في سننه عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « اللَّهُمَّ أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب قال وكان أحبهما إليه عمر »^(٢) .

وجاء في (صحيح السيرة النبوية) للألباني عن عبد الله بن عمر عن أبيه أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني لا أدع مجلسا جلسته في الكفر إلا أعلنت فيه

(١) (صحيح) السيرة النبوية للألباني صفحة ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٢) (صحيح) أخرجه (ت) وصححه الألباني في مش ٦٠٣٦ تحقيق ثاني .

الإسلام ، فأتى المسجد وفيه بطون قريش متحلقة فجعل يعلن الإسلام ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فثار المشركون فجعلوا يضربونه ويضربهم فلما تكاثروا خلصه رجل ، فقلت لعمر: من الرجل الذي خلصك من المشركين؟ قال: ذاك العاص بن وائل السهمي ^(١) .

وهذا دليل على الورع الشديد للفاروق ، الذي أراد أن يكفر عن ذنوبه قبل إسلامه مع العلم أن الإسلام يجب ما كان قبله .

وأخرج البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: مَا زَلْنَا أَعَزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ ^(٢) ، وجاء في صحيح السيرة النبوية للألباني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن إسلام عمر كان فتحا ، وإن هجرته كانت نصرا ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا وما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه ^(٣) .

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى ، وصفاتك العلى ، وباسمك الأعظم الذي إن دعيت به أعطيت ، وإن سئلت به أجبت ، نسألك اللهم بعزك أن تنصر الإسلام والمسلمين ، اللهم انصر الإسلام والمسلمين ، اللهم أعل بفضلك كلمة الحق والدين ، اللهم اجعل هذا البلد مطمئنا وسائر بلاد المسلمين ، اللهم انصر دينك وكتابك وعبادك المؤمنين ، اللهم إصلح ولاية أمورنا واجعلهم أعزاء مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كي يعيدوا لهذه الأمة عزها وذلك بإعادتها إلى كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقدوا الأمة إلى طريق النصر والتمكين آمين يارب العالمين .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) صحيحه الألباني في صحيح السيرة النبوية صفحة ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٦٥٠ .

(٣) (صحيح) صحيحه الألباني في صحيح السيرة النبوية صفحة ١٨٨ .

اللقاء الإيمانى السادس :

(الامة بين الانتصارات والهزائم)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتى في الله ، إن هذه الأمة تَمْرُض لكنها لا تموت ، وتغفو لكنها لا تنام ، وتخبو لكنها لا تطفأ أبداً .

حين غزا التتار ديار المسلمين ودخلوها كالريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ، دَمَرُوا المَدَن ، وَخَرَبُوا العُمَرَان ، وَأَسَالُوا الدِمَاء ، وَأَسْقَطُوا الخِلافة ، وَعَظَلُوا الصَّلَوَات ، وَأَلْقُوا أسفار المكتبات في نهر دجلة حتى اسودَّ ماؤه من كثرة ما سال من مداد الكتب ، حتى أَصْبَحَتْ حضارة الإسلام والبشرية مهتدة بهذا الغزو الوحشي ، الذي لا يُبْقِي ولا يذر ، حتى أحجم بعض المعاصرين للحدّث عن الكتابة فيه ، ومنهم ابن الأثير رحمه الله الذي يقول: ليت أُمِّي لم تلدني ، ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً ؛ مما رأى من هول الفاجعة التي حلت بالمسلمين ، ظن اليائسون حينها أن راية الإسلام تُكسّت ولن ترتفع بعد ذلك اليوم أبداً ، وأن أمة الفتح والنصر قد حقت عليها الهزيمة ، فبهيات أن تعود إلى الميدان من جديد .

ولم يمض سوى سنوات حتى تحققت معجزة الإسلام ، فإذا بهؤلاء الجبابرة الغازين للإسلام يغزوهم الإسلام ، فتسقط سيوفهم في صف المؤمنين ، تحت تأثير العقيدة الإسلامية ، فإذا بهم يدخلون في دين المغلوبين ، على خلاف ما هو معروف من أن المغلوب مولع دائماً بتقليد الغالب المنصور ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤] ، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] (٤٣) .

الإخوة الفضلاء ، من قرأ قراءة متأنية في تاريخ الصليبيين وبيت المقدس جاءه الأمل بأن الواقع سيتغير ، فاسمع إلى الحافظ بن كثير ، وغيره من أهل السير وهم يسردون لك ذلك الحدث: في ضحى يوم الجمعة ، لسبع بقين من شعبان ، سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة للهجرة دخل ألف ألف مقاتل بيت المقدس ، وصنعوا فيه ما لا تصنعه وحوش الغاب ، وارتكبوا فيه ما لا ترتكبه الشياطين ، لبثوا فيه أسبوعاً

يقتلون المسلمين ، حتى بلغ عدد القتلى أكثر من ستين ألفاً ، منهم الأئمة والعلماء والمتعبدون والمجاورون ، وكانوا يُجبرون المسلمين على إلقاء أنفسهم من أعالي البيوت ؛ لأنهم يُشعلون النار عليهم وهم فيها ، فلا يجدون مخرجاً إلا بإلقاء أنفسهم من على السطوح ، جاسوا فيها خلال الديار ، وتبرؤا ما علوا تنبيراً ، وأخذوا أطنان الذهب والفضة والدراهم والدنانير ، ثم وُضعت الصُلبان على بيت المقدس ، وأدخلت فيه الخنازير ، ونودي من على مآذن لطالما أطلق التوحيد من عليها أن الله ثالث ثلاثة - جل الله وتبارك - فذهب الناس على وجوههم مستغيثين إلى العراق ، وتباكي المسلمون في كل مكان لهذا الحدث ، وظنّ الياثسون أن لا عودة لبيت المقدس أبداً إلى حظيرة المسلمين . ويمضي الزمن ، ويُعدّ الرجال ، وفي سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة للهجرة أعد صلاح الدين جيشاً لاسترداد بيت المقدس وتأديب الصليبيين على مبدئهم هم : إن القوي بكل أرض يُتقى .

وامتنع صلاح الدين الأيوبي عن الضحك ، وسارع في الإعداد ، ولم يُقارَف بعدها ما يُوجب الغُسل - أي لم يجامع أهله - عندها علم الصليبيون أن صلاح الدين الأيوبي من جنود الله ﷻ ؛ فتصالح ملوك النصارى ، وجاءوا بِحَدِّهم وحديدهم ، وكانوا ثلاثة وستين ألفاً ، فتقدّم صلاح الدين إلى طبرية ، ففتحها - لا إله إلا الله ، فصارت البحيرة إلى حوزته ، ثم استدرجهم إلى الموضع الذي يريده هو ، ثم لم يصل إلى الكفار بعدها قطرة ماء ، إذ صارت البحيرة في حوزته فصاروا في عطش عظيم .

وعندها تقابل الجيشان ، إذ طلعت عليهم الشمس ، واشتدّ الحر ، وقوي العطش ، وأضرمت النار من قبل صلاح الدين في الحشيش الذي كان تحت سنايك خيل الكفار ؛ فاجتمع عليهم حر الشمس ، وحر العطش ، وحر النار ، وحر السلاح ، وحر رشق النبال ، وحر مقابلة أهل الإيمان .

وقام الخطباء يستثيرون أهل الإيمان ، ثم صاح المسلمون وكبروا تكبيرة اهتز لها السهل والجبل ، ثم هجموا كالسيل المندفِع لِيَنْهَزمَ الكفار ، ويؤسرَ ملوكهم ، ويُقتلَ منهم ثلاثون ألفاً ، حتى قِيلَ : لم يَبْقَ أحد ، ويؤسرَ منهم ثلاثون ألفاً ، حتى قيل : لم يُقتل أحد . فلم يُسمع بمثل هذا اليوم في عِزِّ الإسلام وأهله إلا في عهد الصحابة ، حتى ذُكر أن بعض الفلاحين رئي وهو يقود نيفاً وثلاثين أسيراً .

ثم سار نحو بيت المقدس ليفتحه من جهته الشرقية ، ودخل المسلمون بيت

المقدس ، ورفقي الخطيب المنبر في أول جمعة بعد تعطل للجمعة والجماعة في المسجد الأقصى دام واحداً وتسعين عاماً ، فكان مما بدأ به بعد أن حمد الله أن قال: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥] ﴿اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤] ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] (٤٣) .

على درب التوحيد (من فضائل التوحيد <٢>)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنْجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

اسمع رعاك الله لحديث البطاقة ، الذي أخرجه الترمذي في سننه وغيره عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سَجَلًا كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كَتَبْتَنِي الْخَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ احْضُرْ وَرَنَّاكَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبُطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتَوَضَّعَ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبُطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ وَثَقُلَتِ الْبُطَاقَةُ فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ» ^(١) .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: إن التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك ، لا يبقى معه ذنب ؛ فإنه يتضمن من محبة الله تعالى وإجلاله وتعظيمه وخوفه ورجائه وحده ما يوجب غسل الذنوب ولو كانت قراب الأرض أي ملئها .

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا عليه السلام لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ أَمْرُكَ بِاثْنَتَيْنِ وَأَنْهَاكَ عَنْ اثْنَتَيْنِ: أَمْرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ

(١) (صحيح) أخرجه (ت ح م ك ه ب) وصححه الألباني في ص ج ١٧٧٦ .

السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ كُنَّ حَلَقَةً مَّبَهُمَةً قَصَمْتُهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَأَنْتَ عَنْ: الشَّرِّ وَالْكِبَرِ» (١).

مشاهد من الدار الآخرة

(أحوال الكافرين والعصاة عند قبض أرواحهم وفي قبورهم)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبي الذين اتقوا وعقبي الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد . . .

قال تعالى في الكفار والعصاة عند نزول الموت بهم: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (١٠٠)﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠].

وأخرج الإمام أحمد في مسنده وغيره عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «... وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سَوْدُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسَوَّحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ أَخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَعَظَبٍ، قَالَ: فَتَفَرَّقَ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمُبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّىٰ يَجْعَلُوهَا فِي تَلْكَ الْمُسَوَّحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جَيْفَةٍ وَجَدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ! فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ! فَيَقُولُونَ: فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ يُنْتَهَىٰ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يَفْتَحُ لَهُ! ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينَ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى فَنُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ

(١) (صحيح) أخرجه (حم) وصححه الألباني س. ص ١٣٤.

سَحِيقٌ ﴿ فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَأَفْرَشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَحْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ فَيَبْحُ الْوَجْهَ فَيَبْحُ الشَّيَابَ مُتَيْنِ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ فَوْجَهُكَ الْوَجْهَ يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟! فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تَقُمْ السَّاعَةَ ١) .

* * *

ثاني الخلفاء الراشدين (عمر بن الخطاب رضي الله عنه <٢>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .
أيها الأحبة في الله ، ما زلنا مع السيرة العطرة لفاروق هذه الأمة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، فهيا بنا .

عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان ملهما ونزل القرآن يوافقه في عدة مواضع:

أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: وَأَفْقَتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ - أَيِ وَافَقَنِي رَبِّي فَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى وَفْقِي مَا رَأَيْتُ - فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى؟ فَنَزَلَتْ ﴿ **وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** ﴾ وآيَةُ الْحِجَابِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَمَرْتُ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ فَإِنَّهُ يَكْلُمُهُنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ - أَيِ التَّقِي وَالْفَاسِقِ -؟ فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ ، وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُنَّ: ﴿ **عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ** ﴾ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ٢) .

أساري بدر:

روى مسلم في صحيحه عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: فَلَمَّا أَسَرُّوا الْأَسَارَى قَالَ

(١) (صحيح) أخرجه (حم د ابن خزيمة ك هب الضياء) وصححه الألباني في ص ج ١٦٧٦ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٩٣ .

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ : « مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسَارَى ؟ » فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ؟ » قُلْتُ : لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ ، فَتُمَكِّنَ عَلَيْنَا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ ، وَتُمَكِّنِي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا ، فَهَوَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهُوَ مَا قُلْتُ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءَ بَكَيْتُ ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ وَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنْخَنَ فِي الْأَرْضِ إِلَى قَوْلِهِ فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال ٦٧ - ٦٩] فَأَحَلَّ اللَّهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ ^(١) .

الحجاب :

أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا وَالْفُظَّ لِلْبُخَارِيِّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أَنَّ أَرْوَاحَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُنَّ يَخْرُجْنَ بِاللَّيْلِ إِذَا تَبَرَّزْنَ إِلَى الْمَنَاصِعِ ، وَهُوَ صَعِيدٌ أَفِيحٌ ، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : احْجُبْ نِسَاءَكَ ، فَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَفْعَلُ ، فَخَرَجَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي عِشَاءً وَكَانَتْ امْرَأَةً طَوِيلَةً فَنَادَاهَا عُمَرُ : أَلَا قَدْ عَرَفْنَاكَ يَا سَوْدَةُ ، حِرْصًا عَلَى أَنْ يُنْزَلَ الْحِجَابُ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ الْحِجَابَ ^(٢) .

صلاة النبي على موتى المنافقين :

جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ دُعِيَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَبَّتْ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُصَلِّيُ عَلَى ابْنِ أَبِي وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا أَعَدُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ - أَيِ أَقْوَالِهِ الْقَبِيحَةِ فِي النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٧٦٣ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ١٤٦ و(م) ٢١٧٠ واللفظ للبخاري .

ﷺ - ؟ ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: أَخْرَجَ عَنِّي يَا عُمَرُ ، فَلَمَّا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ ، قَالَ: «إِنِّي خُيِّرْتُ فَأَخْتَرْتُ لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا» قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ أَنْصَرَفَ فَلَمْ يَمُكْثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى نَزَلَتْ الْإِيتَانِ مِنْ بَرَاءَةِ ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا إِلَى قَوْلِهِ وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ قَالَ: فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِنْ جُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ^(١) .

موافقة رسول الله لرأي عمر في عدة مواضع:

أخرج مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اذْهَبْ بِنَعْلَيْ هَاتَيْنِ فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ - أَيِ الْبِسْتَانِ - يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَقِيمًا بِهَا قَلْبُهُ بِشْرُهُ بِالْجَنَّةِ» ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ فَقَالَ: مَا هَاتَانِ النَّعْلَانِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ فَقُلْتُ: هَاتَانِ نَعْلَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعَثَنِي بِهِمَا مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَقِيمًا بِهَا قَلْبُهُ بِشْرُهُ بِالْجَنَّةِ ، فَضَرَبَ عُمَرُ يَدَيْهِ بَيْنَ ثَدْيَيْ فَخَرَرْتُ لَأَسْتِي - أَيِ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ الدَّبَرِ - ، فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً وَرَكِبَنِي عُمَرُ - أَيِ تَبَعَنِي - فَإِذَا هُوَ عَلَى أَثَرِي ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟» قُلْتُ: لَقِيتُ عُمَرَ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثَنِي بِهِ فَضَرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيْ ضَرْبَةً خَرَرْتُ لَأَسْتِي ، قَالَ: ارْجِعْ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: «يَا عُمَرُ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَيِّ أَنْتَ وَأُمِّي أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَقِيمًا بِهَا قَلْبُهُ بِشْرُهُ بِالْجَنَّةِ ، قَالَ: «نَعَمْ» ، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَكَلَّمَ النَّاسُ عَلَيْهَا فَخَلَّاهُمْ يَعْمَلُونَ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَخَلَّاهُمْ»^(٢) .

وهذه مناقب لعمر رضي الله عنه يناطح بها ثريا الشرف تدل على أن عمر رضي الله عنه كان له قدر عند ربه ، وعند نبيه ﷺ ، فقد كان ملهما محدثا منع الله به الكثير من الفتن عن الأمة ، فوالله إن الحديث عن الفاروق لا يشبع منه ، فسيرته تعطر المجالس ، نسأل الله تعالى له الفردوس الأعلى من الجنة آمين آمين آمين .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ١٣٠٠ .

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٣١ .

اللقاء الإيمانى السابع:

(الدلائل المؤكدة على أن فجر الإسلام قادم <١>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتى في الله ، إن بوادر وعوامل الخير التي نشاهدها تؤكد لنا أن فجر الإسلام قادم وأن هذا العالم سوف يعود كله بإذن الله إلى هذا الدين ، ولن يبقى في هذه الأرض دين غير دين الإسلام ، ولن يبقى في هذه الأرض من يدين بغير دين الإسلام ، ومن هذه البوادر ما يلي:

وجود الصحوة: فهناك بوادر وأدلة واضحة أهمها هذه الصحوة الإسلامية المباركة ، الشباب الذين لا تجد فيهم إلا عدداً قليلاً من كبار السن ، وقبل فترة من الزمن ما كنا نجد في المساجد إلا كبار السن والعجزة ، فما الذي حدث؟ الذي حدث أن نور الله عز وجل ودينه بدأ يظهر على الدين كله ، فمن أهم العوامل والبوادر الدالة على الخير وجود هذه الصحوة الإسلامية المباركة ، ووجود هذا النوع من الشباب ، حتى وجدنا الشباب أحسن من الآباء في أيماننا الحاضرة ، حتى أبناء الفسقة تدينوا - والحمد لله - وأقبلوا على دين الله ، حتى الأبناء الصغار أقرب إلى الدين من الكبار ، مما يدل على أن هذه الصحوة الإسلامية مباركة ، ولها جذور عميقة في هذه الحياة .

سقوط الأفكار المنحرفة: فالأفكار المنحرفة كل يوم يسقط منها مذهب ، فقبل سنوات سقطت القومية العربية التي أرهبت الناس ، وبعد فترة من الزمن جاءت الشيوعية فأرهبت الناس وخاف الناس أن تكتسح العالم فسقطت والحمد لله . الخ ، فالمهم أن الأفكار التي تتساقط إنما تتساقط تحت أقدام الإسلام والمسلمين ، فهذه من أعظم البوادر وأهمها في كون فجر الإسلام قادماً .

تناقص الإقبال على دور العبادة لبعض الديانات الأخرى: فهناك بعض الكنائس الآن تباع في أوروبا وأمريكا ويشتريها شباب المسلمين ويحولونها إلى مساجد ، ويقول الشيخ عبد الرحمن المحمود: سألت بنفسى في إحدى ولايات أمريكا صاحب كنيسة فقلت له: لماذا تبيع هذه الكنيسة؟ هذه دينك وعبادتك! قال: أنا لا يمكن أن

أحجز خمسة ملايين دولار ليأتي فرادى من الشيوخ وكبار السن في يوم الأحد فقط ، من أجل ذلك نقول: إن فجر الإسلام قادم إن شاء الله تعالى (٤٢) .

على درب التوحيد (من فضائل التوحيد <٣>)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

جاء في صحيح البخاري أَنَّ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِمَّنْ شَهِدَ بِدْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَتَّبِعِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ» ^(١) .

وأخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَمُعَاذُ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ - أَيِ رَاكِبٍ خَلْفَهُ عَلَى الدَّابَّةِ - قَالَ: «يَا مُعَاذُ بَنِي جَبَلٍ؟» قَالَ: لَبَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ؟» قَالَ: لَبَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا ، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ - أَيِ يَشْهَدُ بِلَفْظِهِ وَيُصَدِّقُ بَقَلْبِهِ - إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذَا يَتَكَلَّمُوا» ، قَالَ فِي الْفَتْحِ وَإِخْبَارِهِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّهْيَ عَنِ التَّبَشِيرِ كَانَ عَلَى الْكَرَاهَةِ لَا التَّحْرِيمِ - وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأْتِيماً ^(٢) .

إخوتي في الله ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: من شهد أن لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة ، فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين فإن كمال إخلاصه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء فإذا لا يبقى في قلبه إرادة لما حرم الله ولا كراهة لما أمر الله ، وهذا هو الذي يحرم على النار ، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك فإن هذا الإيمان وهذا الإخلاص وهذه التوبة وهذه المحبة وهذا اليقين لا تترك له ذنبا إلا محي عنه كما يمحو الليل النهار . . وإن قالها على وجه خلص به من الشرك الأكبر دون

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٥٠٨٦ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ١٢٨ و (م) ٣٢ .

الأصغر ، ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات ، فيرجع بها ميزان الحسنات كما في حديث البطاقة فيحرم على النار ، ولكن تنقص درجته في الجنة بقدر ذنوبه بخلاف من رجحت سيئاته بحسناته ومات مصرا على ذلك فإنه يستوجب النار . أ. هـ مختصرا (٣١) .

مشاهد من الدار الآخرة (سؤال الملكين في القبر)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبي الذين اتقوا وعقبي الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] .

عباد الله ، الله سبحانه وتعالى يثبت الذين آمنوا بالقول الحق الراسخ ، وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، في الحياة الدنيا ، وعند مماتهم بالخاتمة الحسنة ، وفي القبر عند سؤال الملكين بهديتهم إلى الجواب الصحيح ، ويضل الله الظالمين عن الصواب في الدنيا والآخرة ، ويفعل الله ما يشاء .

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَنَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَيَقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبَدَ لَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ: لَا أَذْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ. فَيَقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ»^(١) .

وأخرج الترمذي في سننه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعاً لِلنَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ أَنَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَرْقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ١٢٧٣ ، و(م) ٢٨٧٠ واللفظ للبخاري .

أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوِّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي فَأَخْبِرْهُمْ؟ فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنُومَةِ الْعُرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: التَّيْمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَمِعُ عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»^(١).

* * *

ثاني الخلفاء الراشدين (عمر بن الخطاب رضي الله عنه) <٣>

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به أصحابه الكرام رضي الله عنهم، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم، أما بعد . .
أيها الأحبة في الله، ما زلنا ننهل من السيرة العطرة لفاروق هذه الأمة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فهيا بنا .

موافقة رسول الله لرأي عمر في عدة مواضع:

أخرج مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَوْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه شَكَّ الْأَعْمَشُ قَالَ: لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَذْنَتْ لَنَا فَنَحْرُنَا نَوَاضِحَنَا - أَيِ بَعِيرِنَا الَّتِي يَسْتَقِي عَلَيْهَا - فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا - أَيِ اتَّخَذْنَا دَهْنًا مِنْ شَحْمِهَا -؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «افْعَلُوا»، قَالَ: فَجَاءَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ - أَيِ الْبَعِيرِ الَّذِي يَرْكَبُ عَلَى ظَهْرِهِ - وَلَكِنْ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ ثُمَّ ادْعُ اللَّهُ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَدَعَا بِنِطْعٍ - أَيِ بِسَاطٍ مَتَّخَذٍ مِنْ جِلْدٍ - فَبَسَطَهُ ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفٍّ ذُرَّةٍ قَالَ: وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَفٍّ تَمَرٍ قَالَ، وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكُسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النَّطْعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ، قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: «خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ قَالَ: فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ»، حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وِعَاءً إِلَّا مَلَأُوهُ، قَالَ: فَأَكَلُوا حَتَّى

(١) (حسن) أخرجه (ت) وحسنه الألباني في ص ج ٧٢٤ .

شِعُّوا وَفَضَلَتْ فَضْلَةً ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ » (١) .

وهذه منقبة لعمر تدل على أن عمر رضي الله عنه كان ملهما أي يجري على لسانه الصواب ولذلك شهد له رسول الله ﷺ بذلك ، أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه : « عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيَّ مَضَى قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدِّثُونَ - أي يجري على ألسنتهم الصواب - وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ » (٢) .

شهادة رسول الله لعمر بن الخطاب رضي الله عنه :

روى مسلم في صحيحه عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه : « عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ قَدْ حَا أَتَيْتُ بِهِ فِيهِ لَبَنٌ فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرَّيَّ يَجْرِي فِي أَظْفَارِي ثُمَّ أُعْطِيتُ فَضْلِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالُوا : فَمَا أَوَّلَتْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « الْعِلْمُ - أي العلم بسياسة الناس كما قاله ابن حجر في فتح الباري - » (٣) .

شهادة الصحابة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه :

جاء في صحيح البخاري عن أَنَسٍ رضي الله عنه : أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ السَّاعَةِ ، فَقَالَ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ : « وَمَاذَا أَعْدَدْتُ لَهَا ؟ » قَالَ : لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ ، فَقَالَ : « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » ، قَالَ أَنَسٌ : فَمَا فَرَحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحْنَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ، قَالَ أَنَسٌ : فَأَنَا أَحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحَبِيٍّ إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ » (٤) .

وأخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري عن ابن أبي مليكة أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنه يَقُولُ : وَضِعَ عُمَرُ عَلَى سَرِيرِهِ فَتَكَفَّفَهُ النَّاسُ يَدْعُونَ وَيُصَلُّونَ قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ وَأَنَا فِيهِمْ ، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَجُلٌ آخَذَ مِنْكِبِي ، فَإِذَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَتَرَحَّمْ عَلَى عُمَرَ وَقَالَ : مَا خَلَفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ ، وَائِمُّ اللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأُظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ ، وَحَسِبْتُ أَنِّي كُنْتُ كَثِيرًا أَسْمَعُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ،

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٧ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٢٨٢ ، و(م) ٢٣٩٨ واللفظ للبخاري .

(٣) (صحيح) أخرجه (م) ٢٣٩١ .

(٤) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٤٨٥ .

وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ^(١) .

رسول الله ﷺ يبشر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجنة والشهادة:

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَوَضَّأَتْ إِلَى جَانِبِ قَصْرِ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ عَمْرَةَ عَمْرٍَ فَوَلَّيْتُ مُذِيرًا»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَبَكَى عُمَرُ وَنَحْنُ جَمِيعًا فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: يَا أَبَايَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعَلَيْكَ أَغَارُ؟^(٢) .

وروى البخاري في صحيحه عن أبي موسى رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ فَجَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، فَفَتَحْتُ لَهُ فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ فَبَشَّرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَحَمَدَ اللَّهُ ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ، فَفَتَحْتُ لَهُ، فَإِذَا هُوَ عُمَرُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَمَدَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ فَقَالَ لِي: افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلَوَى تُصِيبُهُ، فَإِذَا عُثْمَانُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَمَدَ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ^(٣) .

وجاء في صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أُحُدٍ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ فَضْرَبَهُ بِرِجْلِهِ قَالَ: «اثْبُتْ أَحَدًا فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صَدِيقٌ أَوْ شَهِيدَانِ»^(٤) .

إذا سلك عمر رضي الله عنه فجاء سلك الشيطان فجاء غيره:

أخرج البخاري في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ ابْنَ الْخَطَّابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مِنْ فَرِيشٍ يَكْلَمُنَّهُ وَيَسْتَكْثِرُنَّهُ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ عَلَى صَوْتِهِ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ ابْنَ الْخَطَّابِ قَمْنٍ فَبَادَرَنَ الْحِجَابَ فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَدَخَلَ عُمَرُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي فَلَمَّا

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٤٨٢، و(م) ٢٣٨٩ واللفظ للبخاري .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٤٧٧ و(م) ٢٣٩٥ واللفظ لمسلم .

(٣) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٤٩٠ .

(٤) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٤٨٣ .

سَمِعَنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ» ، فَقَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ أَحَقُّ أَنْ يَهْبَنَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: يَا عَدُوَاتِ أَنْفُسِهِنَّ أَتَهَبِنِي وَلَا تَهْبَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقُلْنَ: نَعَمْ أَنْتَ أَفْظُ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيهًا يَا ابْنَ الْخَطَابِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَبَجًّا قَطٍ إِلَّا سَلَكَ فَبَجًّا غَيْرَ فَبَجِّ» (١) .

وأخرج الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سننه وابن حبان في صحيحه عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ أُمَّةً سَوْدَاءَ أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ رَجَعَ مِنْ بَعْضِ مَغَازِيهِ ، فَقَالَتْ: إِنِّي كُنْتُ نَذَرْتُ أَنْ رَدَّكَ اللَّهُ صَالِحًا أَنْ أَضْرِبَ عِنْدَكَ بِالْذُّفِّ ، قَالَ: إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَ فَافْعَلِي وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَفْعَلِي فَلَا تَفْعَلِي ، فَضَرَبَتْ ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَهِيَ تَضْرِبُ وَدَخَلَ غَيْرُهُ وَهِيَ تَضْرِبُ ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ قَالَ: فَجَعَلْتُ دُفَّهَا خَلْفَهَا وَهِيَ مُقْنَعَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَفْرُقُ مِنْكَ يَا عُمَرُ أَنَا جَالِسٌ هَاهُنَا وَدَخَلَ هُوَ لَا فَلَئِمَّا أَنْ دَخَلْتُ فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ» (٢) .

قال الألباني رحمه الله تعالى: قد يشكل هذا الحديث على بعض الناس لأن الضرب بالدف معصية في غير النكاح والعيد ، والمعصية لا يجوز نذرها ولا الوفاء بها ، والذي يبدو لي في ذلك أن نذرها لما كان فرحا منها بقدمه ﷺ صالحا سالما منتصرا اغتفر لها السبب الذي نذرته لإظهار فرحها خصوصية له ﷺ دون الناس جميعا ، فلا يؤخذ منه جواز الدف في الأفراح كلها ؛ لأنه ليس هناك من يفرح به كالفرح به ﷺ ، ولمنافاة ذلك لعموم الأدلة المحرمة للمعازف والدفوف وغيرها إلا ما استثنينا كما ذكرنا آنفا .

شهادة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أخرج البخاري عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي - أَيُّ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ . قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ . قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٤٨٠ .

(٢) (صحيح) أخرجه (حم ت حب) وصححه الألباني في ص ج ١٦٥٤ .

(٣) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٤٦٨ .

اللقاء الإيمانى الثامن :

(الدلائل المؤكدة على أن فجر الإسلام قادم <٢>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتى في الله ، من الدلائل المؤكدة على أن فجر الإسلام قادم دخول الناس في هذا الدين بسبب القدوة ، وهناك دليل آخر على ذلك ، وهو أن أولئك النصارى بدءوا الآن يبحثون عن عقيدة ، لكن هل ترى أن المسلمين سوف يستغلون هذه الفرصة ، ففي كل يوم يعلن فلان أنه اعتنق الإسلام وفلان وفلان وفلان؟ وأنا متأكد من أننا لو دعونا إلى الإسلام دعوة صحيحة لدخل الناس كلهم في دين الله أفواجا ، بل متأكد من أننا لو أعطينا صورة حسنة عن الإسلام لدخل الناس في دين الله أفواجا ، لكن تصور رجلاً كافراً يرى أبناء المسلمين هناك في حانات الخمرور في بلاده ومواقع الدعارة ، وهو يعلم أن الإسلام يحرم الخمر والزنا ، ثم يرى هذا التناقض وهذه الازدواجية في حياة المسلمين! إنه سيرفض هذا الدين .

فمعنى ذلك أن أبناء المسلمين الذين يعيشون عيشة منحرفة في بلاد الكفر هم أكبر عقبة في طريق الإسلام . ولذلك أقول: القدوة هي أفضل طريق للإسلام ، ولو لم يذهب إلى تلك البلاد دعاة ، فأكبر تجمع إسلامي في جنوب شرق آسيا يقدر في أيامنا الحاضرة بأكثر من مائتي مليون مسلم في تايلند والفلبين وأندونيسيا وماليزيا وسنغافورة إلى غير ذلك ، لم يذهب جيش إسلامي للجهاد هناك في تلك البلاد ، ولا ذهب داعية في صدر الإسلام أبداً ، وإنما دخل أولئك في الإسلام بواسطة القدوة ، وذلك عندما ذهب جماعة من تجار حضرموت إلى تلك البلدان فصاروا يبيعون ويشتررون ويتعاملون مع الناس معاملة إسلامية صحيحة ، فأعجبت أهل تلك البلاد فدخلوا في دين الله أفواجا ، حتى إن الفلبين التي يقدر سكانها في أيامنا الحاضرة بستين مليوناً كانت كلها في يوم من الأيام دولة إسلامية بأكملها ، وارتد كثير من المسلمين عن الإسلام بسبب ضعف المسلمين في الدعوة إلى الله ﷻ ، إذا القدوة تُعدُّ من أكبر العوامل ، وعلى كل فالمستقبل - بإذن الله تعالى - لهذا الدين ، وعلينا أن نتفاعل ، وعلينا أن نُحسن الظنَّ بالله ﷻ ، لكن علينا أن نتحرك لهذا

الدين ؛ لأن هذا الدين ما قام في عصره الأول إلا على جماجم الرجال وأشلانهم ، ففي فتح بلاد الشام فقط قدم المسلمون خمسة وعشرين ألفاً من صحابة رسول الله ﷺ ومن التابعين (٤٢) .

على درب التوحيد (من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنحياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠)﴾ [النحل: ١٢٠] .

إخوتي في الله ، وصف الله ﷺ إبراهيم عليه السلام بأربع صفات ، وهي الغاية في تحقيق التوحيد: فلقد كان أمة أي قدوة وإماماً معلماً للخير وما ذاك إلا لتكميله مقام الصبر واليقين الذين تنال بهما الإمامة في الدين ، وكان قانتاً مداوماً على الطاعة والصلاة ، وكان حنيفاً مقبلاً على الله معرضاً عن كل ما سواه ، ولم يك من المشركين أي لإخلاصه وصدقه وبعده عن الشرك ، وبين الله تعالى في محكم كتابه كيفية تحقيق التوحيد وذلك بالبراءة من الشرك وأهله واعتزالهم والكفر بهم وعداوتهم وبغضهم فالله المستعان ، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ (٤)﴾ [الممتحنة: ٤] .

وذكر تعالى قول الخليل لأبيه آزر فقال: ﴿وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨)﴾ [مريم: ٤٨] (٥٧)

وأخرج مسلم في صحيحه عن عِمْرَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ أَمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بَغَيْرِ حِسَابٍ» قَالُوا: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «هُمْ الَّذِينَ لَا يَكْتُمُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فَقَامَ عُكَاشَةُ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ؟ قَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ» قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ

يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ؟ قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةٌ»^(١).

أخي الحبيب ، في هذا الحديث صفات الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب وهم: أنهم لا يسترقون - أى لا يطلبون من أحد أن يرقهم لتمام التوكل على الله - ، ولا يكتون - أى لا يتداون بالكى الذى كان منتشرًا عند العرب آنذاك - ، ولا يتطيرون - أى لا يتشاءمون من أي شيء - ، وأمّا ما عدا ذلك مما أُذِن به فلا يدخل فيما يختصّ به أهل تحقيق التوحيد (٣٤).

مشاهد من الدار الآخرة (عذاب القبر)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)﴾ [غافر: ٤٦].

عباد الله ، من المعلوم أن فرعون وجنوده أصابهم الغرق وهلكوا وأخبرنا الله ﷻ بأنهم يعذبون في قبورهم ، حيث النار يعرضون عليها صباحا ومساء إلى وقت الحساب ، ويوم تقوم الساعة يقال لهم: أدخلوا آل فرعون النار ؛ جزاء ما اقترفوه من أعمال السوء . وهذه الآية أصل في إثبات عذاب القبر .

أخرج البخاري في صحيحه ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : أَنَّهُ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ: أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ» ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا بِنِصْفَيْنِ ثُمَّ غَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ فَقَالَ: «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَكُنَا»^(٢).

قال العلماء في: «وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» تأويلين ، أحدهما: أنه ليس بكبير في زعمهما ، والثاني: أنه ليس بكبير تركه عليهما .

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢١٨ .

(٢) (صحيح) أخرجه (ن) ٥٧٠٥ .

وروى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت عليَّ عَجُوزَانِ مِنْ عَجُزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ فَقَالَتَا لِي: إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ ، فَكَذَّبْتُهُمَا وَلَمْ أُنْعِمَ أَنْ أَصَدِّقَهُمَا ، فَخَرَجَتَا وَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عَجُوزَيْنِ وَذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ: «صَدَقْتَا إِنَّهُمَا يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا» فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ فِي صَلَاةٍ إِلَّا تَعَوَّدَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ^(١).

* * *

ثاني الخلفاء الراشدين (عمر بن الخطاب رضي الله عنه) <٤>

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .
أيها الأحبة في الله ، ما زلنا ننهل من السيرة العطرة للفاروق رضي الله عنه فيها بنا .

موقف عمر رضي الله عنه عند وفاة رسول الله ﷺ ومبايعته لأبي بكر رضي الله عنه بالخلافة:

جاء في سيرة بن هشام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لَمَّا تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ: إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تُوفِّيَ وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا مَاتَ وَلَكِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى رَبِّهِ كَمَا ذَهَبَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ فَقَدْ غَابَ عَنْ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ أَنْ قِيلَ قَدْ مَاتَ ، وَوَاللَّهِ لَيَرْجِعَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا رَجَعَ مُوسَى ، فَلْيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رَجَالٍ وَأَرْجُلُهُمْ زَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاتَ قَالَ: وَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى نَزَلَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ . .
فَقَالَ: عَلَى رَسُولِكَ يَا عُمَرُ أَنْصِتْ ، فَأَبَى إِلَّا أَنْ يَتَكَلَّمَ ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو بَكْرٍ لَا يَنْصِتُ ؛ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَلَمَّا سَمِعَ النَّاسُ كَلَامَهُ أَقْبَلُوا عَلَيْهِ وَتَرَكُوا عُمَرَ ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ . قَالَ: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ آيَةَ ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا ، فَعَقِرْتُ حَتَّى وَقَعْتُ

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٠٠٥ .

إِلَى الْأَرْضِ مَا تَحْمِلُنِي رَجُلَايَ وَعَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ مَاتَ (٢٥) .
من خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أَبِي فِرَاسٍ قَالَ: خَطَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّمَا كُنَّا نَعْرِفُكُمْ إِذْ بَيْنَ ظَهْرَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ ، وَإِذْ يَنْزِلُ الْوَحْيُ وَإِذْ يُنْثِنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ، أَلَا وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ انْطَلَقَ وَقَدْ انْقَطَعَ الْوَحْيُ ، وَإِنَّمَا نَعْرِفُكُمْ بِمَا نَقُولُ لَكُمْ: مَنْ أَظْهَرَ مِنْكُمْ خَيْرًا ظَنَّنَا بِهِ خَيْرًا وَأَحْبَبْنَاهُ عَلَيْهِ ، وَمَنْ أَظْهَرَ مِنْكُمْ لَنَا شَرًّا ظَنَّنَا بِهِ شَرًّا وَأَبْغَضْنَاهُ عَلَيْهِ ^(١) .

ورع الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

جاء في (أسد الغابة) لابن الأثير عن مولى لعثمان بن عفان قال: بينا أنا مع عثمان في مال له بالعالية في يوم صائف ، إذ رأى رجلاً يسوق بكرين - من الإبل - ، وعلى الأرض مثل الفراش من الحر ، فقال: ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد ثم يروح . ثم دنا الرجل فقال: انظر من هذا؟ فنظرت فقلت: أرى رجلاً معتماً بردائه ، يسوق بكرين . ثم دنا الرجل فقال: انظر . فنظرت فإذا عمر بن الخطاب ، فقلت: هذا أمير المؤمنين . فقام عثمان فأخرج رأسه من الباب فإذا نفح السموم ، فأعاد رأسه حتى حاذاه ، فقال: ما أخرجك هذه الساعة؟ فقال: بكران من إبل الصدقة تخلفا ، وقد مضى بإبل الصدقة ، فأردت أن ألحقهما بالحمى - أي مرعى بهائم بيت مال المسلمين - ، وخشيت أن يضيعا ، فیسألني الله عنهما . فقال عثمان: يا أمير المؤمنين ، هلم إلى الماء والظل ونكفيك . فقال: عد إلى ظلك . فقلت: عندنا من يكفيك! فقال: عد إلى ظلك . فمضى ، فقال عثمان: من أحب أن ينظر إلى القوي الأمين فلينظر إلى هذا! فعاد إلينا فألقى نفسه (٣) . فهلا اقتدي ولاة أمور المسلمين بعمر رضي الله عنه .

ذكر اهتمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه برعيته:

جاء في (الطبقات الكبرى) لابن سعد ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قدمت رفقة من التجار فنزلوا المصلى ، فقال عمر لعبد الرحمن: هل لك أن تحرسهم الليلة من السرقة؟ فباتا يحرسانهم ويصليان ما كتب الله لهما ، فسمع عمر بكاء صبي فتوجه

(١) (إسناده حسن) أخرجه (حم) ٢٨٦ وقال الشيخ أحمد شاکر إسناده حسن .

نحوه فقال لأمه: اتقي الله وأحسني إلى صبيك ، ثم عاد إلى مكانه فسمع بكاءه ، فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك ، ثم عاد إلى مكانه ، فلما كان من آخر الليل سمع بكاءه فأتى أمه فقال لها: ويحك إني لأراك أم سوء ما لي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة؟ قالت: يا عبد الله قد أبرمتني منذ الليلة ، إني أريغه عن الفطام فيأبى قال: ولم؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للفطم ، قال: وكم له ، قالت: كذا وكذا شهرا ، قال: ويحك لا تُعَجِّلْهُ ، فصلى الفجر وما يستئين الناس قراءته من غلبة البكاء ، فلما سلّم قال: يا بؤساً لعمر كم قتل من أولاد المسلمين ، ثم أمر منادياً فنادى أن لا تُعَجِّلُوا صبيانكم على الفطام فإننا نفرض لكل مولود في الإسلام ، وكتب بذلك إلى الآفاق أن يفرض لكل مولود في الإسلام (٢٩) .

وهذا مشهد آخر رائع عن تقوى عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

زهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

جاء في (أسد الغاية) لابن الأثير ، عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: ما كان عمر رضي الله عنه بأولنا إسلاماً ولا أقدمنا هجرة ، ولكنه كان أزهدينا في الدنيا ، وأرغبنا في الآخرة (٣) .

وجاء في (الطبقات الكبرى) لابن سعد ، عن عبد العزيز بن أبي جميلة الأنصاري قال: أبطأ عمر بن الخطاب جمعة بالصلاة فخرج فلما أن صعد المنبر اعتذر إلى الناس فقال: إنما حبسني قميصي هذا لم يكن لي قميص غيره كان يخاط له قميص سنبلاني لا يجاوز كفه رسغ كفيه (٢٩) الله أكبر! ألهذا الحد كان زهد الفاروق وورعه! .

من كرامات عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

الكرامة الأولى: جاء في (البداية والنهاية) للحافظ بن كثير ، عن ابن عمر رضي الله عنه أن عمر وجه جيشاً ورأس عليهم رجلاً يقال له: سارية . قال: فبينما عمر يخاطب فجعل ينادي: يا سارية الجبل ، يا سارية الجبل ، يا سارية الجبل ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر؟ فقال: يا أمير المؤمنين هُزِمْنَا فبينما نحن كذلك إذ سمعنا منادياً: يا سارية الجبل ، يا سارية الجبل يا سارية ، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله . قال: فقليل لعمر: إنك كنت تصيح بذلك ، قال الألباني: وهذا إسناد جيد حسن . (٨) .

الكرامة الثانية: جاء أيضا في (البداية والنهاية) للحافظ بن كثير ، عن قيس بن الحجاج عمن حدثه قال: لما فتح عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر أتى أهلها إليه حين دخل شهر بؤنة من أشهر العجم القبطية ، فقالوا: يا أيها الأمير إن لِنيلنا هذا سُنَّةٌ لا يجري إلا بها ، فقال لهم: وما ذاك؟ قالوا: إذا كان لثنتي عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها ، وجعلنا عليها من الحلبي والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها في هذا النيل ، فقال لهم عمرو: إن هذا لا يكون في الإسلام وأن الإسلام يهدم ما قبله ، فأقاموا بؤنة والنيل لا يجري لا قليلا ولا كثيرا ، وفي رواية فأقاموا بؤنة وأيب ومسرى ، وهو لا يجري حتى هموا بالجلء ، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب إليه عمر: إنك قد أصبت بالذي فعلت وإني قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابي هذا فألقها في النيل ، فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة ففتحها فإذا فيها: "من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد ، فإن كنت تجري من قبلك فلا تَجْرَ وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله أن يجريك" ، فألقى عمرو البطاقة في النيل فأصبح يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة وقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم (٨) .

رحمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه برعيته:

جاء في (تاريخ الرسل والملوك) للطبري ، عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى حرة وأقم ، حتى إذا كنا بصرار إذا نار تؤرث فقال: يا أسلم إني أرى هؤلاء ركبا قصر بهم الليل والبرد انطلق بنا ، فخرجنا نهول حتى دنونا منهم ، فإذا امرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على النار وصبيانها يتضاغون .

فقال عمر: السلام عليكم يا أصحاب الضوء ، وكره أن يقول يا أصحاب النار قالت: وعليك السلام . قال: أأدنو .

قالت ادن بخير أو دع - أي اقترب أو لا تقترب - .

فدنا فقال: ما بالكم؟

قالت: قصر بنا الليل والبرد .

قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟

قالت: الجوع . قال: وأي شيء في هذه القدر؟

قالت: ماء أسكتهم به حتى يناموا ، الله بيننا وبين عمر .

قال: أي رحمك الله ما يدري عمر بكم؟

قالت: يتولى أمرنا ويغفل عنا .

فأقبل عليّ فقال: انطلق بنا فخرجنا نهروا حتى أتينا دار الدقيق ، فأخرج عدلا فيه كبة شحم فقال: احملة عليّ ، فقلت أنا أحملة عنك ، قال: إحملة عليّ مرتين أو ثلاثا كل ذلك ، أقول أنا أحملة عنك ، فقال لي في آخر ذلك: أنت تحمل عني وزري يوم القيامة لا أم لك .

فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه نهروا حتى انتهينا إليها فألقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئا فجعل يقول لها: ذري علي وأنا أحرك لك وجعل ينفخ تحت القدر وكان ذا لحية عظيمة فجعلت أنظر إلى الدخان من خلل لحيته حتى أنضج ، وأدم القدر ثم أنزلها ، وقال إبغي شيئا فأتته بصحفة فأفرغها فيها ، ثم جعل يقول: أطعمهم وأنا أسطح لك فلم يزل حتى شبعوا ، ثم خلى عندها فضل ذلك وقام وقمت معه ، فجعلت تقول: جزاك الله خيرا أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين ، فيقول: قلبي خيرا إنك إذا جئت أمير المؤمنين وجدتني هناك إن شاء الله ، ثم تنحى ناحية عنها . . حتى رأيت الصبية يضطرعون ويضحكون ثم ناموا وهدؤوا فقام وهو يحمد الله ، ثم أقبل عليّ فقال: يا أسلم إن الجوع أسهرهم وأبكاهم فأحببت أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم (١٢) .

فهلا يقتدي ولاة أمور المسلمين برحمة عمر رضي الله عنه بالرعية ، كما أن الرعية أرادت حاكما مثل عمر رضي الله عنه فليكونوا مثل رعية عمر رضي الله عنه .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

اللقاء الإيمانى التاسع:

(جراح أعقبها النصر والتمكين <١>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد . . .

أحبتى في الله، من كان يظن أن تقوم للإسلام قائمة بعد الحروب الصليبية المتكررة، بعد سفك الدماء، وانتهاك الأعراض، وهدم المساجد والبيوت؟ حتى قبض الله للأمة صلاح الدين - أسأل الله أن يرزق الأمة بصلاح الدين - فهزم الصليبيين الحاقدين في معركة حطين، وخرج الإسلام قوياً بعد الحروب الصليبية، من كان يظن أن تبقى للإسلام قائمة بعد حروب المغول والتتار، وبعد الهجمة الشرسة التي روعت البلاد والعباد، حتى جسد الإمام ابن الأثير الجزري رحمه الله تعالى هذه المأساة المروعة، فقال: "لقد انصرفت عدة سنين عن تسجيل هذه الحادثة، فأنا أقدم قدماً وأؤخر أخرى؛ فمن ذا الذي يسهل عليه أن يكتب بيديه نعي الإسلام والمسلمين، فليتني لم أولد قبل هذا اليوم وكنت نسياً منسياً، حتى قبض الله للأمة البطل الفاتح قطز، فحرر البلاد والعباد، وخرج الإسلام من هذه الأزمة الطاحنة قوياً شديداً صلباً؟ ومن كان يظن أن تبقى في وقتنا المعاصر امرأة بوسنية واحدة، أو رجل بوسني واحد، أو طفل بوسني واحد، لقد قرر جميع الخبراء العسكريين مع بداية حرب البوسنة أن الحرب لن تستمر أكثر من أسبوع، وسيُفني الجيش الصربي شعب البوسنة، انظروا إلى الحن! ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (٣) [العنكبوت: ٢-٣] إنه التمجيص: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (٢١٤) [البقرة: ٢١٤].

انتهت الآن الحرب البوسنية وإن كانت في الواقع والحقيقة لم تنته بعد وبقي البوسنيون، بل وعاد الكثير من البوسنيين إلى الإسلام، بل ورفع اسم الإسلام في هذه المنطقة ودب الرعب في قلوب هؤلاء، مع أن المسلمين كانوا في قمة الضعف والذل والهوان (٤٥).

على درب التوحيد (الخوف من الشرك)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .
قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ (٤٨)﴾

[النساء: ٤٨] .

وأخرج مسلم في صحيحه عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهِ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ» ^(١).

إخوتي في الله ، من أجل ذلك ينبغي أن تكون العبادة كلها لله وحده من التعظيم والخشية والدعاء والرجاء والإنابة والتوكل والتوبة والاستعانة وغاية الحب مع غاية الذل ، وهذا إبراهيم عليه السلام خاف الشرك ، وخاف عبادة الأصنام ، فدعا الله بقوله: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَنَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ (٣٦)﴾ [إبراهيم: ٣٥-٣٦] ، والواقع أن عامة الأمة لا يخافون من الشرك ، فالذي يخافه هو الذي يسعى في تحقيق التوحيد (٣١) .

وأخرج الإمام أحمد في مسنده وغيره عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشُّرْكَ الْأَصْغَرَ، قَالُوا: وَمَا الشُّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ. يَقُولُ اللَّهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا، فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً» ^(٢).

مشاهد من الدار الآخرة (عذاب البرزخ)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٩٣ .

(٢) (صحيح) أخرجه (حم) ابن أبي الدنيا وصححه الألباني في ص ٣٢ .

له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أخرج البخاري في صحيحه عن سَمُرَةَ بِنْتِ جُنْدَبٍ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟» قَالَتْ: فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا ، يَقُولُ: مَا شَاءَ اللَّهُ ، فَسَأَلْنَا يَوْمًا فَقَالَ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟» قُلْنَا: لَا ، قَالَ: «لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ آتِيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ كَلُوبٌ مِنْ حَدِيدٍ ، قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ مُوسَى: إِنَّهُ يَدْخُلُ ذَلِكَ الْكَلُوبُ فِي شِدْقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الْآخَرَ مِثْلَ ذَلِكَ وَيَلْتَمِسُ شِدْقَهُ - أَيِ فَاهُ - هَذَا فَيَعُودُ فَيَضَعُ مِثْلَهُ ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ فَاَنْطَلِقْنَا ، حَتَّى آتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفَهْرٍ أَوْ صَخْرَةٍ فَيَشْدُخُ - أَيِ يَشُقُّ - بِهِ رَأْسَهُ ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهَدَهَ - أَيِ يَنْحَطُّ مِنْ عُلُوِّ إِلَى سَفَلٍ - الْحَجَرُ ، فَاَنْطَلِقْ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ فَلَا يَرْجِعْ إِلَى هَذَا ، حَتَّى يَلْتَمِسَ رَأْسَهُ وَعَادَ رَأْسَهُ كَمَا هُوَ ، فَعَادَ إِلَيْهِ فَضَرَبَهُ قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ فَاَنْطَلِقْنَا إِلَى ثَقَبٍ مِثْلِ النَّوْرِ - أَيِ الْفَرَنِ - أَعْلَاهُ ضَيْقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ ، يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا ، حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا ، وَفِيهَا رَجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاءٌ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ فَاَنْطَلِقْنَا حَتَّى آتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسْطِ النَّهْرِ» قَالَ يَزِيدُ وَوَهَبُ بْنُ جَرِيرٍ عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ: «وَعَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهْرِ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِيهِ - أَيِ فَاهُ - فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ ، فَعَمَلُ كُلِّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِيهِ بِحَجَرٍ فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ فَاَنْطَلِقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصَبِيَانٌ ، وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا فَصَعِدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ وَأَدْخَلَانِي دَارًا لَمْ أَرِ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا ، فِيهَا رَجَالٌ شُبُوحٌ وَشَبَابٌ وَنِسَاءٌ وَصَبِيَانٌ ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ ، فَأَدْخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ فِيهَا شُبُوحٌ وَشَبَابٌ . قُلْتُ: طَوَّفْتَانِي اللَّيْلَةَ فَأَخْبَرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ؟ قَالَا: نَعَمْ أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ - أَيِ فَاهُ - ، فَكَذَابٌ يُحَدِّثُ بِالْكَذِبَةِ فَتَحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ فَيَضَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدُخُ - أَيِ يَشُقُّ - رَأْسَهُ فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي الثَّقَبِ فَهُمْ الزُّنَاةُ ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهْرِ أَكَلُوا الرِّبَا ، وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالصَّبِيَانُ حَوْلَهُ فَأَوْلَادُ النَّاسِ ، وَالَّذِي يُوقِدُ النَّارَ خَازِنُ النَّارِ ، وَالِدَّارُ الْأُولَى الَّتِي دَخَلَتْ دَارُ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَمَّا

هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ، وَأَنَا جَبْرِيلُ وَهَذَا مِيكَائِيلُ فَارْفَعْ رَأْسَكَ فَرَفَعْتَ رَأْسِي، فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ قَالَا: ذَاكَ مَنْزِلُكَ. قُلْتُ: دَعَانِي أَدْخُلْ مَنْزِلِي. قَالَا: إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ فَلَوْ اسْتَكْمَلْتَ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ» (١).

عباد الله، من أقول شيخ الإسلام ابن تيمية: مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى أجسادها وقاموا من قبورهم لله رب العالمين.

ثاني الخلفاء الراشدين (عمر بن الخطاب رضي الله عنه) (<٥>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم، أما بعد . .
أيها الأحبة في الله، ما زلنا ننهل من السيرة العطرة لفاروق هذه الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهي بنا .

جود عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

روى البخاري في صحيحه عن أسلم قال: سألني ابنُ عمر رضي الله عنهما عَنْ بَعْضِ شَأْنِهِ يَغْنِي عُمَرَ، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ حِينَ قُبِضَ كَانَ أَجَدَّ - أي في الأمور - وَأَجْوَدَ - أي في الأموال - حَتَّى انْتَهَى - أي إلى آخر عمره - مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (٢).

عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عام الرمادة:

جاء في الأدب المفرد للبخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال عام الرمادة وكانت سنة شديدة ملمة بعدما اجتهد عمر في إمداد الأعراب بالإبل والقمح والزيت من الأرياف كلها، حتى بلحت الأرياف كلها مما جهدها ذلك فقام عمر يدعو فقال: اللهم اجعل رزقهم على رؤوس الجبال،

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ١٣٢٠ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٤٨٤ .

فاستجاب الله له وللمسلمين فقال حين نزل به الغيث: الحمد لله فوالله لو أن الله لم يفرجها، ما تركت أهل بيت من المسلمين لهم سعة إلا أدخلت معهم أعدادهم من الفقراء - أى ليشاركوهم في الطعام - فلم يكن اثنان يهلكان من الطعام على ما يقيم واحدا - أى أن طعام الواحد يكفي الاثنين فلا يهلكان - ^(١). فهلا تعلم ولاية أمور المسلمين الشفقة والرحمة بفقراء المسلمين لينالوا رضا ربهم.

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقافا عند كتاب الله:

أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قَدِمَ عُمَيْيَةُ بْنُ حُصَيْنٍ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ وَكَانَ مِنَ التَّقَرُّ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُھُولاً - أي من جاوز الثلاثين - كَانُوا أَوْ شَبَابًا، فَقَالَ عُمَيْيَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ؟ قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنْ الْحُرُّ لِعُمَيْيَةَ فَأْذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيَ يَا ابْنَ الْخَطَابِ فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزَلَ وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ - أي يوقع به العقاب - فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ - أي إذا سمع آياته التزم أحكامه ولم يتعدها - ^(٢).

وفاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل الشهداء:

أخرج البخاري في صحيحه عن زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ رضي الله عنه إِلَى السُّوقِ فَلَحِقَتْ عُمَرَ امْرَأَةٌ شَابَّةٌ فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْكَ - أي مات - زَوْجِي وَتَرَكَ صَبِيَّةً صِغَارًا وَاللَّهِ مَا يُنْضِجُونَ كُرَاعًا - أي ليس عندهم كراع حتى ينضجوه، والكراع ما دون الكعب من الدواب - وَلَا لَهُمْ زَرْعٌ - أي أرض يزرعونها - وَلَا ضَرْعٌ - أي مواش - وَخَشِيتُ أَنْ تَأْكُلَهُمُ الضَّبَعُ - أي السنة الشديدة المجدية - وَأَنَا بِنْتُ خُفَافِ بْنِ إِيمَاءِ الْغِفَارِيِّ وَقَدْ شَهِدَ أَبِي الْحُدَيْيَةَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَوَقَفَ مَعَهَا عُمَرُ وَلَمْ يَمْضِ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِنَسَبٍ قَرِيبٍ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى بَعِيرٍ ظَهِيرٍ - أي بعير قوي الظهر معد للحاجة - كَانَ مَرْبُوطًا فِي الدَّارِ فَحَمَلَ

(١) (صحيح) أخرجه (خد) ٥٦٢ وصححه الألباني .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٣٦٦ .

عَلَيْهِ غِرَارَتَيْنِ - أي مثنى غرارة ، وهي وعاء يتخذ للتبغ وغيره - مَلَأَهُمَا طَعَامًا وَحَمَلَ بَيْنَهُمَا نَفَقَةً وَثِيَابًا ثُمَّ نَاولَهَا بِخَطَامِهِ - أي الحبل الذي يقاد به البعير - ، ثُمَّ قَالَ: اقْتَادِيهِ فَلَنْ يَفْنَى حَتَّى يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ بِخَيْرٍ ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَكْثُرَتْ لَهَا؟ قَالَ عُمَرُ: تَكَلَّلْتُكَ أُمُّكَ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى أَبَا هَذِهِ وَأَخَاهَا قَدْ حَاصَرَا حِصْنًا - أي أحد حصون خيبر - زَمَانًا فَافْتَتَحَاهُ ثُمَّ أَصْبَحْنَا نَسْتَفِيءُ - أي نطلب الفياء وهو ما يأخذه المسلمون من يد الكفار بدون قتال - سُهُمَانُهُمَا فِيهِ - أي نصيبنا منه - ^(١) .

عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من دَوَّن الدواوين:

أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قدم على عمر من البحرين ، قال: فلقيته في صلاة العشاء الآخرة فسلمت عليه فسألني عن الناس ، ثم قال لي: ماذا جئت به؟ قلت: جئت بخمسمائة ألف درهم ، قال: هل تدري ما تقول؟ قلت: جئت بخمسمائة ألف درهم ، قال: ماذا تقول؟ قال قلت: مائة ألف ، مائة ألف ، مائة ألف ، مائة ألف ، حتى عدت خمسا . قال: إنك ناعس فارجع إلى أهلِكَ فَنَمْ فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَأَتْنِي . فقال أبو هريرة: فغدوت إليه ، فقال: ماذا جئت به؟ قلت: جئت بخمسمائة ألف درهم ، قال عمر: أطيَّب؟ قلت: نعم لا أعلم إلا ذلك . فقال للناس: إنه قد قدم علينا مال كثير فإن شئتم أن نعد لكم عددا وإن شئتم أن نكيله لكم كيلا ، فقال له رجل: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ هَؤُلَاءِ الْأَعَاجِمَ يُدَوِّنُونَ دِيوَانًا يَعْطُونَ النَّاسَ عَلَيْهِ ، قَالَ: فَدَوِّنِ الدِّيَوَانَ وَفَرِّضِ لِلْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ فِي خَمْسَةِ آلَافٍ خَمْسَةَ آلَافٍ ، وَلِلْأَنْصَارِ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ أَرْبَعَةَ آلَافٍ ، وَلِأَزْوَاجِ النَّبِيِّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فِي اثْنِي عَشَرَ آلْفًا ^(٢) .

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُعَلِّمُ الْأُمَّةَ الْقَدْرَ فِي خِلَافَتِهِ:

أخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه خَرَجَ إِلَى الشَّامِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْعٍ - أي قرية في طرف الشام - ، لَقِيَهِ أَمْرَاءُ الْأَجْنَادِ - أي مدن الشام الخمس وهي فلسطين والأردن ودمشق وحمص وقنسرين - أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ - أي الطاعون - قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّامِ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ فَدَعَاهُمْ

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٩٢٨ .

(٢) (حسن) أخرجه (بن سعد) ٣/٣٠٠ وحسنه الشيخ مصطفى العدوي .

فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأَمِ؟ فَاخْتَلَفُوا ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتُ لِأَمْرٍ وَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا نَرَى أَنْ تُقَدِّمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي الْأَنْصَارَ ، فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي ، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ مَشِيخَةٍ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ - أَى الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ - ، فَدَعَوْتُهُمْ فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلَا تُقَدِّمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ - أَى مُسَافِرٌ رَاكِبٌ عَلَى ظَهْرِ الرَّاحِلَةِ رَاجِعٌ إِلَى وَطَنِي - فَأَصْبَحُوا عَلَيْهِ ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ ، فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ - أَى لِأَدَبَتِهِ - قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ ، نَعَمْ نَفِرُ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدُوتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصْبَةٌ وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا يَقْدِرُ اللَّهُ ، وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا يَقْدِرُ اللَّهُ ، قَالَ: فَجَاءَ ابْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ ، فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بَارِضٌ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ» قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهُ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ ^(١) .

الله أكبر! الفاروق يعلم الأمة الإيمان بالقدر .

لماذا عزل عمر خالدا رضي الله عنه:

لقد بين عمر رضي الله عنه السبب الأساسي لعزله خالدا رضي الله عنه وهو خشية افتتان الناس به ؛ فإن خالدا رضي الله عنه ما هُزم له جيش لا في الجاهلية ولا في الإسلام ، وقد جمع الله تعالى له بين الشجاعة والقوة والرأي والمكيدة في الحرب ، وحسن التخطيط والتدبير والعمل فيها ، وقلَّ أن تجتمع هذه الصفات في شخص واحد ، فعن عدي بن سهيل أن عمر رضي الله عنه كتب إلى الأمصار: إني لم أعزل خالداً عن سخطه ولا خيانه ، ولكن الناس فتنوا به فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع (١٢) ، الله أكبر! إنه لدرس مبارك يحتاجه الناس في كل العصور ليعلموا أن الله هو الصانع وحده دون من سواه .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (بخ) ٥٣٩٧ و(م) ٢٢١٩ .

اللقاء الإيمانى العاشر:

(جراح أعقبها النصر والتمكين <٢>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

الأخ الحبيب ، من كان يظن أن الأفغان يُخرجون الروس بعد هذه السنوات الطوال؟ ولا يختلف اثنان ممن يعملون الآن على الساحة الإسلامية في أن العقبة الكئود الأولى في طريق العمل الإسلامي هي: عقبة التشرذم والتهاجر والاختلاف والبعد عن المنهج: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦] ، أي تذهب قوتكم: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥] ، فينبغي ألا ننظر بمنظار قاتم على طول الخط ، ولا مانع من أن نشخص الداء ، ولكن ينبغي أن نصف الدواء ، ولا مانع من أن نبين المرض ، لكن لا يمنع على الإطلاق في الوقت ذاته أن نقول بأن هناك بوادر للشفاء ، وللأمل ، وللخير ، فهذه الفتن ما ضرت الإسلام قط ، بل هذه الفتن في صالح الإسلام ، كيف ذلك؟!

إنه التمهيص ، ليبقى على الصف من صفت نفسه ، وخلصت سيرته ، وطهر الله قلبه ؛ ليرفع راية لا إله إلا الله ، كيف لا وأنت ستمضي على طريق محمد بن عبد الله ﷺ ، فإن الطريق ليس هيناً لنا ، وليس مفروشاً بالورود ولا بالرياحين ، وهأنذا أُلْخِص لك الطريق أيها الحبيب المبارك في كلماتٍ حتى لا تُنسى ، وأقول لك: إن سلكت طريق الدعوة إلى الله ورأيت أن الطريق ممهدة ، وأنها مفروشة بالورود والزهور والرياحين ؛ فاعلم علم اليقين أنك قد ضللت الطريق ، وابتعدت عن طريق محمد ونوح وموسى وعيسى وكل الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه ، الطريق بين واضح ، فتن ومحن وابتلاءات للتمهيص والتمييز ، ليثبت المخلصون (٤٥) .

فهي لتتضافر جهودنا لإعادة وحدة الصف للمسلمين بالعودة لكتاب الله وسنة رسول الله ، وذلك بتحمل هم الدين والدعوة إلى الله تعالى .

على درب التوحيد (الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنْجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فالمعنى: قل لهم - أيها الرسول -: هذه طريقي ، أدعو إلى عبادة الله وحده ، على حجة من الله وبقين ، أنا ومن اقتدى بي ، وأنزه الله سبحانه وتعالى عن الشركاء ، ولست من المشركين مع الله غيره .

إخوتي في الله ، قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في معنى قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) ﴾ [النحل: ١٢٥] ، ذكر سبحانه مراتب الدعوة وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو: فإنه إما أن يكون طالباً للحق محباً له مؤثراً له على غيره إذا عرفه فهذا يُدعى بالحكمة ولا يحتاج إلى موعظة وجدال ، وإما أن يكون مشغولاً بضد الحق لكن لو عرفه أثره واتبعه فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب ، وإما أن يكون معانداً معارضاً فهذا يجادل بالتي هي أحسن فإن رجع وإلا انتقل معه إلى الجلال إن أمكن أ . هـ .

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ مُعَاذًا رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَرُدُّ فِي قُرَاطِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمُظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» ^(١).

معاشر الإخوة ، أول ما يدعو إليه الداعي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله فذلك أول ما دعت إليه الرسل عليهم السلام قال تعالى: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا

(١) (صحيح) أخرجه (بخ) ١٤٢٥ ، و(م) ١٩ واللفظ لمسلم .

لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ (٥٩) ﴿[الأعراف: ٥٩]، وشهادة لا إله إلا الله لا تنفع صاحبها إلا إذا توفرت سبعة شروط: العلم المنافي للجهل، اليقين المنافي للشك، القبول المنافي للرد، الانقياد المنافي للترك، الإخلاص المنافي للشرك، الصدق المنافي للكذب، المحبة المنافية لصددها، فإن قبلوا ذلك يعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات، فالصلاة أعظم واجب بعد الشهادتين، فإن هم قبلوا ذلك يعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فالزكاة أوجب الأركان بعد الصلوات وأنها تؤخذ من الأغنياء وتصرف إلى الفقراء، وحذر رسول الله ﷺ من أخذ أفضل الأموال عند جمع زكاة الأموال، وكذلك يحرم على صاحب المال إخراج شرار المال بل يخرج الوسط، ويجب الحذر من جميع أنواع الظلم فإن المظالم لا تحجب عن الله فيقبلها (٣١).

مشاهد من الدار الآخرة (مستقر الأرواح في البرزخ)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد . . .

عباد الله، من أقوال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت: فمنها أرواح في أعلى عليين في الملاء الأعلى وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء، ومنها أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره. ومنهم من يكون محبوساً على باب الجنة، ومنهم من يكون محبوساً في قبره، ومنهم من يكون مقره باب الجنة، وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب حيث أبدله الله عن يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء، ومنهم من يكون محبوساً في الأرض لم تعل روحه إلى الملاء الأعلى فإنها كانت روحاً سفلية أرضية، فإن الأنفس لا تجامع الأنفس السماوية كما لا تجامعها في الدنيا، والنفوس التي لم تكتسب في الدنيا معرفة ربها ومحبتها وذكره والأنس به والتقرب إليه هي أرضية سفلية لا تكون بعد المفارقة لبدنها إلا هناك، كما أن النفس العلوية التي كانت في الدنيا عاكفة على محبة الله وذكره والتقرب إليه

والأنس به تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها فالمرء مع من أحب في البرزخ ويوم القيامة ، والله تعالى يزوج النفوس بعضها ببعض في البرزخ ويوم الميعاد ، ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزواني ، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة ، فليس الأرواح سعيدها وشقيها مستقرًا واحدًا ، بل روح في أعلى عليين وروح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض . ولهذه الأنفس أربع دور كل دار أعظم من التي قبلها: الدار الأولى: في بطن الأم ، والدار الثانية: هي الدار التي نشأت فيها ، والدار الثالثة: دار البرزخ وهي أوسع من دار الدنيا ونسبتها إليها كنسبة دار الدنيا لبطن الأم ، والدار الرابعة هي دار القرار الجنة والنار فلا دار بعدها ، تبارك الله فاطرها ومنشئها ومميتها ومحيتها ومسعدا ومشقيها (٢٢) .

* * *

ثاني الخلفاء الراشدين (عمر بن الخطاب رضي الله عنه) (<٦>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .
أيها الأحبة في الله ، ما زلنا ننهل من السيرة العطرة لفاروق هذه الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهيا بنا .

انجازات عمر بن الخطاب رضي الله عنه أثناء خلافته:

لقد كان إسلام عمر فتحاً وهجرته نصراً وإمارته رحمة ، ولما أسلم عمر استطاع المسلمون أن يصلوا عند الكعبة ، وظهر الإسلام ودعا إلى الله علانية ، فهو أول من جمع الناس لقيام رمضان في شهر رمضان للعام الرابع عشر من الهجرة ، وأول من كتب التاريخ من الهجرة في شهر ربيع الأول في العام السادس عشر من الهجرة ، وأول من كان يتفقد رعيته في الليل وهو واضع الخراج ، كما أنه مصّر الأمصار ، واستقضى القضاة ، ودون الدواوين ، وفرض الأعطية ، وحج بالناس عشر حجج متوالية ، وحج بأمهات المؤمنين في آخر حجة حجها ، وهدم مسجد الرسول ﷺ وزاد فيه ، وأدخل دار العباس بن عبد المطلب فيما زاد ، ووسّعه وبناه لما كثر الناس بالمدينة ، وهو أول من ألقى الحصى في المسجد النبوي ، فقد كان الناس إذا رفعوا رؤوسهم من السجود نفضوا أيديهم .

وهو أول من أخرج اليهود وأجلاهم من جزيرة العرب إلى الشام ، وأخرج أهل نجران وأنزلهم ناحية الكوفة ، ولقد فتح الله عليه في خلافته دمشق ثم القادسية حتى انتهى الفتح إلى حمص وجلولاء والرقّة والرّهاء وحرّان ورأس العين والخابور ونصيبين وعسقلان وطرابلس وما يليها من الساحل وبيت المقدس ويّسان واليرموك والجابية والأهواز والبربر والبُرس (٥٠) .

استشهاد عمر ووصيته من بعد واختيار عثمان بن عفان أميرا للمؤمنين:

أخرج البخاري في صحيحه عن عمرو بن ميمون قال: إني لَقَائِمٌ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ - أي عمر بن الخطاب - إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ غَدَاةً أُصِيبَ - أي صبيحة طعن عمر بن الخطاب - ، وَكَانَ إِذَا مَرَّ بَيْنَ الصَّفَيْنِ قَالَ: اسْتَوْوَا حَتَّى إِذَا لَمْ يَرَفِيَهُنَّ خَلَلًا تَقْدَمَ فَكَبَّرَ وَرَبَّمَا قَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ أَوْ النَّحْلَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ فِي الرُّكْعَةِ الْأُولَى حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ كَبَرَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَتَلَنِي أَوْ أَكَلَنِي الْكَلْبُ - أي أراد به المجوسي الذي طعنه - حِينَ طَعَنَهُ ، فَطَارَ الْعِلْجُ - أي هو الرجل من كفار العجم - يَسْكُنُ ذَاتَ طَرْفَيْنِ لَا يَمُرُّ عَلَى أَحَدٍ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا إِلَّا طَعَنَهُ ، حَتَّى طَعَنَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا مَاتَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ طَرَحَ عَلَيْهِ بُرْنُسًا - أي كساء يجعله الرجل في رأسه - ، فَلَمَّا ظَنَّ الْعِلْجُ أَنَّهُ مَأْخُودٌ نَحَرَ نَفْسَهُ ، وَتَنَاوَلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَقَدَّمَهُ ، فَمِنْ يَلِي عُمَرَ فَقَدْ رَأَى الَّذِي أَرَى وَأَمَّا نَوَاحِي الْمَسْجِدِ فَإِنَّهُمْ لَا يَذْرُؤُونَ غَيْرَ أَنَّهُمْ قَدْ فَقَدُوا صَوْتَ عُمَرَ ، وَهُمْ يَقُولُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ فَصَلَّى بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صَلَاةً خَفِيفَةً ، فَلَمَّا انْصَرَفُوا قَالَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ: انْظُرْ مَنْ قَتَلَنِي فَجَالَ سَاعَةً ثُمَّ جَاءَ ، فَقَالَ غُلَامُ الْمُغِيرَةِ قَالَ: الصَّنْعُ - أي الصانع وكان نجارا وقيل نحاتا للأحجار - ، قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: قَاتَلَهُ اللَّهُ لَقَدْ أَمَرْتُ بِهِ مَعْرُوفًا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مِيتَتِي بِيَدِ رَجُلٍ يَدْعِي الْإِسْلَامَ ، قَدْ كُنْتَ أَنْتَ وَأَبُوكَ تُحِبَّانِ أَنْ تَكْثُرَ الْعُلُوجُ بِالْمَدِينَةِ ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ أَكْثَرَهُمْ رَقِيقًا ، فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ فَعَلْتُ أَيُّ إِنْ شِئْتَ قَتَلْنَا ، قَالَ: كَذَبْتَ - أي أخطأت في قولك - بَعْدَ مَا تَكَلَّمُوا بِلِسَانِكُمْ وَصَلُّوا قِبَلَتَكُمْ وَحَجُّوا حَجَّكُمْ ، فَاحْتَمَلَ إِلَيَّ بَيْتَهُ فَأَنْطَلَقْنَا مَعَهُ ، وَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ تُصِبْهُمْ مُصِيبَةٌ قَبْلَ يَوْمِئِذٍ فَقَائِلٌ يَقُولُ: لَا بَأْسَ ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: أَخَافُ عَلَيْهِ ، فَأَتَيْ بَنِيذَ فَشَرَبَهُ فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ ، ثُمَّ أَتَيْ بَلْنَ فَشَرَبَهُ فَخَرَجَ مِنْ جُرْحِهِ ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ مَيِّتٌ ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ وَجَاءَ النَّاسُ فَجَعَلُوا يَثْنُونَ عَلَيْهِ ، وَجَاءَ رَجُلٌ شَابٌ فَقَالَ: أَبَشِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبَشَرَى اللَّهِ لَكَ

مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَدَمَ - أَي سَبَقَ فِي الْإِسْلَامِ - فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ ، ثُمَّ وَلَيْتَ فَعَدَلْتَ ، ثُمَّ شَهَادَةً ، قَالَ : وَدِدْتُ أَنْ ذَلِكَ كَفَافٌ لَأَعْلَى وَلَا لِي ، فَلَمَّا أَدْبَرَ إِذَا إِزَارُهُ يَمَسُّ الْأَرْضَ قَالَ : رُدُّوا عَلَيَّ الْعُلَامَ ، قَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ارْفَعْ ثَوْبَكَ فَإِنَّهُ أَبْقَى لِثَوْبِكَ وَأَتَقَى لِرَبِّكَ - أَي فَإِنَّهُ لَطَوْلُهُ يَبْلَى بِوَقْتِ قَصِيرِ وَإِنَّهُ أَبْعَدُ عَنِ الْخِيَلَاءِ عِنْدَمَا يَكُونُ قَصِيرًا وَأَبْعَدُ عَنِ التَّلَوُّثِ بِالنَّجَاسَاتِ فَرَضِي اللَّهُ عَنْكَ يَا عُمَرُ لَمْ يَشْغَلْكَ مَا أَنْتَ فِيهِ عَنِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالنَّصِيحِ لِلْمُسْلِمِينَ - ، يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ : انْظُرْ مَا عَلَيَّ مِنَ الدِّينِ فَحَسِّبْهُ فَوَجَدُوهُ سِتَّةَ وَثَمَانِينَ أَلْفًا أَوْ نَحْوَهُ ، قَالَ : إِنْ وَفَى لَهُ مَا لُ أَلْ عُمَرُ فَأَدَّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، وَإِلَّا فَسَلِّ فِي بَنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ ، فَإِنْ لَمْ تَفِ أَمْوَالُهُمْ فَسَلِّ فِي قَرِيشٍ ، وَلَا تَعْدُهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ فَادَّ عَنِّي هَذَا الْمَالُ ، انْطَلِقْ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فَقُلْ : يَقْرَأُ عَلَيْكَ عُمَرُ السَّلَامَ وَلَا تَقُلْ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنِّي لَسْتُ الْيَوْمَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمِيرًا ، وَقُلْ : يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْ يُدْفِنَ مَعَ صَاحِبِيهِ ، فَسَلِّمْ وَاسْتَأْذِنْ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا فَوَجَدَهَا قَاعِدَةً تَبْكِي ، فَقَالَ : يَقْرَأُ عَلَيْكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ السَّلَامَ وَيَسْتَأْذِنُ أَنْ يُدْفِنَ مَعَ صَاحِبِيهِ ، فَقَالَتْ : كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي وَلَا وَثَرَنَ بِهِ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي ، فَلَمَّا أَقْبَلَ قِيلَ : هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ قَدْ جَاءَ ، قَالَ : ارْفَعُونِي فَأَسْنَدَهُ رَجُلٌ إِلَيْهِ فَقَالَ : مَا لَدَيْكَ ؟ قَالَ : الَّذِي تُحِبُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَذْنَتْ ، قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ أَهَمُّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِذَا أَنَا قَضَيْتُ - أَي خَرَجْتُ رُوحِي - فَاحْمِلُونِي ثُمَّ سَلِّمْ فَقُلْ : يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَإِنْ أَذْنَتْ لِي فَادْخُلُونِي ، وَإِنْ رَدَّتْنِي رُدُّونِي إِلَى مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَجَاءَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةُ وَالنِّسَاءُ تَسِيرُ مَعَهَا فَلَمَّا رَأَيْنَاهَا قَمْنًا فَوَلَجَتْ - أَي دَخَلَتْ - عَلَيْهِ فَبَكَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً ، وَاسْتَأْذَنَ الرَّجَالُ فَوَلَجَتْ دَاخِلًا لَهُمْ - أَي مَدْخَلًا لِأَهْلِهَا - فَسَمِعْنَا بُكَاءَهَا مِنَ الدَّاحِلِ ، فَقَالُوا : أَوْصِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتَخْلَفَ ، قَالَ : مَا أَجِدُ أَحَدًا أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ أَوْ الرَّهْطِ الَّذِينَ تُوْفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ ، فَسَمَى عَلِيًّا وَعُثْمَانَ وَالزُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ وَسَعْدًا وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ ، وَقَالَ : يَشْهَدُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ - أَي لَا يَكُونُ هُوَ الْخَلِيفَةُ - ، كَهَيْئَةِ التَّعْزِيَةِ لَهُ ، فَإِنْ أَصَابَتْ الْإِمْرَةُ سَعْدًا - أَي إِذَا اخْتِيرَ سَعْدُ أَمِيرًا - فَهُوَ ذَاكَ - أَي فَهُوَ جَدِيرٌ بِهَا - ، وَإِلَّا فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ أَتَيْكُمْ مَا أَمَرَ فَإِنِّي لَمْ أَعَزْلُهُ عَنْ عَجْزٍ وَلَا خِيَانَةٍ ، وَقَالَ : أَوْصِي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ وَيَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ ، وَأَوْصِيهِ بِالْأَنْصَارِ

خَيْرًا، ﴿الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، أَنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَأَنْ يُعْفَى عَنْ مُسِيئَتِهِمْ، وَأَوْصِيَهُ بِأَهْلِ الْأَمْصَارِ خَيْرًا فَإِنَّهُمْ رَدُّهُ الْإِسْلَامَ - أي عونه الذي يدفع عنه ويمده بالقوة - ، وَجِبَاةُ الْمَالِ - أي هم الذين يجمعون الأموال منهم ويقدمونها للدولة الإسلامية - وَغَيْظُ الْعَدُوِّ - أي يغيطون الأعداء بكثرتهم وشوكتهم - وَأَنْ لَا يُؤْخَذَ مِنْهُمْ إِلَّا فَضْلُهُمْ - أي ما زاد عن حاجتهم - عَنْ رِضَاهُمْ، وَأَوْصِيَهُ بِالْأَعْرَابِ خَيْرًا فَإِنَّهُمْ أَصْلُ الْعَرَبِ وَمَادَّةُ الْإِسْلَامِ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَوَاشِي أَمْوَالِهِمْ - أي الوسط التي ليست خيرها وليست أسوأها - وَيُرَدَّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ وَأَوْصِيَهُ بِذِمَّةِ اللَّهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ - أي يدافع عنهم - وَلَا يُكَلَّفُوا إِلَّا طَاقَتُهُمْ، فَلَمَّا قُبِضَ خَرَجْنَا بِهِ فَاَنْطَلَقْنَا نَمْشِي، فَسَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ قَالَ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَتْ: أَدْخِلُوهُ فَأَدْخَلَ فَوَضِعَ هُنَالِكَ مَعَ صَاحِبِيهِ، فَلَمَّا فَرِغَ مِنْ دَفْنِهِ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ الرَّهْطُ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: اجْعَلُوا أَمْرَكُمْ إِلَى ثَلَاثَةِ مِنْكُمْ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ طَلْحَةُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عِثْمَانَ، وَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَيُّكُمْ تَبَرَّأَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ فَجَعَلَهُ إِلَيْهِ - أي نكل أمر اختيار الخليفة إليه - وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَالْإِسْلَامَ لَيَنْظُرَنَّ أَفْضَلُهُمْ فِي نَفْسِهِ - أي ليفكر في نفسه وليختر الذي يراه الأفضل من غيره-، فَاسْكَتَ الشَّيْخَانُ - أي علي وعثمان رضي الله عنهما - فَقَالَ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَفْتَجْعَلُونَهُ إِلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ أَنْ لَا أَلْ عَنْ أَفْضَلِكُمْ - أي لا أقصر في اختيار أفضلكم - قَالَا: نَعَمْ، فَأَخَذَ بِيَدِ أَحَدِهِمَا - أي علي رضي الله تعالى عنه - فَقَالَ: لَكَ قَرَابَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْقَدَمُ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، فَاللَّهُ عَلَيْكَ لَئِنْ أَمَرْتُكَ لَتَعْدِلَنَّ وَلَئِنْ أَمَرْتُ عُثْمَانَ لَتَسْمَعَنَّ وَلَتُطِيعَنَّ، ثُمَّ خَلَا بِالْآخِرِ - أي انفرد به وهو عثمان رضي الله عنه - فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَخَذَ الْمِيثَاقَ - أي العهد من الجميع - قَالَ: ارْفَعْ يَدَكَ يَا عُثْمَانُ فَبَايَعَهُ فَبَايَعَهُ لَهُ عَلِيٌّ وَوَلَجَ أَهْلُ الدَّارِ - أي دخل أهل المدينة بعد مبايعة أهل الشورى - فَبَايَعُوهُ^(١).

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (بخ) ٣٤٩٧.

اللقاء الإيمانى الحادى عشر:

(يجب الحذر من إلقاء المسئولية على جهة معينة)

الحمد لله الذى كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتى فى الله ، أحياناً نضع المسئولية على الحكام ، أو على العلماء والدعاة ، أو طبقة معينة من المجتمع ، وأنا أقول: مسئولية الحكام ليست كمسئولية آحاد الناس ، ومسئولية العلماء ليست كمسئولية العامة ، ومسئولية الدعاة ليست كمسئولية غيرهم ، ولكن ينبغى مع ذلك أن ندرك أن مسئولية الفرد العادى كبيرة ، وأنه يستطيع أن يفعل الكثير ، سواءً فى تعزيز من يريد الإصلاح ، فيقف إلى جانب العالم والداعية يؤازره ويشد على يده ، ويقويه ويساعده فى تحقيق مهمته ، أو يقف ضد من يريد الإفساد ، فلا ينبغى أن نلقي باللائمة على جهة معينة أو فرد معين ، للاحكاما ولا عالماً ولا داعية ، وإن كنا لا نبرئ هؤلاء أبداً من المسئولية ، بل نقول: إن مسئوليتهم أكبر وأعظم من مسئولية أفراد الناس ، لكن هذا لا يعنى أنهم هم المسئولون فقط ، وأن بقية الناس لا شأن لهم ، كلا وألف كلا! أيضاً هناك بعض الإخوة ينتظرون مفاجآت قدرية ، أو مفاجآت يصنعها الآخرون لنا ، فالبعض لا يصنع شيئاً ، ولا يظن أن تتغير أوضاع المسلمين لماذا؟ قال: لا تتغير هذه الأوضاع إلا أن يأتي الله تعالى بعيسى أو بالمهدي عليهما السلام .

ونحن نؤمن عقيدة بأن المهدي المنتظر سوف يخرج فى آخر الزمان ، كذلك نؤمن بأن عيسى عليه الصلاة والسلام سوف ينزل فى آخر الزمان ، ويصلي مع المسلمين ، ويشاركهم فى حروبهم ومعاركهم ، وهذا أمرٌ أخبر عنه النبي ﷺ ، بل جاء به القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ** ﴾ [الزخرف: ٦١] ، وقال الله ﷻ: ﴿ **وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً** ﴾ [النساء: ١٥٩] .

، لكننا نؤمن أيضاً وندين الله بأن الله تعالى لم يتعبدنا أبداً أن نقعد ونترك العمل والجهاد فى انتظار مجيء المهدي أو مجيء عيسى ، ولو أن المهدي أو عيسى جاء إلى أمة محظومة مهزومة ما استطاع أن يصنع شيئاً ، ولكن إرادة الله تعالى وحكمته أن يأتي المهدي ويأتي عيسى إلى أمة قد تخلصت من العجز ، والضعف ،

والهوان ، والجبن ، وجاهدت في سبيل الله وحقت بعض الانتصارات ، فيقودونها في معركتها إلى مزيد من العز ومزيد من النصر ومزيد من التمكين . ولو أن قائداً عظيماً ولد اليوم بيننا ، أظن أنه لا يستطيع أن يصنع شيئاً بمثل هذه الرمم الهامدة الجامدة ، التي أصبحت عاجزة عن أن تصنع شيئاً لنفسها أو دينها أو كرامتها أو أعراضها ، والبعض ينتظر أن أمم الكفر تعلنها حرباً ضروساً ضارية ضد المسلمين لتستثير مشاعر المسلمين العادية ، ونحن نقول: نعم ، الحروب التي توجه اليوم ضد الإسلام والمسلمين سوف تُسهم في تعميق الوعي ، وتعميق الانتماء لهذا الدين ، وجمع كلمة المسلمين على أمر سواء ، لكن لا أعتقد أنه يجوز أو يسوغ لنا شرعاً أن نتنظر ذلك ، فعلينا أن نتقي الله تعالى ، وأن ندرك أنه يكفيننا ما نواجهه الآن من التحديات ، لنقوم بإعداد أنفسنا إعداداً جيداً لمواجهة الواقع (٤٩) .

* * *

على درب التوحيد (ما جاء في الرقى والتمائم والتولة)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ عَنْ عَبْدِ بْنِ تَمِيمٍ أَنَّ أَبَا بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيَّ رضي الله عنه أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: وَالنَّاسُ فِي مَبِيتِهِمْ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَسُولاً: «أَنْ لَا يَبْقَيْنَ فِي رَقَبَةٍ بَعِيرٍ قِلَادَةً - أي ما يعلق في العنق من جرس أو نعل أو غيره - مِنْ وَتَرٍ - أي من خيط - أَوْ قِلَادَةً إِلَّا قُطِعَتْ» ^(١) .

إخوتي في الله ، من هذا الحديث يتضح أن تعليق القلادة من الوتر أي الخيط على البعير مأمور بقطعه ، والأمر بقطعه لأجل أن العرب تعتقد أنها تدفع العين عن بهائم الأنعام ، فيعلقون الأوتار على شكل قلائد وربما أدخلوا فيها خرز أو نحو ذلك ، فهذا نوع من أنواع التمام ، ولأن في تعليقه اعتقاد أنه يدفع أو يجلب النفع ، وهذا الاعتقاد اعتقاد شركي (٣٤) .

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٨٤٣ و(م) ٢١١٥ .

وأخرج ابن ماجه في سننه وغيره عن يحيى بن الجزار عن ابن أخت زينب امرأة عبد الله عن زينب قالت: كانت عجوزاً تدخل علينا ترقي من الحمرة - أي مرض وبائي يسبب حمى وبقعا حمراء في الجلد - ، وكان لنا سرير طویل القوائيم ، وكان عبد الله إذا دخل تنحنح وصوت ، فدخل يوماً فلما سمعت صوته احتجبت منه فجاء فجلس إلى جانبي فمسني ، فوجد مس خيط فقال: ما هذا؟ فقلت: رقي لي فيه من الحمرة ، فجذبه وقطعه فرمى به ، وقال: لقد أصبح آل عبد الله أغنياء عن الشرك سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقي والتائم والتولة شرك» قلت: فأني خرجت يوماً فأبصرني فلان فدمعت عيني التي تليه فإذا رقيتها سكنت دمعته ، وإذا تركتها دمعت ، قال: ذاك الشيطان إذا أطعته تركك وإذا عصيته طعن بإصبعه في عينك ، ولكن لو فعلت كما فعل رسول الله ﷺ كان خيراً لك وأجدر أن تشفين تنصحين في عينك الماء وتقولين «أذهب البأس رب الناس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً» (١) .

قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في (السلسلة الصحيحة) : فالرقي هي هنا كل ما فيه الاستعاذة بالجن أو لا يفهم معناها ؛ مثل كتابة بعض المشايخ من العجم على كتابهم لفظة (ياكبيكج) لحفظ الكتب من الأرضة .

معاشر الإخوة ، قال العلماء: الرقية تجوز بثلاثة شروط أجمع عليها:

الأول: أن تكون بالقرآن أو بأسماء الله أو بصفاته .

الثاني: أن تكون بالكلام العربي أي بلسان عربي مفهوم ؛ يعلم معناه .

والثالث: أن لا يعتقد أنها تنفع بنفسها ؛ بل الله جل وعلا هو الذي ينفع بالرقي .

والمقصود أن الرقي الجائزة هي بالإجماع هي من أجمعت فيه هذه الشروط ، وأما الرقي الشركية فهي التي فيها استعاذة أو استغاثة بغير الله ، أو كان فيها شيء من أسماء الشياطين ، أو اعتقد أن الرقي فيها بأنها تؤثر بنفسها ، حينئذ تكون الرقية غير جائزة .

(١) (صحيح) أخرجه (هدد حم حب) وصححه الألباني س. ص ٣٣١ .

والتمايم جمع تيمة وهي شيء يُعلّق على الصدر ، أو يكون فيه أذكار وأدعية وتعوّذات تُجعل أيضا معلقة على الصدر أو في العنق ، أو خرزات وحبّال ونحو ذلك تعلق على الصدر ، أو شيء يتخذ في السيارة . الخ

ونقول: إن علّق التمايم للدفع أو الرفع فإنه شرك أصغر إن اعتقد أنها سبب ، وإن علقها للزينة فهو محرّم لأجل مشابهته من يشرك الشرك الأصغر .

أما التّولة شيء يصنعونه يزعمون أنه يجب المرأة إلى زوجها والرجل إلى زوجته ، وهو نوع من الشرك ، يسمى عند العامة الصّرف والعطف ، وهو نوع من السحر يُصنع فيجلب شيئاً ويدفع شيئاً بحسب اعتقادهم ، وهي في الحقيقة نوع من أنواع التمايم لأنها تُصنع والساحر هو الذي يرقّي فيها الرقية الشركية ، فيجعل المرأة تحب زوجها أو يجعل الرجل يحب زوجته ، وهذا نوع من أنواع السحر ، والسحر شرك بالله تعالى وكفر ، وهذا أيضا عموم وكل أنواعه شرك (٣٤) .

مشاهد من الدار الآخرة (تقوم الساعة على شرار الناس)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

روي مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «يُخْرَجُ الدَّجَالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةٌ بَنُ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عِدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ - أَيْ وَسَطِهِ وَدَاخِلِهِ - لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ، قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَيَبْقَى شَرَارُ النَّاسِ فِي خِفَةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السَّبَاعِ لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يَنْكُرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَحْيُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا نَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌ رَزَقُهُمْ حَسَنَ عَيْشِهِمْ، ثُمَّ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْعَى لَيْتًا - أَمَالَ صَفْحَةَ عُنُقِهِ - وَرَفَعَ لَيْتًا، قَالَ: وَأَوَّلَ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبْلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ، أَوْ قَالَ: يُنْزِلُ اللَّهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُ - أَيْ مَيِّ

الرجال - أَوْ الظِّلُ فَتَبَّتْ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرَجُوا بَعَثَ النَّارَ فَيُقَالُ: مَنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ. قَالَ: فَذَاكَ يَوْمٌ ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ وَذَلِكَ ﴿يَوْمٌ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾^(١).

* * *

ثالث الخلفاء الراشدين (عثمان بن عفان رضي الله عنه) <١>

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله، موعدا اليوم مع رجل تستحي منه الملائكة والملقب بذِي النورين وهو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، وأمه أروى بنت كريب أسلمت وأمها البيضاء بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ، ولد بعد الفيل بست سنين على الصحيح، أسلم وزوج النبي ﷺ ابنته رقية من عثمان، وماتت عنده في أيام بدر، فزوجه بعدها أختها أم كلثوم، فلذلك كان يلقب ذا النورين . . وجاء من أوجه متواترة أن رسول الله ﷺ بشره بالجنة . . وشهد له بالشهادة (٤).

عثمان بن عفان رضي الله عنه ذو النورين هاجر المجرتين وتزوج بالبنتين:

جاء في (صفة الصفوة) لابن الجوزي: هاجر عثمان إلى أرض الحبشة فاراً بدينه مع زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ فكان أول مهاجر إليها، ثم تابعه سائر المهاجرين إلى أرض الحبشة، ثم هاجر الهجرة الثانية إلى المدينة، ولما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر خلفه على ابنته رقية يرضها وضرب له بسهمه وأجره، فكان كمن شهدا، وزوجه رسول الله ﷺ أم كلثوم بعد رقية وقال: لو كان عندي ثالثة لزوجتها عثمان، وسمي ذا النورين لجمعه بين بنتي رسول الله ﷺ (٢٨).

إنفاق عثمان بن عفان رضي الله عنه:

أخرج النسائي في سننه عن الأحنف يقول: أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ وَأَنَا حَاجٌّ فَبَيْنَا نَحْنُ فِي مَنَازِلِنَا نَضَعُ رِحَالَنَا إِذْ أَتَى آتٍ، فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ فِي الْمَسْجِدِ فَاطْلَعْتُ،

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٩٤٠ .

فَإِذَا يَعْنِي النَّاسَ مُجْتَمِعُونَ وَإِذَا بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ نَفَرٌ قُعُودٌ ، فَإِذَا هُوَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا قَمَتْ عَلَيْهِمْ قِيلَ : هَذَا عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ قَدْ جَاءَ ، قَالَ : فَجَاءَ وَعَلَيْهِ مَلَكَةٌ صَفْرَاءُ فَقُلْتُ لِصَاحِبِي : كَمَا أَنْتَ حَتَّى أَنْظُرَ مَا جَاءَ بِهِ ، فَقَالَ عَثْمَانُ : أَهَاهُنَا عَلِيُّ أَهَاهُنَا الزُّبَيْرُ أَهَاهُنَا طَلْحَةُ أَهَاهُنَا سَعْدٌ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : فَأَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : مَنْ يَتَّبِعْ مُرِيدَ بَنِي فَلَانَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ؟ فَابْتَغْتُهُ فَاتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ : إِنِّي ابْتَغْتُ مُرِيدَ بَنِي فَلَانَ قَالَ : فَاجْعَلْهُ فِي مَسْجِدِنَا وَأَجْرُهُ لَكَ ، قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : فَأَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : مَنْ يَتَّبِعْ بُنَى رُومَةَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ؟ فَاتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ : قَدْ ابْتَغْتُ بُنَى رُومَةَ . قَالَ : فَاجْعَلْهَا سِقَايَةَ لِلْمُسْلِمِينَ وَأَجْرُهَا لَكَ ، قَالُوا : نَعَمْ قَالَ : فَأَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : مَنْ يُجَهِّزُ جَيْشَ الْعُسْرَةِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ؟ فَجَهَّزْتُهُمْ حَتَّى مَا يَفْقِدُونَ عِقَالًا وَلَا خِطَامًا قَالُوا : نَعَمْ قَالَ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ اللَّهُمَّ اشْهَدْ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ^(١) ، فهنيئاً لك يا ذا النورين ومصدق ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ، فهل تعلمنا الإنفاق من ذي النورين؟ واعلم أخي في الله أن مقياس الإنفاق بحسب دوافع النفس وأحاسيسها لا بكثرة المال وتعداده ، والدليل ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ - أي في الأجر والثواب -» قَالُوا : وَكَيْفَ؟ قَالَ : «كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا ، وَأَنْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عَرْضٍ مَالِهِ فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا - لَأَنَّ صَاحِبَ الدَّرَاهِمِينَ تَصَدَّقَ بِنِصْفِ مَالِهِ ، أَمَّا الْغَنِيُّ فَلَوْ كَانَ يَمْلِكُ مِليونَ دِرْهَمٍ وَتَصَدَّقَ بِمِائَةِ أَلْفٍ يَكُونُ مَا تَصَدَّقَ بِهِ عَشْرَ مَالِهِ -» ^(٢) .

بيعة الرضوان:

جاء في (الرحيق المختوم) لفضيلة الشيخ صفي الرحمن المباركفوري : أنه في ذي القعدة في السنة السادسة من الهجرة تحرك المسلمون مع رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة المكرمة لأداء عمرة الحديبية ، فلقد نزل المسلمون بالحديبية على حدود مكة لعمل مباحثات مع كفار قريش ليسمحوا لهم بدخول مكة لقضاء

(١) (صحيح) أخرجه (ن) ٣٦٠٦ وصححه الألباني .

(٢) (حسن) أخرجه (ن ح ب ك) وحسنه الألباني في ص . ٣٦٠٦ .

العمرة ثم الرجوع مرة ثانية للمدينة ، وحينئذٍ أراد رسول الله ﷺ أن يبعث سفيراً يؤكد لدى قريش موقفه وهدفه من هذا السفر ، فدعا عمر بن الخطاب ليرسله إليهم ، فاعتذر قائلاً: يا رسول الله ، ليس لي أحد بمكة من بني عدي بن كعب يغضب لي إن أوديت ، فأرسل عثمان بن عفان ، فإن عشيرته بها ، وإنه مبلغ ما أردت ، فدعاه ، وأرسله إلى قريش ، وقال: أخبرهم أننا لم نأت لقتال ، وإنما جئنا عمّاراً ، وادعهم إلى الإسلام ، وأمره أن يأتي رجالاً بمكة مؤمنين ، ونساء مؤمنات ، فيشرهم بالفتح ، ويخبرهم أن الله ﷻ مظهر دينه بمكة ، حتى لا يستخفي فيها أحد بالإيمان . فانطلق عثمان حتى مر على قريش يبلّذح ، فقالوا: أين تريد؟ فقال: بعثني رسول الله ﷺ بكذا وكذا ، قالوا: قد سمعنا ما تقول ، فانفذ لحاجتك ، وقام إليه أبان ابن سعيد بن العاص ، فرحب به ثم أسرج فرسه ، فحمل عثمان على الفرس ، وأجاره وأردفه حتى جاء مكة ، وبلغ الرسالة إلى زعماء قريش ، فلما فرغ عرضوا عليه أن يطوف بالبيت ، فرفض هذا العرض ، وأبى أن يطوف حتى يطوف رسول الله ﷺ .

واحتبسته قريش عندها - ولعلمهم أرادوا أن يتشاوروا فيما بينهم ، ثم يردوا عثمان بجواب ما جاء به من الرسالة - وطال الاحتباس ، فشاع بين المسلمين أن عثمان قتل ، فقال رسول الله ﷺ لما بلغته الإشاعة: «لا نبرح حتى نناجز القوم»، ثم دعا أصحابه إلى البيعة ، فثاروا إليه يبايعونه على ألا يفروا ، وبايعته جماعة على الموت ، وأول من بايعه أبو سنان الأسدي ، وبايعه سلمة بن الأكوع على الموت ثلاث مرات ، في أول الناس ووسطهم وآخرهم ، وأخذ رسول الله ﷺ بيد نفسه وقال: «هذه عن عثمان»، ولما تمت البيعة جاء عثمان فبايعه ، ولم يتخلف عن هذه البيعة إلا رجل من المنافقين يقال له: جدّ بن قيس ، أخذ رسول الله ﷺ هذه البيعة تحت شجرة ، وكان عمر آخذاً بيده ، ومَعْقِل بن يسار آخذاً بغصن الشجرة يرفعه عن رسول الله ﷺ ، وهذه هي بيعة الرضوان التي أنزل الله فيها: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (١٨) [الفتح: ١٨] (١٩) فيا لها من بشرى عظيمة من الله تعالى لمن بايع تحت الشجرة ، وبشرى من رسول الله ﷺ لذي النورين وإن لم يحضر .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

اللقاء الإيمانى الثانى عشر :

(ينبغى عدم اليأس ولا التهويل ولا التهوين من الواقع)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتى في الله ، إن اليأس من إصلاح الناس ، أو من تمكين هذا الدين ، غالباً ما يكون سببه أن الإنسان يتطلب الكمال المطلق ، ولا يقدر المكاسب الجزئية ، فيقع نتيجةً لذلك في القنوط ويستئس ويدع العمل ، و من أسباب اليأس : سوء فهم الأدلة الشرعية ، فبعضهم يطبقون الأدلة الشرعية الواردة تطبيقاً غير صحيح ، فمثلاً الأدلة الواردة في فساد الزمان ، يطبقونها على حالهم ، ويستنتجون أنه لن يتغير هذا الواقع ، وتركوا الأدلة الشرعية التي تدل على أن التمكين للإسلام قادم ، وكذلك قد يفهم النصوص الواردة في ذم بعض المعاصي أنها تسبب له اليأس من قبول التوبة ، وينسى النصوص الأخرى الواردة في قبول التوبة ، حتى ممن فعل المعاصي والجرائم والموبقات ، حتى الشرك بالله تعالى إذا تاب العبد منه تاب الله تعالى عليه .

ومن أسباب اليأس أيضاً : سوء فهم الواقع أحياناً ، فإن البعض إذا رأى هذا الواقع وتمكين الشرك وأهله والكفر واليهود والنصارى ، أصابه من جراء ذلك قنوط ، والواقع مليء بالمبشرات التي تدل أيضاً على أن نصر الله تعالى قريبٌ كما وعد الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤] فينبغى أن ندرك أن وعد الله تعالى للمؤمنين بالنصر والتمكين حاصلٌ لا محالة ، وأن المبشرات بحمد الله تعالى كثيرة لمن تأمل الواقع العالمي اليوم . واليأس داءٌ قاتلٌ بلا شك ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧] وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦] .

أيها الأخوة في الله : أحياناً قد يُبالغ في تضخيم المشكلة حتى كأنه لا حل لها ، وبناءً عليه لا داعي أن نعمل لأن هذه المشكلة فوق الحل ، أو يُبالغ في تهوينها حتى كأنها لا تحتاج إلى حل ولا إلى علاج لأنها هينة سهلة ، لا يريد أن يعمل ، فإما أن

يكون الواقع أسود بحيث لا أستطيع أن أصلحه ، وإما أن يكون الواقع مشرفاً بحيث لا يحتاج مني إلى جهد ، والمقصود أنني أتهرب من الإصلاح .

وأحياناً يضخم العقبات الموجودة ويبالغ فيها ، حتى يتصور أنه لا يستطيع أن يقتحمها ولا أن يتجاوزها ، ولا أن يعمل في ظل وجودها .

وبعض الناس يقول: العمل الذي يتم فيه التغيير لا أملكه أنا ، أما ما أملكه فهو لا يفيد شيئاً ، إذاً هذا العمل يساوي أنني سوف أقعد وأستئس وأدع العمل .

فينبغي للمؤمن ألا ينجر إلى مثل ذلك ، فليس هناك مشكلة إلا ولها حلٌ بإذن الله تعالى ، لكن علينا أن نبحث عن المفاتيح ونتدرج ونعمل الأسباب ونبذل المستطاع ، ونستعين بالله تعالى ، والله تعالى يقول: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ** ﴾ [النحل: ١٢٨] (٤٩) .

على درب التوحيد (من تبرك بالشجر أو الحجر ونحوهما فقد أشرك)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً علي مرضاته ، وسيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنْجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

أخرج الترمذي في السنن عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلَّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ « **سُبْحَانَ اللَّهِ! هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبَنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ** »^(١) .

معاشر الإخوة ، إن الشرك الذي كان فيه المشركون لم يكن راجعاً إلى التبرك بذات الأنواط فقط ، وإنما كان بالتعظيم والعكوف والتبرك بالتعليق ، وهذا شرك أكبر ، وهذا الذي كان يصنعه أهل الجاهلية ، والنصوص في الكتاب والسنة دلت على أن البركة التي أعطاه الله جل وعلا بالأشياء: إما تكون أمكنة أو أزمدة ، أو مخلوقات آدمية .

(١) (صحيح) أخرجه (ت) وصححه الألباني في ص ٣٦٠١ .

أما الأمكنة والأزمنة: فالله عَزَّوَجَلَّ بَارَكَ بعض الأماكن كبيت الله الحرام ، وكذا حول بيت المقدس ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١] ، ومعنى أنها المباركة أن يكون فيها الخير الكثير اللازم الدائم لها ، ليكون ذلك أشجع في أن يلازمها أهلها الذين دُعوا إليها ، وهذا لا يعني أن يُتمسح بأرضها ، أو أن يُتمسح بحيطانها ، فبيت الله الحرام هو مبارك لا من جهة ذاته ؛ يعني أن يُتمسح به فتنتقل البركة ، وإنما هو مبارك من جهة تعلق القلوب به وكثرة الخير الذي يكون لمن أراده وأتاه وطاف به وتعبد عنده .

حتى الحجر الأسود هو حجر مبارك ، ولكن بركته لأجل العبادة ؛ يعني أنه من استلمه تعبدًا مطيعًا للنبي ﷺ في استلامه له وفي تقبيله فإنه يناله به بركة الاتباع ، وَقَدْ قِيلَ عُمَرُ الْحَجَرِ وَقَالَ: إِنِّي لَأَقْبِلُكَ وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ وَلَكِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْبِلُكَ^(١) .

وأما الأزمنة: فمعنى كون الزمان مباركا مثل شهر رمضان أو بعض أيام الله الفاضلة ؛ يعني أن من تعبد فيها فإنه يناله من كثرة الثواب ما لا يناله في ذلك الزمان .

والقسم الثاني البركة المنوطة ببني آدم: والبركة التي جعلها الله جل وعلا في الناس إنما هي بركة فيمن آمن ؛ لأن البركة من الله جل وعلا ، وجعل بركته للمؤمنين به ، وسادة المؤمنين هم الأنبياء والرسل ، والأنبياء والرسل بركتهم بركة ذاتية ؛ يعني أن أجسامهم مباركة ؛ بمعنى أنه لو تبرك أحد من أقوامهم بأجسادهم إما بالتمسح بها أو بأخذ عرقها أو بأخذ بعض الشعر فهذا جائز ؛ لأن الله جعل أجسادهم مباركة .

وهذا مخصوص بالأنبياء والرسل ، أما غيرهم فلم يرد دليل أن لهم بركة ذاتية ، حتى أفضل هذه الأمة أبو بكر وعمر فقد جاء بالتواتر القطعي أن الصحابة والتابعين والمخضرمين لم يكونوا يتبركون بأبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ بجنس تبركهم بالنبي ﷺ وإنما هي بركة عمل راجعة إلى الإيمان وإلى العلم والدعوة والعمل . فنقول: إن التبرك بأهل الصلاح هو الاقتداء بهم في صلاحهم ؛ والتبرك بأهل العلم هو الأخذ من علمهم والاستفادة من علومهم ، وهكذا ، ولا يجوز أن

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ١٥٢٨ ، و(م) ١٢٧٠ واللفظ لمسلم .

يُتبرك بهم بمعنى يتمسح بهم أو يُتبرك بريقهم وغير ذلك .

أما التبرك الشرقي فتبرك المشركين بالتوجه إلى آلهتهم ، وهذه الآلهة قد تكون صنماً من الحجارة أو قبراً من التراب أو وثناً أو بقعة أرض أو غاراً أو عين ماء ونحو ذلك ، وهذه تبركات شركية والتبرك بالشجر أو الحجر أو بالقبر أو ببقاع مختلفة فيكون شركاً أكبر: إذا تمسح بها واعتقد أنها تتوسط له عند الله ، وإذا تأملت ما يصنعه عباد القبور والخرافيون في الأزمنة المتأخرة وفي زماننا هذا ، وجدت أنهم يصنعون كما كان المشركون الأولون فإنهم يعتقدون في القبر ؛ بل يعتقدون في الحديد الذي يُسبَّح به القبر ، فالمشاهد المختلفة في البلاد التي يفشو فيها الشرك أو يظهر فيها الشرك ، تجد أنّ الناس يعتقدون في الحائط الذي على القبر ، أو في الشباك الحديدي الذي يحيط بالقبر ، فإذا مسحوا به كأنهم تمسحوا بالقبور ، وظنوا بأنه سيتوسط لهم عند الله وهذا شرك أكبر ، أيضاً ترى بعض الناس الجهلة يأتي في الحرم ويتمسح بأبواب الحرم الخارجية ، أو ببعض الجدران والأعمدة ، فهذا إن ظن أنه تمسح لأجل أن يصل إلى الله جل وعلا فهذا شرك أكبر ، وإذا تمسح باعتقاد أن هذا المقام مبارك وأن هذا سبب قد يشفيه فهذا يكون شركاً أصغر (٣٤) .

مشاهد من الدار الآخرة (النفخ في الصور)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

قال تعالى: ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (٦٨) [الزمر: ٦٨] .

عباد الله ، قال الحافظ بن كثير: هذه النفخة هي الثانية وهي نفخة الصعق وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض إلا من شاء الله كما جاء مصرحاً به مفسراً في حديث الصور المشهور ثم يقبض أرواح الباقيين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت وينفرد الحي القيوم الذي كان أولاً وهو الباقي آخر بالديمومة والبقاء ويقول ﴿لَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ ثلاث مرات ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ أنا الذي كنت وحدي وقد قهرت كل شيء وحكمت

بالفناء على كل شيء ، ثم يُحيي أول من يُحيي إسرئيل ويأمره أن ينفخ بالصور مرة أخرى وهي النفخة الثالثة نفخة البعث قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ نَفْخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ أي أحياء بعدما كانوا عظاما ورفاتا صاروا أحياء ينظرون إلى أهوال يوم القيامة ، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦)﴾ [غافر: ١٦] .

أي يوم القيامة تظهر الخلائق أمام ربهم ، لا يخفى على الله منهم ولا من أعمالهم التي عملوها في الدنيا شيء ، يقول الله سبحانه: لمن الملك والتصرف في هذا اليوم؟ فيجيب نفسه: الله المتفرد بأسمائه وصفاته وأفعاله ، القهار الذي قهر جميع الخلائق بقدرته وعزته .

أخرج الشيخان عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا : «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ أَبَيْتُ قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ قَالَ: «ثُمَّ يَنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنْبِ - أي أصل الذنب وهو عظم لطيف في أصل الصلب وهو رأس العصعص - وَمِنْهُ يُرْكَبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أي يجعله الله تعالى سببا ظاهرا لإنشاء الخلق مرة أخرى والله تعالى أعلم بحكمة ذلك -» (١) .

أخي الحبيب ، المراد بين النفختين نفخة الصعق ، ونفخة الفزع الأولى ، وقد يكون المراد ما بين نفخة الصعق ونفخة القيام للبعث والنشور والله أعلم والصور غيب وكل ما نعلمه أنه بوق ينفخ فيه ، والدليل ما جاء عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: جَاءَ أَغْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَا الصُّورُ؟ قَالَ: «قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ» (٢) .

ثالث الخلفاء الراشدين (عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ <٢>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٦٥١ ، و(م) ٢٩٥٥ .

(٢) (صحيح) أخرجه (حم د ت ك) وصححه الألباني في ص ج ٣٨٦٣ .

أيها الأحبة في الله ، ما زلنا ننهل من السيرة العطرة للخليفة الراشد عثمان ابن عفان رضي الله عنه فهيا بنا .

تبشير رسول الله ﷺ لعثمان رضي الله عنه بالجنة:

أخرج الشيخان في صحيحيهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أنه توضأ في بيته ثم خرج ، فقلت: لألزمَن رسول الله ﷺ ولأكوننَّ معه يومئ هذا ، قال: فجاء المسجد فسأل عن النبي ﷺ فقالوا: خرج ووجهه ها هنا ، فخرجتُ على إثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس ، فجلستُ عند الباب وبأبها من جريد حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته ، فتوضأ فقمْتُ إليه فإذا هو جالسٌ على بئر أريس وتوسط قفها وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر ، فسلمتُ عليه ثم أنصرفتُ فجلستُ عند الباب ، فقلت: لأكوننَّ بواب رسول الله اليوم ، ... فجاء إنسانٌ يحرك الباب فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان ، فقلت: على رسلك ، فجئتُ إلى رسول الله ﷺ فأخبرته ، فقال: «أئذنْ له وبشره بالجنة على بلوى تُصيبه - أي بلية وهي التي صار بها شهيد الدار عندما داهمه الثوار الأثمون -» فجئته فقلتُ له: ادخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة ، على بلوى تُصيبك ^(١) .

حياء عثمان بن عفان رضي الله عنه:

أخرج مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذه أو ساقه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث ، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث ، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه ، فدخل فتحدث فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له - أي تبسط وجهك له - ولم تُباله - أي تكثر به - ، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تُباله ، ثم دخل عثمان فجلستُ وسويتُ ثيابك؟ فقال: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة» ^(٢) .

فهلا تعلمنا الحياء من ذي النورين ، فالحياء خلق الإسلام لقول رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ» ^(٣) ، وإذا استحکم خلق الحياء في

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٤٧١ ، و(م) ٢٤٠٣ .

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢٤٠١ .

(٣) (حسن) أخرجه (هـ) وحسنه الألباني في ص ج ٢١٤٩ .

نفس المسلم، صده عن كل قبيح وقاده إلى كل أمر حسن طيب، والحياء لا يأتي إلا بخير، أما إذا ضعف هذا الخلق فلن يحل محله إلا السفه والوقاحة والفحش، ويجد الإنسان نفسه أمام أبواب مفتوحة من السوء والمنكر فينزلق إليها.

عبادة وخوف وورع عثمان بن عفان رضي الله عنه:

جاء في سنن الترمذي وابن ماجة والمستدرک للحاكم عن هانئ مولى عثمان رضي الله عنه قال: كَانَ عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرِ يَبْكِي حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتُهُ . فَقِيلَ لَهُ: تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَلَا تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ - أَيَّ فِي الدُّنْيَا - إِلَّا وَالْقَبْرُ أَظْفَعُ مِنْهُ» (١).

قال فضيلة الدكتور الصلابي وهذا من فقه القдом على الله الذي استوعبه عثمان وعاش به في حياته، وما أخرجنا إلى هذا الفقه العظيم الذي به تحيا النفوس وتنفجر: أ. هـ، فهلا استحضرنَا الخوف من رب السموات والأرض إذا وقفنا على القبور كما كان الحال بذي النورين لنفوز بالمغفرة والأجر الكبير، مصداقا لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢].

خلافة عثمان بن عفان الراشدة:

استمرت خلافته نحو اثني عشر عاما تم خلالها الكثير من الأعمال نذكر منها: نسخ القرآن الكريم وتوزيعه على الأمصار، توسيع المسجد الحرام، وقد انبسطت الأموال في زمنه حتى بيعت جارية بوزنها، وفرس بمائة ألف، ونخلة بألف درهم، وحج بالناس عشر حجج متوالية، وفتح الله في أيام خلافة عثمان رضي الله عنه الإسكندرية ثم سابر ثم إفريقية ثم قبرص، ثم إصطخر الآخرة وفارس الأولى، ثم خو وفارس الآخرة ثم طبرستان ودرجورد وكرمان وسجستان ثم الأساورة في البحر ثم ساحل الأردن، وقد أنشأ أول أسطول إسلامي لحماية الشواطئ الإسلامية من هجمات البيزنطيين.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (حسن) أخرجه (ت هـ ك) وحسنه الألباني في ص. ج. ٥٦٢٣.

اللقاء الإيمانى الثالث عشر:

(وما النصر إلا من عند الله <١>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتى فى الله ، قال الله تبارك وتعالى لعبده وصفيه وخليله محمد ﷺ : ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ كُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزِلِينَ بَلَىٰ إِنَّ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٥] .

سبحان الله! عندما يقترن الصبر والتقوى فى مواجهة الأعداء تغلبهم - بإذن الله تبارك وتعالى - كما قال ﷻ : ﴿ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦) ﴾ [آل عمران: ١٢٥-١٢٦] .

وقال تعالى فى آية الأنفال: ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ١٠] .

إذا فالنصر من عند الله ، مهما تكالب الأعداء ، ومهما كانوا أقوى عدداً أو عدة ، يهبه لمن يشاء ، وما يهبه إلا لعباده المؤمنين إذا اتقوا وآمنوا وصبروا وتحقق فيهم ما أمر الله سبحانه وتعالى ، فالله سبحانه هو الحافظ والناصر .

والعدة والعدد إنما هى وسائل قد أمر الله ﷻ بها فقال: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠] ولا يعنى ذلك أن النصر من عند البشر (٤٨) .

فهلا رجعنا إلى الله تعالى وتمسكنا بكتاب ربنا عز وجل وسنة رسولنا ﷺ وأعدنا ما استطعنا من القوة حتى يرزقنا الله عز وجل النصر على الأعداء .

على درب التوحيد (من الشرك الذبح لغير الله)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .
قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] .

إخوتي في الله ، إن عبادة النسك وهي عبادة الذبح والنحر تكون لله جل وعلا بل إن سائر العبادات ينبغي أن تكون لله جل وعلا .

وهناك أربع أحوال مختلفة في الذبح:

الأولى: أن يذبح بسم الله لله ، وهذا هو التوحيد مثل ما يُذبح من الأضاحي أو يُذبح من الهدي أو عقيقة أو يذبح للأضياف يذبحه المرء تعظيماً لله جل وعلا ، ونحو ذلك مما أمر به شرعاً فهذا لله ، وقد يذبح بسم الله ؛ لكن للحصول على اللحم للأكل أو لغير ذلك فهذا جائز .

الثانية: أن يذبح بسم الله لغير الله ، وهذا شرك في العبادة مثلاً يقول بسم الله وينحر الدم ، وهو ينوي بإزهاق النفس وإبراقة الدم ينوي التقرب لهذا العظيم المدفون ، أو أن يتقرب به للأمرء كما يحدث عند استقبالهم في البادية بذبح الجمال وغيرها في وجوههم فيسيل الدم عند استقبالهم ، فتكون الذبيحة قُصِد بها غير الله جل وعلا وهذه أفتى العلماء بتحريمها ؛ لأن فيها إراقة دم لغير الله جل وعلا فلا يجوز أكلها .

الثالثة: أن يذبح بسم غير الله لغير الله ، وهذا شرك في الاستعانة ، وشرك في العبادة أيضاً فيقول مثلاً باسم البدوي أو باسم السيدة زينب أو غير ذلك ، فهو ينوي حين ذبح أن يريق الدم تقريباً لهذا المخلوق ، فهذا شرك من جهة الاستعانة ومن جهة العبودية والتعظيم وإراقة الدم لغير الله جل وعلا .

الرابعة: أن يذبح بغير بسم الله ويجعل الذبيحة لله وهذا شرك في الربوبية . وهذا نادر ، وربما حصل من أنه يذبح للبدوي ، أو غيره ثم ينوي بهذا أن يتقرب إلى الله جل وعلا ، وهذا شرك في الاستعانة وفي العبادة .

قال الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] .

وأخرج مسلم في صحيحه عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ : «.. لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ..»^(١) وهذا وعيد يدل على أن الذابح لغير الله ملعون ، واللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله (٣٤).

مشاهد من الدار الآخرة (أحوال القيامة وأول من تنشق عنه الأرض)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد ...

قال الله تعالى ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨)﴾ [إبراهيم: ٤٨] .

عباد الله ، في يوم القيامة تُبدَّل هذه الأرض بأرض أخرى بيضاء نقية كالديق الأبيض ليس فيها علامة كبناء أو جبل أو صخرة بارزة أو غيره من العلامات التي يستدل بها الناس في الطرقات ، وكذلك تُبدَّل السموات بغيرها ، وتخرج الخلائق من قبورها للقاء الله الواحد القهار .

وأخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ» قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ: لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ^(٢) .

وأخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لَا تُخَيَّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى أَخَذُ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيْمَنْ صَعِقَ أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الْأَوَّلَى»^(٣) .

وجاء في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مُحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاءَ عُرَاءَ غُرْلًا» ثُمَّ قَالَ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٩٧٨ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٦١٥٦ ، و(م) ٢٧٩٠ واللفظ للبخاري .

(٣) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٢٨١ .

السَّمَاءِ كَطَيِّ السَّجَلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ [الأنبياء: ١٠٤] ثُمَّ قَالَ: «أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ» (١).

ثالث الخلفاء الراشدين (عثمان بن عفان رضي الله عنه <٣>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .
أيها الأحبة في الله ، ما زلنا ننهل من السيرة العطرة للخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه فهي بنا .

إقامة عثمان بن عفان رضي الله عنه الحد على أخيه من أمه:

أخرج مسلم في صحيحه عن حُصَيْنِ بْنِ الْمُثَنِّدِ أَبُو سَاسَانَ قَالَ: شَهِدْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ وَأَتَى بِالْوَلِيدِ قَدْ صَلَّى الصُّبْحَ رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ: أَزِيدُكُمْ - أَيَّ أَنْ الْوَلِيدَ بْنِ عَقْبَةَ ابْنَ مَعِيْطٍ كَانَ وَالِيَا عَلَيْهَا وَكَانَ شَارِبًا لِلْخَمْرِ سَيِّئُ السَّيْرِ - ؟ فَشَهِدَ عَلَيْهِ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا: حُمْرَانُ أَنَّهُ شَرِبَ الْخَمْرَ ، وَشَهِدَ آخَرُ أَنَّهُ رَأَى يَتَقَيُّ ، فَقَالَ عُثْمَانُ: إِنَّهُ لَمْ يَتَقَيَّا حَتَّى شَرَبَهَا ، فَقَالَ: يَا عَلِيُّ قُمْ فَاجْلِدْهُ ، فَقَالَ عَلِيُّ: قُمْ يَا حَسَنُ فَاجْلِدْهُ ، فَقَالَ الْحَسَنُ: وَلَّ حَارَهَا مَنْ تَوَلَّى قَارَهَا - أَيَّ لِيَتَوَلَّى هَذَا الْجِلْدَ عُثْمَانُ بِنَفْسِهِ أَوْ بَعْضُ خَاصَةِ أَقَارِبِهِ الْأَدْنَى - ، فَكَأَنَّهُ وَجَدَ عَلَيْهِ - أَيَّ غَضَبَ عَلَيْهِ - فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ قُمْ فَاجْلِدْهُ فَجَلَدَهُ وَعَلِيٌّ يَبْعُدُ حَتَّى بَلَغَ أَرْبَعِينَ ، فَقَالَ: أَمْسِكْ ثُمَّ قَالَ جَلَدَ النَّبِيُّ ﷺ أَرْبَعِينَ ، وَجَلَدَ أَبُو بَكْرٍ أَرْبَعِينَ وَعُمَرُ ثَمَانِينَ وَكُلُّ سَنَةٍ وَهَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ (٢) . ومن هنا يتضح قوة عثمان رضي الله عنه في الحق ، وأنه لا تأخذه في الله لومة لائم ، فهلا تخلقت ولادة أمور المسلمين بخلق العدل ، فدولة الظلم ساعة ، ودولة العدل إلى قيام الساعة .

الفتنة في أواخر عهده رضي الله عنه:

في أواخر عهده ومع اتساع الفتوحات الإسلامية ووجود عناصر حديثة العهد

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٣٤٦ .

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ١٧٠٧ .

بالإسلام لم تشرب روح النظام والطاعة ، أراد بعض الحاقدين على الإسلام وفي مقدمتهم اليهود إثارة الفتنة للنيل من وحدة المسلمين ودولتهم ، فأخذوا يثيرون الشبهات حول سياسة عثمان رضي الله عنه وحرصوا الناس في مصر والكوفة والبصرة على الثورة ، فانخدع بقولهم بعض من غرر به ، وساروا معهم نحو المدينة لتنفيذ مخططهم ، وقابلوا الخليفة وطالبوه بالتنازل ، فدعاهم إلى الاجتماع بالمسجد مع كبار الصحابة وغيرهم من أهل المدينة ، وفند مفترياتهم وأجاب على أسئلتهم وعفي عنهم ، فرجعوا إلى بلادهم لكنهم أضمرُوا شراً وتواعدوا على الحضور ثانية إلى المدينة لتنفيذ مؤامراتهم التي زينها لهم عبد الله بن سبأ اليهودي الأصل والذي تظاهر بالإسلام .

دفع الشبهات عن عثمان رضي الله عنه :

أخرج البخاري في صحيحه عن ابن مَوْهَبٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ حَجَّ الْبَيْتَ فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ؟ فَقَالُوا: هَؤُلَاءِ قُرَيْشٌ، قَالَ: فَمَنْ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟ قَالُوا: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ فَحَدَّثْتَنِي؟ هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ وَلَمْ يَشْهَدْ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ: ابْنُ عُمَرَ تَعَالَى أَبُيْنُ لَكَ، أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ فَاشْهَدْ أَنَّ اللَّهَ عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ - أي في جملة من عفا عنهم من المسلمين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥)﴾ [آل عمران: ١٥٥] - ، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمُهُ ، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ ، فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِطَنٍ مَكَّةَ مِنْ عُمَانَ - أي أكثر عشيرة ومنعة - لَبِعَثَهُ مَكَانَهُ ، فَبِعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُمَانَ وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُمَانُ إِلَى مَكَّةَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : بِيَدِهِ الْيُمْنَى «هَذِهِ يَدُ عُمَانَ فَضَرْبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ فَقَالَ: هَذِهِ لِعُمَانَ» فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: أَذْهَبَ بِهَا الْآنَ مَعَكَ - أي اقرن هذا الجواب بما كان عندك وحدث من شئت بذلك - (١).

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٤٩٥ .

عتاب عثمان رضي الله عنه للصحابه أثناء حصاره:

أخرج أبو داود في سننه وغيره عن أبي أمامة بن سهل قال: كُنَّا مَعَ عَثْمَانَ وَهُوَ مَحْصُورٌ فِي الدَّارِ وَكَانَ فِي الدَّارِ مَدْخَلٌ مِّنْ دَخَلِهِ سَمِعَ كَلَامَ مَنْ عَلَى الْبَلَاطِ ، فَدَخَلَهُ عَثْمَانُ فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَهُوَ مُتَغَيِّرٌ لَوْنُهُ فَقَالَ: إِنَّهُمْ لَيَتَوَاعَدُونَنِي بِالْقَتْلِ أَنْفًا ، قَالَ: قُلْنَا: يَكْفِيكَهُمْ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ وَلَمْ يَقْتُلُونَنِي؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُّسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: كُفْرٌ بَعْدَ إِسْلَامٍ، أَوْ زِنًا بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ قَتْلُ نَفْسٍ بَغَيْرِ نَفْسٍ ، فَوَاللَّهِ مَا زَنَيْتُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا فِي إِسْلَامٍ قَطُّ ، وَلَا أَحْبَبْتُ أَنْ لِي بِدِينِي بَدَلًا مِّنْهُ هَدَانِي اللَّهُ ، وَلَا قَتَلْتُ نَفْسًا فِيْمَ يَقْتُلُونَنِي؟ ^(١) .

استشهاده رضي الله عنه:

جاء في (البداية والنهاية) للحافظ بن كثير رحمه الله تعالى: ذكر ابن جرير أن عثمان رضي الله عنه لما رأى ما فعل هؤلاء الخوارج من أهل الأمصار من محاصرته في داره ومنعه الخروج إلى المسجد ، كتب إلى معاوية بالشام وإلى ابن عامر بالبصرة وإلى أهل الكوفة يستنجدهم في بعث جيش يطردون هؤلاء من المدينة ، فبعث معاوية مسلمة بن ابن حبيب ، وانتدب يزيد بن أسد القشيري في جيش ، وبعث أهل الكوفة جيشا وأهل البصرة جيشا ، فلما سمع أولئك بخروج الجيوش إليهم صمموا في الحصار ، فما اقترب الجيوش إلى المدينة حتى جاءهم قتل عثمان رضي الله عنه ، وذكر ابن جرير أن عثمان استدعى الأشتر النخعي . . فقال له عثمان: يا أشتر ماذا يريدون؟ فقال: إنهم طلبوا منه أن يعزل نوابه عن الأمصار ويولي عليها من يريدون هم ، وإن لم يعزل نفسه أن يسلم لهم مروان بن الحكم - أي حامل خاتم أمير المؤمنين - فيعاقبوه كما زور على عثمان كتابه إلى مصر - أي هم يدعون أنه أرسل رسالة إلى وإلى مصر مفادها أن يقتل الثوار وعليها خاتم أمير المؤمنين - فخشي عثمان إن سلمه إليهم أن يقتلوه فيكون سببا في قتل امرئ مسلم ، وما فعل من الأمر ما يستحق بسببه القتل ، واعتذر عن الاقتصاص مما قالوا بأنه رجل ضعيف البدن كبير السن ، وأما ما سأله من خلعه نفسه فإنه لا يفعل ولا ينزع قميصا قمصه الله إياه ويترك أمة محمد يعدو بعضها على بعض ويولي السفهاء من الناس من يختاروه هم فيقع

(١) (صحيح) أخرجه (د ن ت هـ) الجارود الطيالسي (حم) وصححه الألباني في إرواء الغليل ٢٥٤/٧ .

المهرج ويفسد الأمر بسبب ذلك ووقع الأمر كما ظنه فسدت الأمة ووقع المهرج ، وقال لهم فيما قال: وأي شيء إلى من الأمر إن كنت كلما كرهتم أميرا عزلته وكلما رضيتم عنه وليته ، وقال لهم فيما قال: والله لئن قتلتموني لا تتحابوا بعدي ولا تصلوا جميعا أبدا ولا تقاتلوا بعدي عدوا جميعا أبدا وقد صدق ﷺ فيما قال (٨) .

أنظر أخي في الله: كيف حرص ذو النورين ﷺ أن لا تراق بسببه قطرة دم وقد كان له ما أراد . واقتحم المتآمرون دار عثمان بن عفان ﷺ من الخلف ، وهجموا عليه وهو يقرأ القرآن وأكبت عليه زوجته نائلة لتحميه بنفسها لكنهم ضربوها بالسيف فقطعت أصابعها ، وتمكنوا منه ﷺ فسال دمه على المصحف ومات شهيدا في صبيحة عيد الأضحى سنة ٣٥هـ ، ودفن بالبقيع ، وكان مقتله بداية الفتنة بين المسلمين إلى يومنا هذا .

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

اللقاء الإيمانى الرابع عشر:

(وما النصر إلا من عند الله <٢>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد . . .

أحبتي في الله، في غزوة بدر أمدَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمُسْلِمِينَ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَسْوْمِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٥-١٢٦]، فلقد أيد الله تعالى المؤمنين بالملائكة، ومن نظر إلى الجيش الذي فيه رسول الله ﷺ والمؤيد بالملائكة، وهم جند الله الذي لا يقهر ولا يغلب، ومع ذلك لم يسمح المؤمنون لأنفسهم وهم يقرءون هذه الآيات أن يعتقدوا أن النصر من عند رسول الله ﷺ أو أن النصر من عند ملائكة الله؛ لأن الله لا يرضى بذلك، ونصت الآيات السابقة على أن النصر من عند الله وحده، وليس من عند رسوله ﷺ وهو أكرم الخلق عليه، ولا من عند ملائكته، وهم الذين يُدَبِّرُ اللَّهُ بِهِمْ هَذَا الْوُجُودَ، كما قال تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢)﴾ [الصافات: ١-٢] فالملائكة تصف في عبادتها صفاً وتزجر السحاب وتسوقه بأمر الله، قال: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥]، وهي المنفذات أمر ربها فيما أوكل إليها تدبيره من شؤون الكون، وهذه الصفات ذكرت الملائكة التي يدبر الله تعالى بهم ملكه وأمره، وهم كما قال الله تبارك وتعالى فيهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، فهؤلاء هم العباد المكرمون الذين يشفعون عند الله -تبارك وتعالى- لقيمتهم ولمنزلتهم، ولكن لا يشفعون إلا لمن ارتضى، ومع ذلك لا يرضى الله -تبارك وتعالى- أن ينسب النصر إليهم، وكذلك نصر الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ على جيش الأحزاب الذي أحاط بالمدينة النبوية إحاطة السوار بالمعصم، وسلط على هذا الجيش ريح الصبا، فهذا من جند الله ﷻ.

ومن جنود الله تبارك وتعالى الماء، وقد أغرق به قوم نوح الأمة العظيمة الأولى، أول أمة خالفت أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكذبت أول رسله فعذبها الله

تعالى بالماء والطوفان ، وأغرقهم الله تَعَالَى به ، فأمر السماء أن تأتيهم بالمطر ، قال تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر: ١٢] (٤٨) .

على درب التوحيد (من وسائل الشرك الذبح في مكان يُذبح فيه لغير الله)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنَجِّياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد ..

أخي الحبيب ، لقد أمرنا رسول الله ﷺ ألا يذبح المسلم الموحّد لله في مكان يذبح فيه لغير الله ، مثلاً عند قبر أو عند مشهد أو عند مكان اعتاد المشركون بالذبح فيه لصنم أو وثن أو قبر ؛ فالذبح لله وحده بإخلاص في المكان الذي يتقرب فيه لغير الله لا يحلّ ولا يجوز ؛ بل هو من وسائل الشرك ومما يغري بتعظيم ذلك المكان ، وحكمه أنه محرم ووسيلة من وسائل الشرك .

وقد يتبادر إلى الأذهان مسألة وهو أن عمره ﷺ صلى في كنيسة بيت المقدس ونتساءل: أليست صلاته مشابهة للصلاة في مسجد الضرار أو للذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله؟ ، والجواب على ذلك هو أن صورة الذبح من الموحّد ومن الشرك واحدة ولهذا لا يميز بين هذا وهذا ، كذلك صلاة النبي ﷺ لو صلى والصحابة في مسجد الضرار صلاتهم مشابهة من حيث الصورة لصلاة المنافقين رجع الاختلاف إلى اختلاف ما في القلب ، ومقاصد القلوب لا تُشرح للناس ولهذا تقع المفسدة ولا تحصل المصلحة ، وأما الصلاة في الكنيسة فإن صورة الفعل مختلفة ؛ لأن صلاة النصارى ليست على هيئة وصورة صلاة المسلمين ، فيعلم من رأى المسلم يصلي أنه لا يصلي صلاة النصارى فهذا الفرق بين المسألتين .

وأخرج أبو داود في سننه عن ثابت بن الضحّاك ﷺ ، قال: نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُؤَانَةٍ ، فسأل النبي ﷺ فقال: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثْنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» قالوا: لا . قال: «فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيْدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟» قالوا: لا . قال رسول الله ﷺ : «أَوْفِ بِنَذْرِكَ فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ»^(١) .

(١) (صحيح) أخرجه (د) وصححه الألباني في ص . ج ٢٥٥١ .

فالعيد قد يكون مكانيا بأنه اسم للمكان الذي يُعتاد المجيء إليه ويرجع إليه في وقت معتاد ، ويحتمل أيضا أن يكون عيدا زمانيا (٣٤) .

مشاهد من الدار الآخرة (أحوال الناس يوم القيامة <١>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أخرج الشيخان واللفظ للبخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تُحْشَرُونَ حُفَاةً - بلا خف ولا نعل - عُرَاةً غُرْلًا - أي غير مختونين -» قَالَتْ: عَائِشَةُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ فَقَالَ: «الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهَمَّهُمْ ذَلِكَ - أي أن ينظر بعضهم إلى عورة بعض -»^(١).

عباد الله ، يحشر المعرضون عن الحق والهدى في صورة مزعجة مذلة ، يحشرون على وجوههم عميا وبكما وصما محرومين من جوارهم التي تهديهم في هذا الزحام وهذا مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا (٩٨)﴾ [الإسراء: ٩٧-٩٨] .

وجاء في صحيح البخاري عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَىٰ وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ! قَالَ: «الْيَسَّ الَّذِي أَمَشَاهُ عَلَى الرَّجُلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمَشِّيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قَالَ قَتَادَةُ: بَلَى وَعِزَّةَ رَبِّنَا^(٢).

رابع الخلفاء الراشدين (على بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ <١>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . . .

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٦١٦٢ ، و(م) ٢٨٥٩ واللفظ للبخاري .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٦١٥٨ .

أيها الأحبة في الله ، نحن اليوم على موعد مع الخليفة الراشد علي بن أبي طالب عليه السلام وهو أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ، وأمه: فاطمة بنت أسد بن هاشم ، أسلمت وهاجرت ، ويكنى أبا الحسن وأبا التراب ، - أسلم صغيرا واختلف في عمره آنذاك - ، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وآله خلفه في أهله ، وكان غزير العلم ، وكان له من الولد أربعة عشر ذكرا وتسع عشرة أنثى: الحسن والحسين وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى: أمهم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، وآخرون (٢٨) .

قصة إسلام علي بن أبي طالب عليه السلام:

وعن أبي الحجاج مجاهد بن جبر قال: كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب عليه السلام ، ومما أراد الله به أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للعباس عم النبي صلى الله عليه وآله : يا عباس ، إن أحاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا إليه فلنخفف من عياله فأخذ من بنيه رجلا وتأخذ رجلا فنكفيهما عنه . فقال العباس: نعم . فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه . فقال لهم أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما . وفي رواية: إذا تركتما لي عقيلا وطالبا فاصنعا ما شئتما فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله عليا فضمه إليه ، فلم يزل علي مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتى بعثه الله نبيا فتابعه علي وآمن به وصدقه ، ولم يزل جعفر عند العباس (٢٠) .

جهاده عليه السلام يوم بدر:

أخرج أبو داود في سننهما عن علي عليه السلام قال: تَقَدَّمَ يَعْنِي عُبَيْدُ بْنُ رِيعَةَ وَتَبِعَهُ ابْنُهُ وَأَخُوهُ فَنَادَى مَنْ يَبَارِزُ فَاَنْتَدَبَ لَهُ شَبَابٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لَنَا فِيكُمْ إِنَّمَا أَرَدْنَا بَنِي عَمَّنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله : «قُمْ يَا حَمْزَةُ، قُمْ يَا عَلِيٌّ، قُمْ يَا عُبَيْدَةَ بْنُ الْحَارِثِ» ، فَأَقْبَلَ حَمْزَةُ إِلَى عُبَيْدَةَ ، وَأَقْبَلْتُ إِلَى شَيْبَةَ ، وَاخْتَلَفَ بَيْنَ عُبَيْدَةَ وَالْوَلِيدِ ضَرْبَتَانِ فَاتَّخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ثُمَّ مِلْنَا عَلَى الْوَلِيدِ فَقَتَلْنَاهُ وَاحْتَمَلْنَا عُبَيْدَةَ ^(١) ، وَعَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْثُو - أي يقعد على ركبتيه مخاصما لأنه من أوائل المجاهدين من هذه الأمة -

(١) (صحيح) أخرجه (د) وصححه الألباني في ص د ٢٣٢١ .

بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ لِلْخُسُوفَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَالَ قَيْسُ بْنُ عُبَادٍ: وَفِيهِمْ أَنْزَلْتُ ﴿هَذَانِ حَصْمَانِ اخْتَصِمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩] ، قَالَ: هُمُ الَّذِينَ تَبَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ حَمْرَةً وَعَلَيَّ وَعَبِيدَةُ أَوْ أَبُو عَبِيدَةَ بْنُ الْحَارِثِ وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَعَتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدُ بْنُ عَتْبَةَ ^(١) . وهذه من مناقب أبي الحسن على بن أبي طالب عليه السلام .

جهاده عليه السلام يوم الخندق:

جاء في (البداية والنهاية) للحافظ بن كثير عن ابن اسحاق قال خرج عمرو بن عبد ود وهو مقنع بالحديد فنادى من يبارز؟ فقام علي عليه السلام فقال: أنا لها يا نبي الله ، فقال: إنه عمرو اجلس ، ثم نادى عمرو ألا رجل يبرز فجعل يؤنبهم ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟ أفلا تبرزون إليّ رجلا ، فقام علي فقال: أنا يا رسول الله فقال: اجلس ثم نادى الثالثة . . قال: فقام علي عليه السلام ، فقال: يا رسول الله أنا ، فقال انه عمرو فقال: وإن كان عمرا ، فأذن له رسول الله ﷺ فمشى إليه حتى أتى . فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي قال: ابن عبد مناف قال: أنا علي بن أبي طالب ، فقال: يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك؟ فاني أكره أن أهريق دمك ، فقال له علي: لكني والله لا أكره أن أهريق دمك ، فغضب فنزل وسل سيفه كأنه شعلة نار ، ثم أقبل نحو علي مغضبا واستقبله علي بدركته - أي بخوزته - فضربه عمرو في دركته ففقدها - أي قسمها - وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشججه ، وضربه علي على حبل عاتقه ، فسقط وثار العجاج ، وسمع رسول الله ﷺ التكبير فعرفنا أن عليا قد قتله . قال: ثم أقبل علي نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل فقال له عمر بن الخطاب: هلا استلبت درعه فإنه ليس للعرب درع خير منها ، فقال: ضربته فاتقاني بسوءته فاستحييت ابن عمي أن أسلبه ، قال: وخرجت خيولهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق . وذكر ابن اسحاق أن عليا طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مراقه فمات في الخندق وبعث المشركون إلى رسول الله ﷺ يشترون جيفته بعشرة آلاف ، فقال: هو لكم ؛ لا نأكل ثمن الموتى (٨) . ولقد حدث هذا والمسلمون في ضنك من العيش ، ومع ذلك فالحلال حلال والحرام حرام ، إنها مقاييس الإسلام في الحلال والحرام ، فأين هذا

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٧٤٧ .

من بعض المسلمين الذين يحاولون إيجاد المبررات لأكل الربا وما شابهه؟ (٥٠).

جهاده ﷺ يوم خيبر:

أخرج الشيخان في صحيحيهما عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ عَدَا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» فَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَى فَعَدَّوْا كُلُّهُمْ يَرْجُوهُ، فَقَالَ: أَتَيْنَ عَلِيًّا؟ فَقِيلَ: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ كَأَن لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ فَقَالَ: أَقَاتِلْهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «انْفِذْ عَلَيَّ رَسُولَكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَآخِرُهُمْ بِمَا يُحِبُّ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ - أَيِ الْإِبِلِ الْحَمْر -»^(١)، يقول الدكتور على الصلابي: إنها فضيلة عظيمة لأمير المؤمنين على ﷺ: حيث شهد له النبي ﷺ بالحب، وقال ابن حجر في معنى أن عليًّا يحب الله ورسوله: أراد بذلك وجوب المحبة، وإلا فكل مسلم يشترك مع عليٍّ في مطلق هذه الصفة. وفي هذا الحديث تلميح بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، فكأنه أشار إلى أن عليًّا تام الاتباع لرسول الله ﷺ حتى اتصف بصفة محبة الله له، وكذا بركة رسول الله ﷺ حيث استجاب الله لدعاء رسوله ﷺ فبرئ، كما أنه لا علاقة بين هذا الحديث وإمامة علي ﷺ: ذهب الروافض إلى أن عليًّا عليًّا هو الخليفة بعد النبي ﷺ، واستدلوا بمجموعة من الأحاديث تدل على فضله ولا تدل على إمامته، منها هذا الحديث وزادوا فيه زيادات باطلة لا تصح عند علماء الحديث، كما أنه لا ملازمة بين كونه محبًّا لله ورسوله ومحبوبًا لهما وبين كونه إمامًا بلا فضل أصلاً، على أنه لا يلزم من إثباتهما له نفيهما عن غيره، أخرج الشيخان عن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ» قُلْتُ: مِنْ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «أَبُوهَا» قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «عُمَرُ» فَعَدَّ رَجُلًا^(٢) (٥٠).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٨٤٧، و(م) ٢٤٠٦.

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٤٦٢، و(م) ٢٣٨٤.

اللقاء الإيمانى الخامس عشر:

(إطمئننا المؤمن لنصر الله ﷻ)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحيتي في الله ، المؤمن لا يعرف اليأس ، ولا يفقد الرجاء ؛ إذ هو واثق بربه ، ثم هو واثق بحق نفسه ، ثم واثق بوعد الله له ، إن مرت به محنة اعتبرها دليل حياة وحركة ، فإن الميت الهامد لا يضرب ولا يؤذى ، وإنما يضرب ويُؤذى المتحرك الحي ، المقاوم كالحديد ، يدخل النار فيستفيد ، إذ يذهب خبثه ، ويبقى طيبه .

معاشر المسلمين ، علينا أن نكون بحجم التحديات في صبر وثبات ، الوصول إلى القمة ليس الأهم ، لكن الأهم البقاء فيها ، إن الانحدار إلى القاع ليس هو الكارثة ، لكن الكارثة هي الاعتقاد أنه لا سبيل إلى الخروج من القاع .

إن رسول الله ﷺ حين حصل في أحد ما حصل ؛ شجَّ وجهه ، وكُسرت رباعيته ، وأنخذل عنه من انخذل ، وإذا به يزيل الآثار النفسية من قلوب المؤمنين بنقلهم إلى مواجهة جديدة في حمراء الأسد للاحقة المشركين الذين لو كانوا حقاً منتصرين لما ولوا الأدبار قافلين ، ولقضوا على البقية الباقية من المسلمين ، وهذا يدل على حكمة الرسول ﷺ .

و أبو بكر رضي الله عنه يأتي من بعده وقد تربى على سنته ، بعد أن كادت نواة الإسلام تضيع في طوفان الردة ، فإذا به ينقل الأمة نقلة فذة من واقع إلى واقع ، في تأب على اليأس ، وترفع على الهزيمة .

إن فجر الإسلام قادم بلا منازع ، لكنه لا يتحقق بالمعجزات السحرية ، وإنما هو بالعمل والبذل والدعوة إلى الله من منطلقات صحيحة على منهج أهل السنة والجماعة ، ووعد الله لن يتخلف ، ولكنه لن يتحقق أبداً على أيدي أقوام لا يستحقونه ، ولا يفهمون سنته ، ولا يضحون من أجله (٤٣) .

على درب التوحيد (من الشرك النذر لغير الله ﷻ)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .
إخوتي في الله ، النذر عبادة لله ﷻ ، والله تعالى مدح الذين يوفون بالنذر قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧] .

وهذا يدل على أن الوفاء بالنذر أمر مشروع واجب أو مستحب ، وهو محبوب لله جل وعلا ، وإلا فإن الوفاء بالنذر واجب لأنه إلزام بالطاعة .
وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٢٧٠) [البقرة: ٢٧٠] .

أما النذور الواقعة من عباد القبور تقرباً بها إليهم ليقضوا لهم حوائجهم وليشفعوا لهم كل ذلك شرك في العبادة بلا ريب كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا اللَّهَ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَّائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَّائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَّائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (١٣٦) [الأنعام: ١٣٦] .

قال الشيخ قاسم الحنفى في شرح درر البحار: النذر الذي ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد كأن يكون للإنسان غائب أو مريض أو له حاجة فيقول: يا سيدي فلان إن رد الله غائبي أو عوفي مريضى أو قضيت حاجتي فلك من الذهب كذا أو من الفضة كذا أو من الطعام كذا أو من الماء كذا أو من الشمع والزيت فهذا النذر باطل بالإجماع ؛ لأنه نذر لمخلوق ، والنذر للمخلوق لا يجوز لأنه عبادة ، والعبادة لا تكون لمخلوق ، ولأن المنذور له ميت والميت لا يملك ، ولأنه ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله واعتقاد ذلك كفر ، ولقد ابتلي الناس بهذا لا سيما في مولد البدوي (٣١) .

وجاء في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعُصِيَ اللَّهَ فَلَا يَعُصِهِ» ^(١) .

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٣١٨ .

لذا يجب الوفاء بالنذر الذي فيه طاعة لله ﷻ؛ كأن يقول: الله عليّ أن أصليّ كذا وكذا، فهذا يجب عليه أن يوفي بهذا النذر، وهذا النذر المطلق وهو عبادة محبوبة أو أن يكون نذرا مقيدا فيقول: إن شفى الله مريضى فلله عليّ أن أتصدق بمبلغ كذا وكذا، فهذا يجب عليه أن يوفي بنذره لله جل وعلا وهذا من النذر المكروه. ولعلنا نتساءل لماذا النذر المقيد مكروه؟ فلقد كره النبي ﷺ النذر وسئل عنه فكرهه، والدليل ما أخرجه مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما: «عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ نَهَى عَنْ النَّذْرِ وَقَالَ: «إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ»»^(١) (٣٤).

والخلاصة ما قاله فضيلة الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى في أن أقسام النذر ما يلي:

الأول: هو نذر الطاعة ويجب الوفاء به، لقوله ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ»، وهذا النذر قد يكون مقيد أو مطلق كما سبق توضيحه.

الثاني: ما يحرم الوفاء به، وهو نذر المعصية، لقوله ﷺ: «وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فَلَا يَعْصِهِ»، مثل من ينذر الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله.

الثالث: ما يجري مجرى اليمين، وهو نذر المباح، فيخير بين فعله وكفارة اليمين، مثل لو نذر أن يلبس هذا الثوب، فإن شاء لبسه وإن شاء لم يلبسه، وعليه كفارة يمين، والواجب في كفارة اليمين إطعام عشرة مساكين من غالب قوت البلد، أو كسوتهم مما يعتاد لبسه، فإن عجز عن ذلك وجب صيام ثلاثة أيام.

الرابع: نذر اللجاج والغضب: مثل لو قال شخص: حصل اليوم كذا وكذا، فقال الآخر: لم يحصل، فقال: إن كان حاصلاً، فعليّ لله نذر أن أصوم سنة، فالغرض من هذا النذر التكذيب، فإذا تبين أنه حاصل، فالنذر مخير بين أن يصوم سنة، وبين أن يكفر كفارة يمين، لأنه إن صام فقد وفى بنذره، وإن لم يصم حنث، والحنث في اليمين يكفر كفارة يمين.

الخامس: نذر المكروه، فيكره الوفاء به، وعليه كفارة يمين، كأن ينذر مثلاً أن يطلق زوجته، فمثل هذا ينبغي له أن يكفر كفارة يمين ولا يفعل.

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٦٣٩.

مشاهد من الدار الآخرة (أحوال الناس يوم القيامة <٢>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢) ﴾ [عبس: ٣٣-٤٢] .

عباد الله ، في هذا اليوم يُبعثُ الناس على ما ماتوا عليه من خير أو شر ، وكل نفس تشتغل بأمرها ولا تلتفت إلى سواها حيث تُقَطَّعُ أواصر القربى والدم ، فالكل في كرب وهم وغم عظيم إلا ما شاء الله سبحانه وتعالى ، يوم يفرُّ المرء لهول ذلك اليوم من أخيه ، وأمه وأبيه ، وزوجه وبنيه . لكل واحد منهم يومئذٍ أمر يشغله ويمنعه من الانشغال بغيره ، وجوه أهل النعيم في ذلك اليوم مستنيرة ، مسرورة فرحة ، ووجوه أهل الجحيم مظلمة مسودة ، تغشاها ذلة . أولئك هم الذين كفروا بنعم الله وكذبوا بآياته ، وتجروا على محارمه بالفجور والطغيان .

وأخرج مسلم في صحيحه عن المقداد رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تُدْنِي الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ» قَالَ سَلِيمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا يَعْني بِالْمِيلِ أَمْسَافَةَ الْأَرْضِ أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْحِمُهُ الْعَرَقُ الْجَمَامًا» قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ ^(١) .

وأخرج مسلم في صحيحه أيضاً عن جابر رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يُبعثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ» ^(٢) .

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٨٦٤ .

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢٨٧٨ .

رابع الخلفاء الراشدين (علي بن أبي طالب رضي الله عنه) <٢>

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .
أحبتي في الله ، هيا بنا مع السيرة العطرة للخليفة الراشد علي بن أبي طالب .
زواجه من فاطمة رضي الله عنها :

أخرج أبو داود في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَمَّا تَزَوَّجَ عَلِيٌّ فَاطِمَةَ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَعْطَهَا شَيْئًا» قَالَ: مَا عِنْدِي شَيْءٌ . قَالَ: «إِنَّ دِرْعَكَ الْحُطَمِيَّةَ؟ - أي سميت الحطمية لأنها سابغة تحطم السيوف وقيل نسبة إلى صانعها -»^(١) .
ونقل البيهقي من كتاب المعرفة لأبي عبد الله بن منده أن عليا تزوج فاطمة بعد سنة من الهجرة وابتنى بها بعد ذلك بسنة أخرى (٧) .

وأخرج الشيخان واللفظ للبخاري عن الْمُسَوَّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رضي الله عنه قال: إِنَّ عَلِيًّا خَطَبَ ابْنَتَهُ أَبِي جَهْلٍ عَلَى فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَسَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ النَّاسَ فِي ذَلِكَ عَلَى مِنْبَرِهِ هَذَا ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ مُحْتَلِمٌ فَقَالَ: «إِنَّ فَاطِمَةَ مِنِّي وَأَنَا أَتَخَوَّفُ أَنْ تُفْتَنَ فِي دِينِهَا - أي لا تصبر بسبب الغيرة فتفعل محرما في الدين -» ، ثُمَّ ذَكَرَ صَهْرًا لَهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ فَأَتَنِي عَلَيْهِ فِي مُصَاهَرَتِهِ إِيَّاهُ - أي إبا العاص زوج زينب رضي الله عنها - قَالَ: «حَدَّثَنِي فَصَدَقَنِي وَوَعَدَنِي فَوَفَّى لِي، وَإِنِّي لَسْتُ أَحَرَّمُ حَلَالًا وَلَا أَجِلُ حَرَامًا، وَلَكِنَّ وَاللَّهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ أَبَدًا»^(٢) .

ذكر بعض مناقبه:

أخرج مسلم في صحيحه عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قال: قَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ خَلَّفْتَنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نُبُوَّةَ بَعْدِي» ، وَسَمِعْتُهُ - رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ يَوْمَ خَيْبَرَ «لَأُعْطِيَ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» قَالَ: فَتَطَاوَلْنَا لَهَا . فَقَالَ: «ادْعُوا لِي عَلِيًّا» ، فَأَتَنِي بِهِ أَرْمَدَ فَبَصَقَ فِي عَيْنِهِ وَدَفَعَ الرَّايَةَ إِلَيْهِ

(١) (صحيح) أخرجه (د) وصححه الألباني في ص ١٨٦٥ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٩٤٣ ، و(م) ٢٤٤٩ واللفظ للبخاري .

فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (٦١) [آل عمران: ٦١] دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي»^(١).

قال ابن حزم رحمه الله تعالى بعد ذكر احتجاج الرافضة بالحديث: وهذا لا يوجب له فضلا على من سواه ولا استحقاق الإمامة بعده: لأن هارون لم يل أمر بني إسرائيل بعد موسى عليهما السلام، وإنما ولي الأمر بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون فتى موسى وصاحبه الذي سافر معه في طلب الخضر عليهما السلام، كما ولي الأمر بعد رسول الله ﷺ صاحبه في الغار الذي سافر معه إلى المدينة، وإذا لم يكن علي نبيا كما كان هارون نبيا، ولا كان هارون خليفة بعد موت موسى على بني إسرائيل فصح أن كونه ﷺ من رسول الله بمنزلة هارون من موسى إنما هو في القرابة فقط (٥٠).

وأخرج مسلم في صحيحه عن عليٍّ ﷺ: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ: «أَنْ لَا يُحْبِنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ»^(٢).
عَلِمُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ:

أخرج الإمام أحمد عن عمرو بن حُشَيْبٍ قَالَ: خَطَبَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بَعْدَ قَتْلِ عَلِيٍّ فَقَالَ: لَقَدْ فَارَقَكُمْ رَجُلٌ بِالْأَمْسِ مَا سَبَقَهُ الْأَوَّلُونَ بِعِلْمٍ، وَلَا أَذْرَكَهُ الْآخِرُونَ إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَبْعَثُهُ وَيُعْطِيهِ الرَّايَةَ فَلَا يَنْصَرِفُ حَتَّى يَفْتَحَ لَهُ، وَمَا تَرَكَ مِنْ صَفَرَاءَ وَلَا بَيْضَاءَ إِلَّا سَبْعَ مِائَةِ دِرْهَمٍ مِنْ عَطَائِهِ كَانَ يَرْصُدُهَا لِخَادِمٍ لِأَهْلِهِ^(٣).
علي ﷺ يوم الحديبية:

أخرج البخاري في صحيحه عن البراء بن عازبٍ ﷺ قَالَ: اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ذِي الْقَعْدَةِ فَأَبَى أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يَدْعُوهُ يَدْخُلُ مَكَّةَ حَتَّى قَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يُقِيمَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَتَبُوا الْكِتَابَ كَتَبُوا: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالُوا: لَا نُقْرِ بِهَا فَلَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا مَنَعْنَاكَ لَكِنْ أَنْتَ مُحَمَّدُ ابْنِ عَبْدِ

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٤٠٤.

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٧٨.

(٣) (حسن) أخرجه (حم) ١٧٢٠ وحسنه شعيب الأرنؤوط.

اللَّهُ ، قَالَ : «أَنَا رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ» ، ثُمَّ قَالَ لِعَلِيِّ : «امْحُ رَسُولُ اللَّهِ»
قَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا أَمْحُوكَ أَبَدًا فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْكِتَابَ فَكَتَبَ : «هَذَا مَا قَاضَى
عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لَا يَدْخُلُ مَكَّةَ سِلَاحَ إِلَّا فِي الْقِرَابِ ، وَأَنْ لَا يُخْرَجَ مِنْ أَهْلِهَا بِأَحَدٍ
إِنْ أَرَادَ أَنْ يَتَّبِعَهُ ، وَأَنْ لَا يَمْنَعَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ أَرَادَ أَنْ يُقِيمَ بِهَا» ، فَلَمَّا دَخَلَهَا وَمَضَى
الْأَجَلَ أَتَوْا عَلِيًّا فَقَالُوا : قُلْ لِصَاحِبِكَ : أَخْرِجْ عَنَّا فَقَدْ مَضَى الْأَجَلُ فَخَرَجَ
النَّبِيُّ ﷺ^(١) .

رسالة رسول الله إلى الحجاج مع علي رضي الله عنه :

بعث رسول الله ﷺ عليا رضي الله عنه إلى أبي بكر الذي كان أميراً على الحج بعدة
رسائل يلقيها عليٌّ على الحجاج وهي : صدر سورة براءة ، وأن يخبرهم بأنه لا
يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله
ﷺ عهد فأجله أو أمدّه إلى أربعة أشهر فإذا مضت الأربعة أشهر فإن الله بريء من
المشركين ورسوله ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ
الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ إِنَّا بُنَيْنَا فَهَوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ
وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣) [التوبة: ٣] ، أخرج النسائي في سننه عن أبي
هريرة قال : جِئْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حِينَ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ
بِإِذْنِ اللَّهِ قَالَ : مَا كُنْتُمْ تُنَادُونَ ؟ قَالَ : كُنَّا نُنَادِي إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُّؤْمِنَةٌ وَلَا
يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ ، وَمَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَهْدٌ فَأَجَلُهُ أَوْ أَمَدُهُ إِلَى
أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِذَا مَضَتْ الْأَرْبَعَةُ أَشْهُرٌ فَإِنَّ ﴿اللَّهُ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ وَلَا
يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ فَكُنْتُ أُنَادِي حَتَّى صَحَلَ صَوْتِي^(٢) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٥٥٢ .

(٢) (صحيح) أخرجه (ن) ٢٩٥٨ وصححه الألباني .

اللقاء الإيمانى السادس عشر:

(العاقبة للمتقين)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتى فى الله ، إن الأحداث التى تعيشها الأمة الإسلامية هي ملء السمع والبصر ، وإنها لأحداث ينطبق عليها قول رسول الله ﷺ فى الحديث الصحيح الذى أخرجه الشيخان فى صحيحيهما عن زينب بنت جحش رضي الله عنها حيث ذكرت أن رسول الله ﷺ قام فزعا من نومه ذات يوم وهو يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ أَقْتَرَبَ، فَتُحِ الْيَوْمَ مِنْ رَذَمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ وَحَلَقَ بِأَصْبَعِهِ الْإِبْهَامَ وَالتِّي تَلِيهَا» قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْهَلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخُبْتُ»^(١)، نعم يا إخوة ، النصر للإسلام ورب الكعبة ، وإن فجر الإسلام قادم بإذن الله سبحانه وتعالى ، وإن الله قد وعد عباده المؤمنين بالنصر ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر: ٥٢] .

وقال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠] وقال: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١] .

فالنصر بإذن الله والمستقبل للإسلام ، وما هذه المحنة إلا حلقة من محن كثيرة ومصائب كبيرة يحفل بها تاريخنا الإسلامى .

فأي صفحة من تاريخنا ليس فيها دماء وفتن ومصائب؟! وهذا هو قدر هذه الأمة ، وهذا هو ما أراده الله تبارك وتعالى لها ، وهذه سنة الله ﷻ فيها ، فيبلوها ويبتلي بها ، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١] .

إن من سنن الله فى الحياة أنها كفاح ، وصراع ، ومعركة دائمة ، ولكن العاقبة

(١) (صحيح) أخرجه (بخ) ٣١٦٨ ، و(م) ٢٨٨٠ .

للمتقين ، والعاقبة للتقوى ، وقد أخبر الصادق المصدوق عليه السلام ، في أحاديث كثيرة بأن العاقبة فعلاً لهذا الدين ، من ذلك ما جاء في مسند الإمام أحمد والمعجم الكبير للطبراني والمستدرک للحاكم قول رسول الله ﷺ : «لَيُلْغَنَ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ»^(١) .

فلن يبقى بيت إلا ويدخل الله تبارك وتعالى فيه هذا الدين ، بعز عزيز أو بذل ذليل ، وهذا من فضل الله تبارك وتعالى على هذا الدين ، وسوف يبلغ ما بلغ الليل والنهار (٤٨) .

على درب التوحيد (من الشرك الاستعاذة بغير الله <١>)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنْجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

إخوتي في الله ، قال الحافظ بن كثير: الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجانبه من شر كل ذي شر والعياذ يكون لدفع الشر واللياذ لطلب الخير أ.هـ . والاستعاذة من العبادات التي أمر الله تعالى بها عباده .

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٠٠) ﴿[الأعراف: ٢٠٠] .

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦] وأمثال ذلك في القرآن كثير .

فلقد كان المشركون إذا نزلوا بواد أو بمكان يخوف كانوا يعتقدون أن لكل مكان خوف جنياً أو سيِّداً من الجن يخدم ذلك المكان ويسيطر عليه ، فكانوا إذا نزلوا وادياً أو مكاناً قالوا نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يعنون الجن فزاد الجن الإنسان خوفاً واضطراباً وتعياً في الأنفس ، والله سبحانه وتعالى أمر أن يُستعاذ به دون ما سواه فقال سبحانه ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] ، وقال ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

(١) (صحيح) أخرجه (حم ط ب ك) وصححه الألباني في س. ص ٣ .

النَّاسِ ﴿ [الناس: ١] . وقال ﴿ قُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿ [المؤمنون: ٩٧-٩٨] والآيات في ذلك كثيرة كقوله ﴿ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴿ [الأعراف: ٢٠٠] ، ولذلك فإن الله أمر نبيه أن تكون استعاذته به وحده دون ما سواه .

وقد نتساءل: هل يجوز الاستعاذة بغير الله فيما يقدر عليه؟ قالت طائفة من أهل العلم: قد جاءت أدلة بأنه يستعاذ بال مخلوق فيما يقدر عليه لأن الاستعاذة طلب العياذ وهو أن يعيذ الشخص من شر اقترب منه ، و قد يكون المخلوق يملك شيئاً من ذلك ، فإذاً تكون الاستعاذة بغير الله شركاً أكبر إذا كان ذلك المخلوق لا يقدر على ذلك .

أخرج مسلم في صحيحه عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ - أي الكلمات النافعة الشافية - مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرَحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»^(١).

ولقد أجمع أهل السنة على الاستدلال بهذا الحديث على أن الاستعاذة بالمخلوق شرك ، وأنه لما أمر بالاستعاذة بكلمات الله فإن كلمات الله جل وعلا ليست بمخلوقة ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ يعني أستعيذ بكلمات الله جل وعلا من شر الأنفس الشريرة والمخلوقات التي فيها شر (٣٤) .

مشاهد من الدار الآخرة (أحوال يوم القيامة <3>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٧٠٨ .

سَمَّاهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(١).

عباد الله ، قال النووي رحمه الله تعالى: المراد هنا ظل العرش يوم القيامة إذا قام الناس لرب العالمين ودنت منهم الشمس واشتد عليهم حرها وأخذهم العرق ولا ظل هناك لشيء الا ظل العرش وقد يراد به هنا ظل الجنة .

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧] ، (٢٧) .

المعنى : والذين اطمأنت قلوبهم بالإيمان بالله تعالى والتصديق برسالة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، واستقاموا على الطاعة ، سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، ينعمون فيها أبداً ولا يخرجون منها ، ولهم فيها أزواج طهرها الله من كل أذى ، ندخلهم ظلاً كثيفاً ممتداً في الجنة .

وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي اليسر رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظْلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي ظِلِّهِ»^(٢).

من الخلفاء الراشدين (علي بن أبي طالب رضي الله عنه <٣>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، جعل التمسك بستته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .
أيها الأحبة في الله ، ما زلنا ننهل من السيرة العطرة للخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهي بنا .

خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى في شأن البيعة لعلي: لما قتل عثمان رضي الله عنه سعى الناس إلى علي رضي الله عنه وقالوا: لا بد للناس من إمام؟ فحضر طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه والزبير بن العوام رضي الله عنه فالأعيان من المهاجرين والأنصار فبايعوا عليا رضي الله عنه وكان

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ١٣٥٧ ، و(م) ١٠٣١ .

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٣٠٠٦ .

أول من بايعه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ثم تتابع الناس بعد ذلك ، وقد بويع يوم الجمعة لثمان عشرة مضت من ذي الحجة ، في سنة خمس وثلاثين ، وقيل: لخمس بقين من ذي الحجة .

موقعة الجمل:

كانت عائشة في مكة لأداء مناسك الحج بقدر الله جل وعلا مع كثير من أصحاب النبي ﷺ فلما سمعت بمقتل عثمان رضي الله عنه قامت تحت الناس على القيام بالمطالبة بدم عثمان هي وطلحة والزبير ، ولكن عائشة رضي الله عنها أرادت أن تخرج من مكة إلى المدينة ، فقال لها طلحة والزبير: دعي المدينة فإن من معنا لا يقدر على تلك الغوغاء التي بالمدينة ، ولكن انطلقي معنا إلى البصرة فإن أصلح الله الأمر كان الذي تريدين وإلا احتسبنا ودفعنا عن هذا الأمر حتى يقضي الله ما أراد .

يقول الزبير رضي الله عنه: خرجنا لنستهض الناس ، ليدركوا دم عثمان حتى لا يبطل ، فإن في إبطاله توهينا لسلطان الله ﷻ بيننا أبدا فإذا لم يفظم الناس عن أمثال هذه الفاجعة المفزعة ، لم يبق إمام إلا قتله هذا الصنف من الناس ، فقد انطلقوا جميعا نحو البصرة ، وهم لا يريدون جميعا إلا الإصلاح .

وجاء في تاريخ الطبري بسند صحيح ما يؤكد أن عليا رضي الله عنه ما خرج إلا للإصلاح ، فلما سمع علي رضي الله عنه بخروج طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة صمم هو الآخر على أن يخرج إلى البصرة ، فوقف أمام دابته عبد الله بن سلام رضي الله عنه ، وقال له: يا أمير المؤمنين ، لا تخرج من مدينة رسول الله ، فوالله لئن خرجت منها لن يعود إليها سلطان المسلمين أبدا! وكذلك فإن الحسن بن علي رضي الله عنه انطلق ليأخذ خطام دابة أبيه ، ويقول: يا أبت ، أعزم عليك ألا تخرج؟ لا تخرج من دار الخلافة حتى تبقى المدينة دارا للخلافة كما كانت في عهد إخوانك الثلاثة أي في عهد أبي بكر وعمر وعثمان ؛ فماذا قال علي رضي الله عنه؟ قال: والله ما خرجت إلا وأنا أريد الإصلاح (٣٢) .

وأخرج الإمام أحمد في مسنده وابن أبي شيبة في مصنفه لَمَّا أَقْبَلَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها بَلَّغَتْ مِيَاهَ بَنِي عَامِرٍ لَيْلًا نَبَحَتْ الْكِلَابُ ، قَالَتْ: أَيُّ مَاءٍ هَذَا؟ قَالُوا: مَاءُ الْحَوَآبِ ، قَالَتْ: مَا أَطْنُنِي إِلَّا أَنِّي رَاجِعَةٌ ، فَقَالَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهَا: بَلْ تَقْدَمِينَ فِيرَاكَ الْمُسْلِمُونَ فَيُصْلِحُ اللَّهُ ﷻ ذَاتَ بَيْنِهِمْ ، قَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَنَا ذَاتَ

يَوْمَ: «كَيْفَ بِإِحْدَاكُنَّ تَبَحُّ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوَآبِ - أي مكان قريب من البصرة على طريق مكة -» (١).

فلما وصل علي رضي الله عنه إلى البصرة أرسل القعقاع بن عمرو رضي الله عنه رسولا إلى طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم، فقال القعقاع: يا أماء، إن هذا الأمر الذي وقع دواؤه التسكين؛ فاثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم، ولا تعرضونا للبلاء.

فقال عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم: أصبت وأحسنتم المقالة، فارجع إلى علي؛ فإن كان علي على مثل رأيك صلح الأمر، فرجع إلى علي، فأخبره، فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح، كره ذلك من كره ورضيه من رضيه (٣٢)، وبات قتلة عثمان في غم شديد في الوقت الذي بات فيه طلحة والزبير وفريق علي في غاية السرور والهدوء والانشراح (٨).

فقام هؤلاء الموتورون بتقسيم أنفسهم فريقين فريقا مع معسكر طلحة والزبير وفريقا مع معسكر علي، ينشبون القتل بالسيوف والرماح في كل معسكر من المعسكرين في سواد الليل، ووقعت الفتنة ولا يدري كل فريق ما الخبر. ونشب القتال الضاري وما توقف القتال إلا بعد ما أشرقت الشمس وتبين للناس الأمر، ووقفت عائشة تبكي ووقف طلحة والزبير رضي الله عنهم يسكتان الناس ويطلبان منهم الصبر والتأني، ولكن في وقت الفتن من الذي يستطيع أن يسكت الناس ويطفئ النار؟ ولا يمكن لعادل أن يقول: إن حرب الجمل دارت بتخطيط من فريق علي أو طلحة أو الزبير رضي الله عنهم، وقتل طلحة والزبير بن العوام وبكي عليهم علي بن أبي طالب وأصحابه، والعجب من ذلك أن عليا هو الذي قام بنفسه وصلى على قتلى الطرفين، ودفن أطرافهم جميعا في قبر واحد كبير عظيم، وانطلق علي إلى عائشة رضي الله عنها وقال رضي الله عنه: كيف حالك يا أماء؟ فقالت: بخير والحمد لله، فقال: غفر الله لك! فقالت عائشة: ولك، فأنزلها من هودجها وزودها بما تحتاج إليه في سفرها، وأرسل معها محمد بن أبي بكر أخاها ليصحبها من البصرة إلى مكة ومن مكة إلى المدينة (٣٢).

(١) (صحيح) أخرجه (حم حب) وصححه الألباني في ص. ٣٧٤.

الفتنه بين معاوية وعلي رضي الله عنهما:

نحن نحزم ونعتقد أن جميع الصحابة رضي الله عنهم مأجورون بمن فيهم معاوية رضي الله عنه ولكن نعتقد أيضا اعتقادا جازما أن الحق كان مع علي رضي الله عنه ولكن معاوية رضي الله عنه اجتهد وأخطأ ، والمجتهد المصيب له أجران ، والمجتهد المخطئ له أجر واحد ، ونحن لا ننفي وقوع الخطأ من الصحابي لأنهم بشر ليسوا معصومين من الخطأ والزلل فإن العصمة قد دفنت يوم دفن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكننا نقطع في الوقت ذاته بأن الصحابي لا يفعل الخطأ عن قصد وعمد .

وأرسل الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى أهل الشام يدعوهم إلى مبايعته ، وحقن دماء المسلمين ، ولكنهم رفضوا ، فقرر المسير بقواته إليهم وحملهم على الطاعة ، والتقت قوات الطرفين عند صفين بالقرب من الضفة الغربية لنهر الفرات ، وبدأ بينهما القتال يوم الأربعاء الأول من صفر من العام السابع والثلاثين من الهجرة ، ولما كثر القتل في المسلمين رفع أهل الشام المصاحف على السنة الرماح بعدما كادت المعركة تنتهي لصالح علي رضي الله عنه ، إلا أن فريقا من جيش علي يقال لهم القراء الذين يعرفون باسم الخوارج - قالوا: لا بد من التحاكم إلى كتاب الله! وهل خرج علي إلا لينصر كتاب الله سبحانه وتعالى؟! (٣٢) .

قال فضيلة الدكتور الصلابي : وأما ما قيل من أن عليا كان يلعن في قنوته معاوية وأصحابه ، فليس بصحيح ، فلقد أنكر علي رضي الله عنه على من سب معاوية ومن معه فقال: إني أكره لكم أن تكونوا سبايين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم ، وذكرتم حالهم ، كان أصوب في القول ، وأبلغ في العذر ، وقتلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم ، وأصلح ذات بيننا وبينهم (٥٠) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

اللقاء الإيماني السابع عشر :

(المبشرات على أن فجر الإسلام قادم <١>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبي في الله ، لقد بشر النبي ﷺ في آخر الزمان بسيطرة الأمة الإسلامية وتفوقها ، أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال ﷺ : « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزَلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بَدَاقٍ، فَيُخْرِجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافَوْا قَالَتِ الرُّومُ: خَلَوْا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَّوْا مِنَّا نُقَاتِلُهُمْ فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا وَاللَّهِ لَا نَحْلِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ، وَيَفْتَحُ الثَّلَاثُ لَا يَفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَحُونَ قُسْطَنْطِينَةَ»^(١) ، فالمسلمون سينقسمون إلى ثلاث فرق أثناء المواجهة مع الروم اليوم الأول ثم الثاني ثم الثالث ، ثلاث فرق تكون في المعركة مع الروم ، فرقة يفرون لا يرضى الله عنهم أبداً - عياداً بالله- وثلاث يقتلون وهم من خير الشهداء عند الله ، والثلاث الثالث تكون الدائرة لهم بإذن الله .

والروم هم الغرب ، وهي (الإمبراطورية الرومانية) كانت أوروبا إمبراطورية شرقية وإمبراطورية غربية ، وأوروبا كلها هي الروم ، وجاء في صحيح مسلم عن المُسْتَوْرَدُ الْقُرَشِيُّ رضى الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ تَقُومُ السَّاعَةَ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ»^(٢) ، أي: أقوى الناس ، والأكثر في لغة العرب من معانيه: الأقوى والأظهر وثم أحاديث كثيرة لا يمكن أن نستعرضها- في هذا المقام - ولكن ليرجع إليها في صحيح مسلم في كتاب الفتن وأشراف الساعة .

وفي الحديث الآخر الذي جاء عند الإمام أحمد وغيره عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال: سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيَّ الْمَدِينَتَيْنِ تَفْتَحُ أَوَّلًا قَالَ: «مَدِينَةُ هِرَقْلَ تَفْتَحُ أَوَّلًا يَعْنِي قُسْطَنْطِينَةَ»^(٣) ، فالقسطنطينية تفتح قبل رومياً ، ثم تفتح روما ، فرومياً مقرر

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٨٩٧ .

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢٨٩٨ .

(٣) (صحيح) أخرجه (حم دارمي ك ش) وصححه الألباني في س . ص ٤ .

البابوية الكاثوليكية ، وهي العاصمة الدينية لأوروبا .

إذاً عندنا بشائر والحمد لله بأن المستقبل في الأخير للإسلام ، مهما توحد الغرب ، وأنه مهما حصل من معارك على يد الغرب فالنهاية للمسلمين بإذن الله سبحانه وتعالى ، لكنني أعود فأذكر وأوجز ، أن الواقع الآن ، والمستقبل القريب منذر بخاطر عظيم يستدعي منا أن نتضافر الجهود جميعاً لبيان معنى لا إله إلا الله ، ولبيان الولاء للمؤمنين ، والعداء للكافرين ، ولبيان حقائق الإسلام ، كما أنزلها الله تعالى ، وكما بلغها رسول الله ﷺ ، وكما طبقها السلف الصالح وأصلوها في كتبهم ، وبإلغاء بل بمحاربة شديدة لكل دعوى تدعي أنها تبدل أو تغير أو تجدد في دين الله سبحانه ما ليس منه فتجعله مرناً أو عسرياً ، إلى آخر الدعاوى التي يأتي بها هؤلاء الذين سينبتون على أعين الغزاة الروم الجدد (٤٨) .

على درب التوحيد (من الشرك الاستغاثة بغير الله <٢>)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنَجِّياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

إخوتي في الله ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب ، والدعاء أعم من الاستغاثة لأنه يكون من المكروب وغيره أ. هـ .

والاستغاثة هي طلب ، والطلب دعاء وهي طلب الغوث ، والغوث يحصل لمن وقع في شدة وكرب يخشى معه المضرّة الشديدة أو الهلاك ، قال تعالى في قصة موسى عليه السلام ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ [القصص: ١٥] ، أي طلب من كان من قوم موسى الغوث من موسى عليه السلام على من كان عدواً لهما جميعاً ، فأغاثة موسى عليه السلام .

فإذن الاستغاثة لا تصلح إلا من الله فيما لا يقدر عليه إلا الله جل جلاله ؛ والاستغاثة شرك بغير الله وهي شرك أكبر إذا كان استغاثة فيما لا يقدر عليه إلا الله ، أما إذا استغاثة فيما يقدر عليه غير الله من المخلوقين ؛ لكن هذا المخلوق المعين لم يقدر على هذا الشيء ، فإنه لا يكون شركاً ؛ لأنه ما اعتقد في المخلوق شيئاً لا يصلح إلا لله جل جلاله (٣٤) .

ولقد وقع كثير من عامة المسلمين وبعض خاصتهم في الاستغاثة بالأنبياء والصالحين من دون الله تعالى في الشدائد والمصائب ؛ حتى إنك لتسمع جماعات متعددة عند بعض القبور يستغيثون بأصحابها في أمور مختلفة كأن هؤلاء الأموات يسمعون ما يقال لهم ، ويبطل هذا ويرد عليه آيات كثيرة: منها قوله تعالى: ﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء: ٥٦] ، والآيات في هذا الصدد كثيرة (١٤) .

مشاهد من الدار الآخرة (حوض رسول الله ﷺ)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) ﴾ [الكوثر: ١] .

وأخرج البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ قِيَابُ الدَّرِّ الْمَجُوفِ ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ ، فَإِذَا طِينُهُ أَوْ طَبِيبُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ - شَكَّ هُدْبَةً - » (١) .

وأخرج مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهَرِنَا - أَي بَيْنَا - إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءً - أَي نَامَ نَوْمَةً - ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا ، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْزَلْتُ عَلَيَّ آيَةً سُورَةٌ فَقَرَأْتُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣) ﴾ [الكوثر: ١-٣] » ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «فَإِنَّهُ مَهْرٌ وَعَدْنِيهِ رَبِّي ﷻ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ ، هُوَ حَوْضٌ تَرْدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، آيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ - أَي يَحَالُ الْعَبْدُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَوْضِ - فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي . فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحَدَّثْتُ بِعَدَاكَ» (٢) .

وأخرج النسائي في سننه عن أسيد بن حضير رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا مِّنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٢١٠ .

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٤٠٠ .

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فَلَانًا؟ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَهُ - أي يفضل عليكم غيركم في الأموال - فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»^(١)
وأخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِبْرَانُهُ كَنْجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا»^(٢).

عباد الله، الذي يستخلص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوض عظيم، ومورد كريم يمد من شراب الجنة من نهر الكوثر الذي هو أشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وأحلى من العسل وأطيب ريحا من المسك، وهو في غاية الاتساع عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، والحوض في العرصات قبل الصراط لأنه يختلج عنه ويمنع منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط.

رابع الخلفاء الراشدين (علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) (<٤>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بستته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم، أما بعد..
أيها الأحبة في الله، ما زلنا ننهل من السيرة العطرة للخليفة الراشد علي ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيها بنا.

الأدلة على أن الحق كان مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

الدليل الأول: ما جاء في صحيح مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَمُرُّ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ - أي الخوارج التي خرجت على فرقة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما بعد - يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ - أي فرقة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو أولى بالحق من طائفة معاوية-»^(٣).

(١) (صحيح) أخرجه (ن) ٥٣٨٣ وصححه الألباني.

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٢٠٨، و(م) ٢٢٩٢ واللفظ للبخاري.

(٣) (صحيح) أخرجه (م) ١٠٦٤.

الدليل الثاني: ما جاء في صحيح البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَبِحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَةُ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى النَّارِ - ومعلوم أن عَمَّارًا كان في صف عليّ وقتله فريق معاوية -»^(١).

قضية التحكيم:

أخرج البخاري في تاريخه مختصرًا بسند رجاله ثقات ، عن الحصين ابن المنذر أن معاوية أرسله إلى عمرو بن العاص فقال له: إنه بلغني عن عمرو بعض ما أكره فأتته فأسأله عن الأمر الذي اجتمع عمرو وأبو موسى فيه كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس وقالوا ، ولا والله ما كان ما قالوا ، ولكن لما اجتمعت أنا وأبو موسى قلت له: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أرى أنه من النفر الذين توفى رسول الله ﷺ ، وهو عنهم راض - أي عليّ - ، قال: فقلت: أين تجعلني من هذا الأمر أنا ومعاوية؟ قال: إن يستعن بكما ففيكما معونة ، وإن يستغن عنكما فطال ما استغنى أمر الله عنكما ، وأخرج ابن عساكر بسند رجاله ثقات عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي قال: كان عليّ بالعراق يدعى أمير المؤمنين وكان معاوية بالشام يدعى الأمير ، فلما مات عليّ دُعي معاوية بالشام أمير المؤمنين ، فهذا النص يبين أن معاوية لم يبايع بالخلافة إلا بعد وفاة عليّ ، وإلى هذا ذهب الطبري (٥٠) .

الخوارج:

الخوارج جماعة خرجوا على علي بن أبي طالب وصحبه ؛ لأنه قبل بالتحكيم قائلين: إن حكم الله واضح لا يحتاج إلى هذا التحكيم ، وكان شعارهم: "لا حكم إلا لله" ، ويسمون أيضًا بالحرورية نسبة إلى قرية في الكوفة تسمى "حروراء" خرجوا إليها ، وقد حاربهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في الوقعة الشهيرة بوقعة "النهروان" وهزمهم ، وقتل منهم كثيرًا ، ولكنه لم يستطع إبادتهم ، حتى دبروا له مكيدة قتله على يد عبد الرحمن بن ملجم عليه من الله ما يستحق (٥٠) .

وأخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه مرفوعًا: «يُخْرِجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(٢).

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٣٦ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٧٧١ .

وأخرج النسائي في سننه الكبرى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: لما خرجت الحرورية - أي الخوارج - اعتزلوا في دار وكانوا ستة آلاف ، فقلت لعلي: يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة لعلي أكلّم هؤلاء القوم قال: إني أخافهم عليك قلت: كلا فلبست وترجلت ودخلت عليهم في دار نصف النهار وهم يأكلون فقالوا: مرحبا بك يا ابن عباس فما جاء بك؟ قلت لهم: أتيتكم من عند أصحاب النبي ﷺ المهاجرين والأنصار ، ومن عند ابن عم النبي ﷺ وصهره وعليهم نزل القرآن فهم أعلم بتأويله منكم ، وليس فيكم منهم أحد لأبلغكم ما يقولون ، وأبلغهم ما تقولون ، فانتحى لي نفر منهم . قلت: هاتوا ما نقتم على أصحاب رسول الله ﷺ وابن عمه قالوا: ثلاث . قلت: ما هن؟ قال: أما إحداهن فإنه حكم الرجال في أمر الله وقال الله: ﴿ **إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ** ﴾ ما شأن الرجال والحكم قلت: هذه واحدة . قالوا: وأما الثانية فإنه قاتل ولم يسب سباهم ولم يغنم إن كانوا كفارا لقد حل سبيهم ولئن كانوا مؤمنين ما حل سبيهم ولا قتالهم . قلت: هذه ثنتان فما الثالثة؟ وذكر كلمة معناها قالوا: محي نفسه من أمير المؤمنين فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين . قلت: هل عندكم شيء غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا . قلت لهم: رأيتمكم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه وسنة نبيه ﷺ ما يرد قولكم أترجعون؟ قالوا: نعم . قلت: أما قولكم حكم الرجال في أمر الله فإني أقرأ عليكم في كتاب الله أن قد صير حكمه إلى الرجال في أرب ثمنه ربع درهم فأمر الله تبارك وتعالى أن يحكموا فيه رأيتم قول الله تبارك وتعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ (٩٥)** ﴾ [المائدة: ٩٥] ، وكان من حكم الله أنه صيره إلى الرجال يحكمون فيه ولو شاء يحكم فيه فجاز من حكم الرجال ، أنشدكم بالله أحكم الرجال في صلاح ذات البين وحقن دمائهم أفضل أو في أرب؟ قالوا: بلى بل هذا أفضل وفي المرأة وزوجها ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا (٣٥)** ﴾ [النساء: ٣٥] ، فنشدتكم بالله حكم الرجال في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في بضع امرأة؟ أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم . قلت: وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم أفتسبون أمكم عائشة تستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم؟ فإن قلت: إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم وإن قلت: ليست بأمنا فقد كفرتم ، ﴿ **النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ** ﴾

(٦) ﴿[الأحزاب: ٦] ، فأنتم بين ضلالتين فأتوا منها بمخرج أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم ، وأما محي نفسه من أمير المؤمنين فأنا آتيكم بما ترضون أن نبي الله ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعلي: اكتب يا علي هذا ما صالح عليه محمد رسول الله . قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ﷺ ما قاتلناك . فقال رسول الله ﷺ : امح يا علي اللهم إنك تعلم أنني رسول الله أمح يا علي واكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله والله لرسول الله ﷺ خير من علي ، وقد محي نفسه ولم يكن محوه نفسه ذلك محاه من النبوة أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقتلوا على ضلالتهم ، قتلهم المهاجرون والأنصار^(١) .

جاء في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : ويمكننا أن نستخرج من مناظرة ابن عباس للخوارج مجموعة من الدروس والعبر والحكم منها: حسن الاختيار لمن سوف يقوم بالمناظرة مع الخصم ، الابتداء مع الخصم من نقاط الاتفاق ، ومعرفة ما عند الخصم من الحجج واستقصاؤها ، والاستعداد لها قبل بداية المناظرة ، وتفنيد مزاعم الخصم واحدة تلو الأخرى ؛ حتى لا يبقى لهم حجة ، والتقديم للمناظرة بما يخدم نيتها لصالح الحق ، وإظهار احترام رأي الخصم أثناء المناظرة .

ثم خرج أمير المؤمنين رضي الله عنه لمناظرة بقية الخوارج وسياسته في التعامل معهم بعد رجوعهم للكوفة ثم خروجهم من جديد بعد مناظرة ابن عباس للخوارج واستجابة ألفين منهم له ، فرجعوا ودخلوا الكوفة ، إلا أن هذا الوفاق لم يستمر طويلاً ، عندما أعلن أمير المؤمنين علي سياسته الراشدة العادلة تجاه هذه الجماعة المتطرفة ، فقال لهم: إن لكم عندنا ثلاثاً: لا نمنعكم صلاة في هذا المسجد ، ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفياء ما كانت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تقتلونا . ولما أيقن الخوارج أن أمير المؤمنين عازم على إنفاذ أبي موسى الأشعري حكماً ، طلبوا منه الامتناع عن ذلك ، فأبى ذلك وبين لهم أن هذا يعد غدراً ونقضاً للأيمان والعهود ، فقرر الخوارج الانفصال عن أمير المؤمنين (٥٠) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (حسن) أخرجه (النسائي في السنن الكبرى) ٨٥٧٥ وحسنه الشيخ مصطفى العدوي في الصحيح

اللقاء الإيمانى الثامن عشر:

(المبشرات على أن فجر الإسلام قادم <٢>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد . . .

أحبتى في الله، خذوا هذه البشارة: يقول الله ﷻ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥] هذه شروط الاستخلاف يا إخوة وهي صالحة حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ووالله لقد حقق الله وعده، وتحقق وعد الله لرسوله وأصحابه والموحدين معه، واستخلفهم الله تعالى في الأرض، فأذلوا الأكاسرة، وأهانوا القياصرة .

هذا هو الإسلام وهذه هي العبودية لله، من رعاة للغنم في أرض الجزيرة إلى سادة وقادة لجميع الأمم، وجيء بتاج كسرى إلى عمر بن الخطاب في مدينة رسول الله، فقال عمر قولته الجميلة: والله إن قوماً أدوا هذه الأمانة كاملة غير منقوصة، والله إنهم لأمناء؛ فقال له علي بن أبي طالب: يا أمير المؤمنين! عفت ف عفوا، ولو رتعت لرتعوا .

ولقد جيء بتاج كسرى إلى عمر رضي الله عنه؛ لأنهم حققوا شروط الاستخلاف: صرفوا العبادة لله جل وعلا، وحققوا العبودية لله سبحانه، واستكملوا الشروط فكانت: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥] (٤٥) . ولم لا!!! ولقد شهدنا ذلك جلياً في عصرنا الحديث يوم أن لجأ المسلمون لربهم وعلموا أن النصر بيد الله، نصرهم الله نصراً مؤزراً على اليهود، وحرروا سينا و ذلك في العاشر من رمضان، في السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ م .

على درب التوحيد (من الشرك أن يدعو غير الله ﷻ)

الحمد لله الذى جعل التوحيد دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرم

به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنْجِياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

عباد الله ، الدعاء نوعان: دعاء مسألة ، ودعاء عبادة .

دعاء المسألة: ما كان فيه طلب وفيه سؤال يرفع يديه لله جل وعلا ويدعو ، هذا يسمى دعاء مسألة ، وهو الذي يغلب عند عامة المسلمين في تسمية الدعاء ، إذا قيل: دعا فلان يعني سأل ربه جل وعلا ﴿قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٦٣) [الأنعام ٦٣] .

دعاء العبادة: كما قال جل وعلا ﴿وَأَنَّ الْمُسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الحج: ١٨] ، يعني لا تعبدوا مع الله أحداً أو لا تسألوا مع الله أحداً ، وكما قال النبي ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(١) .

وقال العلماء: من سأل الله جل وعلا شيئاً فهو داع دعاء مسألة وهذا متضمن أنه يعبد الله ؛ لأن دعاء المسألة أحد أنواع العبادة ، فدعاء المسألة متضمن للعبادة لأنه جل وعلا يحب من عباده أن يسألوه ، والدعاء إنما يُتوجه به إلى الله .

والدعاء إنما يُتوجه به إلى الله وأيضا الاستغاثة إنما يُتوجه بها إلى الله جل وعلا فيما لا يقدر عليه إلا الله .

ويُشترط في المدعو ثلاثة شروط: أن يكون مالكا لما يطلب منه ، أن يكون يسمع الداعي ، أن يكون قادراً على الإجابة .

وهذه الأمور لا تتفق إلا في الله سبحانه وتعالى ، فإنه المالك السميع القادر على الإجابة ، أما هذه المعبودات فهي فقيرة ، ليس لها ملك ، ولا تسمع من دعاها ، ولو سمعت فإنها لا تقدر على الإجابة .

ففي قوله تعالى: ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ انتهى الشرط الأول .

وفي قوله: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ انتهى الشرط الثاني .

وفي قوله: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ انتهى الشرط الثالث .

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ

(١) (صحيح) أخرجه (حم ش خد ٤ حب ك) وصححه الألباني في ص ٣٤٠٧ .

كافرين ﴿الأحقاف: ٥-٦﴾ .

مشاهد من الدار الآخرة (أحوال يوم القيامة > ٥)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ يوماً بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ، فقال: «أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذاك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد- أي أرض مستوية-، فيسمعهم الداعي، وينفذهم البصر- أي ينفذهم بصر الرحمن تبارك وتعالى حتى يأتي عليهم كلهم-، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: اثبتوا آدم فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده وفتح فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبلاً مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي- اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض، وسألك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبلاً مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم عليه السلام، فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليفة من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبلاً مثله ولا يغضب بعده مثله وذكر كذباته، نفسي- نفسي- اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى عليه السلام فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته ويتكليمه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى عليه السلام: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبلاً مثله ولن يغضب

بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُؤْمَرْ بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ﷺ» (١).

رابع الخلفاء الراشدين (علي بن أبي طالب ﷺ <ه>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﷺ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم، أما بعد ..

أيها الأحبة في الله، ما زلنا ننهل من السيرة العطرة للخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ فهي بنا .

معركة النهروان:

لما كانت الشروط التي أخذها أمير المؤمنين عليّ على الخوارج أن لا يسفكوا دمًا، ولا يروعوا آمنًا، ولا يقطعوا سبيلًا، وإذا ارتكبوا هذه المخالفات فقد نبذ إليهم الحرب، ونظرًا لأن الخوارج يكفرون من خالفهم ويستبيحون دمه وماله، فقد بدؤوا بسفك الدماء المحرمة في الإسلام، من أجل ذلك حرض أمير المؤمنين عليّ جيشه على القتال: فكانت معركة النهروان وأسفرت هذه المعركة عن عدد كبير من القتلى في صفوف الخوارج، وكان الحال على عكس ذلك تمامًا في جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فلم يقتل من جيش عليّ إلا تسعة رهط، ولقد عامل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الخوارج قبل الحرب وبعدها معاملة المسلمين، فما أن انتهت المعركة حتى أصدر أمره في جنده أن لا يتبعوا مدبرًا، أو يذفقوا على جريح، أو يُمثلوا بقتيل، وأمير المؤمنين علي رضي الله عنه لم يكفر الخوارج، وهذا يدل على أن الخوارج فرقة من المسلمين، كما قال بذلك كثير من العلماء (٥٠).

زهد علي ﷺ:

جاء في (صفة الصفوة) لابن الجوزي، عن أبي صالح قال: قال معاوية بن أبي سفيان لضرار بن ضمرة: صف لي عليًا فقال أو تعفيني؟ قال: بل صفه قال أو تعفيني؟ قال: لا أعفيك. قال: أما إذا فإنه والله كان بعيد المدى شديد القوى يقول فصلًا ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه وينطق بالحكمة من نواحيه،

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٤٣٥، و(م) ١٩٤ واللفظ لمسلم.

يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته ، كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب ، كان والله كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ويتدنا إذا أتينا ويأتينا إذا دعونا ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة ولا نبتديه لعظمه ، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم يعظم أهل الدين ، ويجب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا يئأس الضعيف من عدله ، وأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرحى الليل سجوفه وغارب نجومه وقد مَثُلَ في محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين وكأنني أسمعه وهو يقول: يا دنيا يا دنيا إني تعرضت أم لي تشوفت؟ هيهات هيهات غري غيري قد بتك-أي طلقتك- ثلاثا لا رجعة لي فيك ، فعمرك قصير ، وعيشك حقير ، وخطرك كبير آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق ، قال: فذرفت دموع معاوية رضي الله عنه حتى خرت على لحيته فما يملكها وهو ينشفها بكمه ، وقد اختنق القوم بالبكاء ، ثم قال معاوية: رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترقأ عَبرتها ولا يسكن حزنها (٢٨) .

كلمات منتخبة من كلامه ومواعظه رضي الله عنه:

١- جاء في (صفة الصفوة) ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى ، وطول الأمل ، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق ، وأما طول الأمل فينسي الآخرة ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة ، ألا وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة ، ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل" (٢٨) .

٢- وجاء في (صفة الصفوة) ، عن كميل بن زياد قال: أخذ علي بن أبي طالب بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبان ، فلما أصبحنا جلس ثم تنفس ثم قال: يا كميل بن زياد القلوب أوعية فخيرها أوعاها للعلم احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة: عالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجا ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق ، العلم خير من المال ؛ العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، العلم يزكو على العمل ، والمال تنقصه النفقة ، العلم حاكم ، والمال محكوم عليه ، وصناعة المال تزول بزواله ، ومحبة العالم دين يدان بها ، والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة (٢٨) .

٣- وجاء في (صفة الصفوة) أيضاً ، عن أبي أراكة قال: صليت مع علي بن أبي طالب عليه السلام صلاة الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه ثم مكث كأن عليه كآبة حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح قال وقلب يده: لقد رأيت أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى اليوم شيئاً يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثاً صفراً غبراً بين أعينهم أمثال ركب المعزى ، قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يراوحن بين جباههم وأقدامهم ، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم الريح وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم ، والله لكأن القوم باتوا غافلين ، ثم نهض فما رئي مفترأً يضحك حتى ضربه ابن ملجم (٢٨) .

استشهاده عليه السلام:

جاء في (سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) لفضيلة الدكتور على بن محمد الصلابي : لقد قابل عبد الرحمن بن ملجم شبيب بن بكرة فقال عبد الرحمن بن ملجم له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما ذاك؟ قال: قتل علي بن أبي طالب ، قال: ثكلتك أمك ، لقد جئت شيئاً إداً ، كيف تقدر على علي! قال: أكمن له في المسجد ، فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه ، فإن نجونا شفيْنَا أنفسنا ، وأدركنا ثأرنا ، وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها ، قال: ويحك! لو كان غير علي لكان أهون علي ، قد عرفت بلاءه في الإسلام ، وسابقتك مع النبي ﷺ ، وما أجدني أنشرح لقتله ، قال: أما تعلم أنه قتل العباد الصالحين؟! قال: بلى ، قال: فقتله بمن قتل من إخواننا ، تقول رواية الطبري: فأجابه . . ونهى أمير المؤمنين عن المثلة بقاتله: فقد قال علي عليه السلام: احبسوا الرجل فإن مت فاقتلوه ، وإن أعش فالجروح قصاص .

فانظر رعاك الله كيف يؤثر أصحاب الآراء الضالة والأفكار المنحرفة على من يخالطونهم ويجلسون معهم؟ إنه على الرغم من أن شبيباً لم ينشرح صدره لقتل علي لما يعلمه عنه بلاءه في الإسلام وسابقتك مع النبي ﷺ ، فإنه استجاب لابن ملجم لما أثر عليه بالشبهة التي ألقاها عليه عندما ذكره بقتل علي رضي الله عنه لإخوانه من الخوارج المارقين ، فأثار فيه العاطفة تجاههم ، رغم أنهم قتلوا بالحق لا الباطل ، فاستجاب لصاحبه ، وانقاد له فكانت النتيجة: إفساد الأفكار ، وتلويث السمعة ، والخسران المبين ، ولذلك ينبغي على كل مسلم أن يحذر من مصاحبة ذوي الاعتقاد الفاسد ، ومجالسة العلماء الربانيين الذين يعلمون الحق ويعملون به (٥٠) .

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى

خلافة الخلفاء الراشدين كانت على منهاج النبوة

هذا أبو بكر رضي الله عنه يعهد بالخلافة من بعده لعمر بن الخطاب ، وهو ليس من بني تيم بن مرة الذين منهم أبو بكر ، مع أن أولاده يصلحون للخلافة ، ولكنه نحاها عنهم ، وكذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما جعلها في الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، وكذلك فإن علياً رضي الله عنه حين طعن جاءه أهل العراق يطلبون منه أن يولي عليهم الحسن بن علي فقال: لا والله لا أفعل ، فلا يكون كبر هذا الأمر عليّ حياً وميتاً ، إنما توليته بتكليف الله ما دمت حياً ، فإذا أنا مت فقد انقطع التكليف ، فلا أتحملة في حياتي وبعد موتي .

وكذلك فإن أبا بكر رضي الله عنه حين تولى الخلافة مكث سنة يدير أمور هذه الدولة ، ولم يأخذ أي راتب من بيت المال ، فلما نفدت تجارتها كلف الناس في المسجد فقال: أيها المؤمنون! إني كنت امرأً تاجراً ، وإنكم شغلتموني بأموركم عن أمور تجارتني ، فلو تجعلون لي رزقاً من بيت مالكم ، فجلس أهل المسجد يتفاوضون كم يجعلون لأبي بكر؟ كم الراتب الذي يستحقه على العمل الذي يقوم به؟ وعينوا له راتباً ، ثم لما تولى عمر أخذ ذلك الراتب ولم يزد فيه ، وهكذا فإن هذه الدولة التي أقامها رسول الله ﷺ واتبعه عليها خلفاؤه الراشدون ، كانت دولة الإسلام فعلاً ، أما ما بعد ذلك فقد بدأت هذه الدولة تنحرف عن مداها وتسير في غير مرامها ، فبدأ الناس يريدون هذه الدول لأفراد ، ويريدون أن تكون ملكاً خاصاً لفرد أو لأسرة أو لقبيلة أو لبلدة أو نحو ذلك ، وهذا ما أوعده به الرسول ﷺ ، فيما أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «تَكُونُ النَّبُوءَةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مَنِهَاجِ النَّبُوءَةِ فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاصِياً فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ جَبْرِيَّةً فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مَنِهَاجِ النَّبُوءَةِ ثُمَّ سَكَتَ» ^(١) (٤٤) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (حسن) أخرجه (حم) وحسنه الألباني في مش ٥٣٧٨ .

اللقاء الإيماني التاسع عشر :

(المبشرات على أن فجر الإسلام قادم <٢>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحيتي في الله ، من المبشرات التي تدل على أن فجر الإسلام قادم ، دخول كثير من الكفار في دين الإسلام لأسباب متعددة: هذا رجل أبوه يهودي متعصب متطرف من أغنياء الإنجليز ، وهو طبيب من مشاهير الأطباء في لندن ويعمل معه طبيب لبي في نفس المستشفى الذي يعمل فيه ، فحصل بينهما شجار ، فهذا اليهودي قال: ما من شعب من شعوب الدنيا أوسخ ولا أقذر من المسلمين ، فالطبيب اللبي قال له: هذا غير صحيح ، وإن أقذر شيء في الإنسان لدى المسلمين أطهر من وجهك أنت ، أنت تغسل وجهك كم مرة في اليوم؟ قال: مرة في الصباح .

قال: المسلمون ينظفون موقع خروج النجاسة ، ويغسلونه خمس مرات ، في أوقات الصلاة ، وذكر له الوضوء ، فأنكر هذا ، فقال: تعال معي لتشاهد ذلك في مسجد من المساجد ، فخرج معه ، فلما أتيا إلى مسجد لندن في إحدى الصلوات الجهرية - أظن أنها صلاة العشاء - وقف قبل الصلاة عند مكان الوضوء ، فإذا الناس مقبلون على الوضوء ، يأتي الإفريقي والآسيوي والإنجليزي والعربي المسلم ، كلهم يتوضأ بنفس الهيئة ، يغسل كل عضو ثلاث مرات ، وهم لا يشاهدون هذا الرجل ، ثم دخل المسجد وقال له: انتظرني هنا فقد حان وقت الصلاة ، وأنت لا يحل لك أن تدخل المسجد ، دعني أصلي وأعود إليك ، فوقف حول الميضأة والناس ما زالوا يأتون فيتوضئون ويدخلون ، قال: انتظرت قليلاً فإذا الباب عندما يفتح يخرج إلي منه صوت جميل بنغمة هادئة ، فأحببت أن أسمع عن كثب ، فاقتربت إلى الباب ، فأدخلت وجهي فقط ، فسمعت الإمام يقرأ قراءة هادئة جداً ، والناس وراءه في صمت رهيب يستمعون إليه ، سمعت ذلك وقتاً ثم خرجت ، ولم يشد هذا الأمر انتباهي كثيراً ، فأنا كثيراً ما أسمع الأغاني والأناشيد ، فهذا أمر طبيعي عندي ، فوقفت في المكان الذي تركني فيه صاحبي ، فلما قضى

الناس الصلاة وسلموا ، صاروا يخرجون أفواجا ، وكلما مر عليّ أحد منهم نظر إليّ نظرة مستغرب ، وبدأ يقترب مني ويسألني ما شأنك ؟ حتى تجمهر حولي عدد من الناس يقولون : إن وجهك مضىء يُشرق ، وكنت أنكر ذلك ولا أظنه صحيحاً ، حتى جاء صاحبي ، فقال : ماذا في وجهك ؟ قلت : ليس به شيء . قال : بلى إن وجهك يضيء كالقمر ، قال : فأنكرت ذلك فتقدمت إلى المرأة فنظرت ، فإذا فيه بقايا من النور الذي ذكروا ، فوجد أنه الجزء الذي دخل منه في المسجد ، فقد أصبح مثل فلقة القمر ، فكان هذا سبب إسلامه ، هذا الرجل الذي ابيض وجهه ، كثير من المسلمين ممن هو خير منه لا يحصل له هذا ، لكنها آية كانت سبب إسلامه (٤٤) .

* * *

على درب التوحيد (البرهان على استحقاق الله ﷻ العبادَة وحده)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

إخوتي في الله ، الله وحده هو الذي يخلق ويرزق ويملك ، وغير الله جل وعلا ليس له نصيب من الخلق ، ولا من الرزق ، ولا من الملك ، وليس له نصيب من الأمر حتى أعلى الخلق مقاما وهو النبي ﷺ قال له الله جل وعلا : ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ** ﴾ [آل عمران: ١٢٨] ، يعني لست مالكا لشيء من الأمر ، فمن الذي يملكك إذن ؟ إنه الله جل وعلا ، فإذا كان النبي ﷺ يُنفى عنه ذلك فإنّ نفيه عمن هو دونه من باب أولى .

فالله جل وعلا احتج في القرآن على المشركين الذين أقروا بتوحيد الربوبية وأنكروا توحيد الإلهية في كثير من الآيات على سبيل المثال لا الحصر منها .

قوله تعالى : ﴿ **قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ** ﴾ [يونس: ٣١] .

المعنى : قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين : مَنْ يرزقكم من السماء ، بما يُنزله من المطر ، ومن الأرض بما ينبت فيها من أنواع النبات والشجر تأكلون منه

أنتم وأنعامكم؟ ومن يملك ما تتمتعون به أنتم وغيركم من حواس السمع والأبصار؟ ومن ذا الذي يملك الحياة والموت في الكون كله، فيخرج الأحياء والأموات بعضها من بعض فيما تعرفون من المخلوقات، وفيما لا تعرفون؟ ومن يدبر أمر السماء والأرض وما فيهن، وأمركم وأمر الخليقة جميعاً؟ فسوف يجيبونك بأن الذي يفعل ذلك كله هو الله، فقل لهم: أفلا تخافون عقاب الله إن عبدتم معه غيره؟

كذلك الآيات العظيمة في سورة النمل قال جل وعلا: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۚ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) ۝ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِلَهُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ﴾ [النمل: ٥٩-٦٠].

المعنى: قل -أيها الرسول-: الثناء والشكر لله، وسلام منه، وأمنة على عباده الذين تخيرهم لرسالته، ثم اسأل مشركي قومك هل الله الذي يملك النفع والضرر خير أو الذي يشركون من دونه، ممن لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا؟.

واسألهم من خلق السموات والأرض، وأنزل لكم من السماء ماء، فأنبت به حدائق ذات منظر حسن؟ ما كان لكم أن تنبتوا شجرها، لولا أن الله أنزل عليكم الماء من السماء. إن عبادته سبحانه هي الحق، وعبادة ما سواه هي الباطل. أمعبود مع الله فعل هذه الأفعال حتى يُعبد معه ويُشرك به؟ بل هؤلاء المشركون قوم ينحرفون عن طريق الحق والإيمان، فيسبون بالله غيره في العبادة والتعظيم.

وكذلك الآيات العظيمة في سورة المؤمنون: ﴿قُلْ لِّلنَّارِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَن يَدِينُهُ مَلَكُوتٌ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٨٩)﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

المعنى: قل لهم: لمن هذه الأرض ومن فيها إن كان لديكم علم؟، سيعترفون حتماً بأنها لله، هو خالقها ومالكها، قل لهم: ألا يكون لكم في ذلك تذكراً بأنه قادر على البعث والنشور؟، قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم، الذي هو أعظم المخلوقات وأعلاها؟، سيقولون حتماً: هو الله، فقل لهم: أفلا تخافون

عذابه إذا عبدتم غيره؟، قل : مَنْ مالِك كل شيء ومَنْ بيده خزائن كل شيء ، ومَنْ يجير مَنْ استجار به ، ولا يقدر أحد أن يُجير ويحمي مَنْ أراد الله إهلاكه ، ولا يدفع الشر الذي قدَّره الله ، إن كنتم تعلمون ذلك؟ ، سيجيبون: بأن ذلك كله لله ، قل لهم: كيف تذهب عقولكم وتُخدعون وتُصرفون عن توحيد الله وطاعته ، وتصديق أمر البعث والنشور؟ .

مشاهد من الدار الآخرة (أحوال يوم القيامة <٦>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد ...

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - بعد أن يذهب الناس يوم القيامة لموسى ليشفع لهم عند الله فيقول لهم اذهبوا إلى عيسى عليه السلام - «يَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمُهْدِ، وَكَلِمَةً مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى ﷺ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا نَفْسِي - نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا؟ فَأَنْطَلِقُ فَأَتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقْعُ سَاجِدًا لِلرَّبِّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ حَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْزُقْ رَأْسَكَ؟ سَلْ تُعْطَ؟ اشْفَعْ تُشَفَّعَ؟ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ادْخُلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيهَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ - يعني أنهم لا يمنعون من سائر الأبواب -، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمَصْرَاعَيْنِ - أي جانبا الباب - مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجْرٍ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى - أي مدينة بصرى وهي

مدينة معروفة بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل-»^(١).

وأخرج مسلم أيضاً في صحيحه عن عمران بن حصيص قال: قال نبي الله ﷺ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بَغَيْرِ حِسَابٍ» قَالُوا: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «هُمْ الَّذِينَ لَا يَكْتُمُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فَقَامَ عُمَاةٌ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ؟ قَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ» قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ؟ قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُمَاةٌ»^(٢).

أمين هذه الأمة (أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه <١>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم، أما بعد ..

أيها الأحبة في الله، نحن اليوم على موعد مع أمين هذه الأمة أبي عبيدة بن الجراح، وهو عامر بن عبد الله بن الجراح رضي الله عنه مشهور بكنيته وبالنسبة إلى جده، أحد العشرة السابقين إلى الإسلام، وهاجر الهجرتين وشهد بدرا وما بعدها، وهو الذي انتزع الحلقتين من وجه رسول الله ﷺ فسقطت ثنيتا أبي عبيدة وقال فيه رسول الله ﷺ فيما أخرجه الشيخان في صحيحهما واللفظ للبخاري: «لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجُرَّاحِ»^(٣) (٤).

إسلامه رضي الله عنه:

قال ابن سعد في (الطبقات الكبرى): عن يزيد بن رومان قال: انطلق ابن مظعون، وعبيدة بن الحارث، و عبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وأبو عبيدة بن الجراح حتى أتوا رسول الله ﷺ، فعرض عليهم الإسلام، وأنبأهم بشرائه، فأسلموا في ساعة واحدة، وذلك قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم (٢٩).

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٤٣٥ ، و(م) ١٩٤ واللفظ لمسلم .

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢١٨ .

(٣) (صحيح) أخرجه (خ) ٤١٢١ ، و(م) ٢٤١٩ واللفظ للبخاري .

أبو عبيدة رضي الله عنه يضرب به المثل الأعلى في الولاء والبراء يوم بدر:

جاء في (حلية الأولياء) لأبي نعيم الأصبهاني عن ابن شوذب قال: جعل أبو أبي عبيدة بن الجراح يتصدى لابنه أبي عبيدة يوم بدر ، فجعل أبو عبيدة يحيد عنه فلما أكثر قصده أبو عبيدة فقتله ، فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية حين قتل أباه: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢] (١٧) .

ولقد تباينت الولاءات ، وتمايزت البراءات في غزوة بدر ، فالمهاجرون يقاتلون آباءهم وأبناءهم وإخوانهم وعشيرتهم من المشركين ، وهم بنو وطن واحد ، وعشيرة واحدة ، بل وعائلة واحدة ، فهذا أبو عبيدة بن الجراح يقتل أباه .

أبو عبيدة رضي الله عنه في غزوة أحد:

جاء في (الرحيق المختوم) لفضيلة الشيخ صفي الرحمن المباركفوري: روي ابن حبان في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال أبو بكر الصديق: لما كان يوم أحد انصرف الناس كلهم عن النبي ﷺ ، فكنت أول من فاء إلى النبي ﷺ ، فرأيت بين يديه رجلاً يقاتل عنه ويحميه ، قلت: كن طلحة ، فذاك أبي وأمي ، كن طلحة ، فذاك أبي وأمي ، حيث فاتني ما فاتني ، فقلت: يكون رجل من قومي أحب إلي ، فلم أنشب أن أدركني أبو عبيدة بن الجراح ، وإذا هو يشتد كأنه طير حتى لحقني ، فدفعنا إلى النبي ﷺ ، فإذا طلحة بين يديه صريعاً ، فقال النبي ﷺ : «دونكم أخاكم فقد أوجب» ، وقد رمي النبي ﷺ في وجنته حتى غابت حلقتان من حلق المغفر في وجنته ، فذهبت لأنزعهما عن النبي ﷺ فقال أبو عبيدة: نشدتك بالله يا أبا بكر ، إلا تركتني ، قال: فأخذ بفيه فجعل ينضضه كراهية أن يؤذي رسول الله ﷺ ، ثم استل السهم بفيه ، فنذرت ثنية - أي سقطت سن - أبي عبيدة ، قال أبو بكر: ثم ذهبت لأخذ الآخر ، فقال أبو عبيدة: نشدتك بالله يا أبا بكر ، إلا تركتني ، قال: فأخذه فجعل ينضضه حتى استلّه ، فنذرت ثنية أبي عبيدة الأخرى (١٩) .

أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه في سرية ذات السلاسل وعدم حرصه على الإمارة:

جاء في (الرحيق المختوم) لفضيلة الشيخ صفي الرحمن المباركفوري: أنه لما

علم رسول الله ﷺ بموقف القبائل العربية التي تقطن مشارف الشام في معركة مؤتة من اجتماعهم إلى الرومان ضد المسلمين ، شعر بمسئولية الحاجة إلى القيام بحكمة بالغة توقع الفرقة بينها وبين الرومان ، وتكون سبباً للاتلاف بينها وبين المسلمين ، حتى لا تتحشد مثل هذه الجموع الكبيرة مرة أخرى . واختار لتنفيذ هذه الخطة عمرو بن العاص ؛ لأن أم أبيه كانت امرأة من بلي . فبعثه إليهم في جمادي الآخرة ٨ هـ على إثر معركة مؤتة ؛ ليستألفهم ، ويقال: بل نقلت الاستخبارات أن جمعاً من قُضاعة قد تجمعوا ، يريدون أن يدنوا من أطراف المدينة ، فبعثه إليه ، ويمكن أن يكون السببان اجتماعاً معاً .

وعقد رسول الله ﷺ لعمرو بن العاص لواء أبيض ، وجعل معه راية سوداء ، وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ، ومعهم ثلاثون فرساً ، وأمره أن يستعين بمن مر به من بلي وعُدرة وبلقين . فسار الليل وكمّن النهار ، فلما قرب من القوم بلغه أن لهم جمعاً كثيراً ، فبعث رافع بن مكيث الجهني إلى رسول الله ﷺ يستمده ، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في مائتين ، وعقد له لواء ، وبعث له سراة المهاجرين والأنصار - فيهم أبو بكر وعمر - وأمره أن يلحق بعمرو ، وأن يكونا جميعاً ولا يختلفا . فلما لحق به أراد أبو عبيدة أن يؤم الناس ، فقال عمرو: إنما قدمت على مدداً ، وأنا الأمير ، فأطاعه (١٩) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

اللقاء الإيمانى العشرون :

(المبشرات على أن فجر الإسلام قادم <٤>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، ما زال الحديث متصلاً عن المبشرات ، فهذا طبيب أمريكي متخصص في الأمراض الباطنية ، جاءته امرأة مغربية مصابة بالسرطان في مراحل متقدمة ، وأخبرها أنه ليس لها أي علاج ، وأعطاهما بعض مسكنات الألم ، ونصحها بالخروج من المستشفى ؛ لأن بقاءها فيه مكلف ، بل نصحها أن تذهب إلى قريتها أو مكانها حتى تموت ، وكان ذلك بأسلوب مهذب ، وفهمت منه المرأة اليأس من حياتها ، وأنها لا يمكن أن تعيش ، فقالت له بكل صراحة : أنا موقنة بأنني سأموت ، لكن أخبرني فقط كم تتوقع بقي من عمري ؟ قال : حوالي شهر ، فذهبت هذه المرأة ، وطلبت من زوجها أن يرحل بها إلى مكة المكرمة ، فذهب بها إلى المسجد الحرام ، فلم تقبل الخروج منه ، وجلست تشرب ماء زمزم وتقرأ القرآن ، فلما مضت المدة المسموح بها في التأشيرة ، وجدت أن شعرها قد ازداد وقد كانت تشرب الكيماويات التي تزيل الشعر ، ووجدت أن صحتها قد تحسنت ، وبعد مدة وجدت أنها قد برأت تماماً ، ولم تعد تحس بشيء ، فرجع بها زوجها إلى نفس الطبيب الأمريكي ، فلما شاهدها كاد يغمى عليه من الهول ، وأمر بإجراء فحوص عاجلة لها ، فوجد أن كل شيء سليم ! وهو لا يصدق هذا ، سألها عن السبب ، فذكرت له ذلك ، فكان هذا سبب إسلامه .

وآخر أيضاً كان يعالج الأمراض النفسية ، ووجد أن الأصوات من أبلغ المؤثرات ، فكان يجمع أشرطة الأغاني والموسيقى وغيرها من مختلف أنواع الشعوب ، حتى أصوات الطيور يسجلها ، فيسمع المرضى تلك الأشرطة ، حتى وقع على شريط من القرآن بتلاوة الشيخ محمد علي المشاوي من سورة الرعد ، فوجد أنه أشد تأثيراً على المرضى من كل الأشرطة ، فحاول أن يستعرض ما فيه ، فسمع الكلام وإذا بالصوت عادي جداً ليس مثل أصوات المغنيين الجميلة ، فعرف أن القضية لا تتعلق بالنغمة والصوت ، وإنما تتعلق بمضمون الكلام ، وبحث عن

تفسير هذه السورة ، حتى وصل إلى قول الله تعالى: ﴿ **أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ [الرعد: ٢٨] فقال: هذه النكتة ! فكان ذلك سبب إسلامه (٤٤) .

على درب التوحيد (ليس لرسول الله ﷺ من الأمر شيء)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنْجِياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

إخوتي في الله ، كل مخلوق ضعيف يعلم من نفسه الضعف ، وأنه جاء إلى الحياة بغير اختياره ؛ بل الله جل وعلا هو الذي أتى به إلى هذه الحياة ، وأنه سيخرج من هذه الحياة بغير اختياره أيضاً ، فهو أيضاً مقهور ، ويعلم قطعاً أن الذي قهره وأذله وجعله على هذه الحالة هو الله جل وعلا ، وحده هو الذي يحيي ويميت ، في حين أن الله جل وعلا له الأسماء الحسنى وله الصفات العلا وله الكمال المطلق الذي لا يعتريه نقص في وجه من الوجوه .

فالذين توجهوا إلى أصحاب القبور أو إلى الصالحين والأولياء والأنبياء في داخلهم زعم بأنهم يملكون أشياء ، إما أن يملكوا شيئاً من الرزق أو يملكوا شيئاً من التوسط والشفاعة بدون إذن من الله جل وعلا ومشيتته في الحقيقة ليس لهم من تدبير الأمر شيء ويصدق ذلك قول الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكَكُمْ وَلَا يَنْبَغُكُمْ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)** ﴾ [فاطر: ١٣-١٤] .

ولو كان لرسول الله عليه الصلاة والسلام من الأمر شيء لنصر نفسه وأصحابه يوم أحد ، ولكن في يوم أحد حصل ما حصل ، أخرج مسلم في صحيحه عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَسَرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَشَجَّ فِي رَأْسِهِ فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ - أي يمسح - عَنْهُ وَيَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ - أي حصل جرح في رأسه الشريف ، والجراحة إذا كانت في الوجه أو الرأس تسمى شجة - وَكَسَرُوا رَبَاعِيَّتَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟!» فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ** ﴾

[آل عمران: ١٢٨] ^(١) .

وأخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرُّكْعَةِ الْآخِرَةِ مِنَ الْفَجْرِ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ الْعَنِ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا بَعْدَ مَا يَقُولُ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ إِلَى قَوْلِهِ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨] ^(٢) .

وجاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ، «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرَوْا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةَ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ سَلِينِي بِمَا شِئْتِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» ^(٣) .

وهذه الأحاديث دالة على أن النبي ﷺ نفى عن نفسه أن يملك شيئاً من ملكوت الله ، وإذا كان كذلك فإن النبي ﷺ قد بلغ ذلك وبينه ، ومن هو دونه عليه الصلاة والسلام من باب أولى ، فإذا كان كذلك بطلت كل التوجهات إلى غير الله جل و علا ، ووجب أن يتوجه بالعبادة وبأنواع العبادة من الدعاء والاستغاثة والاستعاذة والذبح والنذر وأنواع التوجهات إلى الحق جل وعلا وحده دون ما سواه (٣٤) .

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (خطاب الله ﷻ مع الأنبياء)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبي الذين اتقوا وعقبي الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد ...

أخرج البخاري في صحيحه ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبَّ فَيَقُولُ: هَلْ بَلَغْتَ

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٧٩١ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٨٤٢ .

(٣) (صحيح) أخرجه (م) ٢٠٦ .

فَيَقُولُ : نَعَمْ فَيَقَالُ لِأُمَّتِهِ : هَلْ بَلَغَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ فَيَقُولُ : مَنْ يَشْهَدُ لَكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، قَالَ : فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (١٤٣) [البقرة: ١٤٣] والوسط - أي العدل - (١) .

وروى الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ آدَمُ، فَتَرَاءَى ذُرِّيَّتُهُ فَيَقَالُ: هَذَا أَبُوكُمْ آدَمُ، فَيَقُولُ لِبَنِيكَ وَسَعْدِيكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعَثْ جَهَنَّمَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ كَمْ أَخْرِجُ؟ فَيَقُولُ: أَخْرِجْ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا أَخَذَ مِنَّا مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ فَمَاذَا يَبْقَى مِنَّا؟ قَالَ: «إِنْ أُمَّتِي فِي الْأُمَمِ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ» (٢)

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدَاكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨)﴾ [المائدة: ١١٦-١١٨] .

المعنى: واذكر إذ قال الله تعالى يوم القيامة: يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وامي معبودين من دون الله؟ فأجاب عيسى - منزهًا الله تعالى -: ما ينبغي لي أن أقول للناس غير الحق . إن كنت قلت هذا فقد علمته ؛ لأنه لا يخفى عليك شيء ، تعلم ما تضره نفسي ، ولا أعلم أنا ما في نفسك . إنك أنت عالم بكل شيء مما ظهر أو خفي . قال عيسى عليه السلام: يا رب ما قلت لهم إلا ما أوحيته إليّ ، وأمرتني بتبليغه من أفرادك بالتوحيد والعبادة ، وكنت على ما يفعلونه - وأنا بين أظهرهم - شاهداً عليهم وعلى أفعالهم وأقوالهم ، فلما وفيتني أجلي على الأرض ، ورفعتني إلى السماء حيّاً ، كنت أنت المطّلع على سرائرهم ، وأنت على كل شيء شهيد ، لا تخفى عليك خافية في الأرض ولا في السماء . إنك

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٢١٧ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٦١٦٤ ، و(م) ٢٢١ واللفظ للبخاري .

يا الله إن تعذبهم فإنهم عبادك - وأنت أعلم بأحوالهم - ، تفعل بهم ما تشاء بعدلك ، وإن تغفر برحمتك لمن أتى منهم بأسباب المغفرة ، فإنك أنت العزيز الذي لا يغالب ، الحكيم في تدبيره وأمره . وهذه الآية ثناء على الله - تعالى - بحكمته وعدله ، وكمال علمه .

أمين هذه الأمة (أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه) <٢>

الحمد لله الذي منّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .
أيها الأحبة في الله ، ما زلنا ننهل من السيرة العطرة لأمين هذه الأمة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فهي بنا .

رسول الله ﷺ يرسل أبا عبيدة رضي الله عنه مع وفد نجران:

أخرج الشيخان في صحيحيهما عن حذيفة رضي الله عنه قال: جاء أهل نجران إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله: ابعث إلينا رجلاً أميناً ، فقال: لأبعثن إليكم رجلاً أميناً ، حق أمين ، حق أمين . قال: فاستشرف لها الناس - أي تطلعوا إلى الولاية ورغبوا فيها حرصاً على أن يكون هو الأمين الموعود في الحديث لا حرصاً على الولاية من حيث هي - قال: فبعث أبا عبيدة بن الجراح ^(١) .

أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه في سرية الخطب، والرزق الذي ساقه الله لهم:

أخرج مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ وأمرنا علينا أبا عبيدة نتلقى عيراً لقريش - أي إبلا محملة بمال التجارة لقريش - وزودنا جراباً - أي وهو وعاء من جلد - من تمر لم يجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يعطينا ثمرة ثمرة . قال: فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: نمصها كما يمص الصبي ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يوماً إلى الليل ، وكنا نضرب بعصينا الخطب - أي ما يسقط من ورق الشجر إذا ضربتها - ثم نبثه بالماء فنأكله ، قال: وأنطلقنا على ساحل البحر فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكتيب - أي الرمل المستطيل

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٤١٢٠ ، و(م) ٢٤٢٠ .

المحدود - الضَّخْمُ فَاتَيْنَاهُ ، فَإِذَا هِيَ دَابَّةٌ تُدْعَى الْعَنْبَرُ - أي نوع من الحيتان - ، قَالَ: قَالَ: أَبُو عُبَيْدَةَ مَيْتَةً ، ثُمَّ قَالَ: لَا بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ اضْطُرَرْتُمْ فَكُلُوا ، قَالَ: فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ شَهْرًا وَنَحْنُ ثَلَاثُ مِائَةٍ حَتَّى سَمِنَّا ، قَالَ وَلَقَدْ رَأَيْنَا نَعْتَرَفُ مِنْ وَقَبٍ - أي نقرة - عَيْنِهِ بِالْقِلَالِ - أي جمع قلة وهي الجرة الكبيرة - الدُّهْنُ وَنَقَطَ مِنْهُ الْفِدْرَ - أي القطع - كَالثَّوْرِ أَوْ كَقَدَرِ الثَّوْرِ ، فَلَقَدْ أَخَذَ مِنَّا أَبُو عُبَيْدَةَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَأَقْعَدَهُمْ فِي وَقَبٍ عَيْنِهِ وَأَخَذَ ضِلْعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ فَأَقَامَهَا ، ثُمَّ رَحَلَ - أي جعل عليه رحلا - أَعْظَمَ بَعِيرٍ مَعَنَا فَمَرَّ مِنْ تَحْتِهَا وَتَزَوَدْنَا مِنْ لَحْمِهِ وَشَاتِقٍ - أي اللحم يؤخذ فيغلى إغلاء ولا يَنْضِجُ ويحمل في الأسفار - فَلَمَّا قَدَمْنَا الْمَدِينَةَ أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «هُوَ رِزْقُ أَخْرَجَهُ اللَّهُ لَكُمْ فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعَمُونَا؟» قَالَ: فَأَرْسَلْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ فَأَكَلَهُ^(١) .

من فوائد هذا الحديث: أن أبا عبيدة عمل بعموم القرآن إذ ما عنده شيء يُخصص هذا العموم فقال: "ميتة لا تأكلوه"؛ ثم رجع إلى نفسه فقال: "لَا بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَقَدْ اضْطُرَرْتُمْ فَكُلُوا" . إذاً هو أكل من باب الاضطرار ، وليس لأن ميتة البحر حلال - لأنه لم يكن يعلم بذلك - فإذا كان مثل هذا الصحابي الجليل الفقيه ، وهو من أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وقد مات رسول الله ﷺ وهو عليه راض ، وكان عمر يُقدمه ، ويُجله ويُعظمه ، ومعلوم أن المرء إذا كان عنده الدليل العام فلا يتوقف في العمل به حتى يبحث عن الخصوص لأن الأصل هو العمل بالدليل ، فمن الأحرى بنا أن نقتدي بهذا الصحابي الجليل .

مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه:

أخرج الترمذي في سننه عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ»^(٢) .

وأخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٩٣٥ .

(٢) (صحيح) أخرجه (ت) وصححه الألباني في ص ج ٥٠ .

قَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا - أَيُّ ثِقَةٍ وَالْأَمَانَةِ مَشْتَرَكَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ لَكِنْ خَصَّ بِهَا لَتَمِيزَهُ فِيهَا - وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيُّهَا الْأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ» ^(١).

وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ: إِنَّ أَهْلَ الْيَمَنِ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا يَعْلَمُنَا السُّنَّةَ وَالْإِسْلَامَ. قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ فَقَالَ: «هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ».

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نِعَمَ الرَّجُلُ أَبُو بَكْرٍ، نِعَمَ الرَّجُلُ عُمَرُ، نِعَمَ الرَّجُلُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ» ^(٢).

وَلَقَدْ كَانَ لَهُ مَنْزِلَةٌ جَلِيلَةٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ سُئِلَتْ مَنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْلِفًا لَوْ اسْتَخْلَفَهُ؟ قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ. فَقِيلَ لَهَا ثُمَّ مَنْ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ: عُمَرُ. ثُمَّ قِيلَ لَهَا: مَنْ بَعْدَ عُمَرَ؟ قَالَتْ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، ثُمَّ انْتَهَتْ إِلَى هَذَا ^(٣).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٥٣٤، و(م) ٢٤١٩.

(٢) (صحيح) أخرجه (ت) وصححه الألباني في مش ٦٢٢٤.

(٣) (صحيح) أخرجه (م) ٢٣٨٥.

اللقاء الإيمانى الحادى والعشرون :

(المبشرات على أن فجر الإسلام قادم <ه>)

الحمد لله الذى كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، من المبشرات التى تدل على أن فجر الإسلام قادم: رجوع كثير من أوساط المسلمين إلى الله سبحانه وتعالى ، فنحن نشهد اليوم زيادة أعداد المساجد ، وزيادة المصلين فيها ، كما أن كثيراً من رواد المساجد من الشباب الذين هم في مقتبل العمر ، ومثل ذلك في أوساط النساء ، وهن اللواتي كثيراً ما يعتلي بهن أصحاب الفجور ، ويجعلونه من حبائل الشيطان ومن وسائل الإغواء ، فاللواتي يلتزمن ، ويهتدين ، ويتسترن من النساء ، أعدادهن متزايد ، وليس ذلك خاصاً بشريحة ولا طبقة ، بل هو منتشر في المستويات الراقية من الناحية الاجتماعية والاقتصادية ، وكذلك في بلاد الكفر ، فأعداد المساجد الآن في باريس وحدها تتضاعف في كل عام تقريباً ، بالإضافة إلى الإقبال الشديد عليها ، فقلما يبنى مسجد إلا ويمتلئ ، وبالأخص في أيام الجمع ، بل إن كثيراً من الذين فجروا وفسقوا وأوغلوا في أنواع الفجور والعصيان ؛ أصبحوا اليوم من الداعين إلى الإسلام ، بل وأصبح كثير منهم من الدعاة البارزين المشاهير ، وتسمعون اليوم عدداً كبيراً من الخطباء والوعاظ الذين كانوا عصاة ، ثم هداهم الله كالشيخ أحمد القطان في الكويت ، والشيخ محمد العوضي ، والشيخ عادل الكلباني والشيخ محمد بن سعيد القحطاني والشيخ سعيد بن مسفر القحطاني ، والدكتور عمرو خالد المصري الذي كان من بيئة موهلة في الإسراف في أمور الدنيا ، ومن أرقى الطبقات الاجتماعية في مصر ، وقد تربى بعيداً جداً عن دين الله والالتزام به ، وقد أصبح اليوم يهتدي على يديه بإذن الله أعداد كبيرة جداً من الناس ، وقد حضر مؤتمراً إسلامياً في باريس ، وهو مؤتمر اتحاد المنظمات الإسلامية العاملة في فرنسا ، وحضر هذا المؤتمر أكثر من مائة ألف من المسلمين ، وكان من أبلغ المحاضرين المؤثرين فيه (٤٤) .

على درب التوحيد (ملائكة الرحمن ليس لها من الأمر شيء)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنَجِّياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد ..

إخوتي في الله، إن الآلهة التي يتوجه إليها العباد بالعبادة كالملائكة مخلوقون مربوبون لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون، ولا يستطيعون نصراً لمن سألهم، وإنما ذلك لله عَزَّ وَجَلَّ وحده، فإذا كان أولئك ليس لهم من الأمر شيء، وليس لهم من الملك شيء، وليس لهم من الخلق شيء، وليس لهم من تدبير الأمر شيء، وإنما تدبير أمر السماوات وأمر الأرض بيد الله وحده، فإن الذي يستحق العباد وحده هو الذي يفعل تلك الأفعال ويتصف بتلك الصفات (٣٤).

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ صَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا - أي طاعة وانقيادا - لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ - أي لها صوت كصوت السلسلة على الحجر الأملس -، يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ - أي ينفذ الله إلى الملائكة الأمر الذي قضاه - ﴿فَإِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبا: ٢٣]»^(١).

فعند زوال الخوف والفرع عن الملائكة سأل عامة الملائكة خاصتهم، مثل جبريل وميكائيل عليهما السلام ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم بما قال الله جل وعلا. فكل من في السماوات ومن في الأرض خائف من الله عَزَّ وَجَلَّ إذ هو الجليل سبحانه، ولذلك فإن الملائكة ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠]، وقال الله جل وعلا في وصفهم أيضاً: ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، فدل على أنهم عباد فقراء إلى الله، ليس بيدهم شيء إلا ما أعطاهم الله سبحانه وتعالى، فلا تجوز دعوتهم من دون الله عَزَّ وَجَلَّ، وإذا كان هذا في حق الملائكة ففي حق غيرهم من باب أولى وأحرى.

(١) (صحيح) خرجه (خ) ٤٤٢٤.

مشاهد من الدار الآخرة (الميزان)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

عباد الله ، قال الإمام القرطبي ما مختصره: توهم نفسك يا أخي إذا تطايرت الكتب ، ونصبت الموازين ، وقد نوديت باسمك على رؤوس الخلائق: أين فلان ابن فلان؟ هلم إلى العرض على الله تعالى ، وقد وكلت الملائكة بأخذك فقربتك على الله ﷻ لا يمنعه اشتباه باسمك واسم أبيك ، تخطى بك الصفوف إلى ربك للعرض عليه والوقوف بين يديه ، وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم ، وفي يدك صحيفة عملك ، وأنت تقرأ كتابك بقلب منكسر ، وكم من سيئة قد نسيتها ذكرك الله بها ، فيا حسرة قلبك ، ويا أسفك على ما فرطت فيه من طاعة ربك .

قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[الأعراف: ٨] .

المعنى : ووزن أعمال الناس يوم القيامة يكون بميزان حقيقي بالعدل والقسط الذي لا ظلم فيه ، فمن ثقلت موازين أعماله - لكثرة حسناته - فأولئك هم الفائزون .

ومن أهل العلم من قال: توزن الأعمال في الميزان ، ومنهم من قال: يوزن العبد نفسه في الميزان ، ومنهم من قال: توضع الصحائف في الميزان .

وأخرج الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سننه عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَجُلًا قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي مَمْلُوكِينَ يَكْذِبُونِي وَيَخُونُونِي وَيَعْصُونِي وَأَشْتُمُهُمْ وَأَضْرِبُهُمْ فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ؟ قَالَ: «يُحْسَبُ مَا خَانُوكَ وَعَصَوْكَ وَكَذَّبُوكَ وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ، فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ كَانَ كَفَافًا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ كَانَ فَضْلًا لَكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمْ اقْتَصَرَ لَكُمْ مِنَ الْفَضْلِ» ، قَالَ: فَتَنَحَّى الرَّجُلُ فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَهْتِفُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (٤٧)﴾ [الأنبياء: ٤٧] ، قَالَ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلِهَؤُلَاءِ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ

أشهدكم أنهم أحرار كلهم^(١).

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾ [الزلزلة: ٧-٨] ، والذرة هي النملة الصغيرة .

وأخرج الشيخان في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه : عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : قَالَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ وَقَالَ: اقْرَأُوا ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]»^(٢).

وروى الترمذي في سننه وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلَصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُسْرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ سَجَلًا كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتَنْكَرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كِتَابِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عَذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزَنُكَ، فَيَقُولُ يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تَظْلُمُ قَالَ: فَتَوَضَّعَ السَّجَلَاتُ فِي كَفَّةٍ، وَالْبَطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ وَثَقُلَتِ الْبَطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»^(٣).

وجاء في مسند الإمام أحمد وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكَ مِنَ الْأَرَاكِ وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ فَجَعَلَتْ الرِّيحُ تَكْفُوهُ فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ دِقَّةِ سَاقِيهِ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ»^(٤).

هذه شهادة عظيمة من رسول الله ﷺ لعبد الله بن مسعود ، فموازين الدنيا بالوزن المادي وموازين الآخرة بالتقوى .

وأخرج الحاكم في المستدرك عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «يوضع الميزان يوم القيامة؛ فلو وزن فيه السموات والأرض لو سعت، فتقول الملائكة:

(١) (صحيح) أخرجه (حم ت) وصححه الألباني في ص ٢٢٩٠ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٤٥٢ و(م) ٢٧٨٥ .

(٣) (صحيح) أخرجه (ت هـ ح ك هـ ق) وصححه الألباني في ص ١٥٣٣ .

(٤) (حسن) أخرجه (حم طيالسي ابن سعد) وحسنه الألباني في س. ص ٢٧٥٠ .

يا رب! لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي. فتقول الملائكة: سبحانه ما عبدناك حق عبادتك. ويوضع الصراط مثل حد موسى فتقول الملائكة: من تجيز على هذا؟ فيقول: من شئت من خلقي. فيقولون: سبحانه ما عبدناك حق عبادتك»^(١).

* * *

أمين هذه الأمة (أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه) <٣>

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به أصحابه الكرام رضي الله عنهم، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم، أما بعد..
أيها الأحبة في الله، ما زلنا ننهل من السيرة العطرة لأمين هذه الأمة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فهي بنا.
زهدي أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه:

جاء في (صفة الصفوة) لابن الجوزي: عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: لما قدم عمر بن الخطاب من الشام تلقاه أمراء الأجناد وعظماء أهل الأرض، فقال عمر رضي الله عنه: أين أخي؟ قالوا: من؟ قال: أبو عبيدة، قالوا: يأتيك الآن، فلما أتاه نزل فاعتنقه، ثم دخل عليه بيته فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه ورحله، فقال له عمر: ألا اتخذت ما اتخذ صاحبك؟ فقال: يا أمير المؤمنين هذا يبلغني المقيـل (٢٠).

والله يا إخوة لقد باع هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم الدنيا فأعطاهم الله الدنيا والآخرة، فهلا تأسينا بهم فنفوز فوزا عظيما.

ذكر تواضعه وإنصافه لرعيته ومساواته لهم:

جاء في (الرياض النضرة في مناقب العشرة) للمحب الطبري: روى أبو حذيفة رضي الله عنه في فتوح الشام أن أبا بكر قد بعث عمرو بن العاص في نفر وقال له: يا عمرو؛ هؤلاء أشرف قومك يخرجون مجاهدين في سبيل الله، بائعين أنفسهم لله، فأخرج فعسكر حتى أندب الناس معك، فقال عمرو: يا خليفة رسول الله أأست أنا الوالي على الناس؟ قال: بلى، أنت الوالي على من أبعثه معك من ههنا؛ فقال: بل على من أقدم عليه من المسلمين؛ قال: فقال: لا، ولكن - أي ولكنك -

(١) (صحيح لغيره) أخرجه (ك) وقال الألباني في ص ٣٦٢٦ صحيح لغيره.

أحد الأمراء فإن جمعتكم حرب فأبو عبيدة أميركم ؛ فسكت عمرو ، ثم . . جاء إلى عمر فقال: يا أبا حفص ، قد علمت نصرتي في الحرب ومناقبي في العدو ؛ وقد رأيت منزلي من رسول الله ﷺ وقد أرى أبا بكر ليس يعصيك ، فأشر عليه رحمك الله أن يولياني أمر هذه الجنود بالشام ، فإنني أرجو أن يفتح الله على يدي البلاد ، وأن يريكم الله والمسلمين ما تسرون به ؛ فقال عمر: ما كنت لأكذبك ، ما كنت لأكلمك في ذلك: وما يوافقني أن يبعثك على أبي عبيدة وأبو عبيدة أفضل عندنا منزلة منك ، قال: فإنه لا ينقص أبا عبيدة شيئاً من فضله إن ولاني عليه ؛ قال: فلما قدم عمرو على أبي عبيدة قال له أبو عبيدة: مرحباً بك يا أبا عبد الله رب يوم قد شهدته مباركاً للمسلمين فيه برأيك ومحضرك ، وإنما أنا رجل منكم ، لست - وإن كنت الوالي عليكم - بقاطع أمراً دونكم فاحضرنى برأيك في كل يوم بما ترى ، فإنه ليس لي عنك غنى ، قال: فقال عمرو: أفعل ، وفقك الله لما يصلح للمسلمين ونكبت به العدو .

هكذا ينبغي لولاة أمور المسلمين أن يتعلموا من هذا الصحابي الجليل كيف تكون الشورى مع أولي العقد والشورى .

وفاة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه:

روى الحاكم في المستدرک بسنده عن أبي سعيد المقبري قال: لما طعن أبو عبيدة رضي الله عنه - أي مرض بالطاعون وذلك في طاعون عمواس بالأردن وفيها قبره سنة ١٨ هـ وهو ابن ٥٨ سنة - قال: يا معاذُ صلِّ بالناس ، فصلّى معاذ بالناس ، ثم مات أبو عبيدة بن الجراح ، فقام معاذ في الناس فقال: يا أيها الناس ، توبوا إلى الله من ذنوبكم توبة نصوحاً فإن عبد الله لا يلقى الله تائباً من ذنبه إلا كان حقاً على الله أن يغفر له . ثم قال: إنكم أيها الناس ، قد فجّعتم برجل والله ما أزعم أنني رأيت من عباد الله عبداً قط . . أبرأ صدراً ، ولا أشد حباً للعاقبة ، ولا أنصح للعامة منه ، فترحموا عليه ثم أصحروا للصلاة عليه - أي اخرجوا إلى الصحراء للصلاة عليه - ، فوالله لا يلي عليكم مثله أبداً ، فاجتمع الناس وأخرج أبو عبيدة رضي الله عنه وتقدّم معاذ رضي الله عنه فصلّى عليه ، حتى إذا أتى به قبره دخل قبره معاذ بن جبل وعمرو بن العاص والضحّاك بن قيس ، فلما وضعوه في لحده وخرجوا فشتوا عليه التراب ، فقال معاذ بن جبل: يا أبا عبيدة ، لأثنيين عليك ولا أقول باطلاً أخاف أن يلحقني بها من الله ممّت: كنت والله ما علمت من الذاكرين الله كثيراً ، ومن الذين يمشون على

الأرض هَوْنًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ، ومن الذين إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ، وكنت والله من المُخبتين - أي من تخشع قلوبهم لله ﷻ - ، المتواضعين ، الذين يرحمون اليتيم والمسكين ويُغضون الخائنين المتكبرين (١)

انظروا - يا إخوة - كيف يثني إمام العلماء معاذ بن جبل رضي الله عنه على أبي عبيدة بن الجراح بعد وفاته ويقول: إنكم أيها الناس ، قد فجعتم برجل والله ما أزعم أنني رأيت من عباد الله عبداً قط . . أبرأ صدراً ، ولا أشد حبا للعاقبة ، ولا أنصح للعامّة منه ، فترحموا عليه ثم أصحروا للصلاة عليه ، فوالله لا يلي عليكم مثله أبداً .

يا لها من منقبة عظيمة وصدق رسول الله ﷺ حين قال: «مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ» (٢) ، نسأل الله تعالى له الفردوس الأعلى من الجنة .

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى
(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) أخرجه (ك) ٥١٤٨ وسكت عنه الذهبي في التلخيص .

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٩٤٩ .

اللقاء الإيمانى الثانى والعشرون:

(المبشرات على أن فجر الإسلام قادم <٦>)

الحمد لله الذى كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد . . .

أحبتي في الله، ما زال الحديث متصلاً عن المبشرات بأن فجر الإسلام قادم، فإن عدداً كبيراً من الذين يرتادون المساجد اليوم في كل مدينة من مدن العالم، كانوا قد فجروا وبغوا وطغوا ووصلوا إلى ذروة العصيان، ثم هداهم الله، فرجعوا طائعين غير كارهين، وأقبلوا على الدين من جديد، اليوم شباب الجزائر خير من كهولها، وهذا دليل على أن الصحوة بدأت من جديد؛ ولذلك فإن بعض طلاب العلم الدارسين هنا في موريتانيا من أبناء الجزائر يذكرون أن آباءهم كانوا أعداءهم، يمنعونهم من الصلاة، ويمنعونهم من قراءة القرآن، ويمنعونهم من الأذكار، وإذا وجدوا عندهم أي كتاب مزقوه، ويحاولون أن يكون معاشهم من الخمر وأنواع الفجور، ومع ذلك خرج من هؤلاء طلاب للعلم، مهاجرون بدينهم. وأذكر شاباً أتانا قبل سنوات هنا في المحضرة من بلاد المغرب، وما زال موجوداً هنا في موريتانيا حسب ما أعتقد، ذكر أنه مات أبوه وترك له خسارة! فكان يبيع فيها الخمر، ولقد وجد أباه يكتسب بذاك الكسب، ولم تكن له هواية إلا جمع الدراهم والدنانير، وهو مشغول بذلك، يقول: حتى أتاني شاب أنيق نظيف، فكان يجلس إليّ ويتحدث إليّ، ثم بدأ يدعوني لزيارة المسجد، فزرت معه مسجداً، ثم دعاني لقراءة الحزب من القرآن، وهو أمرٌ معهود في المغرب، فأهل المسجد جميعاً يأخذون المصاحف ويقرءون حزباً واحداً بنغمة واحدة، قال: ثم بدأت ألتزم بأوقات الصلاة إلا صلاة الفجر، ثم فوجئت أن هذا الشاب الصديق صار يأتيني في وقت الفجر ويوقظني، فأذهب معه إلى المسجد، وبعد فترة ناقشني في قضية العمل في الخمر، وقال: أليس الأولى بك أن تحول هذا المتجر إلى متجر من نوع آخر أكثر ربحاً، وأكثر زواراً ورواداً، وأطيب؟ قال: أول مرة أسمع أن الخمر كسب خبيث، وكان مفاجأة لي، ثم عرفت أنه قد صدقني، وأنه محبٌ لي، فكان هذا سبب هدايته (٤٤).

على درب التوحيد (الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية) (<١>)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنَجِّياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد ..

إخوتي في الله ، لما كان المشركون قديماً وحديثاً يعبدون من دون الله الأصنام والأشجار والأحجار والقبور والأضرحة والأولياء والصالحين والملائكة والأنبياء ، فإذا أنكر عليهم ذلك قالوا: ﴿ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ (١٨) ﴾ [يونس: ١٨] ، فإذا سألت هؤلاء الكفار عن ذلك يقولون: نحن نعلم أنهم مخلوقون ، وأن الأمر بيد الله ، ولكن هؤلاء لهم مكانة عند الله ، ونريد منهم أن يشفعوا لنا عند الله ، فيذجون للأولياء والصالحين والأشجار والأحجار ، ويستغيثون بهم ، ويصرفون لهم أنواع العبادة ، فإذا أنكر عليهم قالوا: غرضنا من ذلك هو الشفاعة فقط ، فبين الله أن ذلك هو الشرك ، و الشفاعة في كتاب الله قسمين:

الشفاعة المنفية: وهي الشفاعة التي تطلب من غير الله ، هذه الشفاعة منفية ، لأن الشفاعة ملك لله ، لا تُطَلَّب إلا منه ، وكذلك الشفاعة التي تُطلب فيمن لا تُقبل فيه ، وهو الكافر ، فالكافر والمشرك لا تقبل فيه الشفاعة: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨) ﴾ [غافر: ١٨] ، وقال الله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ (٤٨) ﴾ [البقرة: ٤٨] (٦) .

والشفاعة المثبتة: وهي التي توفر فيها الشرطان: الشرط الأول: أن تُطلب من الله ، قال تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ (٢٥٥) ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، والشرط الثاني: أن تكون فيمن تُقبل فيه الشفاعة ، وهو المؤمن الموحد الذي عنده شيء من المعاصي دون الشرك ، فهذا تُقبل فيه الشفاعة بإذن الله ، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى (٢٨) ﴾ [الأنبياء: ٢٨] ، وهم أهل الإيمان (٦) .

مشاهد من الدار الآخرة (الحساب) (<١>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة

عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد . . .

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ . هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةً الْبَدْرُ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَذُنٌ مُؤَدَّنٌ لِيَسْمَعَ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ فَيُدْعَى الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنِ اللَّهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْعُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا؟ فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَّا تَرُدُّونَ، فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهُمْ سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْعُونَ؟ فَيَقُولُونَ عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا؟ قَالَ فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَّا تَرُدُّونَ، فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهُمْ سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ التِّي رَأَوْهُ فِيهَا، قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ تَتَّبِعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا فَارْقِنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرُ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ التِّي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبَّنَا ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: دَحْضُ مَزَلَةٍ - الموضع الذي تزل فيه الأقدام - فِيهِ خَطَاطِيفٌ وَكَالَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ يَنْجِدُ فِيهَا سُوءِيكَةً يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرَفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرَّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ

- أي الخيل الجيدة-، وَالرَّكَّاب - أي الإبل - فَنَاجٍ مُسْلِمٌ، وَخَدُوشُ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ . . .» (١)

شهيد يمشي على وجه الأرض (طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله ، نحن اليوم مع شهيد يمشي على الأرض ألا وهو طلحة ابن عبيد الله بن عثمان بن تيم رضي الله عنه ، وشهد طلحة أحداً وثبت يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقاه بيده فشلت إصبعاه وجرح يومئذ خمس وسبعون بين طعنة وضربة ورمية ، وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد طلحة الخير ، ويوم غزوة ذات العشيرة طلحة الفياض ويوم حنين طلحة الجود (٢٨) .

طلحة رضي الله عنه يوم أحد:

جاء في سنن النسائي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَوَلَّى النَّاسُ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي نَاحِيَةٍ فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَفِيهِمْ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَأَذْرَكَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَقَالَ: مَنْ لِلْقَوْمِ؟ فَقَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: كَمَا أَنْتَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: أَنْتَ فَقَاتِلْ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ الْتَفَتَ فَإِذَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ: مَنْ لِلْقَوْمِ؟ فَقَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، قَالَ: كَمَا أَنْتَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا فَقَالَ: أَنْتَ فَقَاتِلْ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ وَيَخْرِجُ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَيُقَاتِلُ قِتَالَ مَنْ قَبْلَهُ حَتَّى يُقْتَلَ، حَتَّى بَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ لِلْقَوْمِ؟ فَقَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، فَقَاتَلَ طَلْحَةُ قِتَالَ الْأَحَدِ عَشَرَ، حَتَّى ضَرَبَتْ يَدُهُ فَقَطَعَتْ أَصَابِعُهُ، فَقَالَ: حَسْبٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: لَوْ قُلْتُ بِسْمِ اللَّهِ لَرَفَعْتُكَ الْمَلَائِكَةُ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ ثُمَّ رَدَّ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ (٢) .

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٧٠٠١ ، و(م) ١٨٣ واللفظ لمسلم .

(٢) (حسن) أخرجه (ن) ٣١٤٩ وحسنه الألباني .

وروى البخاري في صحيحه عَنْ قَيْسِ الْبَجَلِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ شَلَاءً - أي مشلولة لا يستطيع استخدامها - وَقَى بِهَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ ^(١).

أخي الحبيب ، لقد ظل طلحة رضي الله عنه يدافع عن رسول الله ﷺ حتى شلت يده دفاعاً عن النبي ﷺ وأنت لا تستطيع - يا أخي - أن تحجب يديك عن أكل الحرام ، ولا تستطيع أن تحجب يديك عن ظلم العباد ، ولا تستطيع أن تحجب يديك عن كل ما يغضب الله ، ولا تستطيع أن تحجب رجلتك عن كل معصية تمشي في معصية الله سبحانه وتعالى ، فهلا تعلمنا من طلحة رضي الله عنه؟! .

فضائل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه:

وأخرج مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَلَى جَبَلٍ حَرَاءٍ فَتَحَرَّكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْكُنْ حَرَاءً فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صَدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ، وَعَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه» ^(٢).

وجاء في سنن الترمذي في سننه والحاكم في المستدرک عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ» ^(٣).

وأخرج الترمذي وابن ماجه في سننهما عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: أَلَا أُبَشِّرُكَ؟ فَقُلْتُ: بَلَى ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «طَلْحَةُ مِمَّنْ قُضِيَ نَحْبُهُ» ^(٤).

ذكر جوده وسماحة نفسه:

جاء في المعجم الكبير للطبراني عَنْ طَلْحَةَ بْنِ يَحْيَى ، عَنْ جَدَّتِهِ وَهْبٍ امْرَأَتِهِ سَعْدَى ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ يَوْمًا طَلْحَةُ ، فَرَأَيْتُ مِنْهُ ثِقَلًا ، فَقُلْتُ: مَا لَكَ ، لَعَلَّ رَأَبَكَ مِنَّا شَيْءٌ فَنُعْتَبِكَ ؟ ، قَالَ: لَا ، وَلِنَعْمَ حَلِيلَةَ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ أَنْتِ ، وَلَكِنْ اجْتَمَعَ عِنْدِي مَالٌ وَلَا أَدْرِي كَيْفَ أَصْنَعُ بِهِ ، قَالَتْ: وَمَا يَغُمُّكَ مِنْهُ ؟ أَدْعُ قَوْمَكَ

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٨٣٦ .

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢٤١٧ .

(٣) (صحيح) أخرجه (ت ك) وصححه الألباني في ص ج ٥٩٦٢ .

(٤) (صحيح) أخرجه (ت هـ) وصححه الألباني في ص ج ٣٩١٦ .

فَأَقْسِمُهُ بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ : يَا غُلَامُ ، عَلَيَّ قَوْمِي ، فَسَأَلْتُ الْخَازَنَ : كَمْ قَسَمَ ؟ قَالَ :
أَرْبَعِمِائَةٍ أَلْفٍ .^(١) . ولم لا؟! ولقد تربوا على مائدة رسول الله ﷺ على الإنفاق في
سبيل الله فهل تعلمنا الدرس؟! .

طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه والفتنة:

كانت موقعة الجمل في العام السادس والثلاثين من الهجرة ، وكان طلحة
والزبير وعائشة رضي الله عنهن في فريق وعلي في الفريق الآخر ، ويمكن معرفة تفاصيل هذه
الوقعة بالرجوع للقاء الإيمان السادس عشر ، وقُتِلَ طلحة والزبير بن العوام وبكي
عليهم علي بن أبي طالب وأصحابه ، والعجب من ذلك أن عليا هو الذي قام
بنفسه وصلى على قتلى الطرفين ، ودفن أطرافهم جميعا في قبر واحد كبير عظيم .

وأخرج الحاكم في المستدرک عن ربي بن حراش قال: إني لعند علي رضي الله عنه
جالس إذ جاء ابن لطلحة فسلم على علي رضي الله عنه فرحب به فقال: ترحب بي يا أمير
المؤمنين وقد قتلت أبي وأخذت مالي؟ قال: أما مالك فهو ذا معزول في بيت المال
فاغد إلى مالك فخذ ، وأما قولك قتلت أبي فإني أرجو أن أكون أنا وأبوك من
الذين قال الله عز وجل: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾
[الحجر: ٤٧] ، فقال رجل من همدان : إن الله أعدل من ذلك فصاح عليه علي صيحة
تداعى لها القصر قال: فمن إذا إذا لم نكن نحن أولئك^(٢) .

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (حسن موقوف) أخرجه (طب) وحسنه الألباني في ص ٩٢٥ .

(٢) (صحيح) أخرجه (ك) ٣٣٤٨ تعليق الذهبي في التلخيص: صحيح

اللقاء الإيمانى الثالث والعشرون :

(المبشرات على أن فجر الإسلام قادم <٧>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتى في الله ، إن أصواتاً مرتفعة الآن تصرخ في الغرب وتنادي وتحذر من قدوم الإسلام ، يقول المفكر الشهير إسبنجلز: "إن للحضارات دورات فلكية ، فهي تغرب هنا لتشرق هناك ، وإن حضارة أوشكت على الشروق في أروع صورة ، ألا وهي حضارة الإسلام ، الذي يملك وحده أقوى قوة روحانية عالمية نقية".

فلا تغتروا بما عند الشرق أو الغرب ، فإن الغرب الآن ينهار من الداخل ، وتعجبني عبارة سيد قطب رحمه الله إذ يقول: "إن أحشاء الغرب تتمخض الآن بمولود جديد يسمى الإسلام" إنها الفطرة ، فطرة الله جل وعلا ، ما من واحدٍ من هؤلاء عرف الإسلام وحقيقة الإسلام إلا وشرح الله ﷻ صدره له ، لكن يبقى أن نقدم لهم الإسلام بصورته المشرقة التي علمنا إياها رسول الله ﷺ .

أيها الأحبة ، إن أطباء الغرب وعلماء الغرب يقفون الآن في دهشة وحيرة أمام حالات الانتحار الجماعية ، وأمام الحالات المتزايدة للمصابين بالحالات النفسية والعصبية ؛ لأن هؤلاء قد أعطوا البدن كل ما يشتهي ، وبقيت الروح في أعماق البدن تصرخ وتبحث عن دواء ، وتبحث عن غذاء ، ولا يعلم دواء وغذاء الروح إلا خالق الروح: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥] ، نرى في الأفق كوكبة مضيئة ، إنه أعظم حدثٍ في النصف الثاني من القرن العشرين ، وهذا من الآمال العظيمة ، والبشارات الكبيرة أن نرى شباباً في ريعان الصبا ، ونرى فتياتٍ في عمر الورود ، ما من يومٍ يمر إلا وتلتحق جموع بالصحة الرشدة ، أسأل الله أن تكون كذلك .

نرى الآن في مصر و الجزائر وغيرها ، بدون مبالغة عشرات الألوف من الإخوة الشباب ، والأخوات الملتزمات وسط هذه الفتن ، ووسط هذه الضربات ، يحرص الجميع على حضور المحاضرات ، وعلى حضور خطب الجمعة ، لا في المساجد بل في الشوارع ، وتحت حرارة الشمس المحرقة ، يصلون على الأرض

وعلى التراب .

فأينما توجهت يا عبد الله وجدت خشوعاً ورجوعاً جديداً إلى الله ، ووجدت شباباً يبكي ويتضرع وقد ولى ظهره لـ واشنطن و بنكوك و لندن و باريس و مدريد ، ووجه وجهه من جديد لـ مكة زادها الله تشریفاً وتكريماً ، ولى وجهه صوب بيت الله الحرام ، وأعطى ظهره لعواصم الكفر على ظهر الأرض ، ويصرخ بأعلى صوته ، ودموع الخشوع والبكاء والندم تتلأأ على وجهه الأنور الأزهر ، وهو يقول: آيئون تائبون عابدون لربنا حامدون ، نريد كتاب الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إنها الصحوه المباركة ، إنه الأمل الذي أقلق العالم كله الآن في النصف الثاني من القرن العشرين (٤٥) .

على درب التوحيد (الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية <٢>)

الحمد لله الذى جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

إخوتي في الله ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: هناك واسطة من أنكرها كفر ، وواسطة من أثبتها كفر ، فالواسطة التي من أنكرها كفر: هم الرسل عليهم الصلاة والسلام في تبليغ أمر الله سبحانه وتعالى ، أما الواسطة التي من أثبتها كفر ، فهي: جعل الوسائط بين الخلق وبين الله في قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، هذه من أثبتها كفر ، لأن الله كفر المشركين في ذلك ، والله جل وعلا أمرنا أن نتوجه إليه مباشرة بدون أن نوسط أحداً ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ ، فهذا إبطال لمن يزعمون أنها تقربهم إلى الله زلفى ، لا أصحاب القبور ، ولا الأشجار ، ولا الأحجار ، ولا الأصنام ، ولا أي مخلوق حتى ولا الأنبياء ولا الملائكة ليسوا الواسطة بين الله وبين خلقه في قضاء الحاجات . . ، أما الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ الرسالات ، فهذا أمر ثابت أ.هـ .

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥) ﴿البقرة: ٢٥٥﴾، وهي أعظم آية في كتاب الله ﷻ، لأنها اشتملت على النفي والإثبات: نفي النقائص عن الله تعالى، وإثبات الكمال لله ﷻ والشاهد من هذه الآية: أنه لا أحد يشفع عند الله ﷻ بدون إذنه لا الأنبياء، ولا الملائكة، ولا الأولياء، ولا الصالحين، أي أن الشفاعة لا تكون إلا بإذن الله، ففي هذا رد على المشركين الذين اتخذوا الشفعاء بدون إذنه سبحانه وتعالى في ذلك، وزعموا أن هؤلاء الشفعاء يقومون بما يريدون منهم عند الله ﷻ، ولذلك صرفوا لهم العبادة، فصاروا يذبحون للقبور، وينذرون لها، ويطوفون بها، ويتبركون بها، ويتمسحون بترابها، ويجدرانها، يعبدونها من دون الله، لأنهم يقولون: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾، تركوا الله ﷻ وعبدوا غيره، فعملهم حابط باطل، لأنهم يضعونه في غير محله، وقاسوا الخالق على المخلوق (٦).

مشاهد من الدار الآخرة (الحساب <٢>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ قَوَّالَ الَّذِي نَفْسِي - بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشِدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَحْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ رَبَّنَا كَانُوا بِصُومُنَا مَعَنَا وَيُصَلُّونَ، وَيُحْجُونَ فَيَقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُورُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقِيهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِّنْ أَمْرَتِنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِّنْ أَمْرَتِنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ

خَلَقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَدْرُ فِيهَا خَيْرًا، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فيقول الله ﷻ: شَفَعْتُ الْمَلَائِكَةَ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَزْهَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الْحَيَاةِ فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحَبَّةُ فِي حِمِيلِ السَّبِيلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أَصْفَرُ وَأَخْيَضُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرَعَى بِالْبَادِيَةِ، قَالَ: فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، هُوَ لَاءِ عِتْقَاءِ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فيقولون: رَبَّنَا أَعْطَيْنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فيقول: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فيقولون: يَا رَبَّنَا أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فيقول: رِضَايَ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا...»^(١).

* * *

حواري رسول الله ﷺ (الزبير بن العوام رضي الله عنه <١>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله، نحن اليوم مع حواري رسول الله ﷺ ألا وهو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد رضي الله عنه، أمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وأسلمت وأسلم الزبير قديما وهو ابن ثمانين سنين، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعا، ولم يتخلف عن غزاة غزاها رسول الله ﷺ، وهو أول من سل سيفا في سبيل الله، كان له من الولد عبد الله، وعروة، والمنذر، وعاصم، والمهاجر وآخرون (٢٨).

جهاده في غزوة بدر:

روى البخاري في صحيحه عَنْ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ الزُّبَيْرُ رضي الله عنه: لَقِيتُ يَوْمَ بَدْرِ عُبَيْدَةَ بْنَ سَعِيدٍ بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ مُدَجَّجٌ - مغطى بالسلاح فلا يظهر منه شيء

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٧٠٠١ و(م) ١٨٣ واللفظ لمسلم.

- لَا يَرَى مِنْهُ إِلَّا عَيْنَاهُ وَهُوَ يُكْنَى أَبُو ذَاتِ الْكَرْشِ فَقَالَ: أَنَا أَبُو ذَاتِ الْكَرْشِ ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ بِالْعَنْزَةِ - أي رمح قصير عريض النصل - فَطَعَنْتُهُ فِي عَيْنِهِ فَمَاتَ ، قَالَ هِشَامٌ: فَأَخْبِرْتُ أَنَّ الزُّبَيْرَ قَالَ: لَقَدْ وَضَعْتُ رَجُلِي عَلَيْهِ ثُمَّ تَمَطَّأْتُ - أي مدت يدي مداً شديداً - فَكَانَ الْجَهْدَ أَنْ نَزَعْتُهَا - أي المشقة العظيمة في نزعها - وَقَدْ أَتْنِي طَرَفَاهَا ، قَالَ عُرْوَةُ: فَسَأَلَهُ إِيَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُ ، فَلَمَّا قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخَذَهَا ثُمَّ طَلَبَهَا أَبُو بَكْرٍ فَأَعْطَاهُ ، فَلَمَّا قَبِضَ أَبُو بَكْرٍ سَأَلَهَا إِيَّاهُ عُمَرُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا ، فَلَمَّا قَبِضَ عُمَرُ أَخَذَهَا ثُمَّ طَلَبَهَا عَثْمَانُ مِنْهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا فَلَمَّا قُتِلَ عَثْمَانُ ، وَقَعَتْ عِنْدَ آلِ عَلِيٍّ فَطَلَبَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَكَانَتْ عِنْدَهُ حَتَّى قُتِلَ ^(١) . وهذا الخبر يصور لنا قوة الزبير الجسدية ودقته في إصابة الهدف .

جهاده في غزوة أحد:

وجاء في صحيح مسلم عن عُرْوَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ أَبَوَاكَ مِنَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ - أي في حمراء الأسد - تعني أبا بكر والزبير ^(٢) ، ونزل في ذلك قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤)﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤] .

المعنى : وهم الذين قال لهم بعض المشركين - أي صحابة رسول الله ﷺ بعد غزوة أحد- : إن أبا سفيان ومن معه قد أجمعوا أمرهم على الرجوع إليكم لاستئصالكم ، فاحذروهم واتقوا لقاءهم ، فإنه لا طاقة لكم بهم ، فزادهم ذلك التخويف يقيناً وتصديقاً بوعد الله لهم ، ولم يثنيهم ذلك عن عزمهم ، فساروا إلى حيث شاء الله ، وقالوا: حسبنا الله أي: كافينا ، ونعم الوكيل المفوض إليه تدبير عباده . فرجعوا من "حمراء الأسد" إلى "المدينة" بنعمة من الله بالثواب الجزيل وبفضل منه بالمنزلة العالية ، وقد ازدادوا إيماناً ويقيناً ، وأذلوا أعداء الله ، وفازوا بالسلامة من القتل والقتال ، واتبعوا رضوان الله بطاعتهم له ولرسوله . والله ذو فضل عظيم عليهم وعلى غيرهم .

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٧٧٦ .

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢٤١٨ .

جهاده في غزوة الخندق:

أخرج الشيخان في صحيحيهما عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ يَوْمَ الْأَحْزَابِ جُعِلْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ فِي السَّاءِ ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِالزُّبَيْرِ عَلَى فَرَسِهِ يَخْتَلِفُ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، فَلَمَّا رَجَعْتُ قُلْتُ: يَا أَبْتَ رَأَيْتَكَ تَخْتَلِفُ قَالَ: أَوْهَلْ رَأَيْتَنِي يَا بُنَيَّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ يَأْتِ بَنِي قُرَيْظَةَ فَيَأْتِيَنِي بِخَبَرِهِمْ» ، فَانْطَلَقْتُ فَلَمَّا رَجَعْتُ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبُوهُ فَقَالَ: فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ^(١) ، فَهَيْئًا لَكَ يَا حُورِي رَسُولُ اللَّهِ .

جهاده في غزوة خيبر:

لما دنا علي رضي الله عنه من حصونهم اطلع يهودي من رأس الحصن ، وقال: من أنت؟ فقال: أنا علي ، فقال اليهودي: علوتم وما أنزل على موسى ، ثم خرج ياسر أخو مرحب ، وهو يقول: من يبارز؟ فبرز إليه الزبير ، فقالت صفية أمه: يا رسول الله ، يقتل ابني ، قال: بل ابنك يقتله ، فقتله الزبير (١٩) .

جهاده في معركة اليرموك:

روى البخاري عن عُرْوَةَ رضي الله عنه أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا لِلزُّبَيْرِ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ: أَلَا تَشُدُّ فَنَشُدُّ مَعَكَ ، فَقَالَ: إِنِّي إِنْ شَدَدْتُ كَذَبْتُمْ ، فَقَالُوا: لَا نَفْعَ لِفَحْمَلٍ عَلَيْهِمْ حَتَّى شَقَّ صُفُوفَهُمْ فَجَاوَزَهُمْ وَمَا مَعَهُ أَحَدٌ ، ثُمَّ رَجَعَ مُقْبِلًا فَأَخَذُوا بِلِجَامِهِ فَضَرَبُوهُ ضَرْبَتَيْنِ عَلَى عَاتِقِهِ بَيْنَهُمَا ضَرْبَةٌ ضَرَبَهَا يَوْمَ بَدْرٍ ، قَالَ عُرْوَةُ: كُنْتُ أَدْخُلُ أَصَابِعِي فِي تِلْكَ الضَّرَبَاتِ أَلْعَبُ وَأَنَا صَغِيرٌ ، قَالَ عُرْوَةُ: وَكَانَ مَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ فَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ وَوَكَّلَ بِهِ رَجُلًا ^(٢) .

كان الزبير بن العوام رضي الله عنه مقلًا في رواية الحديث:

جاء في صحيح البخاري عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ لِلزُّبَيْرِ رضي الله عنه: إِنِّي لَا أَسْمَعُكَ تُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا يُحَدِّثُ فُلَانٌ وَفُلَانٌ . قَالَ: أَمَّا إِنِّي لَمْ أَفَارِقْهُ وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَسْبَوْهُ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ» ^(٣) . فلقد كان

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٥١٥ و (م) ٢٤١٦ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٧٥٦ .

(٣) (صحيح) أخرجه (خ) ١٠٧ .

الزبير بن العوام رضي الله عنه يخشى أن يحدث بحديث عن رسول الله ﷺ فيخطأ فيه بغير عمد فيقع في الكذب دون أن يشعر ، فيكون من الذين توعدهم رسول الله ﷺ بالنار يوم القيامة ، رضي الله عنه وأرضاه ، فهذا من ورع الزبير بن العوام الزائد وإلا فإن لم يبلغ صحابة رسول الله ﷺ هذا العلم عن رسول الله فكيف تصل إلينا إذا سنة رسول الله ﷺ ، ولقد حث رسول الله ﷺ أمته على التمسك بسنته ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فقال: « فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدَّيْنَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحَدَّثَاتِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » ^(١) .

مناقب الزبير بن العوام رضي الله عنه:

أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ ، فَتَحَرَّكَ الصَّخْرَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَهْدَأْ! فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صَدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ » ^(٢) .

وهذه من دلائل النبوة ، وكذلك من مناقب الزبير بن العوام رضي الله عنه .

وروى البخاري في صحيحه عن مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ: أَصَابَ عُثْمَانُ رضي الله عنه رُعَافٌ شَدِيدٌ سَنَةَ الرُّعَافِ حَتَّى حَبَسَهُ عَنِ الْحَجِّ وَأَوْصَى ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ: اسْتَخْلِفْ . قَالَ: وَقَالُوهُ؟ قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: وَمَنْ؟ فَسَكَتَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ آخَرُ أَحْسَبُهُ الْحَارِثَ فَقَالَ: اسْتَخْلِفْ ، فَقَالَ عُثْمَانُ رضي الله عنه: وَقَالُوا؟ فَقَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: وَمَنْ هُوَ؟ فَسَكَتَ قَالَ: فَلَعَلَّهُمْ قَالُوا: الزُّبَيْرُ . قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَخَيْرُهُمْ مَا عَلِمْتُ ، وَإِنْ كَانَ لِأَحَبَّهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ^(٣) .

فيا لها من منقبة عظيمة لحواري رسول الله ﷺ ، يشهد ذو النورين رضي الله عنه بأن الزبير بن العوام رضي الله عنه من أفضل الصحابة ، ومن أحب الصحابة لرسول الله ﷺ .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (ت د ه ح) وصححه الألباني في ص ٣٧ .

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢٤١٧ .

(٣) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٥١٢ .

اللقاء الإيمانى الرابع والعشرون :

(ألا إن نصر الله قريب)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتى في الله ، إن نصر الله للمؤمنين حقيقة من حقائق الوجود ، وسنة باقية من سنن الله ، وقد يؤخر النصر لحكمة يريد بها الله ، فتظهر بادي الرأي هزيمة ، وقد يهزم الحق في معركة ، ويظهر الباطل في مرحلة ، وكلها في منطق القرآن صوراً للنصر ، تحفى حكمتها على البشر ، والمؤمنون غير مطالبين بنتائج ، إنما هم مطالبون بالسير على نهج القرآن وأوامره ، والنصر بعد ذلك من أمر الله ، يصنع به ما يشاء ، ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٧) ﴿ [الأنفال: ١٧] .

قد يبطئ النصر لأن بناء الأمة لم ينضج ولم يشتد ساعده ، ولأن البيئة لم تنهض لا استقباله ، ويتأخر النصر لتزيد الأمة صلتها بالله ، وهي تعاني وتتألم وتبذل ولا تجد لها سنداً إلا الله . وقد يبطئ النصر لتتجرد الأمة في كفاحها وبذلها وتضحياتها لله ولدعوته . أما الباطل فمهما استعلى فهو طارئ وزاهق ، ولا بد من هزيمته أمام الحق ، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١] ، ولكن حكمة الله اقتضت أن يوجد الباطل لاختبار أوليائه ، وليبلى المؤمنين منه بلاء حسناً ، وإلا لو شاء الله لم يكن هناك كفر ولا باطل ، قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ [محمد: ٤] .

معاشر الإخوة ، قد يتوهم بعض المسلمين أن الله سينصرهم ما داموا مسلمين ، مهما يكن حالهم ، ومهما تكن حقيقة أعمالهم ، والله تعالى يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧] ، ولم يقل: ما دُمتُم مؤمنين فسأنصركم وأثبت أقدامكم ، مهما تكن أحوالكم وأوضاعكم وأعمالكم . فلقد هُزم المؤمنون وفيهم رسول الله في معركة أحد حين عصوا أمر الرسول ، وهُزم أغلبهم يوم حنين وفيهم رسول الله حين أعجبتهم كثرتهم وقال بعضهم: لن نُغلب اليوم من قلة ، فكيف ينصر الله من لا ينصره لجرد دعواه أنه مؤمن؟! كيف ينصر

الله من يعصيه ولا يقوم بواجبه؟! يقول عمر رضي الله عنه: إنا لا نتصر على عدونا بعد ولا عدة ، وإنما نتصر بطاعتنا لله ومعصيتهم له ، فإن عصينا الله فقد استويننا وإياهم في المعصية ، وكان لهم الفضل علينا . عباد الله ، الله تعالى سنن لا تتغير يحكم بها الكون والحياة والإنسان ، منها متطلبات النصر ومسببات الهزيمة ، ذلك أن النصر شرف ، ولن يتنزل على قلوب قاسية غافلة ، ونفوس مريضة ، في أمة تشعبت بها السبل ، وتجارت بها الأهواء ، وتعمقت في أخوتها الخلافات (٤٠) .

أخي في الله ، يا من تظن أن النصر قد تأخر اعلم أن النصر لا يأتي إلا بعد أشد أوقات المجاهدة . ألم تسمع لقول الله تعالى: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ** ﴾ [يوسف: ١١٠] أي حتى إذا يئس الرسل من قومهم ، وأيقنوا أن قومهم قد كذبوهم ولا أمل في إيمانهم ، جاءهم نصرنا عند شدة الكرب ، فننجي من نشاء من الرسل وأتباعهم ، ولا يُردُّ عذابنا عمن أجرم وتجراً على الله (٥١) .

على درب التوحيد (الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية <٢>)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد ..

إخوتي في الله ، قد يقع لهؤلاء الذين يدعون الأولياء أو القبور أن تحصل لهم حاجاتهم التي طلبوها ، لكن هذا لا يدل على صحة ما هم عليه ، لأنهم قد يعطون ما طلبوا من باب الفتنة ، ومن باب الاستدراج ، أو أنه يصادف ذلك قضاءً وقدرًا من الله سبحانه وتعالى في إعطائهم هذا الشيء ، فيظنون أنه بسبب القبور ، وهو في الواقع بقضاء الله وقدره ، فحصول المطلوب لا يدل على صحة الطلب ، إنما الاحتجاج يكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، لا بالعادات ، والتقاليد ، والحكايات ، والمنامات ، والخرافات ، أو أن فلاناً قد حصل له كذا ، أو فلانة ذهبت إلى القبر الفلاني فحملت ، هذا ليس بدليل أبداً ، لأن إعطاء الإنسان شيئاً مما يحتاج إليه ، لا يدل على صحة ما ذهب إليه ، أو ما فعل من الشرك والعادات السيئة .

يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: قد يرون عند القبور أو يسمعون عند

القبور من يكلمهم ، أو يخرج عليهم من القبر ويقول: أنا فلان الذي تطلب ، وأنا أقضي حاجتك . يتمثل لهم الشيطان ، ليس هو الميت ، وإنما هو الشيطان ، يتمثل لهم بصورة الميت ، ويخاطبهم ، وقد يجلب لهم شيئاً مما يطلبون من بعيد ، وهو شيطان يريد أن يضلهم ، ويريد أن يهلكهم ، وأن يغرر بهم .

أما عن الرؤيا فتكون على ثلاثة أقسام: حديث نفس ، وأضغاث أحلام ، ورؤيا شيطانية وعادة تحدث إذا كان الإنسان لم يقرأ آية الكرسي عند النوم ، ولم يقرأ سورة الإخلاص والمعوذتين عند النوم يأتيه مزعجات فيرى أشياء يكرهها ، والرؤيا الصحيحة ، وهي التي تجري على يد الملك ، وهي جزء من النبوة ، وهي من المبشرات ، والمنامات والرؤى والحكايات هذه كلها لا تُبنى عليها الأحكام الشرعية ، فهؤلاء الذين شرعوا في أمور العقيدة ، فبنوا الأضرحة على القبور ، والرسول ينهى عن ذلك ، وطاقوا بها ، وتقربوا إليها ، كل هذا مناف للكتاب والسنة ، لأن الله سبحانه وتعالى لم يشرع لنا هذه الشراكيات ، وهذه البدعيات المحدثات (٦) .

مشاهد من يوم القيامة (الحساب <٣>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والفهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبي الذين اتقوا وعقبي الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

جاء في صحيح مسلم عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ اللَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، وَعَنْ خَيْثَمَةَ مِثْلَهُ وَزَادَ فِيهِ ، وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»^(١) .

عباد الله ، بالرغم من ذلك فإن هناك أصنافاً من البشر لا يكلمها الله ولا ينظر إليها ولا يزكيها من الذنوب ولهم عذاب أليم كما هو في الأحاديث الصحيحة ، فلقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٠١٦ .

يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ لِيَقْتَطَعَ بِهَا مَالٌ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ، فَيَقُولُ اللَّهُ: الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ» (١).

وأخرج البخاري أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلٍ مَاءٍ بِطَرِيقٍ يَمْنَعُ مِنْهُ ابْنُ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِلدُّنْيَا فَإِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ وَفَى لَهُ وَإِلَّا لَمْ يَفِ لَهُ، وَرَجُلٌ سَاوَمَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا كَذَا وَكَذَا فَأَخَذَهَا» (٢).

وروى مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ - أَي لَا يَطْهَرُهُمْ مِنْ دَنَسِ ذُنُوبِهِمْ -، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ - أَي الْمُرْخِي إِزَارَهُ الْجَارِ طَرَفَهُ خِيَلَاءَ -، وَالْمَنَانُ، وَالْمُنْتَقُ سِلْعَتُهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ» (٣).

وجاء في صحيح مسلم أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ - أَي فَقِيرٌ - مُسْتَكْبِرٌ» (٤).

وأخرج النسائي في سننه عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ ﷻ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُ لَوَالِدَيْهِ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ، وَالِدَيْتُ، وَثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الْعَاقُ لَوَالِدَيْهِ، وَالْمُدْمِنُ عَلَى الْخَمْرِ، وَالْمَنَانُ بِمَا أَعْطَى» (٥).

حواري رسول الله ﷺ (الزبير بن العوام رضي الله عنه) (<٢>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٢٤٠.

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٥٢٧.

(٣) (صحيح) أخرجه (م) ١٠٦.

(٤) (صحيح) أخرجه (م) ١٠٧.

(٥) (حسن صحيح) أخرجه (ن) ٢٥٦٢ وقال الألباني حسن صحيح.

عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .
أيها الأحبة في الله ، ما زلنا مع السيرة العطرة لحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي بنا .
استشهاد الزبير رضي الله عنه ووصيته عند موته :

أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: لَمَّا وَقَفَ الزُّبَيْرُ يَوْمَ الْجَمَلِ - كانت موقعة الجمل العام السادس والثلاثين من الهجرة وكان طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم في فريق ، وعلي في الفريق الآخر ، ويمكن معرفة تفاصيل هذه الوقعة بالرجوع للقاء الإيمان السادس عشر ، وقتل طلحة والزبير بن العوام وبكي عليهم علي بن أبي طالب وأصحابه - ، دَعَانِي فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ إِنَّهُ لَا يُقْتَلُ الْيَوْمَ إِلَّا ظَالِمٌ أَوْ مَظْلُومٌ ، وَإِنِّي لَا أُرَانِي إِلَّا سَاقِلًا الْيَوْمَ مَظْلُومًا ، وَإِنَّ مِنْ أَكْبَرِ هَمِّي لَدَيْنِي ، أَفْتَرَى بَيِّتِي دِينَنَا مِنْ مَالِنَا شَيْئًا ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ بَعِ مَالَنَا فَاقْضِ دَيْنِي ، وَأَوْصِ بِالْثُلْثِ ، وَثُلْثُهُ لِبَنِيهِ: يَعْنِي بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، يَقُولُ: ثُلْثُ الثُّلْثِ ، فَإِنْ فَضَلَ مِنْ مَالِنَا فَضْلٌ بَعْدَ قَضَاءِ الدَّيْنِ شَيْءٌ ، فَثُلْثُهُ لَوْلَدِكَ ، قَالَ هِشَامٌ: وَكَانَ بَعْضُ وَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ قَدْ وَازَى بَعْضَ بَنِي الزُّبَيْرِ: حَبِيبٌ ، وَعَبَادٌ وَلَهُ يَوْمَئِذٍ تِسْعَةُ بَنِينَ وَتِسْعُ بَنَاتٍ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَجَعَلَ يُوصِيَنِي بِدَيْنِهِ ، وَيَقُولُ: يَا بُنَيَّ إِنْ عَجَزْتَ عَنْهُ فِي شَيْءٍ فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَوْلَايَ ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ: يَا أَبَتَ مَنْ مَوْلَاكَ؟ قَالَ: اللَّهُ ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ إِلَّا قُلْتُ: يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ اقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ ، فَيَقْضِيهِ فَقَتِلَ الزُّبَيْرُ رضي الله عنه وَلَمْ يَدَعْ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِلَّا أَرْضِينَ مِنْهَا الْعَابَةَ ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ دَارًا بِالْمَدِينَةِ ، وَدَارَيْنِ بِالْبَصْرَةِ ، وَدَارًا بِالْكُوفَةِ ، وَدَارًا بِمِصْرَ ، قَالَ: وَإِنَّمَا كَانَ دَيْنُهُ الَّذِي عَلَيْهِ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَأْتِيهِ بِالْمَالِ ، فَيَسْتَوْدِعُهُ إِيَّاهُ فَيَقُولُ الزُّبَيْرُ: لَا وَلَكِنَّهُ سَلَفٌ ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِ الضَّيْعَةَ ، وَمَا وَلِيَّ إِمَارَةٍ قَطُّ وَلَا حِبَايَةَ خَرَجٍ وَلَا شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي غَزْوَةٍ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، أَوْ مَعَ أَبِي بَكْرٍ ، وَعُمَرَ ، وَعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ: فَحَسَبْتُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ فَوَجَدْتُهُ أَلْفِي أَلْفٍ وَمِائَتِي أَلْفٍ ، قَالَ: فَلَقِي حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي كَمْ عَلَى أَخِي مِنَ الدَّيْنِ؟ فَكَنَّمَهُ - أي كتم أصل الدين حتى لا يستعظمه حكيم فينظر إليه بعين الاحتياج ولكنه لما استعظم القليل أخبره بالحقيقة - فَقَالَ: مِائَةُ أَلْفٍ ، فَقَالَ حَكِيمٌ: وَاللَّهِ مَا أَرَى أَمْوَالَكُمْ تَسْعُ لِهَذِهِ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: أَفَرَأَيْتَكَ إِنْ كَانَتْ أَلْفِي أَلْفٍ وَمِائَتِي أَلْفٍ ،

قَالَ: مَا أَرَأَكُمْ تُطِيقُونَ هَذَا فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَغِيثُوا بِي ، قَالَ: وَكَانَ الزُّبَيْرُ اشْتَرَى الْعَابَةَ بِسَبْعِينَ وَمِائَةَ أَلْفٍ فَبَاعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بِأَلْفٍ وَسِتِّ مِائَةِ أَلْفٍ ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ: مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ حَقٌّ فَلْيُؤَاغِبْنَا بِالْعَابَةِ ، فَاتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَكَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ أَرْبَعُ مِائَةِ أَلْفٍ ، فَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ: إِنْ شِئْتُمْ تَرَكْتُهَا لَكُمْ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَا ، قَالَ: فَإِنْ شِئْتُمْ جَعَلْتُموها فِيمَا تُؤَخَّرُونَ إِنْ أَخَرْتُمْ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَا ، قَالَ: قَالَ: فَاقْطَعُوا لِي قِطْعَةً ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَكَ مِنْ هَاهُنَا إِلَيَّ هَاهُنَا ، قَالَ: فَبَاعَ مِنْهَا فَقَضَى دَيْنَهُ ، فَأَوْفَاهُ وَبَقِيَ مِنْهَا أَرْبَعَةُ أَسْهُمٍ وَنِصْفٌ ، فَقَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، وَعِنْدَهُ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ ، وَالْمُنْذِرُ ابْنُ الزُّبَيْرِ ، وَابْنُ زَمْعَةَ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: كَمْ قَوْمَتِ الْعَابَةُ؟ قَالَ: كُلُّ سَهْمٍ مِائَةُ أَلْفٍ قَالَ: كَمْ بَقِيَ ، قَالَ: أَرْبَعَةُ أَسْهُمٍ وَنِصْفٌ ، قَالَ: الْمُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ ، قَالَ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ ، وَقَالَ ابْنُ زَمْعَةَ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: كَمْ بَقِيَ؟ فَقَالَ: سَهْمٌ وَنِصْفٌ ، قَالَ: قَدْ أَخَذْتُهُ بِخَمْسِينَ وَمِائَةِ أَلْفٍ قَالَ: وَبَاعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ نَصِيبَهُ مِنْ مُعَاوِيَةَ بِسِتِّ مِائَةِ أَلْفٍ ، فَلَمَّا فَرَغَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ قَضَاءِ دَيْنِهِ ، قَالَ بَنُو الزُّبَيْرِ: اقْسِمْ بَيْنَنَا مِيرَاثَنَا ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ حَتَّى أُنَادِيَ بِالْمَوْسِمِ أَرْبَعَ سِنِينَ: أَلَا مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا فَلْنَقْضِهِ ، قَالَ: فَجَعَلَ كُلُّ سَنَةٍ يُنَادِي بِالْمَوْسِمِ - أي موسم الحج سمي بذلك لاجتماع الناس فيه فهو معلم مأخوذ من الوسم وهو العلامة - ، فَلَمَّا مَضَى أَرْبَعُ سِنِينَ ، قَسَمَ بَيْنَهُمْ قَالَ: فَكَانَ لِلزُّبَيْرِ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ ، وَرَفَعَ الثُّلُثَ فَأَصَابَ كُلَّ امْرَأَةٍ أَلْفُ أَلْفٍ وَمِائَتَا أَلْفٍ فَجَمِيعُ مَالِهِ خَمْسُونَ أَلْفَ أَلْفٍ وَمِائَتَا أَلْفٍ ^(١) .

ولم لا!! ولقد علم الزبير ابنه عبد الله رضي الله عنهما وصية غالية: يَا بُنَيَّ إِنْ عَجَزْتَ عَنْهُ فِي شَيْءٍ فَاسْتَغِيثْ عَلَيْهِ مَوْلَايَ ، فهلا عملنا بوصية نبينا ﷺ : «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ» .

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (بخ) ٢٩٦١ .

اللقاء الإيمان الخامس والعشرون:

(متطلبات النصر)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبي في الله ، هناك عدة متطلبات للنصر وهي:

المتطلب الأول: ترسيخ العقيدة وغرس الإيمان ؛ لأن الإيمان الصادق - عباد الله - يزكي النفوس ، ويطهر القلوب ، فتصلح الحال ، ويكتب الله النصر والتمكين للمؤمنين ؛ قال تعالى: ﴿ **إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ** ﴾ [غافر: ٥١] .

المتطلب الثاني: الإخلاص ، فالمخلص مؤيد من الله ، مكفي به سبحانه: ﴿ **أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ** ﴾ [الزمر: ٣٦] ، وعلى قدر إخلاص المرء لربه وتجرده له يكون مدد الله وعونه وكفايته وولايته ، فإمداد الله بالنصر والتأييد والتوفيق والتسديد على حسب ما في القلوب من تجريد النية وصفاء الطوية ، قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** ﴾ [الفتح: ١٨] .

المتطلب الثالث: نصره دين الله والقيام به قولاً وعملاً اعتقاداً ودعوة ، مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: ﴿ **وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِن مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** ﴾ [الحج: ٤٠ ، ٤١] .

المتطلب الرابع: التجمل بالصبر ، هذا ما نستفيدة من قول الرسول ﷺ: «يَا أَبَا جَنْدَلٍ اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ جَاعِلٌ لَّكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا»^(١) ، وفي ختام عدد من السور المكية أوصى الله رسوله بالصبر: ﴿ **وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ** ﴾ [يونس: ١٠٩] .

المتطلب الخامس: الاعتماد على القوي الذي لا يغلب ، يفوض إليه أمره ، يثق

(١) (إسناده حسن) أخرجه (حم) ١٨٩٣٠ وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط إسناده حسن .

في وعده ، فلا يخاف من أعداء الله ، ذلك أن النصر من عند الله ، والعزة كلها من الله ، ومن أراد النصر فليطلبه من الله ، ومن أراد العزة فليعتز بالله ، ففي غزوة حنين رأى المؤمنون أنفسهم في كثرة فقال بعضهم: لن نُغلب اليوم من قلة ، وكأنما ألهتهم كثرتهم عن حقيقة القوة والنصر ، فوكلهم الله إلى كثرتهم التي أعجبتهم فلم تغن عنهم شيئاً ، ﴿لَقَدْ نَصَرَ كُمْ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذَبِّرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥] .

المطلب السادس: الدعاء أهم أسلحة النصر ، لما صنع نوح السفينة لجأ إلى الله ، واحتتمى بحماه ، ولم يركن إلى الأسباب وحدها ، توجه إلى الله بالدعاء ، وسجل لنا القرآن الكريم صيغ الدعاء التي دعا بها نوح ربه ، وكيف أن الله استجاب له على الفور: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَا مِنْهُمْ مُمْهِمٌ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرًا﴾ [القمر: ١٠-١٤] .

المطلب السابع: إكرام ورعاية الضعفاء ، والدليل ما جاء في صحيح البخاري عَنْ مُصَنَّبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: رَأَى سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّهُ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ تُنْصِرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضِعْفَائِكُمْ؟!»^(١) .

المطلب الثامن: الثبات وكثرة ذكر الله ، والاتحاد والاجتماع وعدم التنازع والاختلاف ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥] .

المطلب التاسع: إعداد القوة المادية والمعنوية من أسباب النصر ، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] (٤٠) .

على درب التوحيد (الرد على الغلو في النبي ﷺ والأولياء)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنَجِّياً له من عذاب القبر وظلماته ،

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٧٣٩ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

روى البخاري في صحيحه عن سعيد بن المسيب قال: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنَ الْمُغِيرَةِ فَقَالَ: «أَيُّ عَمٍّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ؟» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْزِضُهَا عَلَيْهِ وَيُعِيدَانِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ الْمَقَالَةَ ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَأَبْيَ أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاللَّهِ لَا أَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنَّهُ عَنْكَ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣)﴾ [التوبة: ١١٣] ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦)﴾ [القصص: ٥٦] ^(١) .

إخوتي في الله ، لقد نفى الله سبحانه وتعالى عن نبيه محمد ﷺ أنه يملك الهداية لأحد ، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ (٢٧٢)﴾ [البقرة: ٢٧٢] ، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣)﴾ [يونس: ٢٣] ، فإن قلت: أليس الله جل وعلا قال في الآية الأخرى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢)﴾ [الشورى: ٥٢] ، فأثبت في هذه الآية أن الرسول يهدي إلى صراط مستقيم . أما الهداية التي يملكها الرسول ﷺ فهي هداية الإرشاد والدعوة والبيان ويملكها كل داع يدعو إلى الخير ، أما الهداية المنفية التي لا يملكها الرسول فهي: هداية القلوب ، وإدخال الإيمان في القلوب ، فهذه لا يملكها أحد إلا الله سبحانه وتعالى . فإذا كان رسول الله ﷺ لم يملك لعمري أبي طالب شيئاً ، وأنه نهي عن الاستغفار له ، ففي حق غير النبي ﷺ من باب أولى ، فدل ذلك على أنه ﷺ لا يُدعى من دون الله ، ولا يُطلب منه شيء من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله ، فإذا كان هذا في حق النبي ﷺ ، وهو أفضل الخلق ، فغيره من باب أولى من الأولياء ، والصالحين ، وأصحاب الأضرحة ، مهما بلغوا من الصلاح ، ومهما بلغوا من المكانة في الدين ، فإنهم لا يُطلب منهم إلا ما يقدرون عليه من أمور

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٤٩٤ .

الدنيا ، إذا كانوا على قيد الحياة ، أما أمور الهداية ، وأمور قضاء الحاجات التي لا يقدر عليها إلا الله من شفاء المرضى ، وإنزال المطر ، وجلب الأرزاق ، وإعطاء الأولاد ، هذا كله لا يطلب إلا من الله ﷻ ولا يطلب من غير الله ، لا من نبي ، ولا من ولي ، ولا من أي مخلوق ، ومن طلبه من غير الله فهو مشرك الشرك الأكبر المخرج من الملة (٦) .

مشاهد من الدار الآخرة (الحساب <٤>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أخرج الترمذي والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ: صَلَاتُهُ فَإِنْ صَلَحَتْ، فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ ﷻ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَيُكَمَّلُ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ»^(١) .

وروى الترمذي في سننه والحاكم في المستدرک عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْنِي الْعَبْدُ مِنَ النَّعِيمِ، أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُنْصَحْ لَكَ جِسْمَكَ؟»^(٢) .

وجاء في سنن النسائي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلَاةُ، وَأَوَّلَ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدَّمَاءِ»^(٣) .

وأخرج الترمذي والنسائي وابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قَالَ: «يُجِيءُ الْمُقْتُولُ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاصِيَّتُهُ وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ، وَأَوْدَاجُهُ تُشْحَبُ دَمًا، يَقُولُ: يَا رَبِّ هَذَا قَتَلَنِي حَتَّى يُدْنِيَهُ مِنَ الْعَرْشِ». قَالَ: فَذَكَرُوا لِابْنِ عَبَّاسٍ التَّوْبَةَ فَتَلَا

(١) (صحيح) أخرجه (ت ن هـ) وصححه الألباني في ص ج ٢٠٢٠ .

(٢) (صحيح) أخرجه (ت ك) وصححه الألباني في ص ج ٢٠٢٢ .

(٣) (صحيح) أخرجه (ن) وصححه الألباني في ص ج ٢٥٧٢ .

هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ (١) .

وأخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيُّ فُلَانٍ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ أَمُرُّكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ» (٢) .

أول من رمى بسهم في سبيل الله (سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه) (>١)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله ، نحن اليوم مع أول من رمى بسهم في سبيل الله ألا وهو أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، واسمه مالك بن وهيب بن عبد مناف وأمه حمنة . أسلم قديما وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان سابع سبعة في الإسلام ، وأحد الفرسان الشجعان ، وأحد من كان يحرس النبي ﷺ في مغازيه ، شهد سعد بدرًا والحديبية والمشاهد كلها ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أهل الشورى الذين أخبر عمر أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راض ، وهو الذي كوف الكوفة ، ونفى الأعاجم ، وتولى قتال فارس ، وكان على يديه فتح القادسية وغيرها ، وولاه عمر الكوفة (٢٨) .

إسلامه رضي الله عنه:

جاء في صحيح مسلم عن سعد رضي الله عنه قال: حَلَفْتُ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ وَأَنَا أُمُّكَ وَأَنَا أَمْرُكَ بِهَذَا قَالَ مَكَثْتُ ثَلَاثًا حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ فَقَامَ ابْنُ لَهَا يُقَالُ لَهُ عُمَارَةٌ فَسَقَاهَا فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ

(١) (صحيح) أخرجه (ت ن هـ) وصححه الألباني في ص. ج ٨٠٣١ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٠٩٤ و(م) ٢٩٨٩ واللفظ للبخاري .

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨] . . . (١) .

الرسول ﷺ يعود سعدا رضي الله عنه ويدعو له بأن يتم الله عليه هجرته:

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: عَادَنِي النَّبِيُّ ﷺ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ مِنْ مَرَضٍ أَشْفَيْتُ مِنْهُ - أَيِ أَشْرَفْتُ مِنَ الْوَجَعِ مِنْهُ - عَلَى الْمَوْتِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلِّغْ بِي مِنَ الْوَجَعِ مَا تَرَى ، وَأَنَا ذُو مَالٍ وَلَا يَرْتُنِّي إِلَّا ابْنَةُ لِي وَاحِدَةٌ ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلثِي مَالِي؟ قَالَ: «لَا» ، قَالَ: فَأَتَصَدَّقُ بِشَطْرِهِ؟ قَالَ: «الْثُلُثُ يَا سَعْدُ وَالْثُلُثُ كَثِيرٌ! إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ ذُرِّيَّتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ ، وَلَسْتَ بِنَافِقٍ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أَجْرَكَ اللَّهُ بِهَا حَتَّى اللَّقْمَةُ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ» ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْلَفُ بَعْدَ أَصْحَابِي؟ قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تُخْلَفَ فَتَعْمَلْ عَمَلًا تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا ارْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرَفَعَةً ، وَلَعَلَّكَ تُخْلَفُ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ ، اَللَّهُمَّ امْضِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ - أَيِ تَمِّمَهَا لَهُمْ وَلَا تَنْقُصْهَا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَحْزُوا أَجْرَهَا كَامِلًا مَوْفُورًا - ، وَلَا تُرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ» ، (٢) .

وهذا الحديث من دلائل النبوة قال أهل العلم: والله لقد انتفع بسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الملايين، فنحن الآن منتفعون بسعد، فإنه فتح لنا جبهة في الشمال ودمر دولة عاتية كادت تأخذ الجزيرة العربية ضحى، وتضررت به فارس عباد النار حيث سحقهم سحقاً، فهذا من التضرر (٥٦) .

نزلت آيات من القرآن في سعد رضي الله عنه:

روى مسلم في صحيحه عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ: حَلَفْتُ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ ، وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ قَالَتْ: زَعَمْتُ أَنَّ اللَّهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ وَأَنَا أُمُّكَ وَأَنَا أَمْرُكَ بِهَذَا قَالَ: مَكَّثْتُ ثَلَاثًا حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ ، فَقَامَ ابْنُ لَهَا يُقَالُ لَهُ عُمَارَةٌ فَسَقَاها فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (١٤) وَإِنْ

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٧٤٨ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٧٢١ ، و(م) ١٦٢٨ واللفظ للبخاري .

جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا [لقمان ١٤، ١٥]، قَالَ: وَأَصَابَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَنِيمَةً عَظِيمَةً فَإِذَا فِيهَا سَيْفٌ فَأَخَذَتْهُ فَاتَّيْتُ بِهِ الرَّسُولَ ﷺ فَقُلْتُ: نَفْلِنِي هَذَا السَّيْفَ فَإِنَّا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ حَالَهُ فَقَالَ: رُدُّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ فَأَنْطَلَقْتُ حَتَّى إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أُلْقِيَهُ فِي الْفُبُصِ لَأَمْتِنِي نَفْسِي فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: أَعْطِنِي قَالَ: فَشَدَّ لِي صَوْتَهُ رُدُّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ** [الأنفال ١]، قَالَ: وَمَرَضْتُ فَأَرْسَلْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاتَّانِي فَقُلْتُ: دَعْنِي أَقْسِمُ مَالِي حَيْثُ شِئْتُ قَالَ: فَأَبَى قُلْتُ فَالْتَّصَفَ قَالَ: فَأَبَى قُلْتُ: فَالْتُّلْتُ قَالَ: فَسَكَتَ فَكَانَ بَعْدُ الثُّلُثُ جَائِزًا قَالَ: وَاتَّيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ فَقَالُوا: تَعَالِ نُطْعِمَكَ وَنَسْقِكَ خَمْرًا وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُحَرَّمَ الْخَمْرُ قَالَ: فَاتَّيْتُهُمْ فِي حَشٍّ، وَالْحَشُّ الْبُسْتَانُ، فَإِذَا رَأْسُ جَزُورٍ مَشْوِيٍّ عِنْدَهُمْ وَزَقٌّ مِنْ خَمْرٍ قَالَ: فَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ مَعَهُمْ قَالَ: فَذَكَرْتُ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرِينَ عِنْدَهُمْ فَقُلْتُ: الْمُهَاجِرُونَ خَيْرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: فَأَخَذَ رَجُلٌ أَحَدَ لَحْيِي الرَّأْسِ فَضَرَبَنِي بِهِ فَجَرَحَ يَأْنِفِي فَاتَّيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِي يَغْنِي نَفْسَهُ شَأْنُ الْخَمْرِ **إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ** [المائدة: ٩٠] ^(١).

إكرام النبي عليه السلام لفقراء المسلمين:

أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِنْ هَذِيلَ وَبِلَالٌ وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَ نَفْسَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ **وَلَا تَطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** [الأنعام: ٥٢] ^(٢).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٧٤٨ .

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢٤١٣ .

اللقاء الإيماني السادس والعشرون:

(من ذاكرة التاريخ لرفع المعنويات <١>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد . . .

أحبي في الله، إذا نظرنا في تاريخ المسلمين في أحوال الشدة التي كانت مسلطة عليهم من قبل التتر، الذين اجتاحتهم العالم الإسلامي وقتلوا الملايين من المسلمين، ولما اجتمعت العساكر الإسلامية في الديار المصرية؛ ألقى الله تعالى في قلب الملك المظفر قطز الخروج لقتالهم بعد أن كانت القلوب قد أيست من الانتصار على التتار؛ لكثرة عددهم، واستيلائهم على معظم بلاد المسلمين، في فترة من الفترات كانت تحت حكم التتر الذين اجتاحتهم أكثر العالم الإسلامي، وما قصدوا إقليمًا إلا فتحوه، ولا عسكرياً إلا هزموه، لم يبق خارجاً عن حكمهم في الجانب الشرقي من العالم الإسلامي إلا الديار المصرية والحجاز واليمن، وهربت جماعة من المغاربة الذين كانوا بمصر إلى المغرب وهرب جماعة من الناس إلى اليمن، والباقيون في خوفٍ شديد، يتوقعون دخول العدو البلاد.

وصمم الملك المظفر رحمه الله تعالى على لقاء التتر، وخرج بالجهافل الشامية المصرية وسافر إلى بلاد الشام للقائهم، ونزل بـ الغور بـ عين جالوت وفيه جموع التتر في يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان.

اصطف الفريقان، والتحم الجيشان، وتقاتلا قتالاً شديداً لم ير مثله، حتى قتل من الطائفتين جماعة كثيرة، وانكسرت ميسرة المسلمين كسرة شنيعة - كما يقول صاحب (النجوم الزاهرة) في وصف المعركة - فحمل الملك المظفر رحمه الله بنفسه في طائفة من عساكره، وأردف الميسرة حتى تحايوا ورجعوا، واقتحم المظفر القتال وباشره بنفسه، وأبلى في ذلك اليوم بلاءً حسناً، وعظمت الحرب وثبت كلٌّ من الفريقين مع كثرة التتر، والمظفر يشجع أصحابه، ويحسن إليهم الموت، ويكرُّ بهم كرة بعد كرة، حتى نصر الله الإسلام وأعزه، وانكسرت التتر، وولوا الأدبار على أقبح وجهٍ بعد أن قتل معظم أعيانهم، وقتل شر قتلة قائدهم كتبغا فإنه لما عظم الخطب باشر القتال بنفسه فأخزاه الله، وكان الذي حمل عليه وقتله الأمير جمال

الدين آقوش الشمسي رحمه الله . وولى التتار الأدبار لا يلوون على شيء ، واعتصمت طائفة منهم في التلّ المجاور لمكان الوقعة ، فأحدثت بهم عساكر المسلمين ، وصابروهم حتى أفنؤهم قتلاً ، ونجا من نجا ، وتبعهم الأمير ركن الدين بيبرس البندقاري في جماعة من الشجعان المسلمين إلى أطراف البلاد ، واسترجعوا البلاد والضياح التي أخذها التتر ، وقتل منهم مقتلة عظيمة جداً (٤٧) .

على درب التوحيد (سبب كفر بني آدم الغلو في الصالحين)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

إخوتي في الله ، الغلو في الصالحين ، هو: الزيادة في مدحهم ، ورفعهم فوق مكانتهم ؛ بأن يجعل لهم شيء من العبادة .

قال الله ﷻ: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ [النساء: ١٧١] ، فكذلك الذين غَالُوا في الصالحين من هذه الأمة حتى عبدوهم مع الله سبحانه وتعالى ، وجعلوا لهم شيئاً من الربوبية والألوهية ، سواء بسواء .

فقوم نوح لما نهاهم نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام عن الشرك وأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له ؛ تواصلوا فيما بينهم بهذه الوصية الكافرة ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنْ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنْ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣] ، أي لا تطيعوا نوحاً عليه السلام ، ولا تتركوا آلهتكم التي تعبدونها من دون الله ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا على دين التوحيد دين أبيهم آدم عليه الصلاة والسلام عشرة قرون ، وكان هؤلاء الصالحون في هذا العهد عهد التوحيد ، فلما ماتوا ويروى: أنهم ماتوا في سنة واحدة حزنوا عليهم حزناً شديداً ، وبكوا عليهم ، فاستغل الشيطان لعنه الله هذه العاطفة فيهم ، وأشار عليهم بمشورة ظاهرها النصح ، وباطنها الخديعة والمكر ، أشار عليهم بأن يصوروا تماثيلهم ، يعني: يجعلوا لهم صوراً على شكل تماثيل ، كل واحد له صورة ، وأن ينصبوا إلى مجالسهم - أي يضعوا هذه الصور في مجالسهم - ؛ من أجل أن ينشطوا على العبادة ، إذا رأوهم تذكروا حالتهم فنشطوا على العبادة ، فهو جاءهم من باب النصح ، وأشار عليهم بمشورة ظاهرها

الخير ، وأن هذه وسيلة للنشاط على العبادة ، والتقوى ، والصلاح ، والافتداء بهؤلاء ، إذا رأوا صورهم تذكروا صلاحهم وحالتهم فاقتدوا بهم ، فقبلوا هذه المشورة لأن ظاهرها أنها خير ، وابتدعوا هذه البدعة .

ولم تُعبد في هذا الجيل ، لأنهم على علم وعلى دين ، حتى إذا هلك أولئك ، ونُسي العلم يعني: بموت العلماء الذي يحذرون من الشرك ، عُبدت هذه الصور لأن الشيطان قال لهم: إن آباءكم ما نصبوا هذه الصور إلا من أجل أن يتقربوا إليها ، ويسقون بها المطر ، فصَدَّقوه في هذا .

ومقالته لهذا الجيل المتأخر تخالف مقالته للجيل السابق ، هذا من باب المكر ، فصَدَّقوه في هذا فعبدوهم ، ومن حينها حدث الشرك في الأرض ، وغير دين آدم عليه الصلاة والسلام . فبعث الله نبيه نوحاً عليه السلام أول الرسل وهذا أول شرك حدث في الأرض ، وسببه هو الغلو في الصالحين .

وفي ذلك الردُّ على عبَاد القبور اليوم ، الذين يقولون: البناء على القبور من باب المحبة للصالحين ، وكوننا نستغيث بهم ، ونستشفع بهم ، ونذبح لهم ، وننذر لهم ، ونتبرك بتربتهم ، هذا ليس من الشرك ، هذا من باب محبة الصالحين ، ويقولون للذين ينكرون: أنتم تبغضون الصالحين ، هكذا فسروا المحبة والبغض ، كما أن حسن النية لا يسوغ العمل غير المشروع ، لأن قوم نوح نيتهم حسنة ، لكن هذه البدعة أفضت إلى الشرك على المدى البعيد .

لذلك ينبغي الحذر من الغلو في قبور الصالحين ، وذلك بالعكوف عندها ، أو البناء عليها ، أو غير ذلك من أي مظاهر الغلو ، والنبي ﷺ حذر من البناء على القبور ، والصلاة عند القبور ، والدعاء عند القبور لأن ذلك وسيلة إلى الشرك ، ولذلك أوصى النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «لَا تَدْعَ قَبْرًا مُشْرِفًا - أي هدمت البناء الذي عليه - إِلَّا سَوَّيْتَهُ وَلَا تَمْتَلَا إِلَّا طَمَسْتَهُ»^(١) .

وكذلك نهى رسول الله ﷺ «أَنْ تَجْصَصَ الْقُبُورُ»^(٢) ، وذلك بطلائها بالحص ، أو بالبويات ، أو الألوان المزخرفة .

والمشروع في القبور أن تُدفن كما كان على عهد النبي ﷺ تُدفن بترابها ،

(١) (صحيح) أخرجه (د) وصححه الألباني في شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٥ / ١ .

(٢) (صحيح) أخرجه (ت) وصححه الألباني في مش ١٧٠٩ .

وتُرفع عن الأرض قدر شبر بالتراب من أجل أن تُعرف أنها قبور فلا تُداس ، وما زاد عن ذلك فهو ممنوع (٦) .

مشاهد من الدار الآخرة (الحساب <٥>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلْحَاءُ- أي بدون قرون- مِنْ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»^(١).

عباد الله ، في هذا تصريح بجشر البهائم يوم القيامة وإعادتها يوم القيامة ، وأما القصاص من القرناء والجلحاء فليس من قصاص المقاتلة ولا التكليف .

وأخرج مسلم في صحيحه والترمذي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ ، فَقَالَ : «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(٢).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٤)

[النور: ٢٤] ، ففي يوم القيامة تشهد على العصاة ألسنتهم بما نطقوا ، وتتكلم أيديهم وأرجلهم بما عملت ، فلقد جاء في صحيح مسلم أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا ، قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا ، قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلَّا

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٥٨٢ .

(٢) (صحيح) أخرجه (م ت) وصححه الألباني في ص ٢٨٤٣ .

كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَا أَحَدِهِمَا، قَالَ: «فَيَلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ: أَيُّ فُلٍّ - أَيُّ فُلَانٍ - أَلَمْ أُكْرِمَكَ وَأَسَوِّدَكَ - أَيُّ أَجْعَلَكَ سَيِّدًا عَلَى غَيْرِكَ - وَأَزَوَّجَكَ وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذَرَكَ تَرَأْسَ وَتَرْبَعٍ - أَيُّ أَلَمْ أَجْعَلَكَ رَئِيسًا مَطَاعًا - ، فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِي فَيَقُولُ: أَيُّ فُلٍّ أَلَمْ أُكْرِمَكَ وَأَسَوِّدَكَ وَأَزَوَّجَكَ وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذَرَكَ تَرَأْسَ وَتَرْبَعٍ؟ فَيَقُولُ: بَلَى أَيُّ رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ، فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي - أَيُّ أَمْنَعُكَ الرَّحْمَةَ كَمَا امْتَنَعْتَ مِنْ طَاعَتِي - ، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فَيَقُولُ لَهُ: مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُّسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمَّمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ وَيُؤْنِنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذَا - أَيُّ قَفٍ هَهُنَا حَتَّى يَشْهَدَ عَلَيْكَ جَوَارِحُكَ إِذْ قَدْ صَرَتْ مِنْكَ - قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ، فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلِحْمِهِ وَعِظَامِهِ انْطِقِي فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلِحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعَذِّرَ - أَيُّ لِيُزِيلَ اللَّهُ عَذْرَهُ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ بِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ وَشَهَادَةِ أَعْضَائِهِ عَلَيْهِ بِحَيْثُ لَمْ يَبْقَ لَهُ عَذْرٌ يَتَمَسَّكُ بِهِ - مِنْ نَفْسِهِ وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(١).

* * *

أول من رمى بسهم في سبيل الله (سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه) <٢>

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم، أما بعد . .
أيها الأحبة في الله، ما زلنا نتناول السيرة العطرة لأول من رمى بسهم في سبيل الله ألا وهو أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، فهيا بنا .
حراسته رضي الله عنه لرسول الله:

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: سَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقْدَمَهُ الْمَدِينَةَ لَيْلَةً فَقَالَ: لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ سَمِعْنَا خَشْخَشَةَ سِلَاحٍ فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» قَالَ: سَعْدُ

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٩٦٨ .

بُنْ أَبِي وَقَّاصٍ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَا جَاءَ بِكَ؟» قَالَ: وَقَعَ فِي نَفْسِي خَوْفٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجِئْتُ أَخْرُسُهُ فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ نَامَ^(١) .

جهد سعد بن أبي وقاص ﷺ:

أخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَقَدْ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ نَأْكُلُهُ إِلَّا وَرَقُ الْحَبْلَةِ وَهَذَا السَّمُرُ حَتَّى إِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَنُو أُسْدٍ - أَيُ بَنُو الزَّبِيرِ بْنِ الْعَوَامِ - تُعْزِرُنِي عَلَى الدِّينِ - أَيُ تَوْقِفُنِي عَلَى الْأَحْكَامِ وَالْفَرَائِضِ - لَقَدْ خَبْتُ إِذَا وَضَلَ عَمَلِي^(٢) .

١ - سرية عبدة بن الحارث:

جاء في (السيرة النبوية) لفضيلة الدكتور على الصلابي : كانت سرية عبدة بن الحارث ﷺ أول سرية في تاريخ السرايا يلتقي فيه المسلمون مع المشركين في مواجهة عسكرية وقد اتخذ القتال بين الطرفين طابع المناوشة بالسهم وكان سعد بن أبي وقاص ﷺ أول العرب رمى بسهم في سبيل الله في تلك المعركة التي لم تستمر طويلاً إذ قرر الفريقان الانسحاب من أرضها وقد كان انسحاب المسلمين قوياً ومنظماً وكان بطل هذا الانسحاب سعد بن أبي وقاص ﷺ ، فقد كان له الدور الأكبر في تثبيت وإحباط استعدادات العدو لشن أي هجوم مضاد وذلك بوابل من السهام المزعجة التي قذفها نحوه والتي كونت ساتراً دفاعياً مهد لانسحاب سليم منظم بالنسبة للمسلمين ، وقد فر عتبة بن غزوان ، والمقداد بن الأسود رضي الله عنهما يومئذ إلى المسلمين وكانا قد أسلما قبل ذلك ، وفي هذه السرية حقق سعد بن أبي وقاص ﷺ سبقاً عسكرياً إسلامياً ، يسجل في سجله الحافل بالأعمال العظيمة لنصرة دين الله تعالى (٢٦) .

٢ - سرية الخرار:

جاء في (الرحيق المختوم) لفضيلة الشيخ صفى الرحمن المباركفوري : في ذي العقدة السنة الأولى من الهجرة بعث لها رسول الله ﷺ سعداً ﷺ في عشرين رجلاً يعترضون عيراً لقريش ، وعهد إليه ألا يجاوز الخرار ، فخرجوا مشاة يكمنون

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٨٠٤ ، و(م) ٢٤١٠ واللفظ لمسلم .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٠٨٨ و(م) ٢٩٦٦ .

بالنهار ، ويسIRON بالليل ، حتى بلغوا الخرار صبيحة خمس ، فوجدوا العير قد مرت بالأمس وكان لواء سعد رضي الله عنه أبيض ، وحمله المقداد بن عمرو (١٩) .

٣- غزوة بواط:

جاء في (الرحيق المختوم) لفضيلة الشيخ صفي الرحمن المباركفوري : في شهر ربيع الأول السنة الثانية من الهجرة ، خرج فيها رسول الله ﷺ في مائتين من أصحابه ، يعترض عيراً لقريش فيها أمية بن خلف الجمحي ومائة رجل من قريش ، وألفان وخمسمئة بعير ، فبلغ بواطاً من ناحية رضوى ولم يلق كيذا ، واستخلف في هذه الغزوة على المدينة سعد بن معاذ ، واللواء كان أبيض ، وحامله سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (١٩) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

اللقاء الإيمان السابع والعشرون:

(من ذاكرة التاريخ لرفع المعنويات <٢>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتني في الله ، إن للعلماء وللدعاة وللخطباء وللمربين دوراً كبيراً في رفع المعنويات ، والدليل على ذلك أنه لما قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿ إِنَّا لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤] ، قال رجلان من الذين يخشون الله تعالى أنعم الله عليهما بطاعته وطاعة نبيه لبني إسرائيل ﴿ ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣] ، فهذا دورٌ عظيم يقوم به العلماء .

ولقد كان أبو عمر البزار يقول عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: كان من أشجع الناس وأقواهم قلباً ، فلقد كان أثبت الناس جأشاً ، يجاهد في سبيل الله بقلبه ولسانه ويده ، ولا يخاف في الله لومة لائم .

وحدثوا أنهم رأوا منه في فتح عكا أموراً من الشجاعة يعجز الواصفون عن وصفها ، ولقد كان السبب في تملك المسلمين عكا بفعله ومشورته وحسن نظره كما ذكر في (الأعلام العلية) وقال: لما ظهر السلطان غازان على دمشق جاءه ملك الكرج وهو ملك كافر معه كفار يطلب من غازان أن يملكه من رقاب المسلمين ليفتك بهم ، ووصل الخبر إلى الشيخ ؛ فقام من فوره ، وشجع المسلمين ، ورجبهم في الشهادة ، ووعدهم على قيامهم بالنصر والظفر والأمن وزوال الخوف ، وانتدب منهم رجالاً من كبرائهم فخرجوا إلى غازان ، فلما رآهم السلطان قال: من هؤلاء؟ قيل: إنهم رؤساء دمشق .

فأذن لهم ، وحضروا بين يديه ، ثم تقدم الشيخ أولاً ، فلما أن رآه السلطان أوقع الله له في قلبه هيبة عظيمة ، حتى أدناه من مجلسه ، وأخذ الشيخ في الكلام أولاً في عكس رأيه عن تسليط المخدول ملك الكرج على المسلمين ، يريد ألا يوافق على هذا ، وأخبره بجرمة دماء المسلمين ، وذكره ووعظه ، فأجابه إلى ذلك طائعاً ، وحقنت بسببه دماء المسلمين ، وصين حريمهم (٤٧) .

على درب التوحيد (التغليظ فيمن دعا الله عند قبر رجل صالح)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

إخوتي في الله ، هناك بعض الناس يعبدون الله عند قبر رجل صالح ، وذلك بدعاء الله عند القبر رجاء الإجابة ، يظنون أن الدعاء في هذا المكان سبب للإجابة ، وإن كان الفاعل فعلها عند القبر رجاء أن تُقبل ، وأن العبادة عند القبر لها مزية عن العبادة في مكان آخر ، فهذا مبني على ظن فاسد ، لأن القبور ليست مكاناً للعبادة ، وأن العبادة عندها وإن كانت خالصة لله فإنها سبب للشرك ، ولهذا حذر النبي ﷺ من العبادة عند القبور سداً للذريعة ، أما إذا كان يدعو القبر ، ويستغيث بالميت ؛ فهذا شرك أكبر .

والذي عليه القبوريون اليوم ، أنهم يعبدون القبور صراحة ؛ ويستغيثون بها ، ويدبحون لها ، وينادون الموتى: المدد يا فلان ، المدد يا بدوي . . يطلبون منهم المدد صراحة ، ويدبحون لهم ، وينذرون لهم ، ويصرفون لهم أنواعاً من العبادة .

أخرج الشيخان في صحيحيهما عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ ، يُقَالُ لَهَا: مَارِيَةُ فَذَكَرَتْ لَهُ مَا رَأَتْ فِيهَا مِنَ الصُّورِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ ، أُولَئِكَ شَرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ»^(١) .

وأخرج مسلم في صحيحه عن جندب رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ: «أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنهَاكُمُ عَنْ ذَلِكَ»^(٢) .

لذا يجب على الدعاة قبل أن يحثوا الناس على الصلاة والصيام ، وترك الربا ، وترك الزنا ، وترك شرب الخمر ، قبل ذلك ينهوهم عن الشرك ، لاسيما إذا كان

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٤١٧ و (م) ٥٢٨ .

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٥٣٢ .

واقعا في الأمة ، لأنه إذا صلحت العقيدة صلحت بقية الأعمال ، أما إذا فسدت العقيدة ، فإن أعماله تكون هباءً منثوراً ، لا فائدة منها (٦) .

مشاهد من الدار الآخرة (الحساب <٦>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

روى الإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن نبي الله ﷺ قال : «أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَصَمٌّ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا ، وَرَجُلٌ أَحْمَقٌ ، وَرَجُلٌ هَرَمٌ وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فِتْرَةٍ فَأَمَّا الْأَصَمُّ فَيَقُولُ : رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامَ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا ، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامَ وَالصَّبِيَانُ يُحَذِّفُونِي بِالْبَعْرِ ، وَأَمَّا الْهَرَمُ فَيَقُولُ رَبِّي لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامَ وَمَا أَغْقِلُ شَيْئًا ، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفِتْرَةِ فَيَقُولُ رَبِّ مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ فَيَأْخُذُ مَوَائِقَهُمْ لِيُطِيعُنَّهُ فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ قَالَ فَمَنْ دَخَلَهَا كَانَتْ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا يُسْحَبُ إِلَيْهَا» ^(١) .

فهؤلاء قد عذرهم الله تعالى ، فأما الأصم الذي لا يسمع ومن مات في الفترة فعذرهما لعدم وصول الحجة إليهم ، وأما الأحمق والهرم فعذرهما لعدم فهمهما ، مما يدل على اشتراط البلوغ والفهم لقيام الحجة .

فهذا هو حال من مات ولما تبلغه دعوة الإسلام ، يختبر في الآخرة ، كما اختبر غيره في الدنيا ، فمن امتثل وأطاع كان من أهل الجنة ، ومن أبى وعصى كان من أهل النار ، جزاء وفاقاً ، وليس أمام الإنسان عند تأمل هذا الحكم الإلهي إلا أن يسلم بعظيم حكمته سبحانه ، ويقرّ بكمال عدله ، فلم يظلم سبحانه هؤلاء فدخلهم النار ، لكونهم معذورين بعدم قيام الحجة عليهم ، ولم يدخلهم الجنة لكون الجنة لا تدخلها إلا نفس مؤمنة ، فجعل سبحانه الآخرة في حقهم دار ابتلاء ، لينجو من يطيعه ، ويهلك من يعصيه .

وأخرج الشيخان في صحيحيهما والترمذي في سننه و الإمام أحمد في مسنده

(١) (صحيح) أخرجه (حم حب) وصححه الألباني في ص . ج ٨٨١

عن أنس رضي الله عنه عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ بَعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ، وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ» ^(١) .

نسأل المولى عز وجل أن يحيينا على الإسلام وأن يميتنا على الإسلام ، حتى نلقاه وهو راضٍ عنا ، والحمد لله رب العالمين .

أول من رمى بسهم في سبيل الله (سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه) <٣>

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .
أيها الأحبة في الله ، ما زلنا نتناول السيرة العطرة لأول من رمى بسهم في سبيل الله ألا وهو أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، فهي بنا .
معركة القادسية وفتح المدائن:

جاء في (البداية والنهاية) للحافظ بن كثير رحمه الله : لما تواجه الجيشان - جيش المسلمين وجيش الفرس - بعث رستم - قائد الفرس - إلى سعد بن أبي وقاص - قائد جيش المسلمين - أن يبعث إليه برجل عاقل عالم بما أسأله عنه ، فبعث إليه المغيرة بن شعبة رضى الله عنه . . . ، ثم بعث إليه سعد رسولا آخر بطلبه وهو ربعي بن عامر فدخل عليه ، وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي الحرير ، وأظهر اليواقيت والآلئ الثمينة والزينة العظيمة وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة ، وقد جلس على سرير من ذهب ودخل ربعي بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد ، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه ، فقالوا له: ضع سلاحك فقال: إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتكموني ، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت فقال رستم: ائذنوا له فأقبل يتوكأ على رحمه فوق

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٩٤٩ ، و(م) ٢٨٤٨ واللفظ لمسلم .

النمارق فخرق عامتها ، فقالوا له : ما جاء بكم ؟ فقال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه الى خلقه لندعوهم اليه ، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ، ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفضى الى موعود الله ، قالوا : وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقي فقال رستم : قد سمعت مقاتلكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا ؟ قال : نعم كم أحب إليكم يوما أو يومين ؟ قال : لا بل حتى نكتب أهل رأينا رؤساء قومنا فقال : ما سن لنا رسول الله ﷺ أن تؤخر الأعداء عند اللقاء من ثلاث فانظر في أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل فقال : أسيدهم أنت ؟ قال : لا ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم ، فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال : هل رأيتم قط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل ؟ فقالوا : معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا ، تدع دينك لذا الكلب ، أما ترى إلى ثيابه فقال : ويلكم لا تنظروا إلى الثياب ، وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة إن العرب يستخفون بالثياب والمأكّل ويصنون الأحساب - وهل مع هذا آمن ؟ لا بل خاف على ملكه كما خاف هرقل على ملكه من قبل - ، وذكر الحافظ بن كثير أن سعدا كان به عرق النسا يومئذ - أي يوم القادسية - وأنه خطب الناس وتلا قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] ، وصلى بالناس الظهر ثم كبر أربعاً وحملوا بعد أن أمرهم أن يقولوا : لا حول ولا قوة إلا بالله في طردهم إياهم وقتلهم إياهم وقعودهم لهم كل مرصد وحصرهم لبعضهم في بعض الأماكن (٨) .

وجاء في (تاريخ الرسل والملوك) للإمام الطبري : استخلف خالد بن عرفة على الناس فاختلف عليه الناس ، فقال : احمولوني وأشرفوا بي على الناس ، فارتقوا به فأكب مطلعا عليهم . . يأمر خالدا فيأمر خالد الناس ، وكان ممن شغب عليه وجوه من وجوه الناس فَهَمَّ بهم سعد وشتهم ، وقال : أما والله لولا أن عدوكم بحضرتكم لجعلتكم نكالا لغيركم ، فحبسهم ومنهم أبو محجن الثقفي وقيدهم في القصر ، وقال جرير : إن أبا محجن الثقفي قال : أما إني بايعت رسول الله ﷺ على أن أسمع وأطيع لمن ولاة الله الأمر وإن كان عبدا حبشيا ، فصعد حين أمسى إلى سعد يستعفيه ويستقبله فزبره وردّه ، فنزل فأتى سلمى بنت خصفة - أي زوجة

سعد- فقال: يا سلمى يا بنت آل خصفة هل لك إلى خير؟ قالت: وما ذاك قال: تخلين عني وتعيريني البلقاء فلهه علي إن سلمني الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلي في قيدي ، فقالت: وما أنا وذاك فرجع يرسف في قيوده . . فقالت سلمى: إني استخرت الله ورضيت بعهدك فأطلقته وقالت: أما الفرس فلا أعيرها ورجعت إلى بيتها ، فاقتادها فأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندق فركبها ثم دب عليها ، حتى إذا كان بجبال الميمنة كبر ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين . . . وجعل سعد يقول وهو مشرف على الناس مكب من فوق القصر: والله ولا محبس - أي لولا محبس - أبي محجن لقلت: هذا أبو محجن وهذه البلقاء ، فلما انتصف الليل حازر أهل فارس ، وتراجع المسلمون وأقبل أبو محجن حتى دخل من حيث خرج ووضع عن نفسه وعن دابته ، وأعاد رجليه في قيديه . . . وجاءت سلمى وأخبرت سعدا خبرها ، وخبر أبي محجن فدعا به فأطلقه وقال: اذهب فما أنا مؤاخذك بشئ تقوله حتى تفعله قال: لا جرم والله لا أجيب لساني إلى صفة قبيح أبدا .

ثم تقدم الجيش المنتصر بقيادة سعد بن أبي وقاص حتى وصل الجيش إلى بهرسير ، ولما نزل سعد بهرسير وهي المدينة الدنيا التي تسبق مدينة المدائن التي فيها قصر كسرى- طلب السفن ليعبر بالناس إلى المدينة القصوى - أي المدائن التي فيها قصر كسرى- فلم يقدر على شيء ووجدهم - أي الفرس- قد ضموا السفن ، فأقاموا ببهرسير أياما من صفر يريدونه على العبور فيمنعه الإبقاء على المسلمين حتى أتاه أعلاج - أي نفر من المجوس- فدلوه على مخاضة تخاض إلى صلب الوادي ، فأبى وتردد عن ذلك- أي تردد على عبورها فرأى- أي سعد- رؤيا أن خيول المسلمين اقتحمتها فعبرت ، وقد أقبلت من المد بأمر عظيم فعزم لتأويل رؤياه على العبور . فجمع سعد الناس وحثهم على عبور هذا النهر ، ففجأوا أهل فارس بأمر لم يكن في حسابهم ، وكان الذي يساير سعدا في الماء سلمان الفارسي فعامت بهم الخيل وسعد يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل ، والله لينصرون الله وليه ، وليظهروا الله دينه ، وليهزم الله عدوه إن لم يكن في الجيش بغى أو ذنوب تغلب الحسنات ، فقال له سلمان: الإسلام جديد ذلت لهم والله البحور كما ذل لهم البر أما والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منه أفواجا ، فطبقوا الماء حتى ما يرى الماء من الشاطئ ، ولهم فيه أكثر حديثا منهم في البر لو كانوا فيه ، فخرجوا منه كما قال

سلمان: لم يفقدوا شيئاً ولم يغرق منهم أحد (١٢) .

ولما عبر المسلمون يوم المدائن دجلة - نظر جنود الفرس - إليهم يعبرون جعلوا يقولون بالفارسية ديوان آمد ، وقال بعضهم لبعض: والله ما تقاتلون الإنس وما تقاتلون إلا الجن فانهزموا ، ولما دخل سعد المدائن ، وانتهى إلى إيوان كسرى ، أقبل يقرأ: ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَآكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٨] (١٢) .

الإخوة الفضلاء ، من هذه القصة الرائعة يتبين لنا أن السعادة الحقيقية والحياة الطيبة وكذا بقاء الأمم في أمان وسلام ورخاء يرجع إلى الإيمان بالله والتمسك بكتابه وسنة رسوله ﷺ ، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ أَتَّبَعْ هُدَايَ فَلَا يَضِلَّ وَلَا يُشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤] .

فهلا عدنا إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فيلزمُ ولاية الأمور في بلاد المسلمين أنفسهم بذلك فيحكمون بشرع الله تعالى ، ثم نبدأ بتطبيق السنة النبوية كما فعل الخلفاء الراشدون وبقية الصحابة وكما سار عليه سلفنا الصالح ، فيعفي الرجال اللحي وتتحجب النساء ويمنع الاختلاط وتقام صلاة الجماعة في المساجد وتمنع المنكرات من الأسواق والبيوت والمجمعات ، ويمنع كل ما هو مخالف للشرع وللجنة فلا بنوك ربوية ولا صور نساء ولا مجلات خليعة ولا معازف ولا رقص ولا أعياد وطنية ولا قومية حتى المسابقات الرياضية تكون موافقة للسنة ، وتكون في الجري وفي السباحة أو الرماية أو ركوب الخيل وغيرها من الرياضات المفيدة ، ولا يكون الهدف منها إلا تربية الشباب التربية الإيمانية الرشيدة التي تهيئهم للجهاد في المستقبل ، إذا ما أصبحنا قادرين على الجهاد ومواجهة الأعداء .

وهكذا نربي أنفسنا رويداً رويداً داخل مجتمعاتنا ، ولا نسمح للمنافقين وأشياعهم ، أو لدعاة الحزبية وأهل البدع بممارسة أي دور مؤثر على شبابنا داخل البلاد الإسلامية حتى لا يفسدوا الأمة ويبعدوها عن الصراط المستقيم ، فهل في هذا صعوبة على من تولى أمر المسلمين؟ (٦٢) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

اللقاء الإيماني الثامن والعشرون:

(من ذاكرة التاريخ لرفع المعنويات <٢>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحيتي في الله ، إن ثبات الدعاة والعلماء كشيخ الإسلام ابن تيمية له أثر بالغ في رفع المعنويات وحصول النصر بإذن الله ﷻ ، فلقد كان الشيخ تقي الدين رحمه الله يحلف للأمراء والناس: إنكم في هذه الكرة منصورون ، فيقول له الأمرء: قل إن شاء الله ، فيقول: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً ، وكان يتأول في ذلك أشياء من كتاب الله ﷻ مثل قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ ﴾ [الحج: ٦٠] وهكذا كان يدور على الجيش ويفتيهم ، وكانت المعركة في رمضان ففتي بالفطر مدة قتالهم ، ويأكل هو بنفسه أمام الناس أشياء ويقول: أفطروا فالفطر أقوى لكم ، ويستدل لهم بحديث النبي ﷺ .

وعندما وردت الأخبار بقصد التتر بلاد الشام ، وأنهم عازمون على دخول مصر أيضاً ، انزعج الناس ، وازدادوا ضعفاً على ضعفهم ، وطاشت عقولهم وألباهم ، وشرع الناس في الهرب إلى بلاد مصر و الكرج و الشوبك والحصون المنيعه ، حتى بلغ ثمن الحمار الذي يوصل إلى مصر خمسمائة دينار ، وبيع الجمل بألف دينار ، وبيعت الأمتعة والثياب بأرخص الأثمان ، لأن الناس تبيع متاعها وتهرب من البلد . أما الشيخ تقي الدين ابن تيمية فقد جلس بمجلسه في الجامع وحرص الناس على القتال ، وساق لهم الآيات والأحاديث الواردة في ذلك ، ونهى عن الإسراع في الفرار ، ورغب في إنفاق الأموال في الذب عن المسلمين وبلادهم وأموالهم ، وأن ما ينفق في أجرة الهرب إذا أنفق في سبيل الله كان خيراً ، وأوجب جهاد التتر حتماً ، وتابع المجالس في ذلك ، كما ذكر الحافظ بن كثير رحمه الله تعالى في البداية والنهاية (٤٧) .

على درب التوحيد (ما جاء في الغلو في قبور الصالحين)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم

به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنْجِياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

إخوتي في الله ، الغلو في قبور الصالحين يكون بالزيادة في تعظيمها ، لأن ذلك يؤدي إلى الشرك ، والمشروع في قبور الصالحين وقبور المسلمين عموماً احترامها ، وعدم إهانتها ، وصيانتها عن الأذى ، وزيارتها للسلام على الأموات ، والدعاء لهم ، والاعتبار بأحوالهم ، هذا هو المشروع ، أما الغلو فهو قصدها للتبرك ، أو الدعاء عندها ، أو الصلاة عندها رجاء الإجابة . هذا هو الغلو ، لأن هذا لم يشرعه الله ولا رسوله ، ولأنه وسيلة إلى الشرك يجعلها في المستقبل وعلى امتداد الزمان أوثاناً تعبد من دون الله ، ولقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تُصَلُّوا إِلَى الْقُبُورِ وَلَا تَجْلِسُوا عَلَيْهَا» (١) .

وروى الإمام مالك في الموطأ عن عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» (٢) .

فالنبي ﷺ لم يدفن في المسجد ، وإنما دفن في بيته خارج المسجد ، وإنما أدخل البيت في المسجد بعد عهد الخلفاء الراشدين في وقت الوليد بن عبد الملك ؛ لما أراد أن يوسع المسجد عمم التوسعة من جهة المشرق ، فأدخل حجرة النبي ﷺ ، ولم يكن هذا بمشورة أهل العلم ، وإنما هذا عمل الخليفة بدون مشورة أهل العلم ، ولكن مع هذا فالبيت لا يزال على شكله وحيازته ، والمشروع: السلام عليه من غير مكوث عنده وطول قيام ولا تكرار زيارة كما كان الصحابة يفعلون ذلك: فقد كان ابن عمر يقف - إذا جاء من سفر - مقابل وجه النبي ﷺ فيقول: السلام عليك يا رسول الله ، ثم يتأخر إلى جهة المشرق قليلاً فيقول: السلام عليك يا أبا بكر ، ثم يتأخر قليلاً فيقول: السلام عليك يا أبت ، ثم ينصرف ، وهكذا كان عمل المسلمين عند السلام على الرسول ﷺ وعلى صاحبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وإنما تدخل زيارة قبره رسول الله ﷺ في عموم قول رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الْآخِرَةَ» (٣) .

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٩٧٢ .

(٢) (صحيح مرسلاً) أخرجه (مالك) وصححه الألباني في مش ٧٥٠

(٣) (صحيح) أخرجه (هـ) وصححه الألباني في ص ج ٣٥٧٧ .

وروى الترمذي وابن ماجة في سننهما والإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : «لَعَنَ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ»^(١).

وقال فضيلة الشيخ الألباني رحمه الله تعالى عن بعض أهل العلم: إن هذا كان قبل أن يرخص النبي في زيارة القبور فلما رخص دخل في رخصته الرجال والنساء .

وقال بعضهم: إنما كره زيارة القبور للنساء لقلّة صبرهن وكثرة جزعهن .
وقال فضيلة الدكتور صالح الفوزان: القول الصحيح الراجح هو: منع النساء من زيارة القبور (٦) .

مشاهد من الدار الآخرة (الصراط <١>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبي الذين اتقوا وعقبي الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد . . .

عباد الله، بعد وزن الأعمال والفراغ منها، وبيان السعيد من الشقي، يضطر الناس إلى المرور على الصراط، وهو جسر دقيق على متن جهنم، ويكون مرور الناس على حسب أعمالهم في الدنيا، فمنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر دون ذلك ومنهم من يمر حبواً ومنهم من يسقط في متن جهنم .

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢] .

أي يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم على الصراط بين أيديهم وعن أيمنهم، بقدر أعمالهم، ويقال لهم: بشراكم اليوم دخول جنات واسعة تجري من تحت أشجارها الأنهار، لا تخرجون منها أبداً، ذلك الجزاء هو الفوز العظيم لكم في الآخرة .

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ

(١) (صحيح) أخرجه (ت هـ حم) وصححه الألباني في ص ج ٥١٠٩ .

نُورَكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ [الحديد: ١٣] .

أي يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا ، وهم على الصراط: انتظرونا نستضيء من نوركم ، فتقول لهم الملائكة: ارجعوا وراءكم فاطلبوا نوراً (سخرية منهم) ، ففصل بينهم بسور له باب ، باطنه مما يلي المؤمنين فيه الرحمة ، وظاهره مما يلي المنافقين من جهته العذاب .

وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة وأبي مالك عن ربي رضي الله عنهما عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحْمُ فَتَقُومَانِ جَنَّتَيْنِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أُولُكُمُ كَالْبَرْقِ قَالَ: قُلْتُ يَا أَبَا أُتَيْتُ أَيُّ شَيْءٍ كَمَرُ الْبَرْقِ؟ قَالَ: أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرُ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرُ الطَّيْرِ، وَشَدَّ الرَّجَالِ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا قَالَ: وَفِي حَافَتِي الصِّرَاطِ كَلَالِيبٌ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرْتُ بِهِ فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوشٌ فِي النَّارِ، وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا»^(١) .

أول من رمى بسهم في سبيل الله (سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه)

الحمد لله الذي من على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به أصحابه الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله ، ما زلنا تناول السيرة العطرة لأول من رمى بسهم في سبيل الله ألا وهو أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فهيا بنا .

من مناقب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

أخرج الشيخان في صحيحهما عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَمَعَهُ رَجُلَانِ - أي جبريل وميكائيل - يُقَاتِلَانِ عَنْهُ

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٩٥ .

عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضٌ كَأَشَدِّ الْقِتَالِ مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ^(١) .

وفي هذا بيان لكرامة النبي ﷺ على الله تعالى وإكرامه إياه بإنزال الملائكة تقاتل معه ، وبيان أن الملائكة تقاتل وأن قتالهم لم يختص بيوم بدر وهذا هو الصواب خلافاً لمن زعم اختصاصه فهذا صريح في الرد عليه ، وفيه فضيلة الثياب البيض وأن رؤية الملائكة لا تختص بالأنبياء بل يراهم الصحابة والأولياء وفيه منقبة عظيمة لسعد بن أبي وقاص الذي رأى الملائكة .

وروى البخاري في صحيحه عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ مَسَحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ ، وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ سَأَلَ عُمَرَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: نَعَمْ إِذَا حَدَّثَكَ شَيْئًا سَعْدٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَا تَسْأَلْ عَنْهُ غَيْرَهُ^(٢) .

وجاء في سنن الترمذي عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ »^(٣) .

سعد رضي الله عنه كان مستجاب الدعوة:

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: شَكَأَ أَهْلَ الْكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَعَزَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَشَكَّوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لَا يُحْسِنُ يُصَلِّي ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لَا تُحْسِنُ تُصَلِّي ، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللَّهِ فَإِنِّي كُنْتُ أَصَلِّي بِهِمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَخْرَمْتُ عَنْهَا - أَي مَا أَنْقَصْتُ - ، أَصَلِّي صَلَاةَ الْعِشَاءِ فَأَرْكُضُ فِي الْأَوَّلِينَ - أَي أَسْكُنُ وَأَمْكُثُ وَمَعْنَاهُ أَطُولُ - ، وَأُخِفُّ فِي الْآخِرِينَ قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا أَوْ رَجُلًا إِلَى الْكُوفَةِ فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَلَمْ يَدْعُ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا ، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا أَيَّ سَأَلْتَنَا بِاللَّهِ تَعَالَى - فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لَا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ - أَي لَا يَخْرُجُ بِنَفْسِهِ

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٨٢٨ و(م) ٢٣٠٦ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ١٩٩ .

(٣) (صحيح) أخرجه (ت) وصححه الألباني في ص ج ٥٠ .

معها والمراد نفي الشجاعة عنه ، وقيل: معناه لا يسير بالطريق العادلة - ، وَلَا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ ، وَلَا يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ - أي الحكومة والقضاء - قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللَّهِ لَأَدْعُوَنَّ بِثَلَاثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَأُطِلْ عُمَرَهُ ، وَأُطِلْ فَقْرَهُ وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ ، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَثِيرٌ مَفْتُونٌ أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ ، قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ ^(١) .

اعتزاله الفتنة:

أخرج الإمام أحمد في مسنده وأبو داود والترمذي في سننهما والحاكم في المستدرک عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ رضي الله عنه قَالَ عِنْدَ فِتْنَةِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ: أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي وَالْمَاشِي خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي» ، قَالَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلَ عَلَيَّ بَيْتِي وَبَسَطَ يَدَهُ إِلَيَّ لِيَقْتُلَنِي؟ قَالَ: «كُنْ كَابْنَ آدَمَ» ^(٢) .

أخي الكريم ، الذي حصل لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه اعتزل هذه الفتنة وقال كلمة جميلة جداً قال: لا أقاتل حتى تأتونني بسيف له عنان ولسان يقول: هذا مسلم وهذا كافر في هذه اللحظة أنا مستعد أن أقاتل ، وسبحان الله اعتزاله للفتنة يعني منقبة جميلة جداً يرويه أحد الصحابة كما عند الحاكم والرجال ثقة ، عن حسين بن خارجة الأشجعي أنه قال: لما قتل عثمان بن عفان أشكلت عليّ الفتنة فقلت: اللهم أرني أمراً أو أرني من الحق أمراً أتمسك به قال: فرأيت في النوم الدنيا والآخرة - خذ بالك الدنيا والآخرة - وبينهما حائط فنزلت من على هذا الحائط فإذا بنفر قالوا: من أنتم؟ قالوا: نحن الملائكة قلت: فأين الشهداء؟ قال: اصعد في الدرجات قال: فصعدت درجة بعد درجة حتى رأيت النبي ﷺ ومحمداً ﷺ ورأيت إبراهيم عليه السلام قال: فوجدت محمداً - يعني وجدت النبي ﷺ - يقول لإبراهيم عليه السلام: استغفر لأمتي فقال إبراهيم عليه السلام: إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك إنهم أراقوا دماءهم وقتلوا إمامهم ألا فعلوا كما فعل خليلي سعد - هذا إبراهيم عليه الصلاة والسلام يقول هذا في الرؤية - قال: ألا فعلوا كما فعل

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٧٢٢ ، و(م) ٤٥٣ واللفظ للبخاري .

(٢) (صحيح) أخرجه (حم د ت ك) وصححه الألباني في ص ج ٣٦٢٣

خليلي سعد ، فلما رأى هذه الرؤية حسين بن خارجة الأشجعي ذهب إلى سعد بن أبي وقاص يبشره بهذه الرؤية فبكى سعد فرحاً وقال: لقد خاب من لم يكن إبراهيم عليه السلام خليله ثم قال له الحسين: مع أي الطائفتين أنت ستكون يا سعد؟ قال: لا مع هذا ، ولا مع ذاك قال: فما تأمرني؟ قال: ألك غنم؟ قلت: لا ، قال: فاشتر غنماً واعتزل كل هؤلاء جميعاً حتى تنجلي تلك الفتنة ، الله أكبر فتلك المنقبة العظيمة ، قال الحافظ شمس الدين الذهبي في حقه: اعتزل سعد الفتنة فلا حضر معركة الجمل ولا معركة صفين ولا التحكيم ، ولقد كان أهلاً للإمامة كبير الشأن رضي الله عنه وأرضاه ، هكذا كانت الصحابة ما كان لهم حاجة في متاع ولا منصب ولا جاه (٥٧) .

ذكر وفاته ﷺ:

جاء في (صفة الصفوة) لابن الجوزي : مات سعد في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة فحمل على رقاب الرجال إلى المدينة ، وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ والي المدينة ، ثم صلى عليه أزواج النبي ﷺ في حجرهن ودفن بالبقيع ، وكان أوصى أن يكفن في جبة صوف له كان لقي المشركين فيها يوم بدر ، فكفن فيها وذلك في سنة خمس وخمسين ، ويقال سنة خمسين وهو ابن بضع وسبعين ، ويقال اثنتين وثمانين ، وعن مالك بن أنس أنه سمع غير واحد يقول: إن سعد بن أبي وقاص مات بالعقيق فحمل إلى المدينة ودفن بها . وعن عائشة رضي الله عنها لما توفي سعد أرسل أزواج النبي ﷺ أن يمروا بجنازته في المسجد ففعلوا فوقف به على حجرهن فصلين عليه وخرج من باب الجنائز فبلغ ذلك عائشة فقالت: ما أسرع الناس إلى أن يعييبوا ما لا علم لهم به عابوا علينا أن نمر بجنازة في المسجد وما صلى رسول الله ﷺ على سهيل بن بيضاء إلا في جوف المسجد (٢٨) .

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى
(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

اللقاء الإيماني التاسع والعشرون:

(من بشارت النصر والتمكين <١>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتني في الله ، من بشارت النصر والتمكين شهادة أعدائنا بتفوق هذا الدين ، ولنعلم بأن مما يرفع نفوسنا ، ويقوي هممنا ، ويشحذ عزائمنا ؛ أن هؤلاء الكفرة بأنفسهم قد شهدوا لنا بالتفوق ، ولدينا بالعلو .

يقول لورنس براون: إن الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي ، ويقول جلادستون: ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين ، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على المشرق .

وقال الشيوعيون وهم في سدة الحكم: من المستحيل تثبيت الشيوعية قبل سحق الإسلام نهائياً .

وقال أشعيا بومين في مقال نشره: لم يتفق قط أن شعباً مسيحياً دخل في الإسلام ثم عاد نصرانياً .

وقال بن جوريون اليهودي: إن أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد جديد .

ونحن نعرف أن محمداً عليه الصلاة والسلام آخر الأنبياء ، لكنه يقصد قائداً جديداً . وهكذا يقول إرل بورجر الكاتب الصهيوني: إن المبدأ الذي قام عليه وجود إسرائيل منذ البداية هو أن العرب لا بد أن يبادروا ذات يوم إلى التعاون معها ، ولكي يصبح هذا التعاون ممكناً ، فيجب القضاء على جميع العناصر التي تغذي شعور العداء ضد إسرائيل في العالم العربي وهي عناصر رجعية ، تتمثل في رجال الدين والمشايخ .

يقول براون: كان قادتنا يخوفونا بشعوب مختلفة ، لكننا بعد الاختبار لم نجد مبرراً لمثل تلك المخاوف ، خوفونا باليابان الأصفر ، والخطر البلشفي ، و إلى آخره ! وتبين لنا أن هؤلاء حلفاؤنا وهؤلاء أصدقاؤنا وهؤلاء ! لكننا وجدنا أن الخطر الحقيقي علينا موجود في الإسلام ، وفي قدرته على التوسع والإخضاع ، وفي

حيويته المدهشة! .

ويقول هانوتر الفرنسي: لا يوجد مكان على سطح الأرض إلا واجتاز الإسلام حدوده وانتشر فيه ، فهو الدين الوحيد الذي يميل الناس إلى اعتناقه بشدة تفوق كل دين آخر (٤٧) .

على درب التوحيد (حماية جناب التوحيد وسد الطريق إلى الشرك)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنْجِياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

إخوتي في الله ، لقد حصل الشرك في هذه الأمة بسبب الفتنة في القبور والغلو فيها ، وبسبب الغلو في الصالحين ، والغلو في الرسول ﷺ ، فالشرك إنما حصل في هذه الأمة بسبب هذه الأمور ، فالدين الذي جاءت به الرسل هو إخلاص العبادة لله ﷻ ، هذا هو الدين .

أما عبادة القبور فهي دين أبي جهل وأبي لهب ودين المشركين ، ليست في دين الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ولكن إذا ظهر الجهل ، وظهر اتباع الهوى حصل في الأمة ما حصل من جعل هذه الأمور الشركية من الدين ، وجعل التوحيد هو الخروج عن الدين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

والرسول ﷺ حمى حدود التوحيد حماية بليغة ، بحيث إنه نهى عن كل سبب أو وسيلة توصل إلى الشرك ، ولو كانت هذه الوسيلة في أصلها مشروعة كالصلاة والدعاء ، فإذا فعلت عند القبور ، فهو وسيلة إلى الشرك ، ولو حسنت نية فاعلها ، فالنية لا تبرّر ولا تزكي العمل إذا كان يؤدي إلى محذور .

فالرسول نهى عن الصلاة عند القبور ، ونهى عن الدعاء عند القبور ، ونهى عن البناء على القبور ، ونهى عن العكوف عند القبور ، واتخاذ القبور عيداً ، إلى غير ذلك ، كل هذا من الوسائل التي تُفضي إلى الشرك ، وهي ليست شركاً في نفسها ، بل قد تكون مشروعة في الأصل ، ولكنها تؤدي إلى الشرك بالله ﷻ ، ولذلك منعها رسول الله ﷺ .

أخرج أبو داود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا

تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قُبُورِي عِيدًا وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُ^(١).

وفي هذا الحديث دليل على أنه ليس للصلاة عليه عند قبره خاصية، بل إذا قصد الإنسان القبر لأجل الصلاة عليه فهذا منهي عنه، لكن إذا قصد قبره للسلام عليه ويصلي عليه فهذا مشروع، أما أن تقصده من أجل أن تجلس أو تقف وتصلي عليه دائماً فهذا غير مشروع، لأنه مطلوب منك الصلاة والسلام عليه في أي مكان (٦).

مشاهد من الدار الآخرة (على الصراط <٢>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبي الذين اتقوا وعقبي الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد . . .

روى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً وَيَكْبُو مَرَّةً وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا التَّفَتَّ إِلَيْهَا فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّيَ مِنْكَ لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ»^(٢).

وجاء في المعجم الكبير للطبراني وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « . . - بعد أن يسقط كل من ليس على التوحيد في النار وتبقى أمة محمد عليه الصلاة والسلام - فَيُعْطِيهِمْ نُورَهُمْ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورًا مِثْلَ النِّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورًا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى يَكُونَ رَجُلًا يُعْطَى نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ يُضِيءُ مَرَّةً وَيَفِيءُ مَرَّةً، فَإِذَا أَضَاءَ قَدَمَهُ قَدَمُهُ فَمَشَى، وَإِذَا طُفِئَ قَامَ"، قَالَ: "وَالرَّبُّ ﷻ أَمَامَهُمْ حَتَّى يَمُرَّ فِي النَّارِ فَيَبْقَى أَثَرُهُ كَحَدِّ السَّيْفِ دَحْضُ مَزَلَةٍ"، قَالَ: "وَيَقُولُ: مُرُّوا، فَيَمُرُّونَ عَلَى قَدَرِ نُورِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَطَرْفِ الْعَيْنِ،

(١) (صحيح) أخرجه (د) وصححه الألباني في ص ج ٧٢٢٦ .

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ١٨٧ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالسَّحَابِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَانْقِضَاضِ الْكُوكَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرَّيْحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الْفَرَسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الرَّجُلِ، حَتَّى يَمُرَّ الَّذِي أُعْطِيَ نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمَيْهِ يَجْبُو عَلَى وَجْهِهِ وَيَدْيِهِ وَرِجْلَيْهِ تَحْرُ رَجُلٌ، وَتَعْلُقُ رَجُلٌ، وَيُصِيبُ جَوَانِبَهُ النَّارُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَخْلَصَ، فَإِذَا خَلَصَ وَقَفَ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا أَنْ نَجَانِي مِنْهَا بَعْدَ إِذِ رَأَيْتُهَا»^(١).

قائد سرية دومة الجندل (عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه) <١>

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به أصحابه الكرام رضي الله عنهم، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله، نحن على موعد اليوم مع قائد سرية دومة الجندل، هذا الذي بشره رسول الله ﷺ بالجنة ألا وهو عبد الرحمن بن عوف بن عبد بن الحارث رضي الله عنه، يكنى أبا محمد، كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو، وقيل: عبد الكعبة، فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن. أمه الشفاء بنت عوف بن عبد بن الحارث. ولد بعد الفيل بعشر سنين وأسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم وكان من المهاجرين الأولين جمع المهجرتين جميعاً: هاجر إلى أرض الحبشة ثم قدم قبل الهجرة وهاجر إلى المدينة، وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، وكان عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة. وأحد الستة الذين جعل عمر الشورى فيهم وأخبر أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راض (٢).

عفاف عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

جاء في صحيح البخاري عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: لَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ أَخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَا لَا فَأَقْسِمُ مَالِي نَصْفَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَاَنْظُرْ

(١) (صحيح) أخرجه (طب ك ابن أبي الدنيا) وصححه الألباني في صت ٣٥٩١.

أَعَجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمَّهَا لِي أُطْلِقَهَا فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجَهَا قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ أَيْنَ سُوقُكُمْ؟ فَدَلَّوْهُ عَلَى سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ فَمَا انْقَلَبَ - أي رجع - إِلَّا وَمَعَهُ فَضْلٌ مِنْ أَقْطٍ وَسَمْنٌ ثُمَّ تَابَعَ الْعُدُوَّ - أي الذهاب كل صبيحة - ثُمَّ جَاءَ يَوْمًا وَبِهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَهْمٌ - أي ما حالك وشأنك وما خبرك - قَالَ: تَزَوَّجْتُ قَالَ: كَمْ سَقَتْ إِلَيْهَا؟ قَالَ: نَوَاةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ وَزَنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ شَكَّ إِبْرَاهِيمُ ^(١).

جاء في كتاب (أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي): أن سعد بن الربيع رضي الله عنه لم يكتف بعرض نصف ماله على أخيه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، وكان المال كافياً للنفقة على نفسه ولأداء مهر لامرأة يتزوجها والإنفاق عليها ، لم يكتف سعد بذلك بل أراد أن يتساوى هو وأخوه في الإسلام في كل ما يملك ، وإذا كان سعد الأنصاري قد وصل إلى تلك القمة من الإيثار ، فإن عبد الرحمن المهاجري قد وصل إلى قمة الزهد والقناعة والاستغناء بالله عن الناس ، فأثر أن يسعى بنفسه في كسب رزقه ، حتى أغناه الله .

إن المجتمع الذي يوجد فيه من يؤثر غيره على نفسه ، كما يوجد فيه من يزهّد فيما عند غيره ، ويقنع بما يؤتيه الله ويفضل أن ينفق على نفسه من كسب يده ، لجدير أن يعيش في أمن واستقرار يظله الحب والتعاون والوئام .

زهد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

أخرج البخاري في صحيحه عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ رضي الله عنه: أَتَيْتُ بِطَعَامٍ وَكَانَ صَائِمًا فَقَالَ: قَتَلَ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ، وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي كَفَرًا فِي بُرْدَةٍ إِنْ غَطِي رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِنْ غَطِي رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ وَأَرَاهُ قَالَ: وَقَتْلَ حَمَزَةَ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، ثُمَّ بَسَطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بَسَطَ، أَوْ قَالَ: أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عَجَلَتْ لَنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ ^(٢).

فرحم الله أولئك الأقوام ، الذين سبقت لهم الحسنات الماحية والجهاد والإيمان ، ومع هذا صبروا في ذات الله وخافوا على أنفسهم من زهرة الدنيا ، فهلا

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٥٦٩ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ١٢١٦ .

تعلمنا من هذا الرعيل الأول خلق التقوى؟

إنفاق عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

١- جاء في مسند الإمام أحمد عن شقيق قال: دخل عبد الرحمن بن عوف على أم سلمة رضي الله عنها فقال: يا أم المؤمنين إني أخشى أن أكون قد هلكت إني من أكثر قريش مالا بعث أرضاً لي بأربعين ألف دينار فقالت: أنفق يا بني فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن من أصحابي من لا يراني بعد أن أفارقه، فأتيت عمر فأخبرته فأتاها فقال: بالله أنا منهم قالت: اللهم لا ولن أبرئ أحداً بعدك ^(١).

٣- وجاء في المعجم الكبير للطبراني عن معمر، عن الزهري، قال: تصدق عبد الرحمن بن عوف بشطر ماله على عهد رسول الله ﷺ أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألفاً، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله، ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله، وكان عامة ماله من التجارة ^(٢).

٣- وروى الترمذي في سننه عن أبي سلمة أن عبد الرحمن بن عوف: أوصى بحديقة لأمهات المؤمنين يبعث بأربع مائة ألف ^(٣).

٤- وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن أم بكر بنت المسور، أن عبد الرحمن بن عوف باع أرضاً له من عثمان بن عفان بأربعين ألف دينار فقسّمه في فقراء بني زهرة وفي المهاجرين وأمهات المؤمنين قال المسور: فأتيت عائشة بنصيحها فقالت: من أرسل بهذا؟ فقلت: عبد الرحمن قالت: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول، وقال الخزاعي: إن رسول الله ﷺ قال: «لا ينجو عليكن بعدي إلا الصابرون سقى الله عبد الرحمن بن عوف من سلسيل الجنة» ^(٤).

فكانت هذه منقبة له ولقد كان كثير الصدقات رضي الله عنه مواصلاً لآل بيت رسول الله ولأمهات المؤمنين، فهنيئاً له بهذه المنقبة.

(١) (صحيح الإسناد) أخرجه (حم) ٢٦٧٣٦ وقال شعيب الأرناؤوط صحيح الإسناد.

(٢) (مرسل ورجاله ثقات) أخرجه (طب) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤٩٠٠ رجاله ثقات.

(٣) (صحيح لغيره) أخرجه (ت) ٣٧٥٠ وقال الألباني عنه صحيح لغيره.

(٤) (حسن) أخرجه (حم) ٢٤٧٦٨ وقال شعيب الأرناؤوط عنه حسن.

جهاد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

جاء في (الطبقات الكبرى) لابن سعد : لقد بعث رسول الله ﷺ سرية بقيادة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل في شعبان سنة ست من مهاجر رسول الله ﷺ ، قالوا: دعا رسول الله ﷺ ، عبد الرحمن بن عوف فأقعه بين يديه وعممه بيده وقال: اغز بسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله! لا تغل ولا تغدر ولا تقتل وليدا! وبعثه إلى كلب بدومة الجندل وقال: إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم ، فسار عبد الرحمن حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام فأسلم الأصبح بن عمرو الكلبي ، وكان نصرانيا وكان رأسهم - أي رئيسهم - ، وأسلم معه ناس كثير من قومه وأقام من أقام - أي على دينه - على إعطاء الجزية وتزوج عبد الرحمن تماضر بنت الأصبح وقدم بها إلى المدينة ، وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن (٢٩) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

اللقاء الإيمانى الثلاثون :

(من بشار النصر والتمكين <٢>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتباعه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتى فى الله ، من بشار النصر والتمكين أن الله تعالى لا يمكن أن يبقى الكفار فى تمكين وإلا تفسد الأرض ، لكن مداولة للأيام بين الناس ، وهكذا نقول اليوم لأنفسنا: متى تنكسر شوكتهم؟

إن غطرسة الأمم الكافرة لمن المبشرات بأن فجر الإسلام قادم ، إنهم ينفقون الأموال الطائلة والمخططات: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦] هل الغلبة ستكون فى الدنيا ، أو فى الآخرة فقط؟ قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْدَبَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ [آل عمران: ٥٦] ، لقد استوفت الأمة الظلمة اليوم المستكبرة فى الأرض أسباب الهلاك ، لقد ادعوا دعاوى الألوهية ، وتغطرسوا كثيراً ، ومارسوا طريقة فرعون: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ [النازعات: ٢٤] ، ولكن ماذا كانت نتيجة فرعون؟ ﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٧] .

تألوا على الله ، وزعموا أنه أخرجهم لقيادة العالم ، وكذبوا على الله ، وزعموا أنه اختارهم ليخلصوا البشرية ويقودوها فى مطلع القرن الحادى والعشرين ، وقالوا: فليباركنا الرب .

وألف فوكوياما كتابه (نهاية التاريخ) مغروراً يعنى: أن هذه الأمة عندهم (الكفرة) وصلت إلى القمة وليس هناك بعدها شيء .

ولقد كثرت الذنوب والمعاصي عند الغرب حتى صاروا قادة العالم فى الموبقات ، والجنس والقذارة ، وأنواع الفواحش ، والآراء الضالة التى فرضوها ، والسياسة والاقتصاد والثقافة ، وعالم السينما والإعلان ، وغير ذلك ، والله يأخذ المذنبين ، ألم يقل: ﴿ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١١]؟ وقال عن قوم لوط: ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود: ٨٣] ، وقال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتُهَا فِئَلكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾

[القصص: ٥٨] ، ألم يقعوا في الترف والإسراف في المآكل والمشرب والمساكن والمراكب والأثاث وصناعة الترفيه والسياحة والرياضة والأفلام؟! إن ذلك مؤذنٌ بتدمير دولهم .

ألم يقل الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦]؟! ألم يغتروا بقوتهم ويقولوا كما قالت عاد: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]؟ ماذا فعل الله بعاد؟! ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدِيَقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [فصلت: ١٦] .

ولقد وعد الله ﷻ بأنه سيجزي القوم المجرمين وأنه سيهلكهم ، وسنته ماضية: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩] ، إن الله لا يصلح عمل هؤلاء ؛ لأنهم مفسدون: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١] .

أليسوا أصحاب مكر ، وحيل ، وخداع ، وخطط ، ودهاء ، وأساليب ، سيناريوهات وإخراجات لضرب أهل الإسلام؟! هؤلاء لا شك أن مكرهم سيكون دماراً عليهم ، قال تعالى: ﴿اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ [فاطر: ٤٣] أي ينتظرون ﴿إِلَّا سُنَّةَ الْأُولَىٰ فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣] ، ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل: ٥٠-٥١] فكل أسباب إهلاك القرى في القرآن اجتمعت ، فماذا ينتظرون إلا أن يأتي أجلهم: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] (٤٧) .

على درب التوحيد (بعض هذه الأمة سيعبد الأوثان <١>)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنْجِياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

جاء في صحيح مسلم وغيره عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ رَبِّي زَوَى - أي جمع - لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَسَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا

زُوي لي منها، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ - أي المراد بالكنزين الذهب والفضة والمراد كنزا كسرى وقبصر ملكي العراق والشام - ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يَهْلِكَهَا بَسَنَةِ بَعَامَةٍ، وَلَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ: وَلَا أَهْلِكُهُمْ بَسَنَةِ بَعَامَةٍ - أي لا أهلكهم بقحط يعمهم بل إن وقع قحط فيكون في ناحية يسيرة بالنسبة إلى باقي بلاد الإسلام - وَلَا أَسَلِّطُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ - أي إن الله تعالى لا يسلط العدو على كافة المسلمين حتى يستبيح جميع ما حازوه من البلاد والأرض ، ولو اجتمع عليهم من بجوانب الأرض - وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا، أَوْ قَالَ بِأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ بَعْضًا، وَحَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَسْبِي بَعْضًا، وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قِبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قِبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»^(١).

إخوتي في الله ، قال القرطبي رحمه الله تعالى: كان ذلك من دلائل نبوته ﷺ ، وذلك أن ملك أُمته اتسع إلى أن بلغ أقصى طنجة الذي هو منتهى عمارة المغرب ، إلى أقصى المشرق مما هو وراء خراسان والنهر ، وكثير من بلاد السند والهند ، ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال . والشاهد من هذا الحديث قوله: «حَتَّى تَلْحَقَ قِبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ» والمعنى: أنهم يكونون معهم ويرتدون برغبتهم عن أهل الإسلام ويلحقون بأهل الشرك ، ففيه الرد على من قال بخلافه من عباد القبور الجاحدين لما يقع منهم من الشرك بالله بعبادتهم الأوثان ، وذلك لجهلهم بحقيقة التوحيد وما يناقضه من الشرك ، فالتوحيد هو أعظم مطلوب والشرك هو أعظم الذنوب . وقوله: «وَحَتَّى تَعْبُدَ قِبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ» (٣١) .

مشاهد من الدار الآخرة (الشفاعة الخاصة للرسول ﷺ ودخول أهل الجنة الجنة)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة

(١) (صحيح) أخرجه (م حم د ت هـ) وصححه الألباني في ص ج ١٧٧٣ .

عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

عباد الله ، إذا عبر أهل الجنة الصراط ، وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار ، فتمحص قلوبهم من بعض ، حتى يهذبوا وينقوا ، ثم يأذن لهم بدخول الجنة ولكن بعد شفاعة النبي ﷺ إلى الله ﷻ فتفتح أبواب الجنة بشفاعة النبي ﷺ (٣٣) .

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيَتَقَاصُونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا - أي يتراضون فيما بينهم ويتسامحون عما كان لبعضهم من تبعات على بعض - حَتَّى إِذَا نَقُوا وَهَذَّبُوا - أي خلصوا من جميع الآثام ولم يبق على أحدهم أية تبعة من التنقية وهي تمييز الجيد من الرديء والتهذيب وهو التخليص - أَذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ فَوَالَّذِي نَفْسِي مُحَمَّدٌ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنَةٍ فِي الْجَنَّةِ أَذَلَّ - أكثر دلالة وأعرف - بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»^(١) .

من هذا الحديث يتضح لنا أنه بعد أن يعبر المؤمنون الصراط يحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن وإنهم عندما يدخلون الجنة فإن كل واحد يهتدي لمكان داره في الجنة أكثر من اهتدائه لمنزله الذي كان له في الدنيا .

وروى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَاسْتَفْتَحَ فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ قَالَ: يَقُولُ بِكَ أَمِرْتُ أَنْ لَا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»^(٢) .

وأخرج مسلم أيضاً في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا»^(٣) ، وفي رواية أخرى لمسلم : «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ» .

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٣٠٨ .

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ١٩٧ .

(٣) (صحيح) أخرجه (م) ١٩٦ .

قائد سرية دومة الجندل (عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه) <٢>

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .
أيها الأحبة في الله ، ما زلنا مع السيرة العطرة لقائد سرية دومة الجندل هذا الذي بشره رسول الله ﷺ بالجنة ألا وهو عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فهي بنا .
مناقب عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه :

جمع أحد فضلاء الشعراء العشر المبشرين بالجنة رضي الله عنهم في بيتين فقال:
للمصطفى خير صحب نص أنهم :: في جنة الخلد نصا زادهم شرفا
هم طلحة وابن عوف والزبير مع :: أبي عبيدة والسعدان والخلفا
وأخرج الترمذي في سننه عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَسَعْدُ فِي الْجَنَّةِ ، وَسَعِيدُ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ» ^(١) .

وأخرج أبو يعلى في مسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال:
جلست مع عمر بن الخطاب فقال لي: يا ابن عباس هل سمعت عن رسول الله ﷺ شيئا أمر به المرء المسلم إذا سها في صلاته كيف يصنع؟ قال: فقلت: لا والله أو ما سمعت أنت يا أمير المؤمنين من رسول الله ﷺ في ذلك شيئا؟ قال: فقال: لا والله فبينما نحن في ذلك أتى عبد الرحمن بن عوف فقال: فيم أنتما؟ قال: فقال له عمر سألته ، فأخبره عما سأله فقال له عبد الرحمن: لكني قد سمعت رسول الله ﷺ يأمر في ذلك فقال له عمر: فأنت عندنا عدل فماذا سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: فقال عبد الرحمن: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا سها أحدكم في صلاته حتى لا يدري أزداد أم نقص فإن كان شك في الواحدة والثنتين فليجعلها واحدة وإذا شك في الثنتين أو الثلاثة فليجعلها ثنتين وإذا شك في الثلاث والأربع فليجعلها ثلاثا حتى يكون الوهم في الزيادة ثم يسجد سجدتين وهو جالس قبل أن

(١) (صحيح) أخرجه (ت) وصححه الألباني في ص ج ٥٠ .

يسلم ثم يسلم (١) .

انظر أخي في الله : كيف أن رسول الله ﷺ يشهد لهذا الصحابي الجليل بالجنة وكذا يشهد صحابة رسول الله له بالعدالة فيالها من منقبة عظيمة .

بيعة عبد الرحمن بن عوف لعثمان رضي الله عنه بالخلافة:

جاء في صحيح البخاري عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ عَمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه - بعد أن طعن - : مَا أَجِدُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ أَوْ الرَّهْطِ الَّذِينَ تُؤْفِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ ، فَسَمِيَ عَلِيًّا وَعُثْمَانُ وَالزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ وَسَعْدٌ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَقَالَ : يَشْهَدُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ كَهَيْئَةِ التَّعْزِيَةِ لَهُ ، فَإِنْ أَصَابَتْ الْإِمْرَةُ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكَ وَإِلَّا فَلَيْسَتْ بِهِ أَيْكُمْ مَا أُمِرَ فَإِنِّي لَمْ أَعَزْلُهُ عَنْ عَجْزٍ وَلَا خِيَانَةٍ . . . فَلَمَّا فَرِعَ مِنْ دَفْنِهِ - أي دفن عمر بن الخطاب رضي الله عنه - اجتمع هَؤُلَاءِ الرَّهْطُ - أي الذين أوصى بهم عمر بن الخطاب - فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : اجْعَلُوا أَمْرَكُمْ إِلَى ثَلَاثَةِ مِنْكُمْ فَقَالَ الزُّبَيْرُ : قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَلِيٍّ فَقَالَ طَلْحَةُ : قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عُثْمَانَ وَقَالَ سَعْدٌ : قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : أَيْكُمْمَا تَبَرَّأَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ فَتَجَعَلَهُ إِلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَالْإِسْلَامُ لَيَنْظُرَنَّ أَفْضَلَهُمْ فِي نَفْسِهِ فَأُسْكِتَ الشَّيْخَانُ - أي عثمان وعلي رضي الله عنهما - فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : أَفَتَجْعَلُونَهُ إِلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ أَنْ لَا أَلْ عَنْ أَفْضَلِكُمْ؟ قَالَا : نَعَمْ فَأَخَذَ بِيَدِ أَحَدِهِمَا فَقَالَ : لَكَ قَرَابَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْقَدَمُ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ فَاللَّهُ عَلَيْكَ لَئِنْ أَمَرْتُكَ لَتَعْدِلَنَّ وَلَئِنْ أَمَرْتُ عُثْمَانَ لَتَسْمَعَنَّ وَلَتَطِيعَنَّ ، ثُمَّ خَلَا بِالْآخِرِ فَقَالَ لَهُ : مِثْلَ ذَلِكَ فَلَمَّا أَخَذَ الْمِيثَاقَ قَالَ : ارْفَعْ يَدَكَ يَا عُثْمَانُ فَبَايَعَهُ فَبَايَعَ لَهُ عَلِيٌّ ، وَوَلَجَ أَهْلُ الدَّارِ فَبَايَعُوهُ (٢) .

ولقد أشرف عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه على تنفيذ عملية الشورى واختيار الخليفة ، وحقق رضي الله عنه أول مظهر من مظاهر الشورى المنظمة في اختيار من يتحمل أعباء الخلافة ويسوس أمور المسلمين ، قال الحافظ شمس الدين الذهبي : ومن أفضل أعمال عبد الرحمن عزل نفسه من الأمر وقت الشورى ، فنهض في ذلك أتم نهوض على جمع الأمة على عثمان ، ولو كان محابياً فيها لأخذها لنفسه ، أو

(١) (إسناده صحيح) أخرجه (ع) ٨٣٩ وقال حسين أسد إسناده صحيح .

(٢) (صحيح) أخرجه (بخ) ٣٤٩٧

لولاها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (٥٠) .

عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يؤم النبي ﷺ:

جاء في صحيح مسلم عن الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: إِنَّهُ غَزَاَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَبُوكَ فَتَبَرَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ الْغَائِطِ . . . فَأَقْبَلْتُ مَعَهُ حَتَّى نَجِدُ النَّاسَ قَدْ قَدَّمُوا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَصَلَّى لَهُمْ فَأَذْرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِحْدَى الرَّكْعَتَيْنِ فَصَلَّى مَعَ النَّاسِ الرَّكْعَةَ الْآخِرَةَ فَلَمَّا سَلَّمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُتِمُّ صَلَاتَهُ ^(١) . يالها من منقبة عظيمة .

وفاة عبد الرحمن بن عوف:

جاء في المستدرک للحاكم عن عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أمه أم كلثوم بنت عقبة ، وكانت من المهاجرات الأول ، في قول الله عز وجل : ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ** ﴾ [البقرة: ٤٥] ، قالت : غشي على عبد الرحمن بن عوف غشية - أي فقدان للوعي - ، فظنوا أنه فاض نفسه فيها ، فخرجت امرأته أم كلثوم إلى المسجد ، تستعين بما أمرت به من الصبر والصلاة ، فلما أفاق قال : أغشي علي أنفا ؟ قالوا : نعم ، قال : صدقتم إنه جاءني ملكان فقالا : انطلق نحاكمك إلى العزيز الأمين ، فقال ملك آخر : أرجعاه فإن هذا ممن كتبتم له السعادة ، وهم في بطون أمهاتهم ، ويستمتع به بنوه ما شاء الله فعاش بعد ذلك شهرا ثم مات ^(٢) .

وعن يعقوب بن عتبة قال: مات عبد الرحمن بن عوف سنة اثنتين وثلاثين وهو يومئذ ابن خمس وسبعين (٢٤) .

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٧٤ .

(٢) (صحيح) أخرجه (ك) ٣٠٦٦ قال الذهبي في التلخيص على شرط البخاري ومسلم .

اللقاء الإيمانى الحادى والثلاثون:

(من بشارت النصر والتمكين <٢>)

الحمد لله الذى كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتى فى الله ، من بشارت النصر والتمكين شهادة الأعداء للإسلام . قال ألبرن شاذر: من يدري ربما يعود اليوم الذى تصبح فيه بلاد الغرب مهددة بالمسلمين ، يهبطون إليها من السماء لغزو العالم مرة ثانية ، وفى الوقت المناسب ، يقول: لست متنبئاً لكن الإمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة ، ولن تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها ، إن المسلم قد استيقظ ، وأخذ يصرخ: هأنذا ، إننى لم أمت ، ولن أقبل بعد اليوم أن أكون أداة تسيرها العواصم الكبرى .

ويقول أشعيا بومن أيضاً: إن شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربى من الإسلام ، لأن الإسلام منذ ظهر بمكة لم يضعف عددياً ، بل إن أتباعه يزدادون باستمرار ، وأن هذا الدين من أركانه الجهاد . هكذا قال فى مقالة نشرها فى مجلة العالم الإسلامى التبشير والاستعمار .

ويقول أنطونى ناتنج فى كتابه العرب: منذ أن جمع محمد ﷺ أنصاره فى مطلع القرن السابع الميلادى وبدأ أول خطوات الانتشار الإسلامى ، فإن على الغرب أن يحسب حساب الإسلام كقوة دائمة صلبة تواجهنا عبر المتوسط .

يقول سالازار فى مؤتمر صحفى: إن الخطر الحقيقى على حضارتنا هو الذى يمكن أن يحدثه المسلمون حين يغيرون نظام العالم .

ويقول آخر: إن العالم الإسلامى عملاق مقيد ، عملاق لم يكتشف نفسه حتى الآن اكتشافاً تاماً ، فهو حائر وقلق وكاره لانهطاطه وتخلفه ، وراغب رغبة يخالطها الكسل والفوضى فى مستقبل أحسن وحرية أوفر .

وهكذا يقول مورو برجر: إن الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر فى القارة الأفريقية . ويقول هانوتو: رغم انتصارنا على أمة الإسلام وقهرها ، فإن الخطر لا يزال موجوداً فى انتفاض المهورين الذين أعتبتهم النكبات التى أنزلناها بهم ؛ لأن همتهم لم تخمد بعد . ويقول: مرمدىوك باكتل: إن المسلمين يمكن أن ينشروا

حضارتهم في العالم الآن بنفس السرعة التي نشروها بها سابقاً بشرط: أن يعودوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول ؛ لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم .

وهكذا يقولون: إنه إذا وجد القائد المناسب الذي يتكلم الكلام المناسب عن الإسلام فإن من الممكن لهذا الدين أن يظهر قوةً عظيمة في العالم مرة أخرى . ويقول جب: إن الحركات الإسلامية تتطور بصورة مذهلة تدعو إلى الدهشة! تنفجر انفجاراً مفاجئاً قبل أن يتبين المراقبون من أماراتها ليدعوهم إلى الاستراب في أمرها ، فهذه لا ينقصها إلا ظهور صلاح الدين جديد (٢١) .

* * *

على درب التوحيد (بعض هذه الأمة سيعبد الأوثان <٢>)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنْجِياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد ..

إخوتي في الله ، إن بعض هذه الأمة سيعبد الأوثان سواء أصنام ، أو قبور ، أو أحجار ، أو أشجار ، أو جان ، أو إنس ، وهذا ردُّ على من زعم أنه لا يقع في هذه الأمة شرك ، وهم عباد القبور يقولون: هذا الذي نعمله ليس بشرك ، لأنه لا يقع الشرك بهذه الأمة ؟ وإنما هو من باب الحب والتوسل بالصالحين .

وكان بعض هؤلاء يقول لأصحابه: من كان له حاجة فليأت إلى قبري فإني أقضيها له ولا خير في رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب ، ونحو هذا ، وهذا هو الضلال البعيد ، ومن هذا الضرب: من يدعي أنه يصل مع الله إلى حال تسقط فيها عنه التكاليف ، ويدعي أن الأولياء يدعون ويستغاث بهم في حياتهم ومماتهم ، وأنهم ينفعون ويضرون ويدبرون الأمور على سبيل الكرامة ، وأنه يطلع على اللوح المحفوظ ، يعلم أسرار الناس وما في ضمائرهم ، ويجوز بناء المساجد على قبور الأنبياء والصالحين وإيقادها بالسرج ونحو ذلك من الغلو والإفراط والعبادة لغير الله . فما أكثر هذا الهذيان والكفر .

وهذه مقالة المشركين الأولين قال تعالى عنهم: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر: ٣] ، وقال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾

وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴿[يونس: ١٨] ، لكن هؤلاء يقرأون القرآن ولا يفقهون معناه ، أو يعرفون معناه ، ويكابرون تبعاً لهواهم .

وأخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِيرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكَوْا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالَ: فَمَنْ؟» ^(١) .

وقال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١] هذا في قصة أصحاب الكهف ، وذلك أن جماعة من الفتيان في الزمان القديم آمنوا بالله ، وأنكروا ما عليه أهل بلدهم من الشرك بالله ، فلما ماتوا قال أصحاب الكلمة والنفوذ ، نبني عليهم مسجداً من أجل التبرُّك بهم ، والصلاة عندهم ، والدعاء عندهم ، لأنهم من أولياء الله ، ونفذوا ذلك بقوة السلطة لا بقوة الحجة ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد ، ولعن من فعل ذلك في آخر وصاياه لأُمَّته ، كما أنه نهى عن البناء على القبور مطلقاً ، وعن تخصيصها والكتابة عليها ؛ لأن ذلك من الغلو الذي قد يؤدي إلى عبادة مَنْ فيها ، وبالرغم من ذلك فلقد وقع هذا ، ووُجد في هذه الأمة من يبني المساجد على القبور ، فها هي الأضرحة ، والبناء على القبور ، والطواف بها ، وإقامة الموالد ، والاستغاثة بالأموات ، والذبح والنذر لهم موجود ، كما كان في اليهود (٣١) .

وكذلك أخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرَّ أَلْيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ - أَي وَهْنٌ يَطْفَنُ حَوْلَ الصَّنَمِ - حَوْلَ ذِي الْخُلَصَةِ وَكَانَتْ صَنَمًا تَعْبُدُهَا دَوْسٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِتَبَالَةٍ » ^(٢) .

وهذا خبر صحيح ولا بد من وقوعه ، وكل هذا يكذب قول من ينفي الشرك في هذه الأمة ويستدل بحديث جابر رضي الله عنه الذي رواه مسلم في صحيحه: « إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيْسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ » ^(٣) ، فللعلماء عليه أجوبة : أن الشيطان قد أيس أن يجمع كل المصلين على الكفر ، واختار هذا القول العلامة ابن رجب الحنبلي في الدرر السنية ، أو أن هذا إخبار عما

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٢٦٩ ، و(م) ٢٦٦٩ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٦٩٩ ، و(م) ٢٩٠٦ .

(٣) (صحيح) أخرجه (م) ٢٨١٢ .

وقع في نفس الشيطان من اليأس لما رأى الفتوح ، ودخول الناس في دين الله أفواجا ، فالحديث أخبر عن ظن الشيطان وتوقعه ، ثم كان الواقع بخلاف ذلك لحكمة يريد بها الله عز وجل . واختار هذا القول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى .

مشاهد من الدار الآخرة (أهل الأعراف)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبي الذين اتقوا وعقبي الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٧) وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨) أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٤٩) وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ حُلُومًا وَلِعِبَاءٌ وَعَرَّتُهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَأَلْيَوْمَ نَسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٥١)﴾ [الأعراف: ٤٦-٥٠] .

المعنى: وبين أصحاب الجنة وأصحاب النار حاجز عظيم يقال له الأعراف ، وعلى هذا الحاجز رجال يعرفون أهل الجنة وأهل النار بعلاماتهم ، كلباس وجوه أهل الجنة ، وسواد وجوه أهل النار ، وهؤلاء الرجال قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم يرجون رحمة الله تعالى . ونادى رجال الأعراف أهل الجنة بالتحية قائلين لهم: سلام عليكم ، وأهل الأعراف لم يدخلوا الجنة بعد ، وهم يرجون دخولها . وإذا حُوِّلتْ أَبْصَارُ رِجَالِ الْأَعْرَافِ جِهَةً أَهْلُ النَّارِ قَالُوا: رَبَّنَا لَا تُصَيِّرْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ بِشْرِكِهِمْ وَكَفَرِهِمْ . ونادى أهل الأعراف رجالاً من قادة الكفار الذين في النار ، يعرفونهم بعلامات خاصة تميزهم ، قالوا لهم: ما نفعكم ما كنتم تجمعون من الأموال والرجال في الدنيا ، وما نفعكم استعلائكم عن الإيمان بالله وقبول الحق . أهؤلاء الضعفاء والفقراء من أهل الجنة الذين أقسمتم في الدنيا أن الله لا يشملهم

يوم القيامة برحمة ، ولن يدخلهم الجنة ؟ ادخلوا الجنة يا أصحاب الأعراف فقد غُفِرَ لكم ، لا خوف عليكم من عذاب الله ، ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من حظوظ الدنيا . واستغاث أهل النار بأهل الجنة طالبين منهم أن يُفَيضُوا عليهم من الماء ، أو مما رزقهم الله من الطعام ، فأجابوهم بأن الله تعالى قد حَرَّمَ الشراب والطعام على الذين جحدوا توحيدَه ، وكذَّبوا رسله . وأهل هم الذين جعلوا الدين الذي أمرهم الله باتباعه باطلا وهوًّا ، وخذعتهم الحياة الدنيا وشغلوا بزخارفها عن الآخرة ، فيوم القيامة ينسأهم الله تعالى ويتركهم في العذاب الموجه ، كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا ، ولكونهم بأدلة الله وبراهينه ينكرون مع علمهم بأنها حق .

* * *

رجل مستجاب الدعوة (سعيد بن زيد رضي الله عنه)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، جعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله ، نحن اليوم مع رجل مستجاب الدعوة ومن العشرة المبشرين بالجنة . إنه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه ، ولقد أسلم وزوجته فاطمة بنت الخطاب قبل أن يدخل النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم (١٣) .

جهاد سعيد بن زيد رضي الله عنه:

لقد شهد سعيد بن زيد رضي الله عنه المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلا بدرًا فلقد بعثه رسول الله مع طلحة قبل خروجه إلى بدر يتجسسان خبر العير فمرت بهما ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر فخرج ورجعا يردان المدينة ولم يعلما بخروج النبي صلى الله عليه وسلم فقدموا في اليوم الذي لاقى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين فخرجوا يعترضان رسول الله فلقياه منصرفا من بدر فضرب لهما بسهامهما وأجرهما فكانا كمن شهدا (٢٨) ، وقال ابن عساكر: إن سعيد بن زيد شهد اليرموك وحصار دمشق وولاه أبو عبيدة بن الجراح دمشق وخرج مع عمر رضي الله عنه في خروجه الثانية إلى الشام التي رجع فيها من سرغ - أي مكان بين الحجاز والشام - وكان أميراً على ربع المهاجرين (١٣) .

كان سعيد بن زيد رضي الله عنه من العشرة المبشرين بالجنة:

أخرج الترمذي في سننه عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

عَلَيْهِ السَّلَامُ : «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ»^(١).

كان سعيد بن زيد رضي الله عنه مستجاب الدعوة:

روى مسلم عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه ، أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ ادَّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا كُنْتُ أَخَذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: وَمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَخَذَ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا طَوَّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ» ، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لَا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمَّ بَصَرُهَا ، وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا قَالَ: فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا ، ثُمَّ بَيَّنَّا - أي بينما - هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا ، إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ^(٢).

الله أكبر! وبهذا يتحقق قول رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ وَلَكِنْ اسْتَغَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ»^(٣). ومثلُ العدوان على أرض الغير العدوان على المال العام، بل وهو أشدُّ حرمةً وأبشعُ أثرًا؛ لأنَّ الضررَ فيه يُصيبُ الأمةَ بجموعها.

موت سعيد بن زيد رضي الله عنه:

توفي سعيد بن زيد رضي الله عنه سنة إحدى وخمسين، وهو ابن بضع وسبعين سنة، وقُبرَ بالمدينة، ونزل في قبره سعد بن أبي وقاص، وابن عمر (٢٤).

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (ت) وصححه الألباني في ص. ج. ٥٠.

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ١٦١٠.

(٣) (صحيح) أخرجه (خ) ٦١٣٧.

اللقاء الإيمانى الثانى والثلاثون :

(من بشارت النصر والتمكين <٤>)

الحمد لله الذى كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، من بشارت النصر والتمكين أن هناك دراسات غربية تدل على قوة انتشار الإسلام والمسلمين ، فهناك أشياء كثيرة درسوها وتبين لهم أن قوة المسلمين قادمة .

فمن الدراسات التى أعدها شارلز ويليم أنه فى دراسته بعنوان الشرق الأوسط فى القرن الواحد والعشرين لمعهد الشرق الأوسط بـ واشنطن ، ويهيمن عليه اليهود ويؤثر فى توجيه سياسات القوم هناك: كان المسلمون يشكلون فى عام (١٩٨٠م) حوالى (١٨%) من سكان العالم ، وبحلول نهاية الربع الأول من القرن القادم من المتوقع أن يشكلوا أكثر من (٣٠%) وفى الشرق الأوسط نفسه من المتوقع أن يستمر هذا المعدل السريع فى النمو ، وهكذا فإن مصر من المتوقع أن تصعد من مستوى سكان أقل من سبعين مليون نسمة اليوم إلى قرابة مائة وعشرين مليوناً بحلول منتصف القرن القادم ، ومن المتوقع أن تزيد السعودية ثلاثة أضعاف فى حجم السكان ، فتزيد من واحد وعشرين مليوناً إلى واحد وستين مليون نسمة ، وسوف تصبح سوريا قوة سكانية كبرى حيث سيصل سكانها إلى خمسين مليوناً تقريباً عام (٢٠٥٠م) إن هذه التحولات الديموجرافية السكانية المهمة ستبدل تاريخ المنطقة . وفى كثير من تلك الدول هناك ملمح مميز للسكان وهو: تضخم أعداد الشباب الذين يشكلون بحماستهم ضغوطاً شديدة .

ويواصل كاتب الدراسة التركيز على زيادة شريحة الشباب فى الدول الإسلامية التى تشكل مزيداً فى قوة المسلمين المستقبلية .

وهذا صمويل هنتكتن الذى يقول فى كتابه صدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمى: بأن الشباب فى الثقافات الإسلامية يتسمون بعنف زائد فى نوعه ، وهكذا فإنه من غير المطمئن ما سيجده هؤلاء من التضخم فى عدد الشباب فى العشرين سنة الأولى من القرن القادم (٤٧) .

على درب التوحيد (ما جاء في السحر)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

إخوتي في الله ، السحر نوعٌ من أنواع الشرك ومن السبع الموبقات والدليل حديث أبي هريرة رضي الله عنه في صحيح البخاري فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمَوْبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»^(١).

فالسحر من الإيمان بالجبوت وهو كفر يخرج من الملة لأن السحر لا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق الشياطين ، فالسحرة يخضعون للشياطين ، ويستعينون بهم في سحرهم ، وهذا شرك بالله ﻋَﺰَّ وَجَلَّ ، ويؤثر السحر بإذن الله في المسحور إما قتلاً ، وإما مرضاً ، وإما تفريقاً بينه وبين حبيبته ، وإما أن يمنعه عن زوجته فلا يستطيع الوصول إليها .

وقد سحر النبي ﷺ ، وأثر فيه السحر ، وصار عليه الصلاة والسلام يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله ، ورقاه جبريل فبرئ بإذن الله . فالسحر له حقيقة ، ويؤثر في بدن المسحور ، ولكنه لا يؤثر إلا بإذن الله القدري الكوني ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ، وقد ذكر العلماء أن السحر المحرم على نوعين: سحر حقيقي ، وهو هذا الذي ذكرنا ، والنوع الثاني: سحر تخيلي ، ليس له حقيقة ، وإنما هو خيال وشعوذة ، وهو ما يسمّى بالقمرة ، فالساحر يخيل للناس شيئاً وهو ليس حقيقة ، كأن يخيل للناس أنه دخل في النار ، وليس كذلك .

وقال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٣)﴾ [الشعراء: ٢٢٣] .

وأخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٤٦٥ .

يَقُولُ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ وَهُوَ السَّحَابُ فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ- فِي السَّمَاءِ فَتَسْتَرْقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةً كَذِبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ»^(١)

والكاهن هو الذي يخبر الناس عن المغيبات ، بسبب أنه يسأل الشياطين ، وتُخبره الشياطين عن الأشياء الغائبة ، والأشياء المسروقة والمفقودة ، والأشياء البعيدة ، فهو يخبر الناس ، فيظنون أن هذا الكاهن يعلم الغيب ، وهو ليس كذلك ، لا يعلم الغيب ، وإنما أخبرته الشياطين بأشياء غائبة ، لأن الشياطين لهم مقدرة ليست عند الإنس ، فإذا تقرب إليهم الإنسي بما يريدون من الشرك والذبح لغير الله والسجود لهم ؛ فإنهم يخدمونه بما يريد ، فيظن الإنس أن هذا الكاهن عنده خبر من الغيب ، والحقيقة أن هذا كله من الشيطان .

فلا يجوز الذهاب إلى الكُهَّان والمشعوذين والدجالين لا للعلاج ، ولا للسؤال عن الأشياء الضائعة (٦) .

روى الإمام أحمد في مسنده والحاكم في المستدرک عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَالْحَسَنِ رضي الله عنهما ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»^(٢) .

مشاهد من الدار الآخرة (أسباب سقوط العقوبة عن العصاة)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبي الذين اتقوا وعقبي الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

عباد الله ، إذا وقع المؤمن في المعاصي فإن الله سبحانه وتعالى قد فتح لعباده أبواب رحمته ، للخلاص من عقوبة ما يقعون فيه ، قال صاحب العقيدة الطحاوية فيما ملخصه: إن فاعل السيئات يسقط عنه عقوبة جهنم بعدة أسباب عرفت بالاستقراء من الكتاب والسنة نذكر منها :

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٠٣٨ .

(٢) (صحيح) أخرجه (حم ك) وصححه الألباني في ص ج ٥٩٣٩ .

الأول: التوبة: والتوبة النصوح هي الخالصة ، وهي الخالصة لا يختص بها ذنب دون ذنب ، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) ﴾ [الزمر: ٥٣] وهذا لمن تاب .

الثاني: السبب الثاني الاستغفار ، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣) ﴾ [الأنفال: ٣٣] .

الثالث: الحسنات ، قال الله تعالى: ﴿ إِنْ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [هود: ١١٤] ، وقال رسول الله ﷺ: «وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا»^(١) .

رابعاً: المصائب الدنيوية ، والدليل قول رسول الله ﷺ: « مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا سَقَمٍ وَلَا حَزَنٍ حَتَّىٰ أَلْهَمَ إِلَهُهُ إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ »^(٢) .
خامساً: عذاب القبر ، يعني قد يعذب الإنسان في قبره ثم تسقط عنه عقوبة جهنم .

سادساً: دعاء المؤمنين واستغفارهم في الحياة ، وبعد الممات ، قد يكون الإنسان مستحقاً للعذاب ، ثم يغفر الله له بسبب دعاء المسلمين واستغفارهم له .

سابعاً: ما يهدى إليه بعد الموت من ثواب صدقة أو قراءة أو حج أو نحو ذلك ، إذا أهداه صدقة تصدق عنه ، قد تسقط عنه عقوبة جهنم .

ثامناً: أهوال يوم القيامة وشدائده ، قد يخفف عنه تسقط عنه عقوبة جهنم ، تصيبه أهوال وشدائد في موقف القيامة ، فتسقط بها عقوبة جهنم عنه .

تاسعاً: اقتصاص المؤمنين بعضهم من بعض ، حينما يوقفون على قنطرة بين الجنة والنار بعد عبور الصراط إذا كان لك مظلمة على شخص ، ثم أخذت حَقَّك قبل دخول الجنة سقطت عنه عقوبة جهنم ، أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُسُّوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا - أَيِ يَتَرَاوُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَيَتَسَامَحُونَ عَمَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ مِنْ تَبَعَاتٍ عَلَى بَعْضٍ - حَتَّىٰ إِذَا نَقَوْا وَهَضَبُوا -

(١) (صحيح) أخرجه (حم ت دارمي) وصححه الألباني في مش ٥٠٨٣ .

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢٥٧٣ .

أي خلصوا من جميع الآثام ولم يبق على أحدهم أية تبعة من التنقية وهي تمييز الجيد من الرديء والتهديب وهو التخليص - أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَذَلُّ - أكثر دلالة وأعرف - بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا^(١) .

عاشرا: شفاعة الشافعين قد يشفع له ، فلا يدخل جهنم .

حادي عشر: عفو أرحم الراحمين ، قد يعفو الله عن بعض الناس بدون شيء ، عفوهُ أرحم الراحمين من غير شفاعة ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء : ٤٨] .

أول من أسلم من النساء (خديجة بنت خويلد رضي الله عنها)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله ، نحن اليوم مع أول من أسلم من النساء ، وأفضل نساء أهل الجنة ، إنها خديجة بنت خويلد بن أسد رضي الله عنها ، وأمها فاطمة بنت زائدة بن جندب ، وكانت خديجة تدعى في الجاهلية الطاهرة ، وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند عتيق بن عابد بن عبد الله وذكر الطبراني: أنها ولدت لعتيق هنداً ثم خلف عليها أبو هالة مالك بن بناش فولدت له هنداً وهالة .

زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بخديجة بنت خويلد رضي الله عنها:

جاء في (الطبقات الكبرى) لابن سعد : أن خديجة رضي الله عنها كانت يوم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنت أربعين سنة وكانت أسن منه بخمسة عشرة سنة ، فولدت القاسم وعبد الله ، وهو الطاهر ، والطيب ، سمي بذلك لأنه ولد في الإسلام ، وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ، وكان بين كل ولدين سنة (٢٩) .

بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أخرج البخاري في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها - بعد أن نزل جبريل عليه السلام على رسول الله في غار حراء بسورة العلق - فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَرْجُفُ فَوَادُّهُ

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٣٠٨ .

فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»، فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوَغُ فَقَالَ: لَخَدِيجَةُ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ: خَدِيجَةُ كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ^(١).

والمرأة الصالحة لها أثر في نجاح الدعوة، وقد اتضح ذلك في موقف خديجة رضي الله عنها وما قامت به من الوقوف بجانب النبي ﷺ وهو يواجه الوحي لأول مرة (٢٦).

قال الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السيرة النبوية قال ابن إسحاق: وأمنت خديجة بنت خويلد وصدقت بما جاءه من الله ووازرته على أمره وكانت أول من آمن بالله ورسوله وصدقت بما جاءه منه، فخفف الله بذلك عن رسوله لا يسمع شيئاً يكرهه إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقته وتهون عليه أمر الناس ﷺ وأرضاها.

عام المقاطعة: ولما قُضِيَ على بني هاشم وبني عبد المطلب عام المقاطعة أن يخرجوا من مكة إلى شعابها، لم تتردد السيدة خديجة في الخروج مع رسول الله لتشاركه أعباء ما يحمل من أمر الرسالة الإلهية التي يحملها، وعلى الرغم من تقدمها بالسن أقامت في الشعاب ثلاث سنين، وهي صابرة محتسبة للأجر عند الله تعالى (٢٥).

فضائل خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

لقد كان رسول الله ﷺ مثلاً عالياً للوفاء ورد الجميل لأهله، فقد كان في غاية الوفاء مع زوجته المخلصة في حياتها وبعد مماتها، وقد بشرها ﷺ ببيت في الجنة في حياتها، وأبلغها سلام الله جل وعلا وسلام جبريل عليه السلام، أخرج الشيخان واللفظ للبخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَأَقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمَنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَحْبَ فِيهِ وَلَا نَصَبٍ»^(٢).

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣.

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٦٠٩، و(م) ٢٤٣٢ واللفظ للبخاري.

وتذكر عائشة رضي الله عنها وفاء النبي ﷺ لخديجة بعد وفاتها بقولها: مَا غَرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَمَا رَأَيْتَهَا وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا وَرَبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يَقْطَعُهَا أَغْضَاءً ، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ فَرَبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةً إِلَّا خَدِيجَةُ فَيَقُولُ: إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَتْ لِي مِنْهَا وَلَدٌ ^(١) .

وأظهر رسول الله ﷺ البشاشة والسرور لأخت خديجة لما استأذنت عليه لتذكره خديجة ، فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ اسْتَأْذَنْتُ هَالَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاعَ لِذَلِكَ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَالَةَ» قَالَتْ: فَعَرْتُ فَقُلْتُ: مَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمَرَاءِ الشُّدْقَيْنِ هَلَكْتَ فِي الدَّهْرِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا ^(٢) .

إن وجه القدوة فيما سلف ذكره هو في وفاء النبي وحبه لزوجته ، حتى امتد ظلال ذلك الحب والوفاء وطيب العشرة إلى صديقات زوجته ومن له صلة بها ، حتى لا ينسى الأزواج العشرة الطيبة مع زوجاتهم في حياتهن وبعد مماتهن .
فعليكم بالإحسان وأداء حقوق الزوجات ، وأن تحسنوا لأقاربهن وصديقاتهن وفاءً لحقوق الزوجية .

يقول الحافظ شمس الدين الذهبي رحمه الله: وهذا أعجب شيء أن تغار عائشة رضي الله عنها من امرأة ميتة ، ولا تغار من نسوة يعشن عند النبي ﷺ ، فلا تغار من أم سلمة ، ولا من أم حبيبة . . وتغار من امرأة ميتة! وهذا من لطف الله بنبيه حتى لا يتكدر عيشه ، فبمجرد صوت هالة أخت خديجة رضي الله عنها يذكر عائشة بها فقالت له: وما تفعل بعجوز حمراء الشدقين هلك في الدهر أبدلك الله خيراً منها؟ قولها: حمراء الشدقين كناية عن سقوط أسنانها ، وعديم الأسنان لا يبقى في فمه إلا حمرة اللثة وقولها: أبدلك الله خيراً منها- أي: تقصد نفسها- فقال لها النبي ﷺ وهذا ليس عند البخاري: لا والله ، ما أبدلني الله خيراً منها ، آمنت بي إذ كذبتني الناس ، وأعطتني إذ حرمني الناس ، وواستني بما لها عندما منعي الناس ، ورزقني الله منها الولد إذ حرمني أولاد النساء (٦٢) .

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٦٠٧ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٦١٠ ، و(م) ٢٤٣٧ واللفظ للبخاري .

وأخرج الإمام أحمد في مسنده وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ» ^(١).

وجاء في السيرة النبوية لفضيلة الدكتور على الصلابي: ما قاله فضيلة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: أن خديجة رضي الله عنها مثل طيب للمرأة التي تكمل حياة الرجل العظيم، فأصحاب الرسالات يحملون قلوباً شديدة الحساسية، ويلقون غبناً بالغاً من الواقع الذي يريدون تغييره، ويقاسون جهاداً كبيراً في سبيل الخير الذي يريدون فرضه وهم أحوج ما يكونون إلى من يتعهد حياتهم الخاصة بالإنسان والترفيه، وكانت خديجة سبابة إلى هذه الخصال، وكان لها في حياة محمد ﷺ أثر كريم (٢٦).

فهلا تعلمت نساتنا من خديجة رضي الله عنها كيف تكون معاملة الأزواج؟! وهلا تعلم الرجال من رسول الله ﷺ خصلة الوفاء وحفظ الجميل؟! وفاة خديجة رضي الله عنها:

جاء في (الطبقات الكبرى) لابن سعد عن حكيم بن حزام قال: توفيت خديجة بنت خويلد في شهر رمضان سنة عشر من النبوة وهي يومئذ بنت ٦٥ سنة، فخرجنا بها من منزلها حتى دفناها بالحجون، ونزل رسول الله ﷺ في حفرتها، ولم تكن يومئذ سنة الجنازة الصلاة عليها (٢٩).

فرضي الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس الأعلى دارها.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (حم طب ك) وصححه الألباني في ص. ج. ١١٣٥.

اللقاء الإيمانى الثالث والثلاثون :

(من بشارت النصر والتمكين >هـ)

الحمد لله الذى كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتى فى الله ، من بشارت النصر والتمكين أن هناك دراسات غربية تدل على قوة انتشار الإسلام والمسلمين ، وتقول: إذا أضفنا إلى ذلك انتشار الإسلام فى بلادهم ، وتمعناً ماذا سينتج عن ذلك؟ وماذا يمكن أن يكون الوضع فى المستقبل؟ إنه أمر مخيف لهم أيضاً! فيقولون بأن الإحصائيات فى عام (١٩٧٠م) كان عدد المسلمين فى أمريكا خمسمائة ألف ، أى: نصف مليون فقط ، الآن قرابة تسعة ملايين مسلم ، بل إن عددهم يفوق عدد اليهود الأمريكيين وهم فى زيادة . ثم يرصدون أنه بعد (١١ سبتمبر) تضاعف عدد الداخلين فى الإسلام ثلاثة أضعاف من أهل البلاد الأصليين ، وهذا يعنى بأن الناس هناك يريدون التعرف على الإسلام والقراءة عنه ، هناك دهشة لما يحصل فى بوسطن كان يوجد فقط فى عام (١٩٨٢م) مسجد واحد فقط ، يوجد الآن فى بوسطن (٣٠) جامعاً تصلى فيه صلاة الجمعة ، ومصليات فى مستشفيات هناك ، وفى ثانويتين توجد مصليات ، قضايا الحجاب ترفع بعضها فيكسبها أهلها المسلمون ، وبعضها لا يكسبونها ، لكنها تنبئ عن تحدٍ واستمرار على الدين وتمسك به . يقول أحد خبراءهم: أحد إغراءات الإسلام أن أخلاقهم صارمة ، الكثير من الناس الذين يعيشون حياة الفسق يريدون تغيير حياتهم ، لكنهم يحتاجون للمساعدة ، ثم يجدون المساعدة فى دين الإسلام .

واضطرت هيلارى كلينتون إلى الاعتراف بأن الإسلام هو الأسرع انتشاراً فى أمريكا ، وبدأ المسلمون يتحركون بشكل إيجابى فى بعض النواحي ، ومما يؤكد على قضية الإغراء الخاص لهذا الدين بما ينتزعه من عدد من الناس من الطبقة الوسطى ويصهر الأعراق فى بعضها ، فى المساجد أكثر من ثمانين ألفاً من المسلمين الأمريكيين هم من أصول أوروبية (٤٧) .

على درب التوحيد (أنواع السحر)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

إخوتي في الله ، هناك خوارق تجري على أيدي بعض الناس خارجة عن الأسباب المعروفة ، مثل: المشي على الماء ، والطيران في الهواء ، والإخبار عن الأشياء الغائبة ، وإحضار الشيء البعيد ، وهذه الخوارق إن جرت على أيدي الصالحين فهي كرامات من الله سبحانه وتعالى ، والكرامات ثابتة عند أهل السنة والجماعة ، تجري على أيدي الصالحين إكراماً لهم من الله سبحانه وتعالى ، وقد تجري على أيدي الكفرة ، والفساق ، والمنافقين ، فتكون هذه الخوارق شيطانية ، يفتنون بها الناس ، ويلبسون بها على الناس ، وهي إما سحر ، وإما بسبب استخدام هؤلاء الفساق للشياطين ، فيخدمهم الشياطين بهذه الأمور التي ليست من مقدور بني آدم ، وإما أن لها أسباباً خفية لم تظهر للناس من حيل ، يعملونها .

وأخرج الإمام أحمد في مسنده وأبو داود وابن ماجه في سننهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَقْبَسَ عِلْماً مِنَ النُّجُومِ أَقْبَسَ شُعْبَةً مِنَ السَّحْرِ زَادَ مَا زَادَ» ^(١).

فالإنسان لا يجوز له أن يتعلم التنجيم الذي عليه المشركون ، لأنه سحر وشرك بالله سبحانه وتعالى ، وعلى كل حال ؛ أمر السحر أمرٌ خطير ، وفي هذا الزمان كثر شر السحرة ، صاروا يستعملون السحر من أجل ابتزاز أموال الناس ، فلا يجوز الذهاب إلى السحرة ولا الكهّان لقول النبي ﷺ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» ^(٢) ، ولقول النبي ﷺ أيضاً: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ» ^(٣) (٦) .

(١) (حسن) أخرجه (حم د هـ) وحسنه الألباني في ص ج ٦٠٧٤ .

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢٢٣٠ .

(٣) (صحيح) أخرجه (حم ك) وصححه الألباني في ص ج ٥٩٣٩ .

مشاهد من الدار الآخرة (تلك هي الجنة)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبي الذين اتقوا وعقبي الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

عباد الله ، يقول الإمام ابن القيم في كتاب (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) عن الجنة وأهلها: كيف يُقدَّرُ قدر دار غرسها الله بيده وجعلها مقراً لأحبابه ، وملاًها من رحمته وكرامته ورضوانه ، ووصف نعيمها بالفوز العظيم ، وملكها بالملك الكبير ، فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران ، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن ، وإن سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر ، وإن سألت عن حصبتها فهو اللؤلؤ والجوهر ، وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة و لبنة من ذهب ، وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب و فضة لا من الحطب ولا من خشب ، وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل ، وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الخلل ، وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه و أنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ، وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون ، وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل و الكافور ، وإن سألت عن آنيهم فآنية الذهب و الفضة في صفاء القوارير ، وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام وليأتين عليه يوم وهو كطيظ من الزحام ، وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها تستفز بالطرب لمن يسمعها ، وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها ، وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه و سرره و قصوره و بساطينه مسيرة ألفي عام ، وإن سألت عن خيامها و قبابها فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلاً من تلك الخيام ، وإن سألت عن غرفها فهي غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار ، وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار ، وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير و الذهب ، وإن سألت عن فرشها فبطائنها من إستبرق مفروشة في أعلى الرتب ، وإن سألت عن أرائكها فهي الأسرة مزررة بأزرار الذهب ، وإن سألت عن وجوه أهلها و حسنهم فعلى صورة القمر ، وإن سألت

عن أسنانهم فأبناء ثلاث و ثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبي البشر ، وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين و أعلى منه سماع اصوات الملائكة و النبيين وأعلى منهما خطاب رب العالمين ، وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها فنجائب إن شاء الله مما شاء يسير بهم حيث شاؤوا من الجنان ، وإن سألت عن حليهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرؤوس ملابس التيجان ، وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون .

سيدة نساء هذه الأمة (فاطمة بنت محمد ﷺ) (<١>)

الحمد لله الذي منّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، جعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به أصحابه الكرام ﷺ ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله ، نحن اليوم مع سيدة نساء العالمين ، إنها فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين في زمانها ، وكانت تكنى أم أبيها بنت سيد الخلق رسول الله ﷺ ، وأم الحسنين ، مولدها قبل المبعث بقليل ، وتزوجها الإمام علي بن أبي طالب ﷺ في ذي القعدة ، أو قبيله ، من سنة اثنتين بعد وقعة بدر ، وقال ابن عبد البر: دخل بها بعد وقعة أحد ، فولدت له الحسن ، والحسين ، ومحسنا ، وأم كلثوم ، وزينب ، وروت عن أبيها ، وروى عنها ابنها الحسين وجماعة ، وروايتها في الكتب الستة ، وقد كان النبي ﷺ يحبها ويكرمها ويسر إليها ، ومناقبها غزيرة (٢٤) .

دفاع فاطمة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ :

جاء في صحيح مسلم عن ابن مسعود ﷺ قال: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابُ لَهُ جُلُوسٌ وَقَدْ نُحِرَتْ - أَيِ وَضِعَتْ - جَزُورٌ - أَيِ نَاقَةٌ - بِالْأَمْسِ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلَا جَزُورٍ - أَيِ اللَّفَافَةِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْوَلَدُ فِي بَطْنِ النَّاقَةِ - بَنِي فَلَانَ فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كِتْفِي مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَأَنْبَعَثَ أَشَقَى الْقَوْمِ فَأَخَذَهُ فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ بَيْنَ كِتْفَيْهِ قَالَ: فَاسْتَضَحُّكُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظَرُ لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ - أَيِ لَوْ كَانَ لِي قُوَّةٌ تَمْنَعُ - طَرَحْتُهُ - أَيِ أَلْقَيْتُهُ - عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالنَّبِيِّ ﷺ سَاجِدًا مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ ، حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ فَجَاءَتْ وَهِيَ جَوِيرِيَةٌ -

أي شابة صغيرة - فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ رَفَعَ صَوْتَهُ ، ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ ^(١) .

فاطمة رضي الله عنها في بيت علي رضي الله عنه:

أخرج أبو يعلى في مسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: خطبت إلى النبي ﷺ ابنته فاطمة قال: فباع علي درعا له وبعض ما باع من متاعه فبلغ أربع مئة وثمانين درهما قال: وأمر النبي ﷺ أن يجعل ثلثيه في الطيب وثلثا في الثياب ومج في جرة من ماء فأمرهم أن يغتسلوا به قال: وأمرها أن لا تسبقه برضاع ولدها قال: فسبقته برضاع الحسين وأما الحسن فإن النبي ﷺ صنع في فيه شيئا لا ندري ما هو فكان أعلم الرجلين ^(٢) .

فهلا يسرنا على الشباب نفقات الزواج للحد من العنوسة فنحافظ على مجتمعنا من شيوع البغاء والزنى واللواط ، تلك الأمراض التي تهدم المجتمع .

يقول فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي: لا شك أن العنوسة هي إحدى المشكلات الكبيرة التي تعانيها مجتمعاتنا العربية والإسلامية عامة ، وهي مكملّة لمشكلة أخرى ، هي مشكلة العزوبة عند الرجال ؛ فهما مشكلة واحدة ، تعني تأخر الزواج بالنسبة للفتاة والفتى .

والواقع أن هذه الظاهرة لها أسباب كثيرة ، منها أن الزواج أصبح يكلف كثيرا جدا ، وهو ما يرهق الشاب ، خاصة في بداية حياته العملية ، فمن أين يأتي بتكاليف الزواج الباهظة وهو يخطو الخطوات الأولى في حياته؟! فلا بد أن يكون هناك من يساعده على تحمل أعباء الزواج .

والواقع يؤكد أن الناس هم الذين عسّروا ما يسّر الله - عزّ وجلّ - وعقّدوا ما سهّل الشرع ؛ فالزواج في الشرع أمر سهل ويسير ، ولكن الناس هم الذين عسّروه وصعّبوه بما وضعوا من عقبات ، وما وضعوا من تكاليف ، فأصبح الشاب لا يستطيع تحمل كل نفقات الزواج ؛ فيتأخر دوره في عملية الزواج وإقامة أسرة جديدة ، كما نجد تشدد الآباء في أمور الزواج ؛ فالواقع أن بعض الآباء يتشدّدون في اختيار شريك حياة ابنتهم ، فهو يشترط شروطا معينة ، وكثيرا ما يأتي الخطّاب

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٧٩٤ .

(٢) (إسناده صحيح) أخرجه (ع) ٣٥٣ وقال حسين سليم أسد إسناده صحيح .

لابنته ويردُّهم ، هذا لأنه من طبقة دون طبقة ، وهو ما لم يقرُّه ديننا الإسلامي الحنيف ؛ فالنبي ﷺ يقول : « إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ »^(١) .

وهناك أسباب تتعلق بتعليم المرأة ؛ حيث يعدُّ إكمال الدراسة من الأسباب الرئيسة التي ساهمت في ظهور العنوسة وتأخُّر زواج الفتيات ؛ حيث إن بعض الفتيات يُردَّن إكمال تعليمهنَّ والالتحاق بوظيفة أولاً ، وهو ما يؤدي بدوره إلى بقائها في منزل أهلها دون زواج لمدة طويلة^(٢) .

وأخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري عن عليٍّ رضي الله عنه ، أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ شَكَتْ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِنَ الرَّحَى ، فَأَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ تَسْأَلُهُ خَادِمًا فَلَمْ تَجِدْهُ ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ قَالَتْ : فَجَاءَنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا ، فَذَهَبَتْ أَقُومُ فَقَالَ : مَكَانَكَ فَجَلَسَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي فَقَالَ : « أَلَا أَدْلِكُكُمْ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ خَادِمٍ ؟ إِذَا أُوَيْسْتُمْ إِلَى فِرَاشِكُمْ أَوْ أَخَذْتُمْ مَضَاجِعَكُمْ فَكَبِّرَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، فَهَذَا خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ خَادِمٍ »^(٣) ، فهلا تعلمنا من هذا الحديث أن لا نحبب أولادنا في كل ما سألوه ولكن نوجههم إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم .

وروى الإمام أحمد وغيره عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قَالَ : جَاءَتْ بِنْتُ هُبَيْرَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِي يَدِهَا فَتَخٌ - أَي خَاتَمٌ مِنْ ذَهَبٍ - فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْرِبُ يَدَهَا ، فَدَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَشْكُو إِلَيْهَا الَّذِي صَنَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَانْتَزَعَتْ فَاطِمَةُ سِلْسِلَةً فِي عُنُقِهَا مِنْ ذَهَبٍ وَقَالَتْ : هَذِهِ أَهْدَاهَا إِلَيَّ أَبُو حَسَنٍ - أَي زَوْجُهَا عَلِيٌّ - فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالسِّلْسِلَةُ فِي يَدِهَا فَقَالَ : « يَا فَاطِمَةُ أَيْغُرُكِ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ : ابْنَةُ رَسُولِ اللَّهِ وَفِي يَدِهَا سِلْسِلَةٌ مِنْ نَارٍ » ، ثُمَّ خَرَجَ وَلَمْ يَقْعُدْ فَأَرْسَلَتْ فَاطِمَةَ بِالسِّلْسِلَةِ إِلَى السُّوقِ فَبَاعَتْهَا وَاشْتَرَتْ بِثَمَنِهَا غَلَامًا ، فَأَعْتَقَتْهُ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ فَقَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْجَى فَاطِمَةَ مِنَ النَّارِ »^(٣) .

(١) (حسن) أخرجه (ت هق) وصححه الألباني في مختصر الإرواء ١٨٦٨ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٥٩٥٩ ، و(م) ٢٧٢٧ واللفظ للبخاري .

(٣) (صحيح) أخرجه (حم ك ن طب طيالسي) وصححه الألباني في ص ٧٧١ .

مناقب فاطمة عليها السلام:

جاء في سنن أبي داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ سَمْتًا وَهَدْيًا وَدَلًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ فَاطِمَةَ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهَا كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَامَ إِلَيْهَا فَأَخَذَ بِيَدِهَا وَقَبَّلَهَا وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ إِلَيْهِ فَأَخَذَتْ يَدَهُ فَقَبَّلَتْهُ وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا ^(١) .

وأخرج الترمذي في سننه عن عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رضي الله عنه رِيبِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] ، فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ فَدَعَا فَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَجَلَّلَهُمْ بِكِسَاءٍ وَعَلِيٌّ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَجَلَّلَهُ بِكِسَاءٍ - أَيِ غَطَاهُمْ - ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا» قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنَا مَعَهُمْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ أَنْتِ عَلَى مَكَانِكَ وَأَنْتِ عَلَى خَيْرٍ ^(٢) .

وروى الإمام أحمد وغيره عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْحُسْنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِلَّا ابْنَتِي الْخَالَةَ عِيسَى ابْنَتَ مَرْيَمَ وَيَحْيَى ابْنَ زَكَرِيَّا وَفَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ» ^(٣) ، وَعَنْهُ أَيْضًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَبْغِضُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَحَدٌ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ» ^(٤) .

فمما يقره أهل السنة والجماعة ويؤمنون به محبة أهل بيت النبي ﷺ ، وإمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله لما ضربه المعتصم وعذبه وآذاه في ذات الله عز وجل ، حتى أنه ضُربَ فانفتقت خاصرته وخرجت منها أمعاؤه ، وكاد أن يقضى عليه ، فجاءه بعض أصحابه وأصفياه ، فقالوا: ادع الله على المعتصم فقال الإمام أحمد: لا أفعل ذلك ، فإني قد استغفرت له ، ودعوت الله أن يغفر له لقرابته من رسول الله ﷺ .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (د) وصححه الألباني مش ٤٦٨٩ .

(٢) (صحيح) أخرجه (ت) ٣٢٠٥ وصححه الألباني .

(٣) (صحيح) أخرجه (حم ع حب طب ك) وصححه الألباني في ص ج ٣١٨١ .

(٤) (صحيح) أخرجه (ك) وصححه الألباني في س ص ٢٤٨٨ .

اللقاء الإيمانى الرابع والثلاثون :

(من بشار النصر والتمكين <٦>)

الحمد لله الذى كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتى فى الله ، من مبشرات النصر والتمكين انتشار الكتب الإسلامية ونسخ ترجمة القرآن ، فلقد حصل إقبال كبير بعد الأحداث الأخيرة على تفسير القرآن الكريم ، ويقدر بعض الخبراء فى أمريكا أن الذين يعتنقون الإسلام سنوياً فيها خمسة وعشرون ألف شخص ، وأن معدلات اعتناق الإسلام تضاعفت أربع مرات بعد الأحداث الأخيرة ؛ ويعود ذلك إلى سعة انتشار الكتب الإسلامية ، ونسخ القرآن الكريم المترجمة (ترجمة المعاني) وتزايد الإقبال على شرائه فى المكتبات ، معارض كتب تنتهى فيها الكتب الإسلامية ، تنتهى فيها ترجمات معاني القرآن العظيم ، وصارت الكتب الإسلامية تحتل مكانة فى قائمة الكتب العشرة الأكثر مبيعاً لدى شركة بيع الكتب عبر الإنترنت: amazon.com ، ثم تجد بعد ذلك الإقبال على مواقع الإنترنت الإسلامية من قبل الكفار أنفسهم ، والإقبال على المواقع الإسلامية بالملايين سنوياً .

وهكذا صار الإسلام هو الدين الأسرع نمواً لديهم ، ونجد إقبالا من الغربيين على القراءة فى كتب الإسلام ، والمكتبات أعلنت أنه نفذت عندها النسخ من بعض الكتب الإسلامية ، وتقول مديرة إحدى المكتبات فى فرنسا: إننا نشهد حالياً بروز جمهور فرنسي جديد تماماً علينا ، يبدى اهتماماً خاصاً بشراء ترجمات القرآن الكريم باللغة الفرنسية ، ويقبل بكثرة على الكتب المبسطة من نوع: اكتشاف الإسلام ، أو ما هو الإسلام؟ أو تاريخ الإسلام .

والمواطنون الألمان فى الجهة الأخرى فضلوا ألا يكونوا بدورهم أسرى لأجهزة الإعلام - بعضهم على الأقل - ونفذت فى مكتبة بوفيث فى بون الكتب الإسلامية عندما أقبل عليها الناس وانتشرت ثلاثة أضعاف عن الأيام العادية ، وصار من الكتب المرغوبة جداً تفاسير القرآن الكريم باللغة الألمانية ، وما يتعلق بالحياة اليومية للمسلم ، وما يخص المرأة والعائلة والحياة فى الإسلام وعشرات من المواطنين

يتصلون يومياً بالمراكز الإسلامية ويطرحون أسئلة واستفسارات ، ويتصلون على مواقع الإنترنت ليسألوا عن أشياء عن الإسلام ، مدارس ابتدائية ومتوسطة في بعض الولايات المتحدة تطلب من بعض الطلاب العرب بالجامعات هناك أن يأتوا ويتكلموا ساعة عن الإسلام . وهكذا اعترافات المحللين الغربيين ، والمؤرخين المستشرقين ، بأن فجر الإسلام قادم ، وأن طبيعته في الانتشار عجيبة (٤٧) .

على درب التوحيد (ما جاء في الكهان ونحوهم)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً علي مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

إخوتي في الله ، الكاهن هو الذي يأخذ عن مسترق السمع ، وكانوا قبل المبعث كثيراً ، وأما بعد المبعث فإنهم قليل ، لأن الله تعالى حرس السماء بالشهب ، وأكثر ما يقع في هذه الأمة ما يخبر به الجن أولياءهم من الإنس عن الأشياء الغائبة بما يقع في الأرض من الأخبار ، فيظنه الجاهل كشفاً وكرامة ، وقد اغتر بذلك كثير من الناس يظنون المخبر لهم بذلك عن الجن ولياً لله . وهو من أولياء الشيطان .

وأخرج مسلم في صحيحه عن معاوية بن الحكم السلمي قال: قلت: يا رسول الله أُمُورًا كُنَّا نَصْنَعُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ كُنَّا نَأْتِي الْكُهَانَ قَالَ: «فَلَا تَأْتُوا الْكُهَانَ» قَالَ: قُلْتُ: كُنَّا نَتَطِيرُ قَالَ: «ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ فَلَا يَصُدِّكُمْ»^(١) .

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم : قال القاضي عياض : كانت الكهانة في العرب ثلاثة أضرب أحدها : يكون للإنسان ولي من الجن يخبره بما يسرقه من السمع من السماء وهذا القسم بطل من حين بعث الله نبينا ﷺ ، الثاني : أنه يخبره بما يطراً أو يكون في أقطار الأرض وما خفي عنه مما قرب أو بعد وهذا لا يبعد وجوده ، الثالث : المنجمون وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوة ما ، لكن الكذب فيه أغلب ، ومن هذا الفن العرافة وصاحبها عراف وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفته بها ، وهذه الأضرب كلها

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٥٣٧ .

تسمى الكهانة ، وقد نهى الشرع عن تصديقهم وإتيانهم «ذَٰكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ» معناه أن كراهة ذلك تقع في نفوسكم في العادة ولكن لا تلتفتوا إليه ولا ترجعوا عما كنتم عزمتم عليه قبل هذا .

وروى الطبراني في المعجم الكبير عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه ، أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا فِي عَصْدِهِ حَلَقَةً مِنْ صُفْرٍ ، فَقَالَ لَهُ: مَا هَذِهِ؟ قَالَ: نُعِتَتْ لِي مِنَ الْوَاهِنَةِ - أي مرض - ، قَالَ: أَمَا إِنْ مِتُّ وَهِيَ عَلَيْكَ وَكِلْتَا إِلَيْهَا - أي ترك الله تعالى لتدبير نفسك - ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ وَلَا تُطَيَّرُ لَهُ، وَلَا تَكْهَنَ وَلَا تُكْهَنَ لَهُ» أَظْنُهُ ، قَالَ: «أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ» ^(١) .

فكل من تلقى هذه الأمور عمن تعاطاها فقد برئ منه رسول الله ﷺ لكونها إما شركا ، كالطيرة ، أو كفراً كالكهانة والسحر ، فمن رضي بذلك وتابع عليه فهو كالفاعل لقبوله الباطل واتباعه (٣١) .

مشاهد من الدار الآخرة (تلك هي الجنة <٢>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبي الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

عباد الله ، يقول الإمام ابن القيم في كتاب (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) ما مختصره عن نساء الجنة: إن سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهن الكواكب الأتراب ، اللاتي جرى في أعضائهن ماء الشباب ، فللورد والتفاح ما ليسته الخدود ، و للرمان ما تضمنته النهود ، واللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور ، وللرقة و اللطافة ما دارت عليه الخصور ، تجري الشمس من محاسن وجهها إذا برزت و يضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت ، إذا قابلت حبها فقل ما تشاء في تقابل النيرين ، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبين ، وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين ، يرى وجهه في صحن خدها كما يرى في المرأة ، و يرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها و لا عظمها ولا حللها ، لو اطلعت على الدنيا

(١) (صحيح) أخرجه (طب) صححه الألباني في ص . ج ٥٤٣٥ .

ملأت ما بين الأرض والسماء ريحا ولاستنطقت أفواه الخلائق تهليلا و تكبيرا و تسبيحا . ونصيفها على رأسها خير من الدنيا و ما فيها ، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيتها ، لا تزدد على طول الأحقاب إلا حسنا و جمالا ، ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالا ، مبرأة من الحبل و الولادة والحيض والنفاس ، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط و سائر الأدناس ، لا يفنى شبابها ، ولا تبلى ثيابها ، ولا يخلق ثوب جمالها ، و لا يمل طيب وصالها قد قصرت طرفها على زوجها فلا تطمح لأحد سواه ، وقصر طرفه عليها فهي غاية أمنيته وهواه . إن نظر إليها سرته ، وإن أمرها بطاعته أطاعته ، وإن غاب عنها حفظته فهو معها في غاية الأمان والأمان هذا ، ولم يطمئنها قبله إنس ولا جان ، كلما نظر إليها ملأت قلبه سرورا ، و كلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤا منظوما و منثورا ، وإذا برزت ملأت القصر ، و إن سألت عن الحسن فهل رأيت الشمس و القمر ، وإن سألت عن الحدق فأحسن سواد في أصفى بياض في أحسن حور ، وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان ، وإن سألت عن النهود فهن الكواكب نهودهن كألطف الرمان ، وإن سألت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان ، وإن سألت عن حسن الخلق فهن الخيرات الحسان اللاتي جمع لهن بين الحسن والإحسان فأعطين جمال الباطن والظاهر فهن أفراس النفوس قرة النواظر ، وإن سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك فهن العرب المتحبيات إلى الأزواج بلطافة التبعل التي تمتزج بالروح أي امتزاج ، فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها ، وإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت هذه الشمس متنقلة في بروج فلکها ، وإذا حاضرت زوجها فيا حسن تلك المحاضرة ، وإن خاصرت فيا لذة تلك المعانقة و المخاصرة ، و إن غنت فيا لذة الأبصار و الأسماع ، وإن آنست وأمتعت فيا حبذا تلك الموانسة والإمتاع ، و إن قبلت فلا شيء أشهى إليه من ذلك التقبيل ، وإن نولت فلا ألد ولا أطيب من ذلك التنويل .

سيدة نساء هذه الأمة (فاطمة بنت محمد ﷺ) (<٢>)

الحمد لله الذي منّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به أصحابه الكرام ﷺ ، فاعرفوا

قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .
أيها الأحبة في الله ، ما زلنا مع السيرة العطرة لسيدة نساء العالمين ، فاطمة
رضي الله عنها فهي بنا .

وفاة النبي ﷺ :

أخرج الشيخان في صحيحيهما والفظ لمسلم عن عائشة رضيها قال: كُنْ أَرْوَاحُ
النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ لَمْ يُعَادِرْ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي مَا تُحْطِي مَشْيُهَا مِنْ
مِشْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَحَّبَ بِهَا فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي» ثُمَّ أَجْلَسَهَا
عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ سَارَهَا - أَي حَدَّثَهَا سِرًّا - فَبَكَتُ بُكَاءً شَدِيدًا ، فَلَمَّا
رَأَى جَزَعَهَا سَارَهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكْتُ فَقُلْتُ لَهَا: خَصَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ
نِسَائِهِ بِالسَّرَارِ ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلْتُهَا مَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ : قَالَتْ: مَا كُنْتُ أَفْشِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِرَّهُ قَالَتْ: فَلَمَّا تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ قُلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِمَا لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ لَمَّا حَدَّثْتَنِي مَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ ؟ فَقَالَتْ: أَمَّا الْآنَ فَنَعَمْ أَمَّا حِينَ سَارَنِي فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى فَأَخْبَرَنِي «أَنَّ جَبْرِيلَ
كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَإِنَّهُ عَارِضُهُ الْآنَ مَرَّتَيْنِ وَإِنِّي لَا أَرَى
الْأَجَلَ إِلَّا قَدْ اقْتَرَبَ فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي فَإِنَّهُ يُعْزِمُ السَّلَفُ أَنَا لَكَ» قَالَتْ: فَبَكَتُ بُكَائِي
الَّذِي رَأَيْتُ ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَنِي الثَّانِيَةَ فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ أَمَا تَرْضَيْنِ أَنْ تَكُونِي
سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ» قَالَتْ: فَضَحِكْتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأَيْتُ
(١)

من فوائد الحديث:

- حسن لقاء الوالد لولده والولد لوالده .
- الازدياد من العمل الصالح في أواخر العمر .
- حفظ السر أمانة على كل مسلم .
- فاطمة رضي الله عنها بشرها الحبيب بأنها سيدة نساء هذه الأمة .

وأخرج البخاري في صحيحه عن أنس رضي قال: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ
يَتَغَشَّاهُ فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: وَكَرَبَ أَبَاهُ فَقَالَ لَهَا: «لَيْسَ عَلَى أَبِيكَ كَرْبٌ

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٥٩٢٨ ، و(م) ٢٤٥٠ واللفظ لمسلم .

بَعْدَ الْيَوْمِ» فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ، يَا أَبَتَاهُ إِلَى جَبْرِيلَ نَنَعَاهُ، فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: يَا أُنْسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْتُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ؟ (١).

أَبَشِّرْ يَا كُلَّ مَنْ ابْتَلَاكَ اللَّهُ فِي دُنْيَاكَ وَوَفَّقَكَ اللَّهُ تَعَالَى لِلصَّبْرِ وَالِاحْتِسَابِ فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ بِلَاءُ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ وَعَمَّا قَرِيبَ سَيَنْتَهِي كَرْبُكَ وَتَنْعَمُ بِجَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا .

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَأَلَتْ أَبَا بَكْرَ الصَّدِيقَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقْسِمَ لَهَا مِيرَاثَهَا مِمَّا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهَا أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَا تُورَثُ مَا تَرَكَنَا صَدَقَةٌ، فَغَضِبَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهَجَرَتْ أَبَا بَكْرٍ فَلَمْ تَزَلْ مُهَاجِرَتَهُ حَتَّى تُوَفِّيَتْ، وَعَاشَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ قَالَتْ: وَكَانَتْ فَاطِمَةُ تَسْأَلُ أَبَا بَكْرٍ نَصِيبَهَا مِمَّا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ خَيْرٍ وَفَدَكٍ وَصَدَقَتِهِ بِالْمَدِينَةِ، فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ عَلَيْهَا ذَلِكَ وَقَالَ: لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمَلْتُ بِهِ فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيعَ، فَأَمَّا صَدَقَتُهُ بِالْمَدِينَةِ فَدَفَعَهَا عُمَرُ إِلَى عَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ، وَأَمَّا خَيْرٌ وَفَدَكٌ فَأَمْسَكَهَا عُمَرُ وَقَالَ: هُمَا صَدَقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَتْ لِحَقُوقِهِ الَّتِي تَعْرُوهُ وَنَوَائِيبِهِ، وَأَمْرُهُمَا إِلَى مَنْ وَلِيَ الْأَمْرَ قَالَ: فَهُمَا عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ (٢).

يقول ابن بطه رحمه الله تعالى: هذا يا إخواني الصديق يتخوف على نفسه من الزيع، إن هو خالف شيئاً من أمر نبيه ﷺ، فماذا عسى أن يكون من زمان أضحي أهله يستهزئون بنبيهم وأوامره، ويتباهون بمخالفته ويسخرون بسنته؟ فماذا نقول عن زماننا والله المستعان! .

وجاء في (الطبقات الكبرى) لابن سعد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، قال: لما مرضت فاطمة، أتى أبو بكر فاستأذن، فقال علي: يا فاطمة، هذا أبو بكر يستأذن عليك، فقالت: أتحب أن أذن له، قال: نعم، قلت: عملت السنة

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٤١٩٣ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٩٢٦ .

رضي الله عنها ، فلم تأذن في بيت زوجها إلا بأمره قال: فأذنت له ، فدخل عليها يترضاها ، وقال: والله ما تركت الدار والمال والأهل والعشيرة إلا ابتغاء مرضاة الله ورسوله ومرضاتكم أهل البيت ، قال: ثم ترضاها حتى رضيت ، وهو حديث مرسل (٤٠) .

وفاة فاطمة عليها السلام:

جاء في (عيون الأثر) لابن سيد الناس : توفيت بعد النبي ﷺ بخمسة أشهر ، أو نحوها ، وعاشت أربعاً أو خمساً وعشرين سنة ، وأكثر ما قيل: إنها عاشت تسعاً وعشرين سنة ، والأول أصح ، وكانت أصغر من زينب ، زوجة أبي العاص بن الربيع ؛ ومن رقية ؛ زوجة عثمان بن عفان .

وقد انقطع نسب النبي ﷺ إلا من قبل فاطمة (٣٠) .

فرضي الله عن فاطمة عليها السلام وأرضاها وجعل الفردوس مثواها .
(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك) .

* * *

اللقاء الإيمان الخامس والثلاثون:

(من بشار النصر والتمكين <٧>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبي في الله ، من بشار النصر والتمكين انتصار الإسلام في كافة المواجهات العقديّة ، فنحن نلاحظ أيضاً انتصار الإسلام في كافة المواجهات العقديّة كما حصل بين ديدات و سوقر على سبيل المثال ، ليس هناك منازلة دخلها عالم مسلم ، أو فقيه مسلم ، أو طالب علم متمكن ، أو داعية متمكن إلا هُزِمَ الذي أمامه ، مهما كان من القوة والخبرة والسن والإمكانات والبلاغة إلى آخره ، ولا توجد معركة حجة وبيان دخلها مسلم متمكن إلا وانتصر فيها ، فما معنى ذلك؟!!!

ثم إن هناك مطالبة بالزّي الإسلامي ، والذبح الحلال ، وانتشار الحجاب ، واسترجاع الهويات الإسلامية ، حتى من أناس قد كانوا ضاعوا هناك ، ترتفع شعبيات إذاعات القرآن الكريم ، إقبال في مواسم الطاعة عجيب ، امتلاء المساجد ، الإسلام دين الفطرة ، إنه لأمر غريب جداً أن تقبل أبعد النساء عن الدين إلى التوبة مثل الفنانات والممثلات!

إنه شيء غريب فعلاً ، هذا التحول الكبير! حتى صار يخشى على حلّيات الفن ألا يوجد فيها أحد يمثل أو يغني ، ولا بد من دفع أناس جدد كثيرين كما تقتضي الخطة العفنة لسد فراغ الفنانات التائبات والمغنيات .

وتناقش قضية حجاب المذيعات في القنوات ، وتضطر القنوات الفضائية إلى استضافة مزيد من المشايخ ، وفتح مزيد من البرامج عن الإسلام (١٥) .

على درب التوحيد (ما جاء في النشرة)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنْجِياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

إخوتي في الله ، حيث إن السحر موجود ، ومن الناس من يُبتلى به ويقع عليه السحر ويتضرر به ، فلا بد أن نعرف ما هو الدواء الصحيح للسحر؟ الدواء الذي لا يمس العقيدة ، ونعرف أيضاً ما يخالف العقيدة فتجنبه ، والنشرة كما فسرها الإمام ابن القيم: حلّ السحر عن المسحور . وهي ضرب من العلاج ، سمي نشرة: لأنه يُنشر به ، أي: يزال ما أصاب المريض وما خامره من الداء .

أخرج أبو داود في السنن عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ النُّشْرَةِ - أي النشرة المعهودة في الجاهلية ، وهي التي كانت من عمل الشيطان - فَقَالَ: «هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ» لأنها سحر ، والسحر من عمل الشيطان ^(١) .

وقال الإمام ابن القيم: "النشرة: حلّ السحر عن المسحور ، وهي ثلاثة أنواع: الأول: حلّ بسحر مثله ، وهو الذي من عمل الشيطان ، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يجب ؛ فيبطل عمله عن المسحور . فهذا هو الممنوع ، فلا يجوز لمن أصابه السحر أن يذهب إلى السحرة .

الثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات المباحة ؛ فهذا جائز .

الثالث: حلّ السحر بغير السحر مما أباحه الله ﷻ ، فالله ما أنزل داء إلا أنزل له دواء ، علمه من علمه وجهله من جهله (٣١) .

ونذكر بعضاً من النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات المباحة: "أعيزك بكلمات الله التامة من شرّ ما خلق" ، أعيزك بكلمات الله التامة من كلّ شيطان وهامة ومن كلّ عين لامة" ، "أعيزك بكلمات الله التامة التي لا يجاوزهنّ برّ ولا فاجر ، من شرّ ما خلق وذراً وبرأ ، ومن شرّ طوارق الليل والنهار ، إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن" ، "باسم الله أرقيك ، من كلّ داء يؤذيك ، من شرّ كلّ نفس وعين حاسد ، الله يشفيك" ، "باسم الله ، أذهب البأس ربّ الناس ، واشفه أنت الشافي لا شفاء إلا شفاءك ، شفاء لا يغادر سقماً" ، "ربنا الله الذي في السماء ، تقدّس اسمك ، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء ، اجعل رحمتك في الأرض ، اغفر لنا حوبنا وخطايانا ، أنت ربّ الطيّين ، أنزل رحمةً من رحمتك وشفاءً من شفائك على هذا المرض . فيبرأ بإذن الله" . (٦) .

(١) (صحيح) أخرجه (د) وصححه الألباني في مش ٤٥٥٣ .

مشاهد من الدار الآخرة (تلك هي الجنة <٣>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبي الذين اتقوا وعقبي الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

عباد الله ، يقول الإمام ابن القيم في كتاب (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) ما مختصره عن رؤية العزيز الغفار: وإن سألت عن يوم المزيد ، وزيادة العزيز الحميد ، ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه ، وذلك موجود في الصحاح والسنن والمسانيد من رواية جرير وصهيب وأنس وأبي هريرة وأبي موسى وأبي سعيد ، فاستمع يوم ينادي المنادي يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحي على زيارته فيقولون: سمعا وطاعة وينهضون إلى الزيارة مبادرين ، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين ، حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعداً وجمعوا هناك ، فلم يغادر الداعي منهم أحداً أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه ، فنصب هناك ثم نصبت لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ذهب ومنابر من فضة وجلس أدناهم وحاشاهم أن يكون فيهم دنيء على كثران المسك ، وما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا ، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم نادى المنادي: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار؟ فيبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرفت له الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه قد أشرف عليهم من فوقهم ، وقال: يا أهل الجنة سلام عليكم ، فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم ويقول: يا أهل الجنة فيكون أول ما يسمعون منه تعالى أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني؟ فهذا يوم المزيد فيجتمعون على كلمة واحدة أن قد رضينا فارض عنا فيقول: يا أهل الجنة إنني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي ، هذا يوم المزيد فاسألوني فيجتمعون على كلمة واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه ، فيكشف لهم الرب جل جلاله الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لو لا أن الله تعالى قضى أن

لا يحترقوا لا حترقوا ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة ، حتى إنه ليقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا؟ يذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول: يا رب ألم تغفر لي؟ فيقول: بلى بمغفرتي بلغت منزلتك هذه ، فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة ، ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجه الكريم في الدار الآخرة ، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة ، ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ (٢٢) **إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ (٢٣) وَوَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (٢٥) ﴿ [القيامة: ٢٢-٢٥] .**

ثاني أمهات المؤمنين (سودة بنت زمعة رضي الله عنها)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به أصحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .
أيها الأحبة في الله: نحن اليوم مع السيرة العطرة لثاني أمهات المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها فهيا بنا .

زواج النبي صلى الله عليه وسلم بسودة رضي الله عنها :

جاء في المعجم الكبير للطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت : لَمَّا تُؤْفِيتُ حَدِيحَةَ ، قَالَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمِ بْنِ الْأَوْقَصِ امْرَأَةَ عَثْمَانَ بْنِ مَطْعُونٍ ، وَذَلِكَ بِمَكَّةَ : أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ أَلَا تَزَوِّجُ؟ ، قَالَ: مَنْ؟ ، قَالَتْ: إِنَّ شَيْتَ بِكْرًا وَإِنْ شَيْتَ ثِيًّا ، قَالَ: «وَمَنْ الثَّيِّبُ؟» ، قَالَتْ: سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ ، قَدْ آمَنْتُ بِكَ وَاتَّبَعْتُكَ عَلَيَّ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ ، قَالَ: «فَادْهَبِي فَاذْكُرِيهَا عَلَيَّ» فَخَرَجْتُ ، فَدَخَلْتُ عَلَى سَوْدَةَ ، فَقُلْتُ: يَا سَوْدَةُ ، مَاذَا أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَاتِ؟ ، قَالَتْ: وَمَا ذَاكَ؟ ، قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَخْطُبُكَ عَلَيْهِ ، فَقَالَتْ: وَدِدْتُ ، فَاذْخُلِي عَلَى أَبِي وَأَذْكُرِي ذَلِكَ لَهُ ، قُلْتُ: وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، وَقَدْ تَخَلَّفَ عَنِ الْحَجِّ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَحَيَّيْتُهُ بِتَحِيَّةِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ، ثُمَّ قَالَتْ: إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، أَرْسَلَنِي أَخْطُبُ عَلَيْهِ سَوْدَةَ ، فَقَالَ: كُفُّوا كَرِيمٌ ، فَمَاذَا تَقُولُ صَاحِبَتُكَ؟ ، قَالَتْ: تُحِبُّ ذَلِكَ ، قَالَ: فَاذْعِبِي إِلَيَّ ، فَدَعَوْتُهَا ، فَقَالَ: أَيُّ سَوْدَةَ ، رَفَعَتْ هَذِهِ أَنَّ مُحَمَّدَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَخْطُبُكَ وَهُوَ كُفُّوا كَرِيمٌ ، أَفَتَحِيَّيْنِ أَنْ أَرْوِجُهُ؟ ، قَالَتْ:

نَعَمْ ، قَالَ: فَادْعِيهِ لِي ، فَدَعَوْتُهُ فَجَاءَ فَزَوَّجَهَا ^(١) .

ولعل الحكمة في اختيارها أنها كانت من المؤمنات المهاجرات لأهليهن خوف الفتنة ، ولو عادت إلى أهلها بعد وفاة زوجها لعذبوها وفتنوها فكفلها عليه الصلاة والسلام وكافأها بهذه المنة العظمى (٦٤) .

حياة سودة مع النبي:

قد كانت سودة رضي الله عنها أول من تزوج بها النبي ﷺ بعد وفاة خديجة رضي الله عنها ومكثت عنده نحوًا من ثلاث سنوات حتى تزوج عائشة رضي الله عنها .

وكانت تحاول قدر طاقتها أن تملأ هذا البيت المبارك راحة وسرورا وسعادة فكانت تخفف عن رسول الله ﷺ ما كان يلقاه من اضطهاد المشركين وكان تحدّثه عن ذكرياتها في بلاد الحبشة وتكثر من أخبار ابنته رقية وزوجها عثمان ابن عفان لأنها تعلم أن رسول الله ﷺ كان يحب أن يعرف أخبارهما ويسعد بسيرهما وهكذا كانت تبحث على ما يدخل السرور على نفسه ﷺ (٥) .

إيثار سودة لعائشة رضي الله عنها:

أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ ، وَكَانَ يَقْسِمُ لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا غَيْرَ أَنَّ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا لِعَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ تَبْتَغِي بِذَلِكَ رِضًا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ^(٢) .

الفوائد من هذا الحديث:

قال الإمام ابن القيم في (زاد المعاد): إذا أراد الزوج السفر لم يجز أن يسافر بإحداهن إلا بقرعة ، وقال: إنه لا يقضي للبواقي إذا قدم ، فإن رسول الله ﷺ لم يكن يقضي للبواقي ، وفي هذا ثلاثة مذاهب :

- أحدها : أنه لا يقضي سواء أقرع أو لم يقرع وبه قال أبو حنيفة ومالك .
- والثاني : أنه يقضي للبواقي أقرع أو لم يقرع وهذا مذهب أهل الظاهر .

(١) (رجالہ ثقات) أخرجه (طب) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٢٨٦ ورجالہ رجال الصحيح غير محمد ابن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٤٥٣ .

والثالث : أنه إن أقرع لم يقض وإن لم يقرع قضى وهذا قول أحمد والشافعي .
ومنها : أن للمرأة أن تهب ليلتها لضرتها وللواهة أن ترجع متى شاءت هذا
ما لم يكن صلحاً بينهما كما لو كره الزوج المقام معها أو عجز عن حقوقها أو
بعض حقوقها فخيرها بين الطلاق وبين المقام معه على أن لا حق لها في القسم
والوطء والنفقة أو في بعض ذلك بحسب ما يتفقان عليه ، فإن رضيت بذلك لزم
وليس لها المطالبة بعد الرضى وليس لها الرجوع بعد ذلك فإن هذا الصلح جرى
مجرى المعاوضة وهذا هو الصواب الذي لا يسوغ غيره أ.هـ .

وأخرج أبو داود في سننه عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قالت عائشة رضي الله عنها:
يا ابن أخي كان رسول الله ﷺ لا يفضلُ بعضنا على بعض في القسم من مكثه
عندنا وكان قلَّ يومٍ إلا وهو يطوفُ علينا جميعاً فيدنو من كل امرأة من غير
مسيب حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها ، ولقد قالت سودة بنت زمعة
حين أسنت وفرقت أن يفارقها رسول الله ﷺ يا رسول الله يومي لعائشة فقبل
ذلك رسول الله ﷺ منها قالت: نقولُ في ذلك أنزل الله تعالى وفي أشباهها أراه
قال **﴿ وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا ﴾** [النساء: ١٢٨] ^(١) .

من فوائد الحديث قال الإمام ابن القيم رحمه الله : أن الرجل له أن يدخل على
نسائه كلهن في يوم إحداهن ولكن لا يطؤها في غير نوبتها ، وأن لنسائه كلهن أن
يجتمعن في بيت صاحبة النوبة يتحدثن إلى أن يجيء وقت النوم فتؤوب كل واحدة
إلى منزلها .

مسابقة سودة رضي الله عنها لطاعة رسول الله ﷺ :

أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: نزلنا المزدلفة فاستأذنتُ
النبي ﷺ سودة أن تدفع قبل حطمة الناس - أي زحمتهم - وكانت امرأة بطيئة فأذن
لها فدفعت قبل حطمة الناس وأقمنا حتى أصبحنا نحن ثم دفعنا بدفعه فلأن أكون
استأذنت رسول الله ﷺ كما استأذنت سودة أحب إلي من مفروح به - أي ما
يفرح ^(٢) .

من فوائد الحديث: أن الزوجة المؤمنة ينبغي أن تستأذن زوجها قبل أن تفعل ،

(١) (حسن) أخرجه (د) وحسنه الألباني في س. ص ١٤٧٩ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ١٥٩٧ .

فهذا من السنة ، كما يجوز للنساء والضعفة الخروج من مُزْدَلِفَة في النصف الأخير ؛ لأن النبي ﷺ رَخَّص للنساء والضعفة ، قبل الازدحام .
جودها وكرمها :

أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى عن ابن سيرين ، أن عمر بعث إلى سودة بغرارة دراهم ، فقالت: ما هذه؟ قالوا: دراهم ، قالت: في الغرارة مثل التمر؛ يا جارية: بلغيني القنع ، ففرقتها^(١) .

فهي تعلمت نساؤنا الإنفاق من مال الله كما كانت زوجات النبي ﷺ يفعلن ، فلقد حث رسول الله النساء بأن يتصدقن ، فلقد روى الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الْاسْتِغْفَارَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزَلَةٌ: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «تَكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أُغْلِبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ» ، قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالذِّينِ؟ قَالَ: «أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ، وَتَمَكُّتُ اللَّيَالِي مَا تُصَلِّي، وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ»^(٢) .
وفاتها :

جاء في الطبقات الكبرى لابن سعد أن سودة بنت زمعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا توفيت في شوال سنة أربع وخمسين بالمدينة في خلافة معاوية .

فرضي الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس الأعلى دارها .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (رجالہ ثقات) أخرجه (بن سعد) ٥٦ / ٨ وقال شعيب الأرناؤوط رجالہ ثقات .

(٢) (صحيح) أخرجه (بخ) ٢٩٨ ، و(م) ٧٩ واللفظ لمسلم .

اللقاء الإيمانى السادس والثلاثون :

(من بشارت النصر والتمكين <٨>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، من بشارت النصر والتمكين اعتراف الأعداء بصحة الأحكام الإسلامية ، نجد كذلك من الأشياء التي ترفع معنوياتنا وتعطينا الثقة أكثر: أنهم يعترفون من خلال أبحاثهم وكتاباتهم بصحة أحكام الشريعة الإسلامية ، حتى إن جوستاف لوبون يقول: إن مبدأ تعدد الزوجات الشرقي نظام طيب يرفع المستوى الأخلاقي في الأمم ، ويزيد الأسر ارتباطاً ، لا تعدم امرأة من الأمم التي تجيز تعدد الزوجات زوجاً يتكفل بشؤونها ، والمتزوجات عندنا - هو يقول - نقر قليل وغيرهن لا يحصين عدداً ، اعترفوا حتى بالأشياء التي حرمت عندنا في شريعتنا ونسخت كل الشرائع: أن لحم الخنزير ضار ؛ لاحتوائه على البوليكت بشكل مكثف ، وأنه عسير الهضم ، وأن من كل مائة رطل من لحم الخنزير يوجد خمسون رطلاً من الدهن ، بينما في الضأن (١٧%) وفي العجول (٥%) وثبت بالتحليل احتواؤه على نسب كبيرة من الأحماض الدهنية المعقدة ، ومن الكليستروال الضار أيضاً . اعترفوا بمنافع السواك ، اعترفوا أن الضوء والاستنشاق حلٌ لقضية التهاب الجيوب الأنفية ، وأن الضوء يقي من الأمراض الجلدية ، وأن الصوم فيه صحة ، وأن كثرة تعرض جسد المرأة للشمس وانكشافه للجو يزيد نسبة سرطان الجلد عندها ، وهناك كتب عندهم: التداوي بالصيام لـ شلتن ، الصوم الطبي النظام الغذائي الأمثل ألن كوت ، وهناك لوحة كبيرة في مستشفى ألماني مكتوب باللغة الألمانية: «مَا مَلَأَ آدَمِيَّ وَعَاءٌ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ حَسَبُ الْآدَمِيِّ لُقِيَّاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ غَلَبَتْ الْآدَمِيَّ نَفْسُهُ فَثَلُثَ لِلطَّعَامِ وَثَلُثَ لِلشَّرَابِ وَثَلُثَ لِلنَّفْسِ»^(١).

وهكذا اكتشفوا بأن الاختلاط ضار ، وأن منع الاختلاط هو الصحيح ، وتبنى الرئيس الأمريكي قرار البروفيسور إميليو إفانيو رجل القانون المتخصص في النظام التربوي في أمريكا بالدراسات التي تؤكد أن الفصل بين الجنسين في المجال الدراسي

(١) (صحيح) أخرجه (ك ت ه ح) وصححه الألباني في ص ج ٥٦٧٤ .

يساعد على اجتياز الفتيات والفتيان بصورة أفضل ، وأن الأولاد يفضلون الدراسة في الفصول غير المختلطة ، وكذلك الفتيات ؛ حتى لا يضطرون إلى التزين قبل الذهاب إلى المدرسة ؛ لأنه يضيع وقتهم ، ويعرقل تقدمهم الدراسي .
وهكذا قامت لديهم كليات ومدارس مدعومة بالفصل بين الجنسين (٤٧) .

* * *

على درب التوحيد (ما جاء في التطير)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عن أنس رضي الله عنه ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ يُعْجِبُنِي الْقَالَ، الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ، الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ»^(١) .

إخوتي في الله ، لقد اختلف العلماء في ذلك ، وأحسن ما قيل فيه: لا عدوى على الوجه الذي يعتقده أهل الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى ، وأن هذه الأمور تعدي بطبعها وإلا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من الأمراض سبباً لحدوث ذلك ، والعبد مأمور باتقاء أسباب الشر إذا كان في عافية . لذلك ينبغي اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم ، والقُدوم على بلد الطاعون فإن هذه كلها أسباب للمرض والتلف ، فالله سبحانه هو خالق الأسباب ومسبباتها لا خالق غيره ولا مقدر غيره ، والطيرة هي التشاؤم بالشيء المرئي أو المسموع ، والفأل شيء يسمعه الإنسان أو يراه فيفرح به ويسر ولا يرده عن حاجته كما قال النبي ﷺ لما جاء سهيل ابن عمرو قال (سهل أمركم) .

وروى الإمام أحمد في مسنده عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ رَدَّتْهُ الطَّيْرَةُ مِنْ حَاجَةٍ فَقَدْ أَشْرَكَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمُ اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»^(٢) .

وذلك أن الطيرة هي التشاؤم بالشيء المرئي أو المسموع ، فإذا رده شيء من

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٥٤٢٤ ، و(م) ٢٢٢٤ واللفظ لمسلم .

(٢) (صحيح) أخرجه (حم) وصححه الألباني في س. ص ١٠٦٥ .

ذلك عن حاجته التي عزم عليها كإرادة السفر ونحوه ، ودخله التشاؤم ، فقد دخل في الشرك ، فإذا قال: اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك وأعرض عما وقع في قلبه ، كَفَرَ الله عنه ما وقع في قلبه (٣١) .

مشاهد من الدار الآخرة (في الجنة جنتان من ذهب وجنتان من فضة)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبي الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ أَيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ أَيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكَرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَذْنٍ» (١) .

وقال تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ (٤٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٣) مُتَكَيِّفِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٥) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ (٥٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَأَمْثَلِ الْياقُوتِ وَالْمَرْجَانِ (٥٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٩) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦١) وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٣) مُدْهَامَتَانِ (٦٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٥) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ (٦٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٧) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (٦٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٩) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧١) حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٣) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ (٧٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٥) مُتَكَيِّفِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبَقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦)﴾ [الرحمن ٤٦-٤٦] .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في (حادي الأرواح): السياق يدل على

(١) (صحيح) أخرجه (نخ) ٤٨٧٨ ، و(م) ١٨٠ .

تفضيل الجنتين الأوليين من عشرة أوجه: أحدها: قوله: ذَوَاتَا أَفْنَانٍ وفيه قولان أحدهما أنه جمع فنن وهو الغصن ، والثاني: أنه جمع فن وهو الصنف أي ذواتا أصناف شتى من الفواكه وغيرها ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما ، الثاني: قوله: فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ وفي الآخرين: فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ والنضاحه هي الفؤارة والجارية السارحة وهي أحسن من الفؤارة فإنها تتضمن الفوران والجريان ، الثالث: أنه قال: فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَأْكِهَةٍ زَوْجَانِ وفي الآخرين: فِيهِمَا فَأْكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ولا ريب أن وصف الأوليين أكمل واختلف في هذين الزوجين بعد الاتفاق على أنهما صنفان فقالت طائفة الزوجان الرطب واليابس والله أعلم ، الرابع: أنه قال: مُتَكَيِّئَ عَلَى فُرْشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وفي الآخرين قال: مُتَكَيِّئَ عَلَى رَفْرِفٍ خُضِرٍ - وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ وفسر الرفرف بالبسط وفسر بالفرش فوقها وعلى كل قول فلم يصفه بما وصف به فرش الجنتين الأوليين ، الخامس: أنه قال: وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ أي قريب وسهل يتناولونه كيف شاؤوا ولم يذكر ذلك في الآخرين ، السادس: أنه قال: فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أي قد قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يرون غيرهم لرضاهن بهم ومحبتهم لهم وذلك يتضمن قصر أطراف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن وقال في الآخرين: حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممن قصرت بغيرها ، السابع: أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان في صفاء اللون وأشراقه وحسنه: كَأَنَّهِنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ولم يذكر ذلك في التي بعدها ، الثامن: أنه قال سبحانه وتعالى في الجنتين الأوليين: هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ وهذا يقتضي أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل فكان جزاؤهم بإحسان كامل ، التاسع: أنه بدأ بوصف الجنتين الأوليين وجعلهما جزاء لمن خاف مقامه وهذا يدل على أنهما أعلى جزاء ، العاشر: أنه قال: وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ والسياق يدل على أنه نقيض فوق (١٦) .

* * *

امرأة نزلت براءتها من السماء (عائشة بنت الصديق رضي الله عنها) <١>

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به أصحابه الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد ..

أيها الأحبة ، نحن اليوم على موعد مع السيرة العطرة للصديقة بنت الصديق ، الطاهرة المطهرة التي أنزل الله براءتها من فوق سبع سموات ، التقية النقية الورعة الزاهدة الفقيهة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بنت أبي بكر الصديق ، وأمها الصحابية الجليلة أم رومان بنت عامر ، وأختها لأبيها أسماء ذات النطاقين ، وعقد عليها رسول الله ﷺ - قبل الهجرة بسنة ، ودخل عليها بعد الهجرة بسنة أو سنتين وقبض عنها الرسول الكريم وهي بنت ثمان عشرة سنة ، وعاشت ستاً وستين سنة ، وحفظت القرآن الكريم في حياة الرسول وروى عن النبي ﷺ - ألفي حديث ومائتين وعشرة أحاديث (٥٠) .

الرؤيا المباركة :

جاء في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ قال لها : «أُرِيْتُكَ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ أَرَى أَنَّكَ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ» وَيَقُولُ : هَذِهِ أَمْرُكَ فَاكْشِفْ عَنْهَا ، فَإِذَا هِيَ أَنْتِ فَأَقُولُ : إِنَّ يَكْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمُضُّهُ» ^(١) .

خطبة رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها :

أخرج الطبراني في المعجم الكبير عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : لَمَّا تُوفِّيتْ خَدِيجَةً ، قَالَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ امْرَأَةُ عَثْمَانَ بْنِ مَطْعُونٍ وَذَلِكَ بِمَكَّةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا تَزَوِّجُ؟ ، قَالَ : مَنْ؟ ، قَالَتْ : إِنْ شِئْتَ بَكْرًا ، وَإِنْ شِئْتَ ثَيِّبًا ، قَالَ : «فَمَنْ الْبَكْرُ؟» ، قَالَتْ : ابْنَةُ أَحَبِّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْكَ ، عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ ، قَالَ : «وَمَنْ الثَّيِّبُ؟» ، قَالَتْ : سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ ، أَمَنْتُ بِكَ ، وَاتَّبَعْتُكَ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ ، قَالَ : فَادْهَبِي فَادْكُرِيهِمَا عَلَيَّ ، فَجَاءَتْ ، فَدَخَلَتْ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ ، فَوَجَدَتْ أُمَّ رُومَانَ أُمَّ عَائِشَةَ ، فَقَالَتْ : يَا أُمَّ رُومَانَ ، مَاذَا أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟ أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخْطَبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : وَدِدْتُ ، أَنْتَظِرِي أَبَا بَكْرٍ ، فَإِنَّهُ آتٍ ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَتْ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، مَاذَا أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟ أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخْطَبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ ، قَالَ : هَلْ تَصْلُحُ لَهُ وَإِنَّمَا هِيَ بِنْتُ أَخِيهِ؟ ، فَارْجِعْنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : «ارْجِعِي إِلَيْهِ ، فَقُولِي لَهُ : أَنْتِ أَخِي فِي الْإِسْلَامِ ، وَأَنَا أَخُوكَ ، وَابْنُكَ تَصْلُحُ لِي» ، فَأَتَتْ أَبَا بَكْرٍ ، فَقَالَ

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٤٣٨ .

لِخَوْلَةٍ: ادْعِي لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ فَانْكَحَهُ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ ابْنَةُ سِتِّ سِنِينَ ^(١)، ولعل الحكمة من زواج رسول الله ﷺ بها إكرام صديقه ووزيره أبي بكر الصديق ﷺ (٦٤).

أحب الناس لرسول الله ﷺ كانت عائشة رضي الله عنها :

أخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: أَبُوهَا. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَعَدَّ رَجُلًا ^(٢).

وجاء في صحيح مسلم عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مَعِيَ فِي مِرْطِي فَأَذِنَ لَهَا فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلُنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ وَأَنَا سَاكِتَةٌ قَالَتْ: فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ بَنِيهِ أَلَسْتَ تُحِبُّ مَا أَحَبُّ؟» فَقَالَتْ: بَلَى قَالَ: فَأَحْبَبِي هَذِهِ قَالَتْ: فَقَامَتِ فَاطِمَةُ حِينَ سَمِعَتْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَارْجَعَتْ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرْتَهُنَّ بِالَّذِي قَالَتْ وَبِالَّذِي قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَ لَهَا: مَا نَرَاكَ أَغْنَيْتِ عَنَّا مِنْ شَيْءٍ فَارْجِعِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُولِي لَهُ: إِنَّ أَزْوَاجَكَ يَنْشُدُنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ فَقَالَتْ: فَاطِمَةُ وَاللَّهِ لَا أَكَلِمُهُ فِيهَا أَبَدًا ^(٣).

أخي في الله ، يجب أن تحافظ على قوامه الرجل فإذا عاتبته اختل به ، وقل له: يا فلان هذا لا يجوز ، أنت أخذت ابنتي بكلمة الله ، واستحللتها بأمانة الله ، فلا يحل لك أن تفعل كذا وكذا وكذا ؛ ولا تعاتبه أمام زوجته (٦٣).

غيره عائشة رضي الله عنها على رسول الله ﷺ :

روى البخاري في صحيحه عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ ، فَأَرْسَلْتُ إِحْدَى أُمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصُحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ ، فَضَرَبْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ فَسَقَطَتِ الصُّحْفَةُ - أَيِ إِنَاءٍ مَبْسُوطٍ - فَأَنْفَلَقَتْ ، فَجَمَعَ

(١) (حسن الإسناد) أخرجه (طب) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٢٨٥ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٤٦٢ و (م) ٢٣٨٤ .

(٣) (صحيح) أخرجه (م) ٢٤٤٢ .

النَّبِيُّ ﷺ فَلَقَ الصَّحْفَةَ ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ وَيَقُولُ: «غَارَتْ أُمُكُمْ»، ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أَتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ هُوَ فِي بَيْتِهَا فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى النَّبِيِّ كَسَرَتْ صَحْفَتَهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ النَّبِيِّ كَسَرَتْ^(١).

لا صراخ ولا تهديد ولا وعيد ، فسبحان من أدب نبيه فأحسن تأديبه ، فلقد كان النبي ﷺ يتعاهد أزواجه ، ويصبر على ما قد يُثْرَنه من المشكلات التي تقع في بيوته ، ناهيك عما ورد من أقواله الكثيرة في وجوب إحسان عشرة الزوجات وتحمل أذاهن ، فقد كان كثيراً ما يوصي بهن ، ويبين حقوقهن ، وينهى عن ظلمهن ، لذا يجب الصبر على الطباع المتأصلة في المرأة مثل الغيرة . كما قال ﷺ : «غَارَتْ أُمُكُمْ» ، وليكن لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، ومن أراد السعادة في حياته العملية والزوجية فليتق الله ربه وليقتد بنبيه .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٩٢٧ .

اللقاء الإيمانى السابع والثلاثون :

(من بشار النصر والتمكين <٩>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتى في الله ، من بشار النصر والتمكين أن مصير الإسلام ليس مربوطاً بأحد ، فالإسلام كالشمس إن غربت في جهة طلعت من أخرى ، وإن مات فرد من أفراد أقال الله من المسلمين من يجبر النقص ويسد الثغرة: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨] .

إن هذه الأمة قادرة بإذن الله على تعويض النقص الذي يطرأ عليها ، ولقد تبدلت أحوال وبقيت هذه الأمة ، لو أن أمة أخرى شنت عليها الغارات التي شنت على هذه الأمة لاندثرت منذ زمن بعيد ، ومع ذلك فإن مصير الإسلام غير مربوط برجال أو أفراد معينين ، ولا جماعات معينة ، إنه دين أنزله الله ليبقى لا ليندثر ولا لينمحي ، إن هذه الأمة معطاءة ولود ، إذا سكت منها صوت خلفه أصوات ، وإذا مات خطيب خلفه خطباء ، وإذا استشهد مجاهد خلفه من يحمل الراية ويهاجم الأعداء ، وهذا وعد الله على لسان رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُهَا دِينَهَا»^(١) ، أي يحيي ما اندرس من الدين ويعيده صافياً نقياً ، وبين رسول الله ﷺ أن الله يجعل في الأجيال من يقوم بالدين فقال: «لَا يَزَالُ اللَّهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْساً يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ»^(٢) .

إذن هناك شباب قادمون وأجيال ستأتي ، غرس يغرسه الله ﷻ: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] ، الطائفة المنصورة منصوره باقية لا تهزم: فَعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»^(٣) (٤٧) .

(١) (صحيح) أخرجه (د ك هق خط) وصححه الألباني في ص ج ١٨٧٤ .

(٢) (حسن) أخرجه (هـ حم) وحسنه الألباني في ص ج ٧٦٩٢ .

(٣) (صحيح) أخرجه (م) ١٩٢٠ .

على درب التوحيد (ما جاء في التنجيم)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

إخوتي في الله ، قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: التنجيم هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية ، قال البخاري في صحيحه في المعلقات: قَالَ قَتَادَةُ ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ خَلَقَ هَذِهِ النُّجُومَ لثَلَاثٍ جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ وَرُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ وَعَلَامَاتٍ يَهْتَدَى بِهَا فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا يَغْيِرْ ذَلِكَ أَخْطَأَ وَأَضَاعَ نَصِيْبَهُ وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ .

فتأمل ما أنكره هذا الإمام مما حدث من المنكرات في عصر التابعين ، وما زال الشر يزداد في كل عصر بعدهم حتى بلغ الغاية في هذا العصر ، وعمت به البلوى ، وقوله: خلق الله هذه النجوم لثلاث ومصدقا لذلك قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [المك:٥] ، وقال تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل:١٦] ، أي دلالات على الجهات يهتدي بها الناس في ذلك . كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٩٧] ، أي لتعرفوا بها جهة قصدكم ، وليس المراد أن يهتدي بها في علم الغيب .

وقد جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ بإبطال علم التنجيم ، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اقْتَبَسَ عِلْماً مِنَ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السَّحَرِ زَادَ مَا زَادَ»^(١) . قال ابن رجب رحمه الله تعالى: والمأذون في تعلمه التسيير لا علم التأثير فإنه باطل محرم ، قليله وكثيره ، وأما علم التسيير فيتعلم ما يحتاج إليه منه للاهتداء ومعرفة القبلة والطرق وهو جائز عند الجمهور (٣١) .

مشاهد من الدار الآخرة (أول من يدخل الجنة من الأنبياء والأئمة)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة

(١) (صحيح) أخرجه (حم د هـ) وصححه الألباني في ص. ج ٦٠٧٤ .

عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

عباد الله: لقد بين رسول الله ﷺ لأمته ، أول من يدخل الجنة من الأنبياء ومن الأمم ، جاء في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن، من أنت؟ فأقول: محمد فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»^(١) .

وأخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ : «أما ترضون أن تكونوا ربيع أهل الجنة؟ قال: فكبرنا، ثم قال: أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قال: فكبرنا، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا شطر - أي نصف - أهل الجنة، وسأخبركم عن ذلك ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في نور أسود، أو كشعرة سوداء في نور أبيض»^(٢) .

وأخرج الإمام أحمد وغيره عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم»^(٣) .

وأخرج البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : «ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً، أو سبع مائة ألف شك في أحدهما متأسكين أخذ بعضهم ببعض، حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة ووجوههم على ضوء القمر ليلة البدر»^(٤) .

* * *

إمراة نزلت براءتها من السماء (عائشة بنت الصديق رضي الله عنها > ٢)

الحمد لله الذي من على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله: ما زلنا مع السيرة العطرة للصديقة بنت الصديق ، الطاهرة

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٩٧ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٦١٦٣ ، و (م) ٢٢١ واللفظ لمسلم .

(٣) (صحيح) أخرجه (حم ت ه ح ب ك) وصححه الألباني في ص ج ٢٥٢٦ .

(٤) (صحيح) أخرجه (خ) ٦١٧٧ .

المطهرة التي أنزل الله براءتها من فوق سبع سموات ، التقية النقية الورعة الزاهدة الفقيهة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بنت أبي بكر الصديق .
حادثه الإفك:

جاء في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَفْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ ، فَأَفْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزَاةٍ غَزَاهَا فَخَرَجَ سَهْمِي فَخَرَجْتُ مَعَهُ بَعْدَ مَا أَنْزَلَ الْحِجَابُ ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجٍ وَأَنْزَلَ فِيهِ فَبَرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ - أَي رَجَعَ - وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ آذَنَ - أَي أَعْلَمَ - لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ - أَي خَرَجْتُ مِنْ مَعسكرهم وابتعدت - فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي - أَي حاجتي - أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عَقْدٌ لِي مِنْ جَزَعِ أَطْفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ ، فَارْجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عَقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ - أَي أَخْرَنِي طلبه والبحث عنه - ، فَأَقْبَلَ الَّذِينَ يَرْحَلُونَ لِي فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَيَّ بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِيفًا لَمْ يَثْقُلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ ، وَإِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلُقَةَ مِنَ الطَّعَامِ - أَي القليل من الطعام الذي يسد الجوع - ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ حِينَ رَفَعُوهُ ثَقُلَ الْهَوْدَجُ ، فَاحْتَمَلُوهُ وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا ، فَوَجَدْتُ عَقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ - أَي ذهب ومضى - الْجَيْشُ فَحُتُّ مَنْزِلُهُمْ وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ ، فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي - أَي قصدت مكاني الذي كنت فيه - الَّذِي كُنْتُ بِهِ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ غَلَبَنِي عَيْنَايَ فَنِمْتُ ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَظَّلِ السُّلَمِيِّ ثُمَّ الدَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَأَتَانِي وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ - أَي قوله إنا لله وإنا إليه راجعون - حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتُهُ ، فَوَطِئَ يَدَهَا - أَي وضع قدمه على يد الراحلة ليسهل الركوب عليها - فَارْكَبْتُهَا فَأَنْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ ، حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُعَرَّسِينَ - أَي نزلوا للاستراحة - فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ - أَي وقت الظهر - فَهَلَكَ مِنْ هَلَكٍ ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الْإِفْكَ - أَي الذي ابتدأ للحديث عنه - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سُلُوقٍ فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ، فَاشْتَكَيْتُ بِهَا - أَي مرضت فيها - شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ - أَي يكثرُونَ - مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكِ وَيَرِيئِي - أَي يشككي - فِي وَجْعِي أَنِّي لَا أَرَى مِنَ النَّبِيِّ ﷺ اللَّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَمْرُضُ إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيَسْلَمُ ثُمَّ يَقُولُ:

كَيْفَ تَيْكُم - أي إشارة للمؤنث - ؟» لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، حَتَّى نَفْهَتْ - أي شفيت - فَخَرَجْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قَبْلَ الْمَنَاصِعِ مُتَبَرِّزًا - أي المكان الذي نخرج فيه لقضاء حاجتنا- لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنْفَ - أي أماكن قضاء الحاجة- قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا وَأَمَرْنَا أَمْرَ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي الْبَرِيَّةِ أَوْ فِي التَّنَزُّهِ ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ بِنْتُ أَبِي رَهْمٍ نَمْشِي فَعَثَرْتُ فِي مِرْطَهِهَا - أي كساء يلتحف به أو يأتزر به - فَقَالَتْ: تَعَسَ مِسْطَحٌ فَقُلْتُ: لَهَا بِشْسُ مَا قُلْتُ: أَتُسَبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَذْرًا؟ فَقَالَتْ: يَا هُنْتَاهُ - أي نداء للبعيد إشارة عن بعدها عن معرفة الأحداث - أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالُوا: فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ ، فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرْضِي ، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ فَقَالَ: «كَيْفَ تَيْكُم - أي إشارة للمؤنث - ؟ فَقُلْتُ: ائْذَنْ لِي إِلَى أَبِي؟ قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَفِينَ الْخَبَرَ مِنْ قَبْلِهِمَا ، فَأَذَنْ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُ أَبِي فَقُلْتُ لِيَأْمِي: مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بَنِيَّةُ هَوْنِي عَلَى نَفْسِكَ الشَّانَ ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةً قَطٌ وَضِيئَةً - أي جميلة حسنة من الوضاعة وهو الحسن- عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا - أي في عيها ونقصها- فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَلَقَدْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا قَالَتْ: فَبِتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرِقُّ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَجِلُ يَوْمٌ ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلَبَتْ - أي أبطأ - الْوَجْهِي يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ ، فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْوَدِّ لَهُمْ فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا نَعْلَمُ وَاللَّهِ إِلَّا خَيْرًا ، وَأَمَّا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ وَسَلَّ الْجَارِيَةُ تَصَدُّقَكَ ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ - أي خادمة عائشة ؓ فَقَالَ: يَا بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتَ فِيهَا شَيْئًا يَرِيكَ؟ فَقَالَتْ بَرِيرَةُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمَصُهُ عَلَيْهَا قَطُّ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنِ الْعَجِينَ ، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ يَوْمِهِ فَاسْتَعْدَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي إِبْنِ سَلُولٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ يَعْدُرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَّغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا ، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا ، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا وَاللَّهِ أَعْدَرْتُكَ مِنْهُ إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرْبِنَا عَنْقَهُ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزَرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ

الْخَزْرَجَ ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنْ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ - أي أغضبه التعصب لقومه وحمله على الجهالة - ، فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ وَاللَّهِ لَتَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ ، فَثَارَ الْحَيَّانُ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا - أي تناهضوا للنزاع وقصدوا المحاربة - وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمَنْبَرِ ، فَنَزَلَ فَخَفَّضَهُمْ - أي تَلَطَّفَ بِهِمْ حَتَّى سَكَتُوا - حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ وَبَكَيْتُ يَوْمِي لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَجِلُ بَنَوْمٌ ، فَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبَوَايَ وَقَدْ بَكَيتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا حَتَّى أَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقُ كِبْدِي قَالَتْ: فَبَيْنَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي إِذْ اسْتَأْذَنْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَذْنَتْ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسَ ، وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْمٍ قِيلَ فِيَّ مَا قِيلَ قَبْلَهَا ، وَقَدْ مَكَثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ قَالَتْ: فَتَشَهَّدْتُ ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً فَسَيَبْرُئُكَ اللَّهُ ، وَإِنْ كُنْتَ أَلَمْتُ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ» ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أَحْسُ مِنْهُ قَطْرَةً ، وَقُلْتُ لِأَيِّ: أَجِبْ عَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: لِأُمِّي أَجِيبِي عَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ ، قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ فَقُلْتُ: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ وَوَقَرُ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَقْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللَّهِ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ ، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقَنِي ، وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ: ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** ﴾ [يوسف: ١٨] ، ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبْرِئَنِي اللَّهُ ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا وَلَا أَنَا أَحَقُّرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فِي أَمْرِي ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوَمِّ رُؤْيَا يُبْرِئَنِي اللَّهَ ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَمَ مَجْلِسُهُ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ - أي العرق الشديد - ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ - أي قطرات اللؤلؤ - مِنْ الْعَرَقِ فِي يَوْمِ شَاتٍ ، فَلَمَّا سَرَّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِي: «يَا عَائِشَةُ اأْمْدِي اللَّهَ فَقَدْ بَرَأَكَ اللَّهُ» فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ وَلَا

أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ [النور: ١١] ،
 الْآيَاتِ ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى
 مِسْطَحَ بْنِ أَثَّاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ: وَاللَّهِ لَا أَنْفِقُ عَلَى مِسْطَحَ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ
 لِعَائِشَةَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى
 وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ
 غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢] ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي ،
 فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحَ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ
 جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي فَقَالَ: «يَا زَيْنَبُ مَا عَلِمْتُ مَا رَأَيْتُ؟» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي
 سَمْعِي وَبَصْرِي ، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِنُنِي
 فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ (١) .

من الفوائد المستنبطة من حادثة الإفك :

١- ظهرت بشرية الرسول ﷺ ونبوته ، فلو كان الوحي أمراً ذاتياً غير منفصل
 عن شخصية الرسول ﷺ لما عاش الرسول ﷺ تلك المحنة بكل أبعادها شهراً
 كاملاً ، حتى أنزل الله تعالى براءة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما نسب إليها .

٢- عندما وقعت حادثة الإفك أراد المولى عز وجل أن يشرع بعض الأحكام
 التي تسهم في المحافظة على أعراض المؤمنين ولذلك نزلت سورة النور ، التي تحدثت
 عن حكم الزاني والزانية ، وعن قبح فاحشة الزنا ، وعما يجب على الحاكم أن
 يفعله إذا ما رمى أحد الزوجين صاحبه ، وعن العقوبة التي أوجبها الله على الذين
 يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء إلى غير ذلك من الأحكام (٢٦) .

٣- ظهر إيمان أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما امتثل لأمر الله تعالى بإعادة نفقة مسطح بعد
 ما كان منه ، وكذا تقوى أم المؤمنين زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لقولها الحق .

٤- من حسن إسلام المرء عدم ترديد الشائعات لما لها من الأثر السيء على
 المسلمين ، فالسكوت أسلم .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٥١٨ .

اللقاء الإيمانى الثامن والثلاثون :

(من بشارت النصر والتمكين <١٠>)

الحمد لله الذى كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، أليست هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس؟!

أليست هذه الأمة أمة مرحومة؟!

أليست هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة؟!

أليست هذه الأمة محفوظة بحفظ الله لا تهلك بغرق عام ، ولا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستأصلهم عن آخرهم؟!

أليست هذه الأمة من أول الأمم دخولاً الجنة؟!

ألسنا الآخرين السابقين يوم القيامة ، الآخرين زماناً السابقين يوم القيامة؟!

ألم نفضل بيوم الجمعة ، والتأمين خلف الإمام ، والتحية بالسلام ، وأن صفوفنا على صفوف الملائكة؟!

ألسنا ثلثي أهل الجنة؟!

أليس يبعث الله على كل رأس مائة سنة واحداً منا يجدد لنا الدين ، أو جماعة

يجددون الدين بعدهم بالنصر والتمكين؟!

أليس الوعد من النبي عليه الصلاة والسلام حاصلاً والدليل قول رسول الله ﷺ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذَلِّ ذَلِيلٍ عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ»^(١).

إذا فإن هذه الأمة لا يمكن أن تحتث ولا أن تهزم ، ولو ضربوها بالقنابل الذرية والنووية ، ولو مسحوا مدناً وأبادوا أهلها ، ولو هجروا أهل فلسطين منها كما يريدون في مخططهم الجديد المزعوم فإن الله تعالى سيقض من هذه الأمة من يهزمهم حتماً ، ومن يموت على نية حسنة يموت شهيداً ويذهب إلى جنة عرضها

(١) (صحيح) أخرجه (حم طب ك) وصححه الألباني في س. ص ٣.

السموات والأرض ، ومن يبقى وهو ملازم لأمر الله سبحانه وتعالى ؛ فإنه يعيش كبيراً ويموت كبيراً لأجل عظم الغاية التي يعيش من أجلها .

أيها الإخوة! إن هذه الكلمات لرفع المعنويات والإثبات بالأدلة الشرعية ، وبالواقع العملي أن الإسلام هو القوة القادمة ، وأن النصر له لا شك ولا ريب ، ولكن لا يجوز الاتكال على الشرف ، ونقول: سننصر بدون سبب ، فلا بد من العمل ، فلقد قال رسول الله ﷺ: «اعْمَلُوا فِكُلَّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ» ، وقال الله تعالى : ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمُ أَهْلُكُمْ﴾ [محمد: ٣٥] (٤٧) .

* * *

على درب التوحيد (ما جاء في الاستسقاء بالانجوم وبالأنواء)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

إخوتي في الله ، كانت العرب يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا ، وإنما سمي نوءاً لأنه إذا سقط الساقط منها ناء الطالع بالمشرق ، أي نهض وطلع .

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ فَأَصَابَنَا مَطَرٌ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَصَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصُّبْحَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَقَالَ: «قَالَ اللَّهُ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَبِرِزْقِ اللَّهِ وَبِفَضْلِ اللَّهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِنَجْمٍ كَذَا فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ كَافِرٌ بِي»^(١) .

فإذا قال قائلهم: مطرنا بنجم كذا أو بنوء كذا . فلا يخلو إما أن يعتقد أن له تأثيراً في إنزال المطر فهذا شرك وكفر وهو الذي يعتقدُه أهل الجاهلية ، وإما أن يقول: مطرنا بنوء كذا مثلاً ، لكن مع اعتقاده أن المؤثر هو الله وحده . لكنه أجرى العادة بوجود المطر عند سقوط ذلك النجم ، والصحيح: أنه يحرم نسبة ذلك إلى النجم ولو على طريق المجاز ، وذلك أن القائل لذلك نسب ما هو من فعل الله تعالى

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٩١٦ و(م) ١٢٥ واللفظ للبخاري .

الذي لا يقدر عليه غيره إلى خلق مسخر لا ينفع ولا يضر ولا قدرة له على شيء ، فيكون ذلك شركاً أصغر والله أعلم .

قوله: «مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ» إذا اعتقد أن للنوء تأثيراً في إنزال المطر فهذا كفر لأنه أشرك في الربوبية والمشارك كافر . وإن لم يعتقد ذلك فهو من الشرك الأصغر ، لأنه نسب نعمة الله إلى غيره ، ولأن الله لم يجعل النوء سبباً لإنزال المطر فيه ، وإنما هو فضل من الله ورحمته يحبسه إذا شاء وينزله إذا شاء (٣١) .

ويقول فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى أن علم النجوم ينقسم إلى قسمين:

الأول: علم التأثير ، وهو أن يستدل بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية ، فهذا محرم باطل لقول النبي ﷺ : «مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السَّحَرِ زَادَ مَا زَادَ» ^(١) ، ولقول النبي ﷺ في حديث زيد بن خالد : « مِنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَجْمٍ كَذَا فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالْكُوكِبِ كَافِرٌ بِي » ، ولقول النبي ﷺ : «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ» ^(٢) ، فالأحوال الفلكية لا علاقة بينها وبين الحوادث الأرضية .

الثاني: علم التسيير ، وهو ما يستدل به على الجهات والأوقات ، فهذا جائز ، وقد يكون واجباً أحياناً ، كما قال الفقهاء: إذا دخل وقت الصلاة يجب على الإنسان أن يتعلم علامات القبلة من النجوم والشمس والقمر ، قال تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥)﴾ [النحل: ١٥] ، فلما ذكر الله العلامات الأرضية انتقل إلى العلامات السماوية ، فقال تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦)﴾ [النحل: ١٦] ، فالاستدلال بهذه النجوم على الفصول وأوقات البذر والحصاد والغرس وما أشبهه ، فهذا من الأمور المباحة ، لأنه يستعان بذلك على أمور دنيوية ، وكذلك لمعرفة أوقات الصلوات وجهات القبلة ، وما أشبه ذلك من الأمور المشروعة ، فالتعلم هنا مشروع ، وقد يكون فرض كفاية أو فرض عين أ. هـ .

(١) (صحيح) أخرجه (حم د هـ) وصححه الألباني في ص ج ٦٠٧٤ .

(٢) (صحيح) أخرجه (نخ) ٩٩٣ .

وتقول اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء توقعات أهل الأرصاد الجوية لا تخرج عن الظن ، والجميع يعلم عدم وقوع كثير مما يتوقعونه ، فهم يستدلون بما يرونه في طبقات الجو ، مع النظر في الأحوال الأرضية ، ويتوقعون وقوع كذا وكذا ، وقد يقع وقد لا يقع ، وليس هذا من علم الغيب الذي استأثر الله به ، ولذا فإن الشخص إذا رأى شيئاً في الأفق وتوقع منه حصول شيء كالرياح أو غيرها فلا يعتبر هذا من علم الغيب ؛ لأنه استدل بهذه الظواهر التي أطلعها الله للناس على قرب قوع الأشياء ، كأمارات بدو الصلاح أو الفساد في الثمار وغيرها ، وعلماء الأرصاد فيما ذكر على مثل هذا ينظرون في المراصد ويتوقعون ، فإن صدق قولهم فيما أطلعهم الله عليه من الظواهر والبوار ، وإن لم يصدق قولهم ، فلأن تلك الظواهر لم تكن على ما حللوه من خبرها .

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (أول أمة محمد ﷺ دخول الجنة)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

روى الشيخان في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يُبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتَنَفَّلُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَجَمَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ الْأَنْجُوجُ عُودُ الطَّيِّبِ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ، عَلَى خَلْقٍ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ»^(١) .

وأخرج الإمام أحمد في مسنده والترمذي وابن ماجه في سننهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِنِصْفِ يَوْمٍ وَهُوَ خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ»^(٢) .

وروى الإمام أحمد والبخاري في مسنديهما وابن حبان في صحيحه عن عبد الله

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣١٤٩ و (م) ٢٨٣٤ .

(٢) (صحيح) أخرجه (حم ت هـ) وصححه الألباني في ص ج ٨٠٧٦ .

بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: هَلْ تَذَرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ وَالْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ وَيَتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارَهُ وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً فَيَقُولُ اللَّهُ ﻋَﻠَﻴْهِمُ السَّلَامُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ: ائْتُوهُمْ، فَحَيُّوهُمْ فَيَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: نَحْنُ سَكَّانُ سَمَائِكَ وَخَيْرُكَ مِنْ خَلْقِكَ أَفْتَأْمُرُنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلَاءَ فَنَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ؟ قَالَ: إِيَّاهُمْ كَانُوا عِبَادًا يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَتُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَيَتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارَهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً قَالَ: فَتَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]» (١).

* * *

امرأة نزلت براءتها من السماء (عائشة بنت الصديق رضي الله عنه) <٣>

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم، أما بعد . .
أيها الأحبة في الله، ما زلنا مع السيرة العطرة للصديقة بنت الصديق، الطاهرة المطهرة التي أنزل الله براءتها من فوق سبع سموات، التقية النقية الورعة الزاهدة الفقيهة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بنت أبي بكر الصديق .
زهد عائشة رضي الله عنها:

جاء في (الطبقات الكبرى) لابن سعد عن أم ذرة، قالت: بعث ابن الزبير إلى عائشة رضي الله عنها بمال في غرارتين، يكون مائة ألف، فدعت بطبق، فجعلت تقسم في الناس، فلما أتمت، قالت: هاتي يا جارية فطوري، فقالت أم ذرة: يا أم المؤمنين، أما استطعت أن تشتري لنا لحماً بدرهم؟ قالت: لا تعنيني، لو أذكرتيني لفعلت (٢٩).

ولم لا؟! فلقد تربت أم المؤمنين في بيت النبي ﷺ فهلا تعلمنا منها الزهد .

(١) (صحيح) أخرجه (حم بزار حب) وصححه الألباني في ص ٣١٨٣ .

علم عائشة رضي الله عنها:

أخرج الطبراني في المعجم الكبير عن الزهري قال: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل^(١)، وجاء في سنن الترمذي عن أبي بردة عن أبي موسى قال: ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً^(٢).

حياء عائشة رضي الله عنها:

أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أدخل بيتي الذي دفن فيه رسول الله ﷺ وأبي فأضع ثوبي فأقول: إنما هو زوجي وأبي، فلما دفن عمر معهم فوالله ما دخلت إلا وأنا مشدودة علي ثيابي حياء من عمر^(٣).

فيا أيتها النسوة، احذرن من كشف شيء من أبدانكن لغير محارمكن، فإن كثيراً من النساء يتبعن العرف والعادة، ويمنعن بناتهن من التستر من الأجانب، ويتساهلن أمام زوج الأخت مثلاً أو ابن العم أو ابن الخال أو الجيران وغير ذلك ممن لم يعتبره الله محرماً لهن، أين هؤلاء من عائشة رضي الله عنها وهي تستتر عن عمر وهو ميت؟!.

ثم أنتم أيها الرجال، كيف بعد كل هذا تتركون نساءكن وبناتكن وأخواتكن تخرجن سافرات إلى الشوارع أمام ذئاب البشر؟!.

عائشة رضي الله عنها ويوم الجمل:

يقول الألباني رحمه الله تعالى معلقاً في السلسلة الصحيحة: ولا نشك أن خروج أم المؤمنين كان خطأ من أصله و لذلك همت بالرجوع حين علمت بتحقيق نبوءة النبي ﷺ عند الحوآب، و لكن الزبير رضي الله عنه أقنعها بترك الرجوع بقوله: عسى الله أن يصلح بك بين الناس، ولا نشك أنه كان مخطئاً في ذلك أيضاً، و العقل يقطع بأنه لا مناص من القول بتخطئة إحدى الطائفتين المتقاتلتين اللتين وقع فيهما مئات القتلى، ولا شك أن عائشة رضي الله عنها المخطئة لأسباب كثيرة و أدلة واضحة، و منها ندمها على خروجها، و ذلك هو اللائق بفضلها و كمالها، و ذلك مما يدل

(١) (رجالہ ثقات) أخرجه (طب) وقال الهيتمي في مجمع الزوائد ١٥٣١٨، مرسل ورجالہ ثقات.

(٢) (صحيح) أخرجه (ت) وصححه الألباني في مش ٦١٨٥.

(٣) (صحيح) أخرجه (حم) وصححه الألباني في مش ١٧٧١.

على أن خطأها من الخطأ المغفور بل المأجور إن شاء الله .

وفاتها ﷺ:

جاء في مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن أبي مليكة أنه حدثه ذكوان حاجب عائشة ، أنه جاء عبد الله بن عباس يستأذن على عائشة ، فحجبت وعند رأسها ابن أخيها عبد الله ابن عبد الرحمن فقلت: هذا ابن عباس يستأذن فأكب عليها ابن أخيها عبد الله فقال: هذا عبد الله بن عباس يستأذن؟ وهي تموت فقالت: دعني من ابن عباس فقال: يا أمته إن ابن عباس من صالح بنيك ليسلم عليك ويوددك فقالت: ائذن له إن شئت قال: فأدخلته فلما جلس قال: أبشري فقالت: أيضاً فقال: ما بينك وبين أن تلقي محمداً ﷺ والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد ، كنت أحب نساء رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ ، ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيباً ، وسقطت قلادتك ليلة الأبواء فأصبح رسول الله ﷺ حتى يصبح في المنزل ، وأصبح الناس ليس معهم ماء فأنزل الله ﷻ ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ ، فكان ذلك في سبيلك ، وما أنزل الله ﷻ لهذه الأمة من الرخصة ، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات جاء به الروح الأمين فأصبح ليس لله مسجداً من مساجد الله يذكر الله فيه إلا يتلى فيه آناء الليل وآناء النهار فقالت: دعني منك يا ابن عباس والذي نفسي بيده لو ددت أني كنت نسياً منسياً^(١) .

وفي شهر رمضان من السنة ٥٨ هـ ألم المرض بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وكانت وصيتها أن تدفن بالبقيع مع صواحبها أمهات المؤمنين وآل بيت رسول الله ، وفي ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان ، توفيت عائشة رضي الله عنها وصعدت روحها إلى ربها راضية مرضية ، وقدم أبو هريرة فصلى عليها (٤) .

فرضي الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس الأعلى دارها .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (إسناده صحيح) أخرجه (حم) ٢٤٩٦ وقال الشيخ شعيب الأرئوط إسناده قوي .

اللقاء الإيمانى التاسع والثلاثون :

من بشارت النصر والتمكين <١١>

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتى فى الله ، من بشارت النصر والتمكين أن مصير الإسلام ليس مربوطاً برجال معينين ، فإذا نظرنا فى شواهد التاريخ ، أتى الصليبيون بلاد المسلمين فى القرن الخامس ، احتلوا أكثر مدن الشام أكثر من مائتى عام ، وسقطت القدس فى أيديهم (٩٢) سنة ، وقتلوا فيها تسعين ألفاً من المسلمين ، وشابت الولدان من أهوال جرائمهم ، ولكن رجعت مرة أخرى إلى المسلمين .

فلقد قام نور الدين محمود الملك العادل ليث الإسلام ، وحامل رايتى العدل والجهاد ، أظهر السنة وقمع أهل البدعة ، شجاع وافر الهيبة ، فقاد الجموع ، انتزع من الكفار نيفاً وخمسين مدينةً وحصناً .

يقول نور الدين محمود : لما التقينا بالعدو خفت على الإسلام فانفردت ونزلت ومرغت وجهي على التراب وقلت: يا سيدي! -يخاطب الله ﷻ- الدين دينك والجنـد جنـدك ، وهذا اليوم افعل ما يليق بكرمك ، قال: فنصرنا الله عليهم .

قال الفقيه الشافعي النيسابوري يوماً: بالله لا تخاطر بنفسك ، فإنك لو قتلت قتل جميع من معك ، وأخذت البلاد ، وفسد حال المسلمين .

قال: اسكت يا قطب الدين! إن قولك إساءة أدب على الله ، ومن هو محمود؟! من كان يحفظ الدين والبلاد قبلي غير الذي لا إله إلا هو؟! ومن هو محمود؟! فبكى من كان حاضراً رحمه الله (٤٧) .

على درب التوحيد (ما جاء فى من يتخذ أندادا من دون الله)

الحمد لله الذى جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنْجِياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥] .

إخوتي في الله ، لقد أخبر الله تعالى أن من أحب من دون الله شيئاً كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً ، فهذا ند في المحبة لا في الخلق والربوبية ، وأكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أنداداً في الحب والتعظيم يحبونهم كحب الله ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إنما دُوموا بأن أشركوا بين الله وبين أندادهم في المحبة ولم يخلصوها لله كمحبة المؤمنين له ، وهذه التسوية المذكورة في قوله تعالى حكاية عنهم ، وهم في النار أنهم يقولون لأهنتهم وأندادهم وهي محضرة معهم في العذاب: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ (٩٦) تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) ﴿ [الشعراء: ٩٦-٩٨] ، ومعلوم أنهم ما سووهم برب العالمين في الخلق والربوبية وإنما سووهم به في المحبة والتعظيم ، قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا فَنَتَّبِعَهُم مِّنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦-١٦٧] : فهؤلاء المتبوعون كانوا على الهدى وأتباعهم ادعوا أنهم على طريقهم ومناهجهم ، وهم مخالفون لهم سالكون غير طريقهم ، ويزعمون أن محبتهم لهم تنفعهم مع مخالفتهم ، فيتبرأون منهم يوم القيامة فإنهم اتخذوهم أولياء من دون الله ، وهذا حال كل من اتخذ من دون الله أولياء ، يوالي لهم ، ويعادي لهم ، ويرضى لهم ، ويغضب لهم ، فإن أعماله كلها باطلة ، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] ، فهذه هي الأعمال التي كانت في الدنيا على غير سنة رسوله وطريقته ولغير وجهه ، يجعلها الله هباءً منثوراً لا ينتفع منها أصحابها بشيء أصلاً ، وهذا من أعظم الحسرات على العبد يوم القيامة ، أن يرى سعيه ضائعاً . وقد سعد أهل السعي النافع بسعيهم . انتهى ملخصاً (٣١) .

مشاهد من الدار الآخرة (أصناف أهل الجنة <١>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

عباد الله ، لقد ذكر الله تعالى في كتابه عدة أصناف من أهل الجنة نذكر منها:

١ ، ٢ ، ٣ - النبيين والصديقين والشهداء، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩)﴾ [النساء: ٦٩] .

٤ - المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠)﴾ [التوبة: ١٠٠] .

٥ - المتقين ، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣)﴾ [آل عمران: ١٣٣] .

٦ - ذوي الاستقامة على الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤)﴾ [الأحقاف: ١٤] .

٧ - المؤمنين الذين يعملون الصالحات ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧)﴾ [الكهف: ١٠٧] .

٨ - الصادقين، قال تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩)﴾ [المائدة: ١١٩] .

٩ - الصابرين، قال تعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢)﴾ [الإنسان: ١٢] .

كما ذكر رسول الله ﷺ عدة أصناف من أهل الجنة نذكر منها ما يلي:
أخرج مسلم في صحيحه عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ

اللَّهُ ﷻ قَالَ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ...» (١).

وروى الدارقطني في الأفراد والطبراني في المعجم الكبير عن كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِرِجَالِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟»، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَالشَّهِيدُ فِي الْجَنَّةِ، وَالصَّادِقُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْمَوْلُودُ فِي الْجَنَّةِ، وَالرَّجُلُ يَزُورُ أَخَاهُ فِي جَانِبِ الْمَصْرِ فِي الْجَنَّةِ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟»، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْوَدُودُ الْوَلُودُ الَّتِي إِنْ ظَلَمْتَ أَوْ ظَلِمْتَ قَالَتْ: هَذِهِ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، لَا أَذُوقُ عَمَضًا حَتَّى تَرْضَى» (٢).

وأخرج مسلم في صحيحه عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُتِنِي عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ، وَمَرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُتِنِي عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ، قَالَ عُمَرُ: فَدَى لَكَ أَبِي وَأُمِّي، مَرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُتِنِي عَلَيْهَا خَيْرٌ فَقُلْتُ: وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ، وَمَرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُتِنِي عَلَيْهَا شَرٌّ فَقُلْتُ: وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَتْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَتْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ - ثَلَاثًا -» (٣).

امرأة تراث صحائف المصحف (حفصة بنت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به أصحابه الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله، نحن اليوم مع السيرة العطرة لحفصة بنت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأمها زينب بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون، ولدت حفصة وقرش بني البيت قبل مبعث النبي ﷺ بخمس سنين، وتزوج خنيس ابن حذافة حفصة بنت عمر بن الخطاب فكانت عنده وهاجرت معه إلى المدينة فمات عنها بعد الهجرة مقدم النبي ﷺ، أثر جراح أصابته يوم بدر (٢٩).

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٨٦٥.

(٢) (حسن) وأخرجه (الدارقطني في الأفراد طب) وحسنه الألباني في ص ج ٢٦٠٤.

(٣) (صحيح) أخرجه (م) ٩٤٩.

الزواج المبارك من رسول الله ﷺ :

جاء في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي - أي مات عنها زوجها - ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ قد شهد بدراً توفي بالمدينة قال عمر: فلقيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر؟ قال: سأنظر في أمري، فلبثت ليالي فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا، قال عمر: فلقيت أبا بكر فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إلي شيئاً - أي فلم يرد علي بقبول أو رفض - ، فكنت عليه أوجد مني على عثمان فلبثت ليالي، ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت علي - غضبت مني - حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك قلت: نعم قال: فإنه لم يمعني أن أرجع إليك فيما عرضت إلا أنني قد علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها - أي بما يدل على أنه يرغب في زواجها - ، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ولو تركها لقبيلتها^(١)، ولعل الحكمة من زواج رسول الله ﷺ بعائشة هو إكرام صديقه ووزيره عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٦٤).

من فوائد هذا الحديث:

١- إن عَرَضَ الرجل وليته أو ابنته أو أخته على الرجل الصالح اتباع سنة الأنبياء والصالحين ، من ذلك: الرجل الصالح صاحب مدين الذي ورد ذكره في سورة القصص: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَاجَ ﴾ [القصص: ٢٧] ، ولم يزل هذا الأمر منذ رسول الله ﷺ ثم صحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين من بعده .

٢- ويظهر من هذا النص مقدار الوضوح في التعامل ، ومع أن الرد كان على خلاف المبتغى ، إلا أنه كان مريحاً ، ثم قارن بما يعاينه الكثير من أفراد مجتمعنا جراء تلك المجاملات المفرطة ، فكم من فتاة ضاعت عليها فرصة الزواج بسبب كلمة شفوية جامل فيها أحد الطرفين الآخر ، وذهبت الفتاة ضحية المجاملة ، وتجد أحياناً أن ولي الفتاة المخطوبة يقع أسير المجاملة الزائفة ، فيتنازل عن حق ابنته في المهر ، ليحظى بالمديح ، ثم تتجرع الفتاة مرارة ذلك الفعل ، إذا ما حصل خلاف في

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٧٨٣ .

المستقبل .

٣- إن حفظ الأسرار وكتمانها من الأخلاق العظيمة التي تُعَلِّي من شيم أصحابها وشمائل صفاتهم ، وهذا الحديث يؤكد ذلك .

٤- من سبل إزالة الأحقاد: الاعتذار والمعابة وهما علاجان مهمان ، وهناك فرق بين العتاب والتوبيخ ، لا توبخ وتعنف ولكن عاتب (٤٧) .

اعتزال النبي ﷺ نساءه :

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ عَنْ الْمَرَأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَيْنِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿إِنْ تَوْبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ (٤) [التحریم: ٤] ، حَتَّى حَجَّ عُمَرُ وَحَجَّجْتُ مَعَهُ ، فَلَمَّا كُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ عَدَلَ عُمَرُ ، وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِالْإِدَاوَةِ فَتَبَرَّرَ ثُمَّ أَتَانِي فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ فَتَوَضَّأَ ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمَرَأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَانِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمَا ﴿إِنْ تَوْبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ (٤) [التحریم: ٤]؟ قَالَ عُمَرُ: وَاعَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ الزُّهْرِيُّ: كَرِهَ وَاللَّهِ مَا سَأَلَهُ عَنْهُ وَلَمْ يَكْتُمْهُ ، قَالَ: هِيَ حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ (١) .

الفوائد من هذا الحديث :

١- فيه دليل على استحباب أن يلتزم طالب العلم خلوات العالم ليسأله فينظر إلى خلواته ، فإذا رآه وحده ، أو رآه منبسطة ، أقبل عليه وسأله ، وهذا الذي فعله ابن عباس رضي الله عنهما (٦٣) .

٢- الحذر كل الحذر من كتمان العلم في حال يحتاج الناس فيها إلى بيانه أو يسأله عنه مسترشد ، والدليل حديث أبي هريرة الذي أخرجه أحمد في مسنده وأبو داود والترمذي في سننهما ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلِمَهُ ثُمَّ كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ» (٢) .

٣- من آداب المعلم أن يزجر المتعلم عن الخطأ بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح ، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ .

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٨٩٥ ، و (م) ١٤٧٩ واللفظ لمسلم .

(٢) (صحيح) أخرجه (حم د ت) وصححه الألباني في مش ٢٢٣ .

حفصة رضي الله عنها ترث صحائف المصحف من أبيها عمر رضي الله عنه :

روى البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: تَبَعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الْعُسْبِ وَالرَّقَاعِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرَّجَالِ فَوَجَدْتُ فِي آخِرِ سُورَةِ التَّوْبَةِ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] ، مَعَ خُزَيْمَةَ أَوْ أَبِي خُزَيْمَةَ فَأَلْحَقْتُهَا فِي سُورَتِهَا ، وَكَانَتْ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَيَاتُهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ عجل ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتُهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ رضي الله عنها (١) .

ولما أجمع الصحابة على أمر أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه في جمع الناس على مصحف إمام ينسخون منه مصاحفهم ، أرسل إلى حفصة رضي الله عنها أن أرسلني إلينا بالصُّحُفِ ننسخها في المصاحف ، فحفظت الوديعة الغالية بكل أمانة ، وصانتها ورعتها .

وفاتها رضي الله عنها :

قال أبو عمر: أوصى عمر رضي الله عنه بعد موته إلى حفصة ، وأوصت حفصة إلى عبد الله بن عمر بما أوصى به عمر وبصدقة تصدقت بها وبمال وقفته بالغاية ، وأخرج ابن سعد أنها توفيت سنة خمس وأربعين في خلافة معاوية بن أبي سفيان وهي يومئذ ابنة ستين سنة وصلى عليها مروان بن الحكم وهو يومئذ عامل المدينة (٢) .

فرضي الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس الأعلى دارها.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٧٦٨ .

اللقاء الإيماني الأربعون:

(تاريخ الأمة شاهد على أن بعد الذل عزاً <١>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد . . .

أحبتني في الله، إن تاريخ الأمة حافلٌ بالعز بعد الذل، وليس هذا مستغرباً، تعرفون أن التتار لما دخلوا بغداد في عام (٦٥٤) من الهجرة، وذبحوا الخليفة وسبعمائة ألف معه على شاطئ النهر!! وكانت المرأة من التتار تأتي عدداً من رجال المسلمين فتقول: انتظروني هنا حتى آتي بالسكين أذبحكم بها، فينتظرونها حتى تأتي بالسكين فتذبحهم واحداً بعد الآخر وهم ينظرون؛ بسبب الوهن الذي دب في النفوس، وما هي إلا فترة يسيرة حتى عادت بغداد إلى مكانتها، ورجع إليها المسلمون بكل قوة، وانهزم التتار.

وعندما استقر العبيديون بالقاهرة، وقتلوا علماء أهل السنة، ذبحوا منهم أكثر من ثلاثمائة عالم، وأرادوا القضاء على السنة بالكلية، حتى زعم زاعمهم أنه لن تقوم للسنة قائمة بعد اليوم في مصر، ولم تمض سنوات قليلة حتى ذهب الله بهم ورجعت إلى السنة مكانتها وقوتها، جاء صلاح الدين الأيوبي الذي كان من خدمهم فأصبح قائداً لأهل السنة، وأصبح علي تلك المكانة، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ويقوم ثلث الليل دائماً، وكان محدثاً، فاجتمع حوله يوماً عدد من طلاب الحديث، فسألوه أن يحدثهم بحديث مسلسل بالابتسامة، وهو حديث مشتهر على السنة المحدثين، فحدثهم به ولم يتسم، فقالوا: لو سمح سيدنا بالابتسامة حتى يتسلسل لنا الحديث، فقال: إني لأستحي من الله أن أبتسم وبيت المقدس بيد الصليبيين، ثم غزا الصليبيين حتى أخرجهم من بيت المقدس وحرره منهم.

أما القسطنطينية فقد غزاها يزيد بن معاوية ومعه أبو أيوب الأنصاري، وغزاها عدد كبير من قادة المسلمين فلم تفتح، فغزاها محمد الفاتح فحاصرها، ففتحها الله عليه، فلما فتحت ودخل عزيزاً منصوراً كنيسة (أياصوفيا) وهي الجامع الكبير باسطنبول الآن، واجتمع المسلمون للصلاة قال: هل أحد في الجيش منذ أن بلغ لم

تفته تكبيرة الإحرام في صلاة الفجر في الجماعة؟! قالوا: لا. قال: إنها مسألة كنت أحسبها عند ربي، ولم يكن يطلع عليها أحد، ولكنني اضطررت إلى أن أبينها اليوم، فما فاتني تكبيرة الإحرام في صلاة الفجر في الجماعة منذ بلغت إلى وقتي هذا، فتقدم فصلى بالناس (٤٤).

على درب التوحيد (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنْجِياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد..

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

إخوتي في الله، هذا نهى من الله تعالى للمؤمنين أن يخافوا غيره، وأمر لهم أن يقصروا خوفهم على الله، فلا يخافون إلا إياه. وهذا هو الإخلاص الذي أمر به عباده ورضيه منهم. فإذا أخلصوا له الخوف وجميع العبادة أعطاهم ما يرجون وأمنهم من مخاوف الدنيا والآخرة، قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: إن الشيطان يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه، لئلا يجاهدوهم، ولا يأمرهم بمعروف، ولا ينهوهم عن منكر. وأخبر تعالى أن هذا من كيد الشيطان وتخويفه. ونهانا أن نخافهم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنَ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ فَعَسَى أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: الخوف عبودية القلب، فلا يصلح إلا لله، كالذل والإنابة والمحبة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب.

وأخرج الترمذي في سننه عن رجلٍ من أهل المدينة قال: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنْ أَكْتُبِيَ إِلَيَّ كِتَابًا تُوصِينِي فِيهِ وَلَا تُكْثِرِي عَلَيَّ، فَكَتَبَتْ عَائِشَةُ إِلَى مُعَاوِيَةَ: سَلَامٌ عَلَيْكَ أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ التَّمَسَّ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنْ التَّمَسَّ رِضَا

النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ»^(١).

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : هذا من أعظم الفقه في الدين فإن من أَرْضَى اللَّهَ بِسَخَطِهِمْ كان عبده الصالح ، والله يتولى الصالحين ، ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر: ٣٦] ، ﴿ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ ومن أَرْضَى النَّاسَ بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئاً كالظالم الذي يعرض يديه فإن العاقبة للتقوى أ.هـ .

وللخوف ثلاثة أقسام:

الأول: خوف السر ، وهو أن يخاف من غير الله من وثن أو طاغوت أن يصيبه بما يكره ، وهذا هو الواقع من عباد القبور ونحوها من الأوثان يخافونها ، ويخوفون بها أهل التوحيد إذا أنكروا عبادتها وأمروا بإخلاص العبادة لله ، وهذا ينافي التوحيد .

الثاني: أن يترك الإنسان ما يجب عليه ، خوفاً من بعض الناس ، فهذا محرم وهو نوع من الشرك بالله المنافي لكمال التوحيد .

وأخرج ابن ماجة في سننه وغيره عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَسْأَلُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَقُولَ: مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَ الْمُتَكَبِّرَ أَنْ تُنْكِرَهُ، فَإِذَا لَقِيَ اللَّهَ عَبْدًا حُجَّتَهُ قَالَ: يَا رَبِّ رَجَوْتُكَ وَفَرَّقْتَ مِنَ النَّاسِ»^(٢).

الثالث: الخوف الطبيعي ، وهو الخوف من عدو أو سبع أو غير ذلك .

فهذا لا يذم ، كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٢١] (٣١) .

مشاهد من الدار الآخرة (النساء أكثر أهل الجنة بالحوار العين <١>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبي الذين اتقوا وعقبي الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

(١) (صحيح) أخرجه (ت) وصححه الألباني في ص. ج ٦٠٩٧ .

(٢) (صحيح) أخرجه (هـ) حب حميدي (كر) وصححه الألباني في ص. ص ٩٢٩ .

عباد الله ، قال الإمام ابن القيم رحمه الله في (حادي الأرواح) عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: "افتخرت الرجال و النساء ، فقال أبو هريرة: النساء أكثر من الرجال في الجنة ، فنظر عمر بن الخطاب إلى القوم فقال: ألا تسمعون ما يقول أبو هريرة؟ فقال أبو هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «(في أول زمرة تدخل الجنة: وجوههم كالقمر ليلة البدر، و الثانية كأضواء كوكب في السماء، و لكل واحد منهم زوجتان يرى من سوقهما من وراء اللحم، و ليس في الجنة عذب»^(١) .

فإن كن من نساء الدنيا فالنساء في الدنيا أكثر من الرجال وإن كن من الحور العين لم يلزم أن يكن في الدنيا أكثر والظاهر أنهن من الحور العين لما رواه الإمام أحمد في مسنده ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لِلرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ زَوْجَتَانِ مِنْ حُورٍ الْعَيْنِ عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ سَبْعُونَ حُلَّةً يُرَى مِنْهُنَّ سَاقَاهُمَا مِنْ وَرَاءِ الثِّيَابِ»^(٢) ، فإن قيل: فكيف تجمعون بين هذا الحديث وبين حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ، فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ»^(٣) ، قيل: هذا يدل على أنهن إنما كن في الجنة أكثر بالحور العين التي خلقن في الجنة وأقل ساكنيها نساء الدنيا ، أما كونهن أكثر أهل النار ، لحديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «قَالَ أَطْلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ وَأَطْلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»^(٤) .

امرأة أخذ رسول الله ﷺ برأيها (أمر سلمة هند بنت أبي أمية رضي الله عنها >)

نحن اليوم على موعد مع السيرة العطرة لأم سلمة هند بنت أمية رضي الله عنها وهي هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية رضي الله عنها ، وأبوها: هو زاد الراكب- أي يكفي من سافر معه المؤمنة والزاد- ، أحد الأجواد قيل: اسمه حذيفة ، وهي بنت عم خالد

(١) (صحيح) أخرجه (أسلم الواسطي في تاريخه) وصححه الألباني في س. ص ٢٠٠٦ .

(٢) (صحيح الإسناد) أخرجه (حم) ٨٥٢٣ وقال الأرنؤوط صحيح الإسناد .

(٣) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٩٨ ، و(م) ٧٩ واللفظ للبخاري .

(٤) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٠٦٩ ، و(م) ٢٧٣٧ .

بن الوليد ، سيف الله ؛ وبنت عم أبي جهل بن هشام ، من المهاجرات الأول ، كانت قبل النبي ﷺ عند أخيه من الرضاعة: أبي سلمة ابن عبد الأسد المخزومي ، الرجل الصالح (٢٤) .

الهجرة إلى الحبشة:

جاء في صحيح السيرة النبوية للألباني قال ابن إسحاق: عن أم سلمة ؓ قال: لما ضاقت مكة وأوذى أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم وكان رسول الله ﷺ في منعة من قومه ومن عمه لا يصل إليه شيء مما يكره ومما ينال أصحابه فقال لهم رسول الله ﷺ : «إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه» ، فخرجنا إليها أرسالا حتى اجتمعنا بها فنزلنا بخير دار إلى خير جار آمنين على ديننا ، ولم نخش فيها ظلما^(١) .

انظر أخي في الله: كيف عانى رسول الله ﷺ وصحابته الكرام كي يصلك هذا الدين غضا طريا ، ولكن في المقابل ماذا قدمت أنت لدين الله؟!

الهجرة إلى المدينة:

جاء في (البداية والنهاية) للحافظ بن كثير رحمه الله تعالى قالت أم سلمة ؓ: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة ، رحل لي بغيره ثم حملني عليه ، وجعل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري ، ثم خرج يقود بي بغيره ، فلما رأته رجال بني المغيرة قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيت صاحبتنا هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد؟ قالت: فتزعوا خطام البعير من يده ، وأخذوني منه قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة ، وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبتنا قالت: فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحسني بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة قالت: ففرق بيني وبين ابني وبين زوجي قالت: فكنت أخرج كل غداة فاجلس في الابطح ، فما أزال أبكي حتى أمسي سنة أو قريبا منها ، حتى مر بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة ، فرأى ما بي فرحماني فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون من هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها؟ قالت: فقالوا لي:

(١) (صحيح) صححه الألباني في صحيح السيرة النبوية صفحة ١٧٠ .

الحقي بزوجك إن شئت؟ قالت: فرد بنو عبد الأسد: إلي عند ذلك ابني قالت: فارتحلت بغيري، ثم أخذت ابني فوضعتة في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة قالت: وما معي أحد من خلق الله، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار فقال: إلى أين يا ابنة أبي أمية؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة قال: أو ما معك أحد قلت: ما معي أحد إلا الله وابني هذا، فقال: والله مالك من مترك، فأخذ بخظام البعير فانطلق معي يهوي بي، فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني، حتى إذا نزلت استأخر بغيري فحط عنه، ثم قيده في الشجر، ثم تنحى إلى الشجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بغيري فقدمه فرحله، ثم استأخر عني وقال: اركبي، فاذا ركبت فاستويت على بغيري، أتى فأخذ بخظامه فقادني حتى ينزل بي فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقاء قال: زوجك في هذه القرية، وكان أبو سلمة بها نازلا فادخلها على بركة الله، ثم انصرف راجعا إلى مكة، فكانت تقول: ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة (٨).

جاء في (سير أعلام النبلاء للذهبي) عن مصعب الزبيري: أن أم سلمة رضي الله عنها هي أول طعينة دخلت المدينة مهاجرة؛ فشهد أبو سلمة بدرا؛ وولدت له عمر، وسلمة، وزينب، ودرة (٢٤).

وهذه القصة لتشهد أنه كان للعرب رصيد من الفضائل مع ما كان فيهم من الرذائل كذلك، فمن ثم اختار الله منهم خاتم أنبيائه ورسوله، وكانوا أهلاً لحمل الرسالة، وتبليغها للناس كافة، وتظهر عناية الله تعالى بأوليائه وتسخيرهم له، فهو جل وعلا الذي سخر قلب عثمان بن طلحة للعناية بأم سلمة ولذلك بذل الجهد والوقت من أجلها، كما تظهر سلامة فطرة عثمان ابن طلحة التي قادته أخيراً إلى الإسلام بعد صلح الحديبية، ولعل إضاءة قلبه بدأت منذ تلك الرحلة في مصاحبتة لأم سلمة رضي الله عنهم (٢٦).

زواج أم سلمة من رسول الله ﷺ:

أخرج مسلم في صحيحه عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ **﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾** اللَّهُمَّ

أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلَفَ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا» قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بَيْتًا وَأَنَا غَيُورٌ فَقَالَ: أَمَّا ابْتِغَاهَا فَدَعُو اللَّهَ أَنْ يُعْزِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُوا اللَّهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ^(١). وقد رأى رسول الله ﷺ أنه لا عزاء لها عن فقدوها لزوجها إلا به فخطبها، وظاهر أن ذلك الزواج ليس لأجل التمتع المباح له وإنما كان لفضلها الذي يعرفه المتأمل بجودة رأيها يوم الحديبية لتعزيتها كما تقدم (٦٤).

رجاحة عقل أم سلمة رضي الله عنها:

أخرج البخاري في صحيحه عن الْمِسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا - بعد أن انتهى رسول الله ﷺ من كتابة الكتاب يوم صلح الحديبية - فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَةِ الْكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: قُومُوا فَانْحَرُوا، ثُمَّ احْلِقُوا قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرُ بُدْنَكَ، وَتَدْعُو حَالِقَكَ، فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحْرَ بُدْنِهِ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَانْحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا... (٢).

وجاء في (السيرة النبوية) لفضيلة الدكتور علي بن محمد الصلابي: من هذه القصة يتضح أن رأي أم سلمة كان سديداً ومباركاً حيث فهمت رضي الله عنها عن الصحابة أنه وقع في أنفسهم أن يكون النبي ﷺ أمرهم بالتحلل أخذاً بالرخصة في حقهم وأنه يستمر على الإحرام أخذاً بالعزيمة، في حق نفسه، فأشارت على النبي ﷺ أن يتحلل لينتفي عنهم هذا الاحتمال، وعرف النبي ﷺ صواب ما أشارت به ففعله، فلما رأى الصحابة ذلك بادروا إلى فعل ما أمرهم به، فلم يبق بعد ذلك غاية تنتظر، فكان ذلك رأياً سديداً ومشورة مباركة، وفي ذلك دليل على

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٩١٨.

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٥٨١.

استحسان مشاورة المرأة الفاضلة ما دامت ذات فكرة صائبة ورأي سديد ، كما أنه لا فرق في الإسلام بين أن تأتي المشورة من رجل أو امرأة طالما أنها مشورة صائبة ، وهذا عين التكريم للمرأة (٢٦) .

فقه أم سلمة رضي الله عنها :

قال الحافظ شمس الدين الذهبي رحمه الله عنها في (سير أعلام النبلاء) : كانت من فقهاء الصحابيات ، ويبلغ مسندها ثلاث مئة وثمانية وسبعين حديثا ، واتفق الشيخان لها على ثلاثة عشر ، وانفرد البخاري بثلاثة ، ومسلم بثلاثة عشر (٢٤) .

وفاة أم سلمة رضي الله عنها :

قال الحافظ شمس الدين الذهبي رحمه الله في (سير أعلام النبلاء) : وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين ، عمرت حتى بلغها مقتل الحسين ، الشهيد ، فوجعت لذلك ، وغشي عليها ، وحزنت عليه كثيرا ، لم تلبث بعده إلا يسيرا ، وانتقلت إلى الله ، وعاشت نحو من تسعين عاما وتوفيت سنة تسع وخمسين في ذي القعدة (٢٤) .

فرضي الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس الأعلى دارها .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

اللقاء الإيمانى الحادى والأربعون:

(تارىخ الأمة شاهد على أن بعد الذل عزاً >٢)

الحمد لله الذى كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، قال الشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي: أخبرني رجلٌ من الفلسطينيين أنه لقي حبراً من أحبار اليهود في فلسطين ، فقال له: ماذا تعلم عن المعارك القادمة؟ فقال: ما شأنك وشأنها؟ قال: نعلم أن اليهود سيهزمون في فلسطين ، وأن دولتهم ستسقط؟ قال: نعم ، ذلك واقع ، لكن لستم أنتم أصحاب ذلك ، قال: وما يدريك؟ قال: أصحاب ذلك من يكون عددهم في صلاة الفجر في المساجد كعددهم في الجمعة! إذا وصل العدد الذى يشهد صلاة الفجر في الجماعة قدر العدد الذى يشهد صلاة الجمعة فسيحصل ذلك ، وهذا الذى قاله هذا اليهودي قد بدأت اليوم ملاحمه ، فالرجل الذى حدثني بهذا قد توفي رحمه الله ، وهو شيخٌ من شيوخ القدس اسمه بيوض التميمي من ذرية تميم الداري رحمته الله ، وكان عضواً في المجمع الفقهي ، واليوم يخبرني عددٌ من الذين يأتون من فلسطين بإقبال عجيبٍ على الله سبحانه وتعالى ، وبالأخص في الشباب والنساء ، ويذكرون من التزام الناس ما لا يتصوره أحد في ظل القمع الصهيوني والإهانات والأذى .

ومن العجائب الغريبة ، ومثله ما حصل قديماً في ليبيا ، عندما ظن الإيطاليون الفاشيون أنهم قضوا على الروح الجهادية في ليبيا بالكلية ، فوجدوا أن المجاهدين يزداد عددهم ، وفي كل فترة يزداد العدد ، والحصار والقتل والتشريد مستمر ، وكل ذلك يزيدهم عدداً ، فقال أحدهم كلمته المشهورة: إن المجاهدين المسلمين كشجرة الصنوبر ، كلما قطع منها غصنٌ نبت غصنان ، فالعدد يزداد ولا يزيده القتل ولا التشريد ولا السجون إلا زيادةً وتقدماً ، فكل هذا يدلنا على أن فجر الإسلام قادم ، وأن كل مضايقةٍ له لا يمكن أن تؤثر فيه (٤٤) .

على درب التوحيد (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين)

الحمد لله الذى جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم

به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

إخوتي في الله ، قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : أن التوكل من لوازم الإيمان ومقتضياته قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٣) ﴿[المائدة: ٢٣] ، فَجُعِلَ التوكل على الله شرطاً في الإيمان فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه . وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤] ، فجعل دليل صحة الإسلام التوكل ، والله تعالى يجمع بين التوكل والعبادة ، وبين التوكل والإيمان ، وبين التوكل والتقوى ، وبين التوكل والإسلام ، وبين التوكل والهداية في مواضع مختلفة في كتاب الله .

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله وغيره: أي كافي . ومن كان الله كافيهِ وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه ، وفيها تنبيه على القيام بالأسباب مع التوكل ، فالتوكل بدون القيام بالأسباب المأمور بها عجز محض ، ذكره الإمام ابن القيم بمعناه .

معاشر الإخوة ، التوكل غير المشروع على الله قسман :

أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله ، كالذين يتوكلون على الأموات في رجاء مطالبهم من نصر أو حفظ أو رزق أو شفاعة . فهذا شرك أكبر .

الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة ، كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما أقدره الله تعالى عليه من رزق ، أو دفع أذى ونحو ذلك ، فهو نوع شرك أصغر . والوكالة الجائزة هي توكيل الإنسان الإنسان في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه ، لكن ليس له أن يعتمد في حصوله ما وكل فيه ، بل يتوكل على الله في تيسير أمره الذي يطلبه بنفسه أو نائبه ، وذلك من جملة الأسباب التي يجوز فعلها ، ولا يعتمد عليها بل يعتمد على المسبب الذي أوجد السبب والمسبب (٣١) .

مشاهد من الدار الآخرة (النساء أكثر أهل الجنة بالحوار العين <٢>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

عباد الله ، إن نساء الجنة أكثرهم من الحور العين التي خلقن في الجنة وأقل ساكنيها نساء الدنيا ، فنساء الدنيا أقل أهل الجنة وأكثر أهل النار (١٦) .

الدليل على أن أكثر أهل الجنة من النساء وأكثرهم من الحور العين:

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوَكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ لَا تَبَاغُضُ بَيْنَهُمْ وَلَا تَحَاسَدُ، لِكُلِّ أَمْرٍ زَوْجَتَانِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ يُرَى مَخْرَجُ سَوْقِيهِمَا مِنْ وَرَاءِ الْعِظَمِ وَاللَّحْمِ»^(١) .

الدليل على أن أكثر أهل النار من نساء الدنيا

وأخرج مسلم عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الْإِسْتِغْفَارَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزَلَةٌ: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتُكْفِرْنَ الْعَشِيرَ وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أُغْلِبَ لِدِي لُبٌّ مِنْكُنَّ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ؟ قَالَ: أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ ، وَتَمَكُّتُ اللَّيَالِي مَا تُصَلِّي وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ^(٢) .

امرأة يزوجه الله لرسوله ﷺ (زينب بنت جحش رضي الله عنها)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله ، نحن على موعد اليوم مع امرأة يزوجه الله لرسوله ﷺ من فوق سبع سماوات إنها الخاشعة الراضية ، الأواهة الداعية ، زينب بنت جحش بن رثاب رضي الله عنه ، ابنة عمه رسول الله ﷺ ، أمها: أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم ، وهي أخت حمزة ، ولدت بمكة ، وكانت من المهاجرات الأول ، أسلمت قديماً .

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٠٨١ ، و(م) ٢٨٣٤ واللفظ للبخاري .

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٧٩ .

زواجها من زيد بن حارثة رضي الله عنه:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (٣٦) [الأحزاب: ٣٦].

قال الحافظ بن كثير: قال العوفي: عن ابن عباس رضي الله عنه: قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ الآية، وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها، فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله ﷺ: «بل فانكحيه» قالت: يا رسول الله، أؤامر في نفسي. فينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ الآية، قالت: قد رضيت لي منكحاً يا رسول الله؟ قال: «نعم» قالت: إذا لا أعصي رسول الله ﷺ، قد أنكحت نفسي.

فلقد أراد الرسول ﷺ أن يحطم تلك الفوارق الطبقيّة الموروثة في الأمة المسلمة من عادات الجاهلية، ليكون الناس سواسية كأسنان المشط لافضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، وكان الموالي وهم الذين جرى عليهم الرق ثم تحرروا طبقة أدنى من طبقة السادة، ومن الموالي كان زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ الذي أعتقه ثم تبناه فرأى رسول الله ﷺ أن يزوج زيدا من شريفة أسد وهي ابنة عمته زينب بنت جحش رضي الله عنها، ليبطل تلك الفوارق الطبقيّة بنفسه في أسرته، وكانت هذه الفوارق من العمق والعنف بحيث لا يحطمها إلا فعل واقعي من رسول الله ﷺ لتتخذ منه الأمة المسلمة القدوة، وتسير البشرية على هداة في هذا الطريق، وأيضاً لعل من الحكمة من هذا الزواج أنه كان مقدمة لتشريع آخر سيتبين فيما بعد (٢٦).

زواج رسول الله ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنها:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (٣٧) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (٣٨) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٣٩) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠) [الأحزاب: ٣٧-٤٠].

المعنى: وإذ تقول أيها النبي للذي أنعم الله عليه بالإسلام - وهو زيد بن حارثة الذي أعتقه وتبناه النبي ﷺ - وأنعمت عليه بالعتق: أبقى زوجك زينب بنت جحش ولا تطلقها وذلك عندما جاءه زيد يشكو وهم بطلاقها فاستأمر النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ : أمسك عليك زوجك واتق الله - وتخفي - يا محمد - في نفسك ما أوحى الله به إليك من طلاق زيد لزوجته وزواجك منها ، والله تعالى مظهر ما أخفيت ، وتخاف المنافقين أن يقولوا: تزوج محمد مطلقة متبناه ، والله تعالى أحق أن تخافه ، فلما قضى زيد منها حاجته ، وطلقها ، وانقضت عدتها ، وزوجناكها ؛ لتكون أسوة في إبطال عادة تحريم الزواج بزوجة المتبنى بعد طلاقها ، ولا يكون على المؤمنين إثم وذنب في أن يتزوجوا من زوجات من كانوا يتبنونهم بعد طلاقهن إذا قضوا منهن حاجتهن . وكان أمر الله مفعولا لا عائق له ولا مانع . ما كان على النبي محمد ﷺ من ذنب فيما أحل الله له من زواج امرأة من تبناه بعد طلاقها ، كما أباحه للأنبياء قبله ، سنة الله في الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدرا مقدورا لا بد من وقوعه . ثم ذكر سبحانه الأنبياء الماضين وأثنى عليهم بأنهم: الذين يُلغون رسالات الله إلى الناس ، ويخافون الله وحده ، ولا يخافون أحدا سواه . وكفى بالله محاسباً عباده على جميع أعمالهم ومراقباً لها . ما كان محمد أباً لأحد من رجالكم ، ولكنه رسول الله وخاتم النبيين ، فلا نبوة بعده إلى يوم القيامة . وكان الله بكل شيء من أعمالكم عليماً ، لا يخفى عليه شيء .

الحكمة من زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنها:

ذكر القرآن أن الله تعالى هو الذي زوج رسوله ﷺ امرأة زيد ، وقد كان زيد هذا يدعى ابن رسول الله ﷺ على نحو التبن ، وكانت زوجة المدعو ابناً في ذلك الحين كزوجة الابن الصلي لا يتزوج بها الأب ، فكان حكم الله تعالى وطلق زيد زوجته . وتزوج بها النبي ﷺ ونزل فيها آيات .

مناقب زينب بنت جحش رضي الله عنها:

أخرج البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه فقال: مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَوْلَمَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَائِهِ مَا أَوْلَمَ عَلَيْهَا - أي زينب رضي الله عنها - ، أَوْلَمَ بِشَاةٍ ^(١) .
وروى البخاري في صحيحه أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: نَزَلَتْ آيَةُ

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٨٧٦ .

الْحَبَابِ فِي زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ، وَأَطْعَمَ عَلَيْهَا يَوْمَئِذٍ خُبْزًا وَلَحْمًا ، وَكَانَتْ تَفْخَرُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ أَنْكَحَنِي فِي السَّمَاءِ (١) .

وجاء في صحيح مسلم عَنْ عُمَيْرِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ تَزْعُمُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ فَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلًا ، فَتَوَاصَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ أَنْ أَتَيْنَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ فَلْتَقَلَّ: إِنِّي أَحَدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَايِرَ - أي صمغ حلو له رائحة كريهة - أَكَلْتُ مَغَايِرَ فَدَخَلَ عَلَى إِحْدَاهُمَا فَقَالَتْ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ: لَا بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَلَنْ أَعُودَ لَهُ فَنَزَلَتْ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ إِنْ تَتُوبَ إِلَى اللَّهِ﴾ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ لِقَوْلِهِ بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا (٢) .

وأخرج مسلم في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَسْرَعُكُمْ لِحَاقًا بِأَطْوَلِكُنَّ يَدًا» ، قَالَتْ: فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيَّتُهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا ، قَالَتْ: فَكَانَتْ أَطْوَلُنَا يَدًا زَيْنَبُ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ يَدَيْهَا وَتَصَدَّقُ (٣) .

وفاة زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

أخرج ابن حجر العسقلاني بسند فيه الواقدي في (الاصابة في معرفة الصحابة) ، عن محمد بن كعب: قالت زينب حين حضرتها الوفاة: إني قد أعددت كفني وإن عمر سبيعت إلي بكفن فتصدقوا بأحدهما وإن استطعتم أن تتصدقوا بحقوي فافعلوا ، وماتت سنة عشرين وهي بنت خمسين ، ونقل عن عمر بن عثمان الحجي أنها عاشت ثلاثاً وخمسين (٤) .

وقال ابن الأثير في (أسد الغابة) أن فاطمة بنت محمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أول من غُطِّي نعشها في الإسلام ، ثم بعدها زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٥) .

فرضي الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس الأعلى دارها .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٩٨٥ .

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ١٤٧٤ .

(٣) (صحيح) أخرجه (م) ٢٤٥٢ .

اللقاء الإيمانى الثانى والأربعون :

(تارىخ الأمة شاهد على أن بعد الذل عزاً <٢>)

الحمد لله الذى كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، إن تارىخ الأمة يشهد أن بعد الذل عزاً فمعلوم أن الشيوعية الحمراء تمسخ الشعوب وتهجرها ، وتعرفون ما حصل فيها من قبل من الاستبداد والشدّة ، وتعرفون أن شعب الشيشان قد تعرض من قبل للتهجير والإبادة ، وأخرج من بلاده كاملاً ، شعب بكامله يُهجر من بلاده ، وكذلك الشعوب المجاورة فإنها خضعت تحت سلطان الشيوعية سبعين سنة ، وها هم اليوم تخرج منهم النماذج الفذة المدافعة عن الإسلام ، وأذكر قبل سقوط الشيوعية أننا كنا في زيارة هنالك ، فلقينا امرأة روسية مسلمة كبيرة السن ، فأخبرتنا أنها لو وجدت من يريها المصحف لأعطته كل مصوغاتها ومقتنياتنا ، مقابل رؤية المصحف فقط !!

تقول: أتمنى أن أرى المصحف ، ولا تعرف كم جزءاً هو ، فهممت أن أعطيها مصحفاً ، فنصحتني أصحابي وقالوا: لا تفعل ، فإنك لو فعلت لامت من حينها فرحاً به !! وكان الوقت إذ ذاك في شدته وقسوته ، وكان الشباب يدرسون أحكام الطهارة والصلاة والعبادات تحت الأرض في الأقبية ، وهم الذين خرجوا اليوم يقودون المسلمين في الجمهوريات الإسلامية كلها ، أولئك الذين كانوا يتعلمون الأحكام في ظل سلطان الشيوعية الذى يضرب بيدٍ من حديد ، وأذكر أن شباباً من طاجكستان أتوني وهم يريدون الدراسة ، فوجدت أن كل واحدٍ منهم يلبس ثياباً قد جعل فيها مخابئ - أي جيوب - للكتب ، وكانوا يشترون نسخاً من الكتب الصغيرة جداً - المضغوطة - يضعونها داخل ملابسهم ، بحيث لا يطلع عليها أحد بوجه من الوجوه ، ويخرجونها بصعوبة من داخل ملابسهم ، ثم يردونها بعد نهاية الدرس (٤٤) .

على درب التوحيد (ما جاء في القنوط من رحمة الله ﷻ)

الحمد لله الذى جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم

به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .
إخوتي في الله ، المؤمن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء ، وقد يُغلب أحدهما في بعض الأوقات لحاجة ، فإذا عصى غلب جانب الخوف ليتوب ، وإذا تاب غلب جانب الرجاء يطلب عفو الله ، فيحرم الأمن من مكر الله ويحرم القنوط من رحمة الله ، فالقنوط من الكبائر .

فمن أمن مكر الله ساءت أعماله وأخلاقه وتصرفاته ، قال تعالى: ﴿ **أَفَأَمِنُوا** **مَكْرَ اللَّهِ** فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩] ، وأما القانط من رحمة الله فإنه يسوء ظنه بربه ﷻ فيحصل له من ضيق النفس وتخرجها ما لا يعلمه إلا الله ﷻ ، قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَتَسَوَّأْ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَنْسِفُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ** ﴾ [يوسف: ٨٧] .

بل يجب أن يكون بين الرجاء والخوف بين الأمن والقنوط خائفاً من عذابه وعقابه راجياً رحمته وعفوه فيسير إلى ربه كالطير بالجنّاحين خائفاً راجياً . هذا هو طريق السعادة ، وفضل بعض أهل العلم أن يغلب جانب الخوف حال الصحة وجانب الرجاء حال المرض ؛ لأنه حال المرض يضعف عمله فينبغي أن يحسن ظنه بربه أكثر ، وفي حال الصحة هو أقدر على المعاصي فينبغي أن يغلب جانب الخوف ، والأصل والأساس أن يكون بين الأمرين بين الرجاء والخوف فيخاف الله ويرجوه ويحسن ظنه بربه سبحانه وتعالى ويسارع إلى مرضيه ويحذر بطشه خائفاً راجياً .

فلا يجوز لمن خاف الله أن يقنط من رحمته ، بل يكون خائفاً راجياً ، يخاف ذنوبه ويعمل بطاعته ، ويرجو رحمته ، كما قال تعالى: ﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَنْذُرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ** ﴾ [الزمر: ٩] (٣١) .

مشاهد من الدار الآخرة (من يدخل الجنة بغير حساب)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَما

فَقَالَ: «عُرِضَتْ عَلَى الْأُمَمِ فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأَفْقَ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، ثُمَّ قِيلَ لِي: أَنْظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأَفْقَ، فَقِيلَ لِي: أَنْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأَفْقَ، فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ وَمَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ»، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَتَذَاكَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: أَمَّا نَحْنُ فُولَدْنَا فِي الشَّرْكِ، وَلَكِنَّا آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «هُمْ الَّذِينَ لَا يَتَطَيَّرُونَ - أَيُّ لَا يَتَشَاءَمُونَ -، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتُونُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مَحْصَنٍ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا فَقَالَ: «سَبَقَتْ بِهَا عُكَّاشَةُ»^(١).

ومعنى لَا يَسْتَرْقُونَ أي: لا يطلبون من غيرهم أن يرقيهما؛ لأن طالب الرقية من الراقي فيه نوع من التعلق بالراقي وسؤاله، لا سيما أن المريض يتشبث فيما يظنه سببا لشفائه بخيوط العنكبوت، فيستجيب لما يطلبه الراقي منه، وإن لم يكن مقتنعا بما يقول له، فيضعف في هذه الحالة كمال توكله على الله؛ ولذلك وصف الله السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب بتمام التوكل؛ لأنهم لا يسألون غيرهم أن يرقيهما، ولا يكتوون، ولا يتطهرون، وعلى ربهم يتوكلون، فيجمعون بين كمال وقوة الصبر على الابتلاء والضراء، وبين تمام التوكل على الله وحده، والفوز برضاه والثواب على ذلك. وهذا لا ينافي أخذهم بالأسباب مع الاعتقاد أن الله هو النافع الضار، وإنما تركوا ذلك استسلاما للقضاء، وتلذذا بالبلاء، وتحقيقا لكمال التوحيد، وتمام التوكل على الله سبحانه.

وأخرج أحمد في مسنده والترمذي في سننه وابن حبان في صحيحه عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قَالَ: «وَعَدَنِي رَبِّي ﷻ أَنْ يُدْخَلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلَاثَ حَثِيَّاتٍ مِنْ حَثِيَّاتِ رَبِّي ﷻ»^(٢).

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٥٤٢٠ .

(٢) (صحيح) أخرجه (حم ت حب) وصححه الألباني في ص ج ٧١١١

أم المساكين (زينب بنت خزيمة رضي الله عنها)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله ، نحن اليوم مع السيرة العطرة لأم المساكين زينب بنت خزيمة رضي الله عنها ولقد كانت تسمى بذلك في الجاهلية ، وعن الزهري قال: كانت زينب بنت خزيمة الهلالية تدعى أم المساكين - لكثرة برها للفقراء والمساكين - ، وكانت عند الطفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف فطلقها ، فتزوجها عبيدة بن الحارث فقتل عنها يوم بدر شهيدا (٢٩) .

زواج زينب بنت خزيمة برسول الله ﷺ:

جاء في (الطبقات الكبرى) لابن سعد: خطب رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين فجعلت أمرها إليه فتزوجها رسول الله ﷺ وأشهد ، وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشا ، وكان تزويجه إياها في شهر رمضان على رأس أحد وثلاثين شهرا من الهجرة (٢٩) .

ولعل الحكمة في زواج رسول الله ﷺ أن هذه المرأة كانت من فضليات النساء في الجاهلية حتى كانوا يدعونها أم المساكين لبرها بهم وعنايتها بشأنهم فكافأها ﷺ على فضائلها بعد مصابها بزواجها ولم يدعها أرملة تقاسي الذل الذي كانت تُجير منه الناس (٦٤) .

وفاة زينب بنت خزيمة رضي الله عنها :

جاء في (الطبقات الكبرى) عن محمد بن قدامة عند أبيه قال: مكثت زينب رضي الله عنها عند رسول الله ﷺ ثمانية أشهر وتوفيت في آخر شهر ربيع الآخر على رأس تسعة وثلاثين شهرا "من الهجرة ، وصلى عليها رسول الله ﷺ ودفنها بالبقيع (٢٩) . فرضي الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس الأعلى دارها .

أعظم امرأة بركة على قومها (جويرية بنت الحارث رضي الله عنها)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به أصحابه الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله ، نحن على موعد اليوم مع أعظم امرأة بركة على أهلها . إنها جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية المصطلقية رضي الله عنها ، كان اسمها برة فسمّاها الرسول ﷺ جويرية ، ولدت قبل البعثة بنحو ثلاثة أعوام تقريباً ، وتزوجها الرسول الكريم وهي ابنة عشرين سنة ، وكان أبوها الحارث سيداً مطاعاً ، قدم على النبي ﷺ فأسلم .

زواج رسول الله ﷺ المبارك من جويرية بنت الحارث رضي الله عنها:

جاء في سيرة بن هشام عن ابن إسحاق ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ فَكَاتَبَتْهُ عَلَى نَفْسِهَا ، وَكَانَتْ امْرَأَةً حُلُوةً مُلَاحَةً لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَسْتَعِينُهُ فِي كِتَابَتِهَا . فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضَرَّارٍ ، سَيِّدِ قَوْمِهِ وَقَدْ أَصَابَنِي مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخَفْ عَلَيْكَ ، فَوَقَعْتُ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ فَكَاتَبْتُهُ عَلَى نَفْسِي ، فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ عَلَى كِتَابَتِي ، قَالَ: «فَهَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟» قَالَتْ وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَقْضِي عَنْكَ كِتَابَتَكَ وَاتَزَوَّجْكَ»؛ قَالَتْ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ . قَالَتْ: وَخَرَجَ الْخَبَرُ إِلَى النَّاسِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ ابْنَةَ الْحَارِثِ ، فَقَالَ النَّاسُ: أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَرْسَلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ قَالَتْ: فَلَقَدْ أُعْتُقَ بِتَزْوِجِهِ إِيَّاهَا مِئَةُ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ عَلَى قَوْمِهَا بَرَكَةً مِنْهَا (٢٥) .

جاء في زوجات النبي للأستاذ سعيد أيوب ورسول الله ﷺ بجويرية رضي الله عنها واسمها برة بنت الحارث سيد بني المصطلق بعد وقعة بني المصطلق ، وقد كان المسلمون أسروا منهم كثيراً من بيوتهم بالنساء والذراري ، فتزوج النبي ﷺ بها ، فقال المسلمون: هؤلاء أصهار رسول الله ﷺ لا ينبغي أسرهم وأعتقوهم جميعاً ،

فأسلم بنو المصطلق بذلك ولحقوا عن آخرهم بالمسلمين وكانوا جما غفيرا وكان لذلك أثر حسن في سائر العرب وكان هذا العمل من الأسباب الرئيسة لتصدع جبهة المشركين ، وذلك أن أبا سفيان بن حرب كان يرتكز في حربه للنبي ﷺ على هذا البطن من خزاعة بني المصطلق ، فلما أسلموا تصدعت جبهة أبي سفيان ، وفتح الطريق أمام الدعوة بعد ذلك وأرسلت الرسائل إلى القادة والملوك (٢٣) .

جويرية بنت الحارث رضي الله عنها في بيت النبوة:

أخرج البخاري في صحيحه عن جَوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهِيَ صَائِمَةٌ فَقَالَ: «أَصُمْتَ أَمْسِ؟» قَالَتْ: لَا ، قَالَ: «تُرِيدِينَ أَنْ تَصُومِي غَدًا؟» قَالَتْ: لَا . قَالَ: «فَأَفْطِرِي»^(١). فهلا تعلمنا أنه لا يجوز صيام الجمعة منفردا بل يصام مع يوم قبله أو يوم بعده لنهَي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ .

وأخرج مسلم في صحيحه عن ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنْ جَوَيْرِيَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ فَقَالَ : « مَا زِلْتُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكَ عَلَيْهَا ؟ » قَالَتْ : نَعَمْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَقَدْ قُلْتُ بِعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتُ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ »^(٢) .

يا لها من نصيحة غالية فيها بنا نتعلمها ونعمل بها ونعلمها لإخواننا .

وفاة جويرية بنت الحارث رضي الله عنها:

جاء في (الطبقات الكبرى) لابن سعد: توفيت جويرية زوج النبي ﷺ ، في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين في خلافة معاوية بن أبي سفيان وصلى عليها مروان بن الحكم وهو يومئذ والي المدينة ، وهي يومئذ ابنة خمس وستين سنة (٢٩) .

فرضي الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس الأعلى دارها

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ١٨٨٥ .

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢٧٢٦ .

اللقاء الإيمانى الثالث والأربعون :

(تاريخ الأمة شاهد على أن بعد الذل عزاً >٤)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، لما قُمع الناس في الجزائر تحمس الناس في موريتانيا للدين ، فرجع كثير من الشباب الموريتانيين للالتزام بالدين حين سمعوا الأخبار ، وهكذا كلما حصلت واقعة ، كما إذا حصلت مشكلة في فلسطين فأوذي المسلمون هناك ، أو في العراق أو في أي مكان ؛ ينتشر الإسلام في أطراف أخرى ، وقد مثل له أحد الناس باليابس من الأرض ، فالأرض اليابس منها قدر الربع ، والبقية كلها بحار ، لكن لو قدر أن جزيرة من الجزائر خسف بها فاخفت ، فلا بد أن يظهر من اليابس قدرها أيضاً ، إذا اختفت قارة من القارات ، فستظهر قارة أخرى ؛ لأن القضية مبنية على هذا التوازن ، فلهذا إذا حصلت المضايقة على الإسلام في جانب ، ظهر الانفتاح والزيادة في جانب آخر ، فكلما اشتدت المضايقة في جانب من الجوانب يتسع الحال في جانب آخر ، وقد تعهد الله لنبيه ﷺ ألا يسلب على هذه الأمة عدواً من سوى أنفسها ، فيستأصل بيضتها ، وإذا سُلط عدو على جانب من الجوانب ؛ فسيحصل رخاء في المقابل في جانب آخر ، كلما حصلت شدة في مكان ، فاعلموا أن الاتساع واقع في مكان آخر ، وهذا مبشر عجيب ؛ والشدة لما وقعت على المؤمنين بمكة جاء الفرج بالهجرة ، فالفرج لم يأت في البداية في دارهم الأصلية مكة ، لكنه جاء في مكان آخر ، وقد كانوا يبحثون عن مكان مطمئن ، فهاجروا إلى الحبشة ، فلم يكن المطمأن هنالك ، بل كان بالأرض التي هي بين الحرتين ، وقد أريها رسول الله ﷺ فكانت المدينة ، إن وعد الله سبحانه وتعالى حق ، ولا بد أن يتحقق (٤٤) .

على درب التوحيد (الصبر على أقدار الله)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد

أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .
 إخواني في الله ، قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: ذكر الله تعالى الصبر في تسعين موضعاً من كتابه ، وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»^(١) .
 فالمصائب رحمة ونعمة في حق عموم الخلق إلا أن يدخل صاحبها بسببها في معاصي أعظم مما كان قبل ذلك فيكون شراً عليه من جهة ما أصابه في دينه ، فإن من الناس من إذا ابتلي بفقر أو مرض أو وجع حصل له من النفاق والجزع ومرض القلب والكفر الظاهر وترك بعض الواجبات وفعل بعض المحرمات ما يوجب له الضرر في دينه وينافي التوحيد .

وأخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدْخِرَهُ عَنْكُمْ وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^(٢) ، وَقَالَ عُمَرُ: وَجَدْنَا خَيْرَ عَيْشِنَا بِالصَّبْرِ " رواه البخاري في المعلقات .

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: الصبر حبس النفس عن الجزع ، وحبس اللسان عن التشكي والتسخط ، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوهما . والصبر ثلاثة أقسام: صبر على ما أمر الله به ، وصبر عما نهى عنه ، وصبر على ما قدره من المصائب .

قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١١] .

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أي من أصابته مصيبة فعلم أنها بقدر الله فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله ، هدى الله قلبه وعوضه عما فاتته من الدنيا هُدىً في قلبه ، وبقينا صادقاً . وقد يَخْلُفُ عليه ما كان أخذ منه (٣١) .

(١) (صحيح) أخرجه (ت هـ) وصححه الألباني في ص ج ٢١١٠ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ١٤٠٠ و(م) ١٠٥٣ .

مشاهد من الدار الآخرة (أدنى أهل الجنة منزلة وآخرها دخولا)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبي الذين اتقوا وعقبي الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أخرج مسلم في صحيحه عن الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ مَا أدنى أهل الجنة منزلة؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أَدْخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيَقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخْذَاتِهِمْ؟ فَيَقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مَلِكٍ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَدَّتْ عَيْنُكَ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ قَالَ: رَبِّ فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أذنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ - قَالَ: وَمُضْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾» (١) .

وأخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ: فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَأَى فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا، أَوْ إِنَّ لَكَ عَشْرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا قَالَ: فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ» قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ قَالَ: فَكَانَ يُقَالُ: «ذَاكَ أدنى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً» (٢) .

وجاء في صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا التَفَّتْ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكَ لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنْ

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٨٩ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٢٠٢ و (م) ١٨٦ واللفظ لمسلم .

الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَرُفِعَ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَذْنِبِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلَا سِتْظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُذْنِبُ مِنْهَا فَيَسْتِظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَذْنِبِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا وَأَسْتِظِلَّ بِظِلِّهَا لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَذْنَبْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُذْنِبُ مِنْهَا فَيَسْتِظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَذْنِبِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتِظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا فَيُذْنِبُ مِنْهَا فَإِذَا أَذْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَذْخَلْنِيهَا؟ فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِيحُ بِكَ مِنْكَ، أَيُّضًا أَنْ أَعْطَيْتُكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ أَتُسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ أَتُسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ» (١).

* * *

امرأة يزوجها ملك الحبشة لرسول الله ﷺ

(أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم، أما بعد . .
أيها الأحبة في الله، نحن على موعد اليوم مع امرأة يعقد عليها ملك الحبشة النجاشي لرسول الله ﷺ. إنها أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها. قال ابن سعد

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٨٧ .

في (الطبقات الكبرى): اسمها رملة بنت أبي سفيان بن حرب ، وأمها صفية بنت أبي العاص عمة عثمان بن عفان ، تزوجها عبيد الله بن جحش ، فولدت له حبيبة فكنيت بها ، وكان عبيد الله بن جحش هاجر بأُم حبيبة معه إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية فتنصر وارتد عن الإسلام وتوفي بأرض الحبشة ، وثبتت أم حبيبة على دينها الإسلام وهجرتها (٢٩) .

الزواج المبارك:

ذكر ابن الجوزي في كتاب (صفة الصفوة) أن سعيد بن العاص قال: قالت أم حبيبة: رأيت في النوم كأن عبيد الله بن جحش زوجي بأسوأ صورة وأشوهه . ففزعت فقلت: تغيرت والله حاله . فاذا هو يقول حين أصبح: يا أم حبيبة إني نظرت في الدين فلم أر ديناً خيراً من النصرانية ، وكنت قد دنت بها ثم دخلت في دين محمد ، ثم رجعت في النصرانية .

فقلت: والله ما خير لك ، وأخبرته بالرؤيا التي رأيتها فلم يحفل بها وأكب على الخمر حتى مات: فأرى في النوم كأن آتياً يقول: يا أم المؤمنين ففزعت فأولتها أن رسول الله ﷺ يتزوجني .

قالت: فما هو إلا أن قد انقضت عدتي فما شعرت إلا برسول النجاشي على بابي يستأذن . فإذا جارية له يقال لها أبرهة كانت تقوم على ثيابه ودهنه فدخلت عليّ فقالت: إن الملك يقول لك: إن رسول الله ﷺ كتب إلي أن أزوجه فقالت: بشرك الله بخير . قالت: يقول لك الملك: وكلني من يزوجك .

فأرسلت خالد بن سعيد بن العاص فوكلته وأعطت أبرهة سوارين من فضة وخدمتين كانتا في رجليها وخواتيم فضة كانت في أصابع رجليها سروراً بما بشرتها ، فلما كان العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين فخطب النجاشي فقال: الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم ، أما بعد: فإن رسول الله ﷺ كتب إلي أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ ، وقد أصدقها أربعمئة دينار ، ثم سكب الدنانير بين يدي القوم فتكلم خالد بن سعيد فقال: الحمد لله ، أحمدته وأستعينه وأستنصره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً

عنده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ،
أما بعد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان
فبارك الله لرسول ﷺ .

ودفع الدنانير إلى خالد بن سعيد العاص فقبضها . ثم أرادوا أن يقوموا فقال:
اجلسوا فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعاماً على التزويج ، فدعا بطعام
وأكلوا ثم تفرقوا .

أم حبيبة رضيها في بيت النبوة:

روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضيها قال: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ
رضيها: اللَّهُمَّ مَتَّعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِأَيِّ أَبِي سُفْيَانَ وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ فَقَالَ
لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكَ سَأَلْتَ اللَّهَ لَأَجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَثَارٍ مَوْطُوءَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ
لَا يُعَجَّلُ شَيْئٌ مِنْهَا قَبْلَ حِلِّهِ وَلَا يُؤَخَّرُ مِنْهَا شَيْئٌ بَعْدَ حِلِّهِ وَلَوْ سَأَلْتَ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ مِنْ
عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ لَكَانَ خَيْرًا لَكَ» (١) .

الأثار المترتبة من زواج رسول الله من أم حبيبة رضيها :

إن زواج النبي ﷺ أم حبيبة في أول العام السادس الهجري ، كان ضربة قوية
وجهت إلى ما يدور في عقل الجبهة السفينانية من إثارة الفتن والتشكيك في الدين
نتيجة لارتداد زوج أم حبيبة عبيد الله بن جحش بالحبشة (٢٣) .

أم حبيبة رضيها تضرب المثل في اتباع السنة:

أخرج البخاري في صحيحه عن زَيْنَبَ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ رضيها قَالَتْ: لَمَّا جَاءَ نَعْيُ
أَبِي سُفْيَانَ مِنَ الشَّأْمِ دَعَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ رضيها بِصُفْرَةٍ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَمَسَحَتْ
عَارِضِيهَا - أَيِ جَانِبِ الْوَجْهِ مِنَ الذَّقْنِ إِلَى الْأُذُنِ - وَذَرَأَعِيهَا وَقَالَتْ: إِنِّي كُنْتُ عَنْ
هَذَا لَغَنِيَّةً لَوْلَا أَنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
أَنْ تُحْدَ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ إِلَّا عَلَى زَوْجٍ فَإِنَّهَا تُحْدُ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا» (٢) .

فهلا عملت نساؤنا بهذه السنة المباركة وتركنا عادة استمرار حدادهن مدداً
طويلة عند وفاة أحد أقربائهن غير الزوج ويكتفين بثلاثة أيام فقط .

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٦٦٣ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ١٢٢١ .

فلا ريب أن الحداد لا يشرع إلا للمرأة في حق زوجها أو قريبها الميت ، وقد دلّ الدليل من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة على أنه ليس لغير المرأة أن تحد على ميت بل ذلك خاص بها ، فإنها تحد على زوجها أربعة أشهر وعشراً لقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] ، وتحد على قريبها ثلاثة أيام لحديث حفصة أو عائشة أو كليهما رضي الله عنهما الذي أخرجه البخاري في صحيحه فعَنْ حَفْصَةَ أَوْ عَنْ عَائِشَةَ أَوْ عَنْ كِلْتُمَاهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْ تُحَدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِلَّا عَلَى زَوْجِهَا»^(١) ، أما ما سوى ذلك من الحداد فهو ممنوع شرعاً .

وفاة أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها :

ذكر ابن سعد في (الطبقات الكبرى) عن عائشة رضي الله عنها قالت: دعيتي أم حبيبة عند موتها ، فقالت: قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر ، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك . فقلت: غفر الله لك ذلك كله وحلللك من ذلك ، فقالت: سررتني سررك الله ، وأرسلت إلى أم سلمة ، فقالت لها مثل ذلك (٢٩) . وتوفيت سنة ٤٤ هـ (٢٨) .

فهلا عمل المسلمون بهذه السنة المباركة وتحللوا من مظالم العباد قبل يوم القيامة عملاً بالحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ مِنْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(٢) .

فرضي الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس الأعلى دارها

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٤٩٠ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٣١٧ .

اللقاء الإيمانى الرابع والأربعون: (أثر التوحيد على الثبات في زمن الفرقة)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحيتي في الله ، إن التوحيد ركن أساسي في الثبات في زمن الفرقة ، فلقد كان الاجتماع على التوحيد سبباً في توحيد المسلمين بالرغم من الخلافات التي تكون بين بعضهم في عدد من المواقف .

يكتب معاوية إلى ملك الروم الذي أوشك على اقتحام بلاد المسلمين ؛ انتهازاً للفرصة بالخلاف بين علي و معاوية رضي الله عنهما ، فقال له معاوية في رسالته: والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين! لأصطلحن أنا وابن عمي عليك ، ولأخرجنك من جميع بلادك ، ولأضيغن عليك الأرض بما رحبت ؛ فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف ، وبعث يطلب الهدنة .

وكذلك أرسل المعتمد بن عباد إلى يوسف بن تاشفين: أيها السلطان! ناشدتك الله إن سقطت إشبيليا لم يبق للإسلام في تلك الجزيرة في الأندلس اسم ولا رسم ؛ فالحق بنا وأنقذنا .

يقول له وزيره وهو يكتب الرسالة: أيها السلطان! كيف ترسل إلى يوسف بن تاشفين ، فغداً إذا جاء وانتصر وصار الملك له ، تصير أنت عنده أجيئاً ، أترضى بذلك وأنت السلطان؟! فنظر المعتمد بن عباد إليه وقال له: يا هذا! أنت وزيري تنصحنى بما يملأني وزراً ، والذي نفسي بيده لأن أكون راعياً للجمال عند مسلم اسمه يوسف بن تاشفين خير من أن أرعى الخنازير للفونسو غداً ، هكذا كان التوحيد في زمن الفرقة عاملاً مهماً من عوامل الثبات (٤٧) .

على درب التوحيد (ما جاء في النهي والتحذير عن الرياء)

الحمد لله الذى جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

إخوتي في الله ، قال الحافظ بن حجر رحمه الله تعالى: المراد بالرياء إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدون صاحبها ، والفرق بينه وبين السمعة: أن الرياء لما يرى من العمل كالصلاة . والسمعة لما يسمع كالقراءة والوعظ والذكر ، ويدخل في ذلك التحدث بما عمله .

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠] .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في الآية: أي كما أن الله واحد لا إله سواه ، فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده لا شريك له ، فالعمل الصالح: هو الخالص من الرياء المقيد بالسنة .

وفي الآية دليل على أن أصل الدين الذي بعث الله به رسول الله ﷺ والمرسلين قبله ، هو إفراده الله تعالى بأنواع العبادة .

وأخرج مسلم في صحيحه عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشُرْكُهُ»^(١) .

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: واعلم أن العمل لغير الله أقسام ، فتارة يكون رياء محضاً كحال المنافقين ، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٢] .

أي إنَّ طريقة هؤلاء المنافقين مخادعة الله تعالى ، بما يظهرونه من الإيمان وما يبتنونونه من الكفر ، ظناً أنه يخفى على الله ، والحال أن الله خادعهم ومجازيهم بمثل عملهم ، وإذا قام هؤلاء المنافقون لأداء الصلاة ، قاموا إليها في فتور ، يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة ، ولا يذكرون الله تعالى إلا ذكراً قليلاً .

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن مَحْمُودِ بْنِ لَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشُّرْكَ الْأَصْغَرُ» قَالُوا: وَمَا الشُّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٩٨٥ .

إِلَى الَّذِينَ كُنتُمْ تَرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً^(١) .

وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء ، فإن شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه وذكر أحاديث تدل على ذلك منها:

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ»^(٢) .

وأما إن كان أصل العمل لله ثم طرأ عليه نية الرياء ، فإن كان خاطراً ثم دفعه فلا يضره بغير خلاف ، وإن استرسل معه فرجح الإمام أحمد وابن جرير ، أن عمله لا يبطل بذلك ، وأنه يجازي بنيته الأولى (٣١) .

ومن الأخطاء أن يُترك العمل خوفاً من الرياء ، فيترك الرجل مثلاً إمامة الجماعة ، وخطبة الجمعة ، والتدريس في المسجد ، والوعظ والإرشاد ، والتبكير إلى المسجد ، لذلك يقول القاضي عياض رحمه الله: ترك العمل من أجل الناس رياء ، كما أن العمل من أجل الناس شرك (٤٩) .

مشاهد من الدار الآخرة (عدد أبواب الجنة وساعاتها)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبي الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد ...

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣)﴾ [الزمر: ٧٣] .

المعنى : سيق الذين اتقوا ربهم بتوحيده والعمل بطاعته إلى الجنة جماعات ، حتي إذا جاؤوها وشُفع لهم بدخولها ، فتحت أبوابها ، فترحب بهم الملائكة الموكلون بالجنة ، ويحيونهم باليشر والسرور ؛ لطهارتهم من آثار المعاصي قائلين لهم: سلام عليكم من كل آفة ، طابت أحوالكم ، فادخلوا الجنة خالدين فيها .
وأخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،

(١) (صحيح) أخرجه (حم) وصححه الألباني في ص ج ١٥٥٥ .

(٢) (صحيح) أخرجه (بن خزيمة هق هـ) وصححه الألباني في ص ٣٤ .

عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّانَ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ»^(١).

وأخرج الشيخان أيضا في صحيحيهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا أَبَيَّ أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَيَّ مِنْ دُعَايٍ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»^(٢).

وجاء في صحيح مسلم عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيَبْلُغُ أَوْ فَيَسْبِغُ الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»^(٣).

وجاء في صحيح مسلم أيضا عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أُمِّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاها إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ»^(٤).

وجاء أيضا في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: - ذكر حديث الشفاعة بطوله وقال في آخره - «فَيَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ادْخُلِ الْجَنَّةَ مِنْ أَمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنْ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيهَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنْ مَا بَيْنَ الْمَصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِعِ الْجَنَّةِ لَكُمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُضْرَى»^(٥).

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٠٨٤ ، و(م) ١١٥٢ واللفظ للبخاري .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ١٧٩٨ و (م) ١٠٢٧ .

(٣) (صحيح) أخرجه (م) ٢٣٤ .

(٤) (صحيح) أخرجه (م) ٢٨ .

(٥) (صحيح) أخرجه (م) ١٩٤ .

امراة ابنة نبي وعمها نبي وزوجها نبي

(صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها)

الحمد لله الذي منّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله ، نحن اليوم مع ابنة نبي وعمها نبي وزوجها نبي . إنها صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها ، وهي من بني إسرائيل من سبط هارون بن عمران عليه السلام ، وأمها برة بنت سموأل أخت رفاعة بن سموأل من بني قريظة إخوة النضير . وكانت صفية تزوجها سلام بن مشكم القرظي ثم فارقتها فتزوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري فقتل عنها يوم خيبر (٢٩) .

غزوة خيبر وزواج رسول الله ﷺ من صفية رضي الله عنها :

أهل خيبر هم الذين حزبوا الأحزاب ضد المسلمين ، وأثاروا بني قريظة على الغدر والخيانة ، ثم أخذوا في الاتصالات بالمنافقين في المجتمع الإسلامي ، وبغطفان وأعراب البادية أحد أجنحة الأحزاب وكذا كانوا يتهيئون لقتال المسلمين ، حتى وضعوا خطة لاغتيال النبي ﷺ ، لذلك خرج رسول الله ﷺ لخير بعد العودة من صلح الحديبية في المحرم من أول السنة السابعة للهجرة مع ألف وأربعمائة مقاتل و سار يفتح حصون خيبر ومعاقلها واحداً إثر واحد ، حتى أتى حصن بني أبي الحقيق .

أخرج البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ - عندما دخل خيبر - قال : «الله أكبر، خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم ﴿فساء صباح المنذرين﴾» قالها ثلاثاً قال : وخرج القوم إلى أعمالهم فقالوا : محمدٌ قال عبد العزيز : وقال بعض أصحابنا والخميس يعني الجيش قال : فأصبناها عنوة فجمع السبي فجاء دحية الكلبي رضي الله عنه فقال : يا نبي الله أعطني جارية من السبي قال : «اذهب فخذ جارية» ، فأخذ صفية بنت حيي فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا نبي الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير لا تصلح إلا لك ، قال : «ادعوه بها» ، فجاء بها فلما نظر إليها النبي ﷺ قال : «خذ جارية من السبي

غَيْرَهَا» قَالَ: فَأَعْتَقَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَتَزَوَّجَهَا فَقَالَ لَهُ ثَابِتٌ: يَا أَبَا حَمَزَةَ - أي أنس بن مالك - مَا أَصَدَقَهَا - أي كم كان صداق صفية رضي الله عنها - قَالَ: نَفْسَهَا أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا حَتَّى إِذَا كَانَ بِالطَّرِيقِ جَهَّزَتَهَا لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ فَأَهْدَتْهَا لَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَأَصْبَحَ النَّبِيُّ ﷺ عَرُوسًا فَقَالَ: «مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَجِئْ بِهِ» وَبَسَطَ نَطْعًا فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالتَّمْرِ، وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالسَّمْنِ قَالَ: وَأَحْسِبُهُ قَدْ ذَكَرَ السَّوِيقَ قَالَ: فَحَاسُوا حَيْسًا - هو الطعام المتخذ من التمر والسمن والأقط أو الدقيق - فَكَانَتْ وَلِيمَةً رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (١).

فعل رسول الله ﷺ اصطفاها وأعتقها وتزوجها ، كراهة لرق مثلها في نسبها وقومها ، و لعله يخفف مما كان من عداوة اليهود له ، ولتكون حجة دامغة على اليهود (٦٤) .

وأخرج الطبراني في المعجم الكبير عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان بعيني صفية خضرة فقال لها النبي ﷺ: «ما هذه الخضرة بعينيك؟» فقالت: قلت لزوجي إني رأيت فيما يرى النائم قمرا وقع في حجري فلطمني وقال: «أتريدين ملك يشرب؟» قالت: وما كان أبغض إلي من رسول الله ﷺ قتل أبي وزوجي فما زال يعتذر إلي فقال: «يا صفية إن أباك ألب علي العرب وفعل وفعل حتى ذهب ذاك من نفسي» (٢) .

انظر أخي في الله: كيف كان رسول الله ﷺ يبرر لزواجه صفية سبب قتله أبائها ، فهلا عاملنا زوجاتنا بالرفق واللين فطابت حياتنا .

صفية رضي الله عنها في بيت رسول الله ﷺ:

جاء في سنن الترمذي والنسائي عن أنس رضي الله عنه قال: بَلَغَ صَفِيَّةٌ أَنَّ حَفْصَةَ قَالَتْ: بِنْتُ يَهُودِيٍّ ، فَبَكَتْ ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهِيَ تَبْكِي فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكِ» فَقَالَتْ: قَالَتْ لِي حَفْصَةُ: إِنِّي بِنْتُ يَهُودِيٍّ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكَ لَابْنَةُ نَبِيٍّ، وَإِنَّ عَمَّكَ لَنَبِيٍّ، وَإِنَّكَ لَتَحْتَ نَبِيٍّ فَفِيمَ تَفَخَّرُ عَلَيْكِ؟» ثُمَّ قَالَ: «أَنْقِي اللَّهَ يَا حَفْصَةُ» (٣) .

وأخرج بن سعد في الطبقات الكبرى عن زيد بن أسلم: أن نبي الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه ، قال: قالت صفية: والله يا نبي الله ﷺ لوددت أن الذي بك بي ،

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٦٤ .

(٢) (صحيح) أخرجه (طب) وصححه الألباني في س. ص ٢٧٩٣ .

(٣) (صحيح) أخرجه (ت ن) وصححه الألباني في مش ٦١٨٣ .

فغمزها أزواجه فأبصرهن ، فقال: «مضمن» قلن: من أي شيء؟ قال: «من تغمزكن بها، والله إنها لصادقة»^(١) .

بعد وفاة رسول الله ﷺ:

بعد وفاة النبي ﷺ عملت أمنا صفية رضي الله عنها بهذه الآية: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٣٤] .

وأخرج بن سعد في الطبقات الكبرى عن كنانة مولى أمنا صفية رضي الله عنها قال: كنت أقود بصفية لترد عن عثمان ، فلقيها الأشر - أي مالك بن الحارث النخعي وكان على رأس أهل الكوفة الذين تولوا الفتنة أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه - ، فضرب وجهه بغلته حتى مالت ؛ فقالت: ذروني ، لا يفضحني هذا ! ثم وضعت خشبا من منزلها إلى منزل عثمان ، تنقل عليه الماء والطعام^(٢) .

وهذا التصرف من أمنا صفية رضي الله عنها يدل على عدم رضاها عن الذين ظلموا عثمان وخرجوا عليه وقتلوه .

قال ابن سعد في الطبقات الكبرى : وتوفيت صفية سنة اثنتين وخمسين في خلافة معاوية بن أبي سفيان وقبرت بالبقيع (٢٩) .

فرضي الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس الأعلى دارها

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (رجاله ثقات) أخرجه (ابن سعد) ٨ / ١٢٨ ، وقال شعيب الأرناؤوط رجاله ثقات و مرسل .

(٢) (رجاله ثقات) أخرجه (ابن سعد) ٨ / ١٢٨ وقال شعيب الأرناؤوط رجاله ثقات .

اللقاء الإيماني الخامس والأربعون:

(صدود الكفار بأموالهم هو حسارة عليهم <١>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبي في الله ، يشرق علينا نور هذه البشارة من سورة الأنفال ، ويا لها والله من بشارة! يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦] .

المعنى : إن الذين جحدوا وحدانية الله وعصوا رسوله ينفقون أموالهم فيعطونها أمثالهم من المشركين وأهل الضلال ، ليصدوا عن سبيل الله ويمنعوا المؤمنين عن الإيمان بالله ورسوله ، فينفقون أموالهم في ذلك ، ثم تكون عاقبة نفقتهم تلك ندامة وحسرة عليهم ؛ لأن أموالهم تذهب ، ولا يظفرون بما يأملون من إطفاء نور الله والصد عن سبيله ، ثم يهزمهم المؤمنون آخر الأمر . والذين كفروا إلى جهنم يحشرون فيعذبون فيها . فهل تصدقون الله رب العالمين؟!

الإخوة الفضلاء: كم من أموال أنفقت لتنصير المسلمين؟ وكم من أموال أنفقت للقضاء على طلائع الصحو؟ وكم من أموال أنفقت لتقويض صرح الأسرة المسلمة ، ببث الأفلام الداعرة والمسلسلات الفاجرة؟ وكم من أموال أنفقت على أندية الروتر والماسونية العالمية؟ وكم من أموال أنفقت بالجملة لإخراج المسلمين عن إسلامهم؟ .

ولكن ما هي النتيجة؟ النتيجة بموعود الله ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦] وعلى أرض الواقع جسدت هذه المعاني العظيمة وثيقة للتنصير الكنسي التي صدرت عبر مائة وخمسين صفحة ، وأجريت خلال خمس سنوات ، ونشرتها لأول مرة جريدة "نيويورك تايمز إنترناشيونال" في عددها الصادر في شهر يناير لعام (١٩٩١م) وفي هذه الوثيقة يصرخ بابا الفاتيكان جنبلي الثاني ، وينادي علي المسيحيين - على حد تعبيره وإلا فهم النصارى - ويأمرهم بالوقوف صفاً واحداً أمام الزحف الإسلامي الهائل في بلاد أوروبا على الرغم من أنك لو

فتشت لوجدت الجهود المبذولة لدين الله لا تساوي شيئاً على الإطلاق ، ولكنه دين الفطرة (٤٥) .

على درب التوحيد (من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد ..

إخوتي في الله ، العمل لأجل الدنيا شرك ينافي كمال التوحيد الواجب ، ويجب الأعمال ، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦)﴾ [هود ١٥-١٧] .

المعنى: من كان يريد بعمله الحياة الدنيا ومُتّعها نعطهم ما قُسم لهم من ثواب أعمالهم في الحياة الدنيا كاملاً غير منقوص ، أولئك ليس لهم في الآخرة إلا نار جهنم يقاسون حرّها ، وذهب عنهم نفع ما عملوه ، وكان عملهم باطلاً لأنه لم يكن لوجه الله .

فالذي يريد بعمله الدنيا ، و الذي يريد بعمله مرآة الناس يجتمعان في كون العمل لغير وجه الله ، وفي أنهما شرك خفي ، لأن الإرادة والقصد من أعمال القلوب ، فهما يجتمعان في هذا ، لكن يفترقان في أن الرياء يراد به الجاه والشهرة ، وأما طلب الدنيا فيراد به الطمع والعرض العاجل ، والذي يعمل من أجل الطمع والعرض العاجل أعقل من الذي يعمل للرياء ، لأن الذي يعمل للرياء لا يحصل له شيء ، وأما الذي يعمل من أجل الدنيا فقد يحصل له طمع في الدنيا و منفعة في الدنيا ، ولكن كلاهما خاسر عند الله سبحانه وتعالى ، حيث إن كلا منهما أشرك في نيته وقصده ، فهما يجتمعان من وجه ويفترقان من وجه (٦) .

وروى البخاري في صحيحه عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ -أي نوع من الثياب- ، إِنَّ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعَسَّ وَأَنْتَكَسَ -أي عاوده المرض- ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا

اُنْتَقَشَ - أي أصابته شوكة فلا يقدر على إخراجها -^(١).

وفي هذا الحديث أخبرنا رسول الله ﷺ بأن علامة الذين يعملون من أجل الدنيا ، فقال: "إِنْ أُعْطِيَ رِضِي ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِ سَخَطٌ" هذه علامة الذي يعمل من أجل الدنيا ، أنه إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا رِضِي وَإِنْ لَمْ يُعْطِ مِنْهَا لَمْ يَرْضَ ، كما قال الله سبحانه وتعالى في المنافقين: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسَخَطُونَ (٥٨) ﴾ [التوبة: ٥٨] (٦) .

مشاهد من الدار الآخرة (درجات الجنة)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

قال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) ﴾ [النساء: ٩٥] .

المعنى: لا يتساوى المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله من أصحاب الأعذار منهم والمجاهدون في سبيل الله ، بأموالهم وأنفسهم ، فضَّلَ الله تعالى المجاهدين على القاعدین ، ورفع منزلتهم في الجنة ، وقد وعد الله كلا من المجاهدين بأموالهم وأنفسهم والقاعدین من أهل الأعدار الجنة لما بذلوا وضحوا في سبيل الحق ، وفضلَّ الله تعالى المجاهدين على القاعدین ثواباً جزيلاً .

وأخرج الشيخان عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأَفْقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ» قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»^(٢) .

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٧٣٠ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٠٨٣ و (م) ٢٨٣١ .

وأخرج الإمام أحمد في مسنده وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى يَرَاهُمْ مَنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ كَمَا يَرَى الْكَوْكَبُ الطَّالِعُ فِي الْأَفْقِ مِنْ أَفَاقِ السَّمَاءِ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ مِنْهُمْ وَأَنْعَمًا»^(١).

وجاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ هَاجِرًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وَلَدَ فِيهَا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا تُنَبِّئُ النَّاسَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»^(٢).

قال القاضي عياض: يحتمل أن هذا على ظاهره وأن الدرجات هنا المنازل التي بعضها أرفع من بعض في الظاهر وهذه صفة منازل الجنة كما جاء في أهل الغرف أنهما يتراءون كالكوكب الدري، وقال القرطبي: الدرجة المنزلة الرفيعة ويراد بها غرف الجنة ومراتبها التي أعلاها الفردوس قال: ولا يظن من هذا أن درجات الجنة محصورة بهذا العدد بل هي أكثر من ذلك ولا يعلم حصرها وعددها إلا الله تعالى ألا ترى أن في الحديث الآخر يقال لصاحب القرآن اقرأ وأرق فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها فهذا يدل على أن في الجنة درجات على عدد أي: القرآن وهي تنيف على ستة آلاف آية فإذا اجتمعت للإنسان فضيلة الجهاد مع فضيلة القرآن جمعت له تلك الدرجات كلها وهكذا كلما زادت أعماله زادت درجاته.

ويتفاضل الناس في الجنة كما يتفاضلون في الدنيا، كل بحسب إيمانه وعمله الذي كان يعمل في الدنيا، بل إن تفاضلهم في الجنة أكبر وأعظم من تفاضلهم في الدنيا، فالجنة ليست درجة واحدة، قال تعالى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ (٢١) [الإسراء: ٢١].

من أمهات المؤمنين (ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته

(١) (صحيح) أخرجه (حم ت هـ حب) وصححه الألباني في ص ج ٢٠٣٠.

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٩٨٧.

عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله ، نحن اليوم مع السيرة العطرة لميمونة بنت الحارث رضي الله عنها أمها: هند بنت عوف بن زهير ، وأخوات ميمونة لأبيها وأمها: أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث زوج العباس بن عبد المطلب ، ولبابة الصغرى بنت الحارث زوج الوليد بن المغيرة وهى أم خالد بن الوليد ، وعصماء بنت الحارث ، وكانت تحت أبي بن خلف الجهمي ، وعزة بنت الحارث ، كانت تحت زياد بن عبد الله بن مالك ، فهؤلاء أخوات ميمونة لأب وأم (٢) .

زواج النبي من ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها :

قال الإمام ابن القيم في (زاد الميعاد): قال موسى بن عقبة: ثم خرج رسول الله ﷺ من العام المقبل من عام الحديبية معتمرا في ذي القعدة سنة سبع وهو الشهر الذي صده فيه المشركون عن المسجد الحرام ، حتى إذا بلغ يأجج وضع الأداة كلها الحجف والمجان والنبل والرماح ودخلوا بسلاح الراكب السيوف ، وبعث رسول الله ﷺ جعفر بن أبي طالب بين يديه إلى ميمونة بنت الحارث ابن حزن العامرية ، فخطبها إليه فجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب وكانت أختها أم الفضل تحتها فزوجها العباس رسول الله ﷺ . . فأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثا ، فلما أصبح من اليوم الرابع أتاهم سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ورسول الله ﷺ في مجلس الأنصار يتحدث مع سعد بن عباد ، فصاح حويطب نناشدك الله والعقد لما خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث ، فقال سعد بن عباد: كذبت لا أم لك ليست بأرضك ولا أرض آبائك والله لا نخرج ، ثم نادى رسول الله ﷺ حويطبا أو سهيلا فقال: «إني قد نكحت منكم امرأة فما يضركم أن أمكث حتى أدخل بها ونضع الطعام فنأكل وتأكلون معنا» ، فقالوا: نناشدك الله والعقد إلا خرجت عنا ، فأمر رسول الله ﷺ أبا رافع فأذن بالرحيل ، وركب رسول الله ﷺ حتى نزل بطن سرف فأقام بها ، وخلف أبا رافع ليحمل ميمونة إليه حين يمسي ، فأقام حتى قدمت ميمونة ومن معها وقد لقوا أذى وعناء من سفهاء المشركين و صبيانهم ، فبنى بها بسرف ثم أدلج وسار حتى قدم المدينة وقدر الله أن يكون قبر ميمونة بسرف حيث بنى بها (٢١) .

ولعل رسول الله ﷺ تزوج ميمونة لأن عمه العباس رغبه فيها وهي أخت

زوجه لبابة الكبرى ، ولعل العباس رأى في ذلك مصلحة عظيمة (٦٤) .

وروى مسلم في صحيحه عن يزيد بن الأصم قال: دَعَانَا عَرُوسُ بِالْمَدِينَةِ فَقَرَّبَ إِلَيْنَا ثَلَاثَةَ عَشَرَ ضَبًّا فَآكَلُ وَتَارَكَ فَلَقِيتُ ابْنَ عَبَّاسٍ مِنَ الْغَدِ ، فَأَخْبَرْتُهُ فَأَكْثَرَ الْقَوْمُ حَوْلَهُ حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا آكُلُهُ وَلَا أَنْهَى عَنْهُ وَلَا أُحَرِّمُهُ» ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَسِّرَ مَا قُلْتُمْ مَا بَعَثَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِلَّا مُحِلًّا وَمُحَرَّمًا ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ عِنْدَ مَيْمُونَةَ ، وَعِنْدَهُ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، وَامْرَأَةٌ أُخْرَى إِذْ قُرِبَ إِلَيْهِمْ خَوَانٌ عَلَيْهِ لَحْمٌ ، فَلَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَأْكُلَ قَالَتْ لَهُ مَيْمُونَةُ: إِنَّهُ لَحْمٌ ضَبٌّ فَكَفَّ يَدَهُ ، وَقَالَ: هَذَا لَحْمٌ لَمْ آكُلْهُ قَطُّ ، وَقَالَ لَهُمْ: كُلُوا فَآكَلُ مِنْهُ الْفَضْلُ ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، وَالْمَرْأَةُ ، وَقَالَتْ مَيْمُونَةُ: لَا آكُلُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَيْءٌ يَأْكُلُ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (١) .

انظر أخي في الله: ، كيف أن ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها أثرت هوى رسول الله ﷺ على هواها ، فهلا امتثلن زواجاتنا بفعل أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها .

شهادة رسول الله ﷺ لميمونة بنت الحارث رضي الله عنها وأخواتها:

أخرج النسائي والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «الْأَخَوَاتُ الْأَرْبَعُ مَيْمُونَةُ وَ أُمُّ الْفَضْلِ وَ سَلْمَى وَ أَسْمَاءُ بِنْتُ عَمِيْسٍ أَخْتُهُنَّ لِأَمْهَنْ مَوْمِنَاتٍ» (٢)

وفاة ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها :

جاء في (الطبقات الكبرى) عن عطاء: توفيت ميمونة رضي الله عنها بسرف ، فخرجت مع ابن عباس إليها ، فقال: إذا رفعتن نعشها ، فلا تزلزلوها ، ولا تزعزعوها . وعن يزيد بن الأصم ، قال: دفننا ميمونة بسرف في الظلة التي بنى بها فيها رسول الله ﷺ ، وقد كانت حلقت في الحج ، ونزلت في قبرها ، أنا وابن عباس (٢٩) .

وقال الواقدي: ماتت في خلافة يزيد سنة إحدى وستين ، ولها ثمانون سنة .

فرضي الله عنها وأرضاها وأسكنها فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى
(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٩٤٨ .

(٢) (صحيح) أخرجه (ن ك) وصححه الألباني في ص ج ٢٧٦٣ .

اللقاء الإيمانى السادس والأربعون:

(صدود الكفار بأموالهم هو حسة عليهم <٢>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتى فى الله ، نشرت جريدة بريد الإسلام التي تتابع أخبار الإسلام والمسلمين فى بلاد الغرب ، نشرت خبراً عجبياً فى حديقة (الهايفبارك فى بريطانيا وفى إنجلترا) هذه الحديقة تضم كل المآسى .

جاء بعض الشباب المسلم العاقل الواعي ، الذي تحتاج الأمة إليه الآن ، وينظر إلى الأمور كلها نظرة واعية دقيقة ، ليعيش العصر بالقرآن والسنة .

فقالوا: لماذا لا نتخذ ركناً فى هذه الحديقة لندعو هذه الجموع إلى الإسلام؟

لماذا لا نعرف هؤلاء بالإسلام؟

الإخوة الفضلاء ، هذه الأموال الطائلة التي تنفق وبالرغم من ذلك ينتصر دين الله ﷻ ويمتد ، فوقف هؤلاء الإخوة فى هذه الحديقة وأرادوا أن يبينوا للناس الإسلام ، فقام قسيس ليرد على هذا الأخ المبارك البريطاني المسلم ، ولما ضعفت حاجته لجأ إلى الأسلوب الآخر المعروف ، ألا وهو السب والشتم والتسفيه ، فسب هذا القسيس رب العزة والنبي محمداً ﷺ .

سبحان الله! هذا نصرٌ غيبي يرسله الله من آن إلى آخر ليطمئن القلوب القلقة ، فيقول الخبر: يصاب هذا القسيس بدوران شديد ويسقط على الفور مغشياً عليه ، فلما اقتربوا منه وجدوه قد هلك ، وقد فارق الحياة ، فاقترب رئيس الشرطة الذي كان مكلفاً بحراسة هذا الجمع من هذا الأخ المبارك ، وقال له: أربك قويٌّ بهذه الصورة؟! فقال له: ولكن أعلم أن الذي قدّر هذا قد يُقدّر أن يقول غير هذا أكثر مما قال هذا ، ولا يفعل به بمثل ما فعل بهذا ، حتى لا نعتمد على مثل هذه الأمور: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنُصْرِهِ وَإِلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢] .

فلا بد من أن يبذل المسلمون سبل النصر: ﴿فَسَيُفْقَرُهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦] .

وأختم البشائر القرآنية بهذه البشارة في سورة الصف، يقول جل وعلا:
﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)﴾
 [الصف: ٨-٩] لا بد من إظهار الدين، فهل تستطيع الطحالب أن توقف سير البواخر
 العملاقة على سطح الماء؟ لا والله أبداً: **﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾**
 [الصف: ٨] هذا وعد الله ﷻ (٤٥).

على درب التوحيد (ما جاء فيمن أطاع العلماء والأمرأ في تحريم ما أحل الله)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرم
 به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد
 أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد ..
 إحتوي في الله، العلماء وظيفتهم تبين معاني ما أنزل الله - جل وعلا - على
 رسوله ﷺ وليست وظيفتهم التي أُذن لهم بها في الشرع أن يحلوا ما يشاءون، أو
 يحرّموا ما يشاءون، بل وظيفتهم الاجتهاد في فقه النصوص، وأن يبينوا ما أحل الله
 وما حرم - جل وعلا -، فهم أدوات ووسائل لفهم نصوص الكتاب والسنة،
 ولذلك كانت طاعتهم تبعاً لطاعة الله ورسوله، يطاعون فيما فيه طاعة الله - جل
 وعلا - ولرسوله، وما كان من الأمور الاجتهادية فيطاعون، لأنهم هم أفقه
 بالنصوص من غيرهم، فتكون طاعة العلماء والأمرأ من جهة الطاعة التبعية لله
 ولرسوله، أما الطاعة الاستقلالية فليست إلا لله - جل وعلا - حتى طاعة النبي
 عليه الصلاة والسلام إنما هي تبعاً لطاعة الله.

قال تعالى: **﴿اتَّخِذُوا أَنْبَاءَهُمْ وَرُؤَسَاءَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** [التوبة: ٣١].

المعنى: إتخذ اليهود والنصارى العلماء والعُباد أرباباً يُشرعون لهم الأحكام،
 فيلتزمون بها ويتركون شرائع الله، واتخذوا المسيح عيسى ابن مريم إلهاً فعبدوه،
 وقد أمرهم الله بعبادته وحده دون غيره، فهو الإله الحق لا إله إلا هو. تنزّه
 وتقدّس عما يفتريه أهل الشرك والضلال.

فالواجب على كل مكلف إذا بلغه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله وفهم

معنى ذلك: أن ينتهي إليه ويعمل به ، وإن خالفه من خالفه .

قال تعالى: ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩] .

المعنى : فإن اختلفتم في شيء بينكم ، فأرجعوا الحكم فيه إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، إن كنتم تؤمنون حق الإيمان بالله تعالى وبيوم الحساب . ذلك الردُّ إلى الكتاب والسنة خير لكم من التنازع والقول بالرأي ، وأحسن عاقبة ومآلا .

روى الدارمي في السنن عن زياد بن حدير قال: قال لي عمر: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قال قلت: لا ، قال: يهدمه زلة العالم وجدال المنافق بالكتاب وحكم الأئمة المضلين^(١) .

مشاهد من الدار الآخرة (وصف تربة وطينة الجنة)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد رضي الله عنه ، أن ابن صياد سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة ، فقال: «دَرَمَكَةُ بَيْضَاءُ مِسْكٌ خَالِصٌ»^(٢) .

وجاء في مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: الجنة ما بناؤها؟ قال: «لَبَنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ وَلَبَنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، وَحَضْبَاؤُهَا اللَّوْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرْبَتُهَا الزَّعْفَرَانُ مَنْ دَخَلَهَا يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، وَيُحْلَدُ لَا يَمُوتُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ»^(٣) .

وأخرج الترمذي في سننه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَقْرَأَ أَمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ

(١) (صحيح) أخرجه (الدارمي) وصححه الألباني في مش ٢٦٩ .

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢٩٢٨ .

(٣) (صحيح) أخرجه (حم ت) وصححه الألباني في ص ج ٣١١٦ .

الْجَنَّةُ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَمَّتَا قِيَعَانُ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»^(١).

وجاء في صحيح البخاري وسنن الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ، إِذْ عُرِضَ لِي مَهْرٌ حَافَّتَاهُ قَبَابُ اللَّوْلُؤِ، قُلْتُ لِلْمَلِكِ: مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللَّهُ قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى طَيِّبَةٍ فَاسْتَخْرَجَ مِسْكًَا، ثُمَّ رَفَعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُتَنَهَّى فَرَأَيْتُ عِنْدَهَا نُورًا عَظِيمًا»^(٢).

عباد الله ، قال الإمام ابن القيم: قال معتب بن سمى: الجنة ترابها المسك والزعفران ويحتمل أن يكون التراب من زعفران فإذا عجن بالماء صار مسكا ، فلما كانت تربتها طيبة وماؤها طيبا فانضم أحدهما إلى الآخر حدث لهما طيب آخر فصار مسكا ، أو أن يكون زعفرانا باعتبار اللون ومسكا باعتبار الرائحة وهذا من أحسن شيء ، فيكون البهجة والإشراق لون الزعفران ، والرائحة رائحة المسك ، وكذلك تشبهها بالدرمك وهو الخبز الصافي الذي يضرب لونه إلى صفرة مع لينها ونعومتها ، وهذا معنى ما ذكره سفيان بن عيينة عن أبي نجيح عن مجاهد بهذا أرض الجنة من فضة وترابها المسك ، فاللون لون الفضة والرائحة رائحة المسك (٤٤) .

أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ

(مارية القبطية رضي الله عنها)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله ، نحن اليوم مع السيرة العطرة مع أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وهي مارية بنت شمعون القبطية رضي الله عنها ، أهداها له المقوقس القبطي صاحب الإسكندرية ومصر ، وذلك سنة سبع من الهجرة (٢٥) .

(١) (حسن) أخرجه (ت) وحسنه الألباني في ص. ج. ٥١٥٢ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ ت) وصححه الألباني في ص. ج. ٢٨٥٧ .

قدوم مارية القبطية من مصر:

قال الإمام ابن القيم في (زاد المعاد): وَكَتَبَ النَّبِيُّ إِلَى الْمُقَوْسِ مَلِكِ مِصْرَ وَالْإِسْكَندَرِيَّةِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الْمُقَوْسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمَ تَسْلَمَ وَأَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْقِبْطِ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران ٦٤]، وَبَعَثَ بِهِ مَعَ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ: إِنَّهُ كَانَ قَبْلَكَ رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ الرَّبُّ الْأَعْلَى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى فَانْتَقَمَ بِهِ ثُمَّ انْتَقَمَ مِنْهُ فَاعْتَبِرْ بِغَيْرِكَ وَلَا يَعْتَبِرْ غَيْرُكَ بِكَ. فَقَالَ إِنَّ لَنَا دِينًا لَنْ نَدَعُهُ إِلَّا لِمَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ فَقَالَ حَاطِبُ: نَدْعُوكَ إِلَى دِينِ اللَّهِ وَهُوَ الْإِسْلَامُ الْكَافِي بِهِ اللَّهُ فَقَدْ مَا سِوَاهُ إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ دَعَا النَّاسَ فَكَانَ أَشَدَّهُمْ عَلَيْهِ قُرَيْشٌ وَأَعْدَاهُمْ لَهُ الْيَهُودُ وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ النَّصَارَى، وَلَعَمْرِي مَا بِشَارَةَ مُوسَى بِعِيسَى إِلَّا كِبْشَارَةَ عِيسَى بِمُحَمَّدٍ، وَمَا دُعَاؤُنَا إِيَّاكَ إِلَى الْقُرْآنِ إِلَّا كَدُعَاؤِكَ أَهْلَ التَّوْرَةِ إِلَى الْإِنْجِيلِ، وَكُلُّ نَبِيٍّ أَدْرَكَ قَوْمًا فَهُمْ مِنْ أُمَّتِهِ فَالْحَقَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يُطِيعُوهُ وَأَنْتَ مِمَّنْ أَدْرَكَهُ هَذَا النَّبِيُّ وَلَسْنَا نَنْهَاكَ عَنْ دِينِ الْمَسِيحِ وَلَكِنَّا نَأْمُرُكَ بِهِ. فَقَالَ الْمُقَوْسُ: إِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي أَمْرِ هَذَا النَّبِيِّ فَوَجَدْتُهُ لَا يَأْمُرُ بِمَزْهُودٍ فِيهِ وَلَا يَنْهَى عَنْ مَرْغُوبٍ فِيهِ، وَلَمْ أَحِذْهُ بِالسَّاحِرِ الضَّالِّ وَلَا الْكَاهِنِ الْكَاذِبِ، وَوُجِدْتُ مَعَهُ آيَةَ النَّبُوَّةِ بِإِخْرَاجِ الْخَبَاءِ وَالْإِخْبَارِ بِالتَّجَوُّى وَسَانْظُرُ، وَأَخَذَ كِتَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَجَعَلَهُ فِي حُقٍّ مِنْ عَاجٍ وَخَتَمَ عَلَيْهِ وَدَفَعَهُ إِلَى جَارِيَةٍ لَهُ ثُمَّ دَعَا كَاتِبًا لَهُ يَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ فَكَتَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مِنَ الْمُقَوْسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ سَلَامٌ عَلَيْكَ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ وَفَهَمْتُ مَا ذَكَرْتَ فِيهِ وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ نَبِيًّا بَقِيَ وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهُ يَخْرُجُ بِالشَّامِ وَقَدْ أَكْرَمْتُ رَسُولَكَ وَبَعَثْتُ إِلَيْكَ بِجَارِيَتَيْنِ لَهُمَا مَكَانٌ فِي الْقِبْطِ عَظِيمٍ وَبِكِسْوَةٍ وَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ بَعْلَةً لِتَرْكَبَهَا وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ. وَلَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا وَلَمْ يَسْلَمْ، وَالْجَارِيَتَانِ مَارِيَّةٌ وَسِيرِينُ وَالْبَعْلَةُ دُلْدُلُ بَقِيَتْ إِلَى زَمَنِ مُعَاوِيَةَ (٢١).

مارية أم إبراهيم رضي الله عنها:

قال بن الأثير في (أسد الغابة) وكان مولده - إي إبراهيم - في ذي الحجة سنة

ثمان من الهجرة؛ وسر النبي ﷺ بولادته كثيراً، وولد بالعالية، وكانت قابله سلمي مولاة النبي ﷺ امرأة أبي رافع، فبشر أبو رافع النبي ﷺ فوهب له عبداً، وحلق شعر إبراهيم يوم سابعه، وسماه، وتصدق بزنته ورقاً- أي فضة-، وأخذوا شعره فدفنوه؛ كذا قال الزبير، ثم دفعه إلى أم سيف: امرأة قين بالمدينة يقال له أبو سيف، ترضعه. ولكن هذه السعادة لم تطل سوى أقل من عامين، حيث قدر الله تعالى أن لا يكون رسوله ﷺ أباً لأحد، فتوفى الله تعالى إبراهيم.

وأخرج ابن ماجة في سننه عن أسماء بنت يزيد قالت: لما توفي ابن رسول الله ﷺ إبراهيم بكى رسول الله ﷺ فقال له المعزّي إماماً أبو بكر وإماماً عمر: أنت أحق من عظم الله حقه قال رسول الله ﷺ: «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يخطئ الرب لولا أنه وعد صادق وموعد جامع وأن الآخر تابع للأول لوجدنا عليك يا إبراهيم أفضل مما وجدنا وإنا بك لمحزونون»^(١).

أخي في الله، يموت أبناء رسول الله ﷺ في الصغر، فبعد أن تعلق رسول الله ﷺ بإبراهيم، وأصبح عمره سنتين، وصار محبوباً له يأتي إليه بعد هموم الدعوة فيحتضن هذا الطفل، فلما كاد قلبه أن يميل لطفله قبض الله طفله، فموت بين يديه، فيحتضنه ويبكي، وتسيل دموعه، وهو يعيش اللوعة، ويتجلد ويصبر، ويقول هذه المقالة العظيمة: «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يخطئ الرب لولا أنه وعد صادق وموعد جامع وأن الآخر تابع للأول لوجدنا عليك يا إبراهيم أفضل مما وجدنا وإنا بك لمحزونون»، فيا لها من كلمات تكتب بماء الذهب، ولعل هذا فيه من العزاء لكل من فقد ولداً من أولاده.

بل ولقد تعرض رسول الله ﷺ لكل صور الابتلاء في حياته ليكون أسوة حسنة لنا معاشر المسلمين، فموت أبناءه جميعاً في حياته إلا فاطمة تلحقه بعد ستة أشهر. هذا فقط في نطاق الأسرة، بل ولا ننسى أنه تعرض لقذف زوجته عائشة رضي الله عنها في شرفها في حادثة الإفك، فهذا والله من أعظم البلاء، ومع هذا يعلمنا الصادق المصدوق بأن صبر المسلم على البلاء من أعظم أسباب تكفير الذنوب ورفع الدرجات.

أخرج الترمذي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما

(١) (حسن) أخرجه (هـ) وحسنه الألباني في ص ج ٢٩٣٢.

يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ؛ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»^(١) .
وصية رسول الله ﷺ:

روى مسلم في صحيحه عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْفِرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَجْحًا أَوْ قَالَ ذِمَّةً وَصَهْرًا»^(٢) .

قال الشيخ جلال الدين السيوطي في (الديباج على مسلم): وكان أهل مصر يكثرُونَ استعماله والتكلم به فإن لهم ذمة أي حقا وحرمة ورحما لكون هاجر أم إسماعيل ﷺ منهم ، وصهرا لكون مارية أم إبراهيم عليه السلام منهم .
وفاة مارية القبطية:

قال ابن عبد البر في (الاستيعاب في معرفة الصحابة): توفيت مارية في خلافة عمر بن الخطاب ، وذلك في المحرم من سنة ست عشرة ، وكان عمر يحشر الناس بنفسه لشهود جنازتها ، وصلى عليها عمر ودفنت بالبقيع .
فرضي الله عنها وأرضاها وأسكنها فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى .
(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (ت) وصححه الألباني ص . ج ٥٨١٥ .

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢٥٤٣

اللقاء الإيمانى السابع والأربعون :

(إن الله سينصر دينه بنا أو بغيرنا)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتى في الله ، إن الله سينصر دينه بنا أو بغيرنا قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ، فإن انصرفت عن مجالس العلم فلن تضر الله شيئاً ، وإن تقاعست عن الإنفاق في سبيل الله فإن الله هو الغني ، وإن انصرفت عن العمل لدين الله فإن الله لا يريد منك عملاً ، أنت الخاسر ، الله جل وعلا لا تنفعه طاعة ، ولا تضره معصية وهو القادر على كل شيء ، ولكنه يأمر بك لأنه يريد بك ولك الخير ، قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْتُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧] .

فالله سبحانه ناصر دينه بنا أو بغيرنا ، وإن المستقبل للإسلام برغم كيد الفجار والمنافقين والعلمانيين! إن المستقبل لدين الله جل وعلا بموعد الله وبموعد رسول الله ﷺ ، أنا لا أقول هذا الكلام رجماً بالغيب ، ولا من باب الأحلام الوردية ، لتسكين الآلام وتضميد الجراح ، لا ، بل هذا هو قرآن ربنا يتلى ، وهذه أحاديث نبينا تُسمع ، إن فجر الإسلام قادم ، وإن أشد ساعات الليل سواداً هي الساعة التي يليها ضوء الفجر ، إن الذي يفصل في الأمر في نهاية المطاف ليس هو ضخامة الباطل ، ولكن الذي يفصل في الأمر هو قوة الحق ، ولا شك أبداً أن معنا الحق الذي من أجله خلق الله السماوات والأرض والجنة والنار ، ومن أجله أنزل الله الكتب وأرسل الرسل ، معنا رصيد فطرة الكون ، وفطرة الإنسان التي فطرت على التوحيد ، وقبل كل ذلك وبعد كل ذلك معنا الله ، ويا لها والله من معية كريمة لو عرف الموحدون قدرها ، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١] (٤٥) .

على درب التوحيد (ما جاء في التحاكم بغير ما أنزل الله)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ٦٠] .

إخوتي في الله ، قال العماد الحافظ بن كثير رحمه الله تعالى: والآية دامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل ، وهو المراد بالطاغوت ههنا .

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله : فكل من تحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقد تحاكم إلى الطاغوت الذي أمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يكفروا به ، فإن التحاكم ليس إلا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن كان يحكم بهما ، فمن تحاكم إلى غيرهما فقد تجاوز به حده ، وخرج عما شرعه الله ورسوله ﷺ وأنزله منزلة لا يستحقها ، وكذلك من دعا إلى تحكيم غير الله ورسوله فقد ترك ما جاء به الرسول ﷺ ورغب عنه ، وجعل لله شريكاً في الطاعة وخالف ما جاء به رسول الله ﷺ فيما أمره الله تعالى به في قوله: ﴿ وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة: ٤٩] ، وقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ [النساء: ٦٥] ، فمن خالف ما أمر الله به ورسوله ﷺ بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل الله ، أو طلب ذلك اتباعاً لما يهواه ويريده فقد خلع ربقة الإسلام والإيمان في عنقه ، وإن زعم أنه مؤمن .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً ﴾ [الأحزاب: ٣٦] .

المعنى: لا ينبغي لمؤمن ولا مؤمنة إذا حكم الله ورسوله فيهم حكماً أن يخالفوه ، بأن يختاروا غير الذي قضى فيهم . ومن يعص الله ورسوله فقد بُعد عن طريق الصواب بُعداً ظاهراً (٣١) .

مشاهد من الدار الآخرة (غرف وقصور الجنة)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبي الذين اتقوا وعقبي الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد . . .

قال تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (٢٠)﴾ [الزمر: ٢٠].

المعنى : لكن الذين اتقوا ربهم - بطاعته وإخلاص عبادته - لهم في الجنة غرف مبنية بعضها فوق بعض ، تجري من تحت أشجارها الأنهار ، وعداها الله عباده المتقين وعداً متحققاً ، لا يخلف الله الميعاد .

وروى مسلم في صحيحه عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ لَحِيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مَجُوفَةٍ طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا - المِيل ستة آلاف ذراع - لِلْمُؤْمِنِينَ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا» (١) .

فإذا كان ارتفاعها ستون ميلا أي ١٨٠ كيلومتر تقريبا فكم يكون محيطها !! نسألك ربنا أن نكون من أهل الجنة ، آمين يارب العالمين .

وجاء في صحيح مسلم أيضاً عن أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الْأَفْقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ؛ لِنَفَاضِلِ مَا بَيْنَهُمْ» ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رَجُلًا آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ» (٢) .

اللهم حبيب لنا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، وارزقنا حسن إتياع رسولك ﷺ ، واجعلنا من الراشدين ، لنكون من أهل الغرفات العلى في الجنة يوم القيامة ، آمين يارب العلمين .

وأخرج الإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه والبيهقي في شعب الإيمان عن أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفَةً يُرَى

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٨٣٨ .

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢٨٣١ .

ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا ، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَالْآنَ الْكَلَامُ ، وَتَابَعَ الصَّيَامَ ، وَصَلَّى وَالنَّاسُ نِيَامٌ» ^(١) .

أحبتي في الله ، هذا الحديث يجمع بين العمل والجزاء نلاحظ أنه لما وصف رسول الله ﷺ الجنة وغرفها ماذا قال في نهاية الحديث أعدها الله عز وجل لمن أطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام ، نسأل الله تعالى أن يوفقنا للإكثار من هذه الأعمال العظيمة ، آمين يارب العالمين .

* * *

ذات النطاقين (أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله ، نحن اليوم مع السيرة العطرة لأسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها ، وأما قتيلة بنت عبد العزى بن أسعد ، وهي أخت عبد الله بن أبي بكر لأبيه وأمه ، وأخت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر لأبيها ، أسلمت بمكة قديما وبايعت وشقت نطاقها ليلة خرج رسول الله ﷺ إلى الغار فجعلت واحدا لسفرته والآخر عصاما لقربته فسميت ذات النطاقين (٨) .

صبر أسماء على ضيق العيش مع حواري رسول الله الزبير بن العوام جاء في مسند الإمام أحمد عن عُرْوَةَ ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ : تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ وَمَا لَهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلَا مَمْلُوكٍ وَلَا شَيْءٍ غَيْرَ فَرَسِهِ قَالَتْ : فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ وَأَكْفِيهِ مَوْتَتَهُ وَأَسْوِسُهُ وَأَدُقُّ النَّوَى - أي أدق للبعير الذي يستقي عليها الزبير النوى ليكون علفا له - لِنَاضِحِهِ أَعْلَبُ ، وَأَسْتَقِي الْمَاءَ ، وَأَخْرُزُ غَرَبَهُ ، وَأَعَجِنُ ، وَلَمْ أَكُنْ أَحْسِنُ أَخْبِرُ فَكَانَ يَخْبِرُ لِي جَارَاتٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَكُنَّ نِسْوَةً صِدْقَ ، وَكُنْتُ أُنْقِلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَأْسِي وَهِيَ مِنِّي عَلَى ثُلْثِي فَرَسَخَ ، قَالَتْ : فَجِئْتُ يَوْمًا وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِي فَلَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَدَعَانِي ثُمَّ قَالَ : «إِخْ إِخْ» لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ

(١) (صحيح) أخرجه (حم حب هب) وصححه الألباني في ص ج ٢١٢٣ .

قَالَتْ : فَاسْتَحَيْتُ أَنْ أُسِيرَ مَعَ الرِّجَالِ وَذَكَرْتُ الزُّبَيْرَ وَغَيْرَتَهُ قَالَتْ : وَكَانَ أَغْيَرَ النَّاسِ فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنِّي قَدْ اسْتَحَيْتُ فَمَضَى وَجِئْتُ الزُّبَيْرَ فَقُلْتُ : لَقِينِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى رَأْسِي النَّوَى وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَأَنَاخَ لِرُكْبٍ مَعَهُ فَاسْتَحَيْتُ وَعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ فَقَالَ : وَاللَّهِ لِحَمْلِكَ النَّوَى أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ رُكُوبِكَ مَعَهُ قَالَتْ : حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَادِمٍ فَكَفَتْنِي سِيَاسَةُ الْفَرَسِ فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَنِي ^(١) .

فانظر رحمك الله إلى هذا الموقف الجليل لأسماء فإنها أبت أن تتركب مع الرسول ﷺ عندما تذكرت غيرة الزبير وذلك حفاظاً على مشاعره ﷺ مع أن الذي ستركب معه هو خير البرية ﷺ والذي لا يوجد أدنى شك فيه ، فأثرت أن تمشي هذه المسافة الطويلة وتحمل المشقة الجسيمة حفاظاً على شعور زوجها ، فهلا تعلمت نساؤنا هذا الخلق الرفيع .

مواقف لأسماء ؓ عند هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة:

١- لما تهيأ رسول الله ﷺ وصاحبه للخروج إلى المدينة . وكانا قد استأجرا عبد الله بن أريقط الليثي ، وكان هادياً خريئاً - ماهراً بالطريق - وكان على دين كفار قريش ، وأمناه على ذلك ، وسلمما إليه راحلتيهما ، وواعدها غار ثور بعد ثلاث ليال براحليتهما ، فلما كانت ليلة الاثنين - غرة ربيع الأول سنة ١هـ جاءهما عبد الله بن أريقط بالراحلتين ، وكان قد قال أبو بكر للنبي ﷺ عند مشاورته في البيت: بأبي أنت يا رسول الله ، خذ إحدى راحلتي هاتين ، وقرب إليه أفضلهما ، فقال رسول الله ﷺ بالثمن . وأتتهما أسماء بنت أبي بكر ؓ بسفرتيها ، ونسيت أن تجعل لها عصاماً ، فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة ، فإذا ليس لها عصام ، فشقت نطاقها بائنتين ، فعلقت السفرة بواحد ، وانتطقت بالآخر فسميت: ذات النطاقين (٢٣) .

٢- أخرج الإمام أحمد في مسنده عن ابن إسحاق قال: قَالَتْ أَسْمَاءُ ؓ: لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مَعَهُ احْتَمَلَ أَبُو بَكْرٍ مَالَهُ كُلَّهُ وَمَعَهُ خَمْسَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ أَوْ سِتَّةُ آلَافٍ فَأَنْطَلَقَ بِهَا مَعَهُ . قَالَتْ: فَدَخَلَ عَلَيْنَا جَدِّي أَبُو قُحَافَةَ وَقَدْ ذَهَبَ بَصْرُهُ فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَرَاهُ قَدْ فَجَعَكُمْ بِمَالِهِ مَعَ نَفْسِهِ . قَالَتْ: قُلْتُ:

(١) (صحيح الإسناد) أخرجه (حم) ٢٦٩٨٢ وقال شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح .

كَلَا يَا أَبَتِ إِنَّهُ قَدْ تَرَكَ لَنَا خَيْرًا كَثِيرًا . قَالَتْ: فَأَخَذْتُ أَحْجَارًا فَوَضَعْتُهَا فِي كُوفَةٍ فِي الْبَيْتِ الَّذِي كَانَ أَبِي يَضَعُ مَالَهُ فِيهَا ، ثُمَّ وَضَعْتُ عَلَيْهَا ثَوْبًا ، ثُمَّ أَخَذْتُ بِيَدِهِ فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ ضَعْ يَدَكَ عَلَى هَذَا الْمَالِ . قَالَتْ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ فَقَالَ: لَا بَأْسَ إِذَا كَانَ تَرَكَ لَكُمْ هَذَا فَقَدْ أَحْسَنَ وَفِي هَذَا بَلَاغٌ لَكُمْ وَلَا وَاللَّهِ مَا تَرَكَ لَنَا شَيْئًا وَلَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أُسَكِّنَ الشَّيْخَ بِذَلِكَ ^(١) .

وبهذه الفطنة والحكمة سترت أسماء أباهما ، وسكنت قلب جدها الضرير ، من غير أن تكذب ، فإن أباهما قد ترك لهم حقاً هذه الأحجار التي كوّمتها لتطمئن لها نفس الشيخ! إلا أنه قد ترك لهم معها إيماناً بالله لا تزلزله الجبال ، ولا تحركه العواصف الهوج ، ولا يتأثر بقلّة أو كثرة في المال ، وورثهم يقيناً وثقة به لاحتها ، وغرس فيهم همة تتعلق بمعالى الأمور ، ولا تلتفت الى سفاسفها ، فضرب بهم للبيت المسلم مثلاً عزّ أن يتكرر ، وقلّ أن يوجد نظيره فلقد ضربت أسماء رضي الله عنها بهذه المواقف لنساء وبنات المسلمين مثلاً هنّ في أمس الحاجة إلى الاقتداء به (٢٦) .

٣- جاء في سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي عن ابن إسحاق قال: قَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه: لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه أَتَانَا نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فِيهِمْ أَبُو جَهْلُ بْنُ هِشَامٍ ، فَوَقَفُوا عَلَى بَابِ أَبِي بَكْرٍ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِمْ فَقَالُوا: أَيْنَ أَبُوكَ يَا بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ قُلْتُ: لَا أَدْرِي وَاللَّهِ أَيْنَ أَبِي؟ قَالَتْ: فَرَفَعَ أَبُو جَهْلٍ يَدَهُ وَكَانَ فَاحِشًا حَيْثُ ، فَلَطَمَ خَدِّي لَطْمَةً طُرِحَ مِنْهَا قُرْطِي (٢٤) .

أول مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة عبد الله بن الزبير ولد أسماء:

أخرج البخاري في صحيحه عن أسماء رضي الله عنها أَنَّهَا حَمَلَتْ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَتْ: فَخَرَجْتُ وَأَنَا مُتِمُّ فَاتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَزَلْتُ بِقُبَاءٍ فَوَلَدْتُهُ بِقُبَاءٍ ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَوَضَعْتُهُ فِي حَجْرِهِ ، ثُمَّ دَعَا بِتَمْرَةٍ فَمَضَغَهَا ، ثُمَّ تَفَلَ فِيهِ فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ رِيقُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، ثُمَّ حَتَّكَ بِتَمْرَةٍ ، ثُمَّ دَعَا لَهُ وَبَرَكَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ تَابِعَهُ ^(٢) .

صبرها على قتل ولدها عبد الله بن الزبير وصلبه ووفاتها:

روى مسلم في صحيحه عن أبي نوفل قال: رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى عَقَبَةٍ

(١) (حسن الإسناد) أخرجه (حم) ٢٧٠٠٢ وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط حسن الإسناد .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٦٩٧ .

الْمَدِينَةَ قَالَ: فَجَعَلْتُ قَرِيشَ تَمُرَّ عَلَيْهِ - أي على عبد الله بن الزبير بعد أن قتله الحجاج وصلبه- وَالنَّاسُ حَتَّى مَرَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ فَوَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أبا خُبَيْبٍ - كنية عبد الله بن الزبير - السَّلَامُ عَلَيْكَ أبا خُبَيْبِ السَّلَامُ عَلَيْكَ أبا خُبَيْبٍ ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا ، أَمَا وَاللَّهُ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا ، أَمَا وَاللَّهُ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا ، أَمَا وَاللَّهُ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا ، أَمَا وَاللَّهُ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا ، وَصُولًا لِلرَّحِمِ ، أَمَا وَاللَّهُ لَا مُةً أَنْتَ أَشْرُهُا لِأُمَّةٍ خَيْرٌ ثُمَّ نَفَذَ - أي انصرف - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمرَ ، فَلَبَغَ الْحَجَّاجُ مَوْقِفَ عَبْدِ اللَّهِ وَقَوْلَهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأَنْزَلَ عَنْ جِدْعِهِ فَأُلْقِيَ فِي قُبُورِ الْيَهُودِ ، ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ فَأَبَتْ أَنْ تُاتِيَهُ ، فَأَعَادَ عَلَيْهَا الرَّسُولَ لَتَأْتِيَنِّي أَوْ لأُبْعَثَنَّ إِلَيْكَ مَنْ يَسْحَبُكَ بِقُرُونِكَ - أي يحرك بضفائر شعرك - قَالَتْ وَأَقَاتْ : وَاللَّهِ لَا أُتِيكَ حَتَّى تَبْعَثَ إِلَيَّ مَنْ يَسْحَبُنِي بِقُرُونِي قَالَ: فَقَالَ: أُرْوِنِي سِبْيَتِي فَأَخَذَ نَعْلَيْهِ ثُمَّ اِنْطَلَقَ يَتَوَدَّفُ - أي يسرع أو يتبختر - حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا فَقَالَ: كَيْفَ رَأَيْتَنِي صَنَعْتَ بِعْدُوِّ اللَّهِ؟ قَالَتْ: رَأَيْتَكَ أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ ، بَلَّغْنِي أَنَّكَ تَقُولُ لَهُ: يَا ابْنَ ذَاتِ النَّطَاقَيْنِ: أَنَا وَاللَّهُ ذَاتُ النُّطَاقَيْنِ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكُنْتُ أَرْفَعُ بِهِ طَعَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَطَعَامَ أَبِي بَكْرٍ مِنَ الدَّوَابِّ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فِنَطَاقُ الْمَرْأَةِ الَّتِي لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ ، أَمَّا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُسِيرًا - أي المهلك الذي يسرف في إهلاك الناس - فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ ، وَأَمَّا الْمُسِيرُ فَلَا إِحْثَالَكَ - أي أضلوك - إِلَّا أَيَّاهُ قَالَ: فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يُرَاجَعْهَا^(١).

الله أكبر ! لم يمنع أسماء بطش الحجاج من أن تعلن كلمة الحق أمامه ، إنها قمة عظمى صعدت لها المرأة المسلمة ، ولم يكن ذلك تصادفاً أو فلتة عابرة ، بل من منطلق واضح: مساواة الاسلام بين الرجل والمرأة في التكليف ، والتعبير عن النفس .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٥٤٥ .

اللقاء الإيمانى الثامن والأربعون :

مظاهر حفظ الله لهذا الدين <١>

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتى في الله ، لقد تعهد الله بحفظ دينه ونشره ونصره ، وأنتم تعلمون أنه لا يخلف الميعاد ، وكان تعهده بحفظه بارزاً في عدة مظاهر:

المظهر الأول منها: حفظ الكتاب الذي أنزله ، فالكتب السابقة ، إنما كان يستحفظها أهلها ، فيحفظها الأحرار والرهبان ، وهذا الكتاب تولى الله حفظه بنفسه ؛ ولذلك قال الله في ذكر التوراة: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة: ٤٤] ، وقال في القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] ، وقال فيه: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] ، وقال فيه: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُ لَفِي زُبْرِ الْأَوَّلِينَ (١٩٦)﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٦] ، فتولى الله حفظه بنفسه ، فهذا القرآن المحفوظ في الصدور ، المتلو بالألسنة ، المكتوب في المصاحف ، مادام موجوداً على الأرض ، فذلك معناه استمرار هذا الدين وحفظ له ، ولا يمكن أن يعتدى على هذا الدين ، ولا أن ينقص منه شيء ، مادام هذا القرآن قائماً في الأرض حجةً على أهلها ، وقد تحدى الله به الثقلين - الإنس والجن - أن يأتوا بسورةٍ من مثله ، وقد حاول ذلك بعض البلهاء فما وصلوا إلى نتيجة ، جاء مسيلمة الكذاب وهو من فصحاء بني حنيفة ، فحاول أن يحاكي سورة من القرآن ، فما جاء إلا بالمضحكات التي يعجب منها العقلاء ، سمع سورة الفيل وهي غاية في البلاغة والإيجاز ، فلم يأت إلا بقوله: الفيل وما الفيل ، وما أدراك ما الفيل ، ذنبه قصير ، وخرطومه طويل !! ، وهذا كلام سمج ، ، وكذلك عندما سمع قول الله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسَّصَاتِ أَمْرًا (٤)﴾ [الذاريات: ١-٤] ، حاول مسيلمة أن يأتي بشيء يقابل هذا فقال: والطاحنات طحناً ، والعاجنات عجنناً !! فلم يأت بشيء يستحق أن يسمع (٤٤) .

على درب التوحيد (بيان حكم من جحد شيئاً من الأسماء والصفات)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

إخوتي في الله ، لَمَّا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَكَّةَ ، وَكَانَ يَصَلِّي وَيَدْعُو فِي سُجُودِهِ: "يَا اللَّهُ ، يَا رَحْمَن" ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لَمَّا سَمِعُوهُ: انظروا إلى هذا يزعم أنه يعبد رباً واحداً وهو يدعو ربين: الله والرحمن ، قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الإسراء: ١١٠] .

وبين سبحانه أن أسماءه كثيرة ، وتعدّد الأسماء لا يدلّ على تعدّد المسمّى ، بل تعدّد الأسماء يدلّ على عظمة المسمّى ، والله جل وعلا له أسماء كثيرة .

قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠) ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

أي توسّلوا إليه بها في دعائكم ، كأن تقول: يا رحمن ارحمني ، يا غفور اغفر لي ، يا تواب توب عليّ ، يا رازق ارزقني وهكذا ، واتركوا الذين يُغيّرون في أسمائه بالزيادة أو النقصان أو التحريف ، كأن يُسمّى بها من لا يستحقّها ، كتسمية المشركين بها آلهتهم ، أو أن يجعل لها معنى لم يرده الله ولا رسوله ، فسوف يجزون جزاء أعمالهم السيئة التي كانوا يعملونها في الدنيا من الكفر بالله ، والإلحاد في أسمائه وتكذيب رسوله .

وقال تعالى في آخر سورة الحشر: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) ﴾ [الحشر: ٢٣ ، ٢٤] ، فالله له أسماء كثيرة ، كلّها حسنى أي تامّة عظيمة ، تشتمل على معانٍ جليلة .

وأخرج الشيخان في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَسْعَةٌ وَتَسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

والإيمان بأسماء الله وصفاته هو مذهب أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين، وأتباعهم إلى يوم القيامة، فأهل السنة والجماعة يؤمنون بأسماء الله وصفاته التي سمى الله تعالى بها نفسه، أو سمّاها بها رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، يؤمنون بها، ويثبتون معانيها وما تدلّ عليه، ولكن كيفيتها لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

فالتحريف: تغيير معنى الصفة إلى معنى آخر لم يردده الله تعالى ورسوله، والتعطيل: نفي الصفات كلها أو بعضها عن الله عز وجل، والتكييف: الإخبار عن حال الشيء وكيفيته وصفات الله لا يعلم كيفيتها إلا هو سبحانه، والتمثيل: إثبات مثل للشيء، كأن يقول: إن صفات الله مثل صفات المخلوقين.

وإنكار الأسماء والصفات كفر لقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد ٣٠]، أي: ينكرون هذا الاسم الكريم، ويحذونه. ويوضح ذلك سبب نزول الآية، وهو: أَنَّ كُفَارَ قَرِيشٍ لَمَّا سَمِعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ، قَالُوا: وَمَا الرَّحْمَنُ؟، لا نعرف الرحمن إلا الرحمن اليمامة. يَغنُون: مسيلمة الكذاب، وذلك عندما صالح النبي ﷺ المشركين في الحديبية، وأراد أن يكتب الصلح.

ولكنه كفر فيه تفصيل: قد يكون كفراً أكبر مخرج من الملة، وقد يكون كفراً أصغر لا يخرج من الملة لكنه ضلال، وهذا بحسب حال النافي للأسماء والصفات: هل هو متأول أو غير متأول؟.

والذي يحجد الأسماء والصفات قد تنقص الربوبية، وأول من جحد الأسماء والصفات هم المشركون، فيكونون أئمة للجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوهم، وبئس الأئمة والقُدوة، نسأل الله العافية والسلامة (٦).

مشاهد من الدار الآخرة (صفة أهل الجنة)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك

(١) (صحيح) أخرجه (بخ) ٢٥٨٥، و(م) ٢٦٧٧.

له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « خَلَقَ اللَّهُ ﷻ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُونَ ذِرَاعًا ، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ : اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أَوْلَئِكَ النَّفَرِ وَهُمْ نَفَرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ فَاسْتَمِعَ مَا يُحْيِيُونَكَ فَإِنَّهَا نَحْيَتُكَ وَنَحْيَةُ ذُرِّيَّتِكَ قَالَ : فَذَهَبَ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، فَقَالُوا : السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ قَالَ : فَرَأَوْهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ قَالَ : فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ ، وَطُولُهُ سِتُونَ ذِرَاعًا ، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَهُ حَتَّى الْآنَ » ^(١) .

وجاء في مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا - عُدِي شَعْرَ الْوَجْهِ - مُكْحَلِينَ أَبْنَاءَ ثَلَاثِينَ أَوْ ثَلَاثِينَ سَنَةً » ^(٢) .

عباد الله ، أهل الجنة لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشية وأن أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعاً ، فهم على خلق رجل واحد يعنى تساويهم في الطول والعرض والسن ، وإن تفاوتوا في الحسن وهم أبناء ثلاثة وثلاثون عاماً ، جرد مرد كأنهم مكحولون ، وفي هذا الطول والعرض والسن من الحكمة ما لا يخفى ، فإنه أبلغ وأكمل في استيفاء اللذات ، لأنه أكمل سن القوة ، بحيث يصل في اليوم الواحد إلى مئة عذراء ، ولقد وصف الله سبحانه وتعالى نساءهم بأنهن أتراب أي في سن واحد ليس فيهن العجائز (١٦) .

قال تعالى عن نساء أهل الجنة : ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) غُرْبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨) ﴾ [الواقعة : ٣٥-٣٨] .

فنساء أهل الجنة متحبيات إلى أزواجهن ، في سن واحد ليس فيهن العجائز .
وروى مسلم في صحيحه عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا ، وَيَشْرَبُونَ ، وَلَا يَتَغَلَّبُونَ ، وَلَا يَبُولُونَ ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ قَالُوا : فَمَا بَالُ الطَّعَامِ ؟ قَالَ : جُشَاءٌ ، وَرَشْحٌ كَرَشِحِ الْمُسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٥٨٧٣ و (م) ٢٨٤١ واللفظ لمسلم .

(٢) (صحيح) أخرجه (حم ت) وصححه الألباني في ص ج ٨٠٧٢ .

تُلْهِمُونَ النَّفْسَ»^(١).

وأهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ، يتنعمون بذلك وبغيره من ملاذها وأنواع نعيمها تنعماً دائماً لا آخر له ولا انقطاع أبداً ، وإن تنعمهم بذلك على هيئة تنعم أهل الدنيا إلا ما بينهما من التفاضل في اللذة والنفاسة التي لا تشارك نعيم الدنيا إلا في التسمية وأصل الهيئة وإلا في أنهم لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبصقون ، وقد دلت دلائل القرآن والسنة في هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره أن نعيم الجنة دائم لا انقطاع له أبداً ، ولا يتفلون بكسر الفاء وضمها حكاهما الجوهرى وغيره أي لا يبصقون (١٦) .

سيف الله المسلول (خالد بن الوليد رضي الله عنه) <١>

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله ، نحن اليوم مع القائد الشجاع المغوار ، قائد المجاهدين والعبقريّة العسكرية . إنه سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه أبو سليمان القرشي المخزومي المكي ، وابن أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث .

هاجر مسلماً في صفر سنة ثمان ، ثم سار غازياً ، فشهد غزوة مؤتة ، وسماه النبي ﷺ ، سيف الله ، وشهد الفتح وحنينا ، وحارب أهل الردة ، ومسيلمة ، وغزا العراق ، وشهد حروب الشام ، ولم يبق في جسده قيد شبر إلا وعليه طابع الشهداء ، عاش ستين سنة ، ومات على فراشه ، فلا قرت أعين الجبناء ، توفي بحمص سنة إحدى وعشرين (٢٤) .

إسلام خالد بن الوليد رضي الله عنه:

جاء في مسند الإمام أحمد عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: خَرَجْتُ عَامِداً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَأُسْلِمَ فَلَقِيْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَذَلِكَ قَبِيلَ الْفَتْحِ وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ فَقُلْتُ: أَيْنَ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَقَامَ الْمَسِيْمُ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَنَبِيٌّ

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٨٣٥ .

أَذْهَبُ وَاللَّهِ أُسْلِمَ فَحَتَّى مَتَى قَالَ: قُلْتُ: وَاللَّهِ مَا جِئْتُ إِلَّا لِأُسْلِمَ قَالَ: فَقَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَدِمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَأَسْلَمَ وَبَايَعَ ثُمَّ دَنَوْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَبَايَعُكَ عَلَى أَنْ تَغْفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي وَلَا أَذْكَرُ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا عَمْرُو بَايِعْ؛ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَجِبُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنَّ الْهَجْرَةَ تَجِبُ مَا كَانَ قَبْلَهَا قَالَ فَبَايَعْتُهُ ثُمَّ انْصَرَفْتُ^(١).

هذه كلمة مهمة جداً، يقول خالد بن الوليد: الحق استبان فحتى متى لا نتدارك أمرنا الآن ونُسَلِّم، فقلت: والله ما جئت إلا لأسلم، فقدمنا على النبي ﷺ وأسلمنا، وهكذا فقد يسمع بعض الشباب التائبين الحق في دولة ليست مسلمة، وهو في بلاد الإسلام ضال، فيذهب إلى أمريكا مثلاً فيسمع كلمة الحق هناك ويهديه الله، ويرجع مهتدياً من هناك بعد أن كان ضالاً هنا، وهذا عمرو بن العاص ذهب فسمع من النجاشي، ورجع متأثراً. (٤٧).

خالد بن الوليد رضي الله عنه وبراعته في غزوة مؤتة:

جاء في سيرة بن هشام عن ابن إسحاق عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْثَةً إِلَى مُؤْتَةَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ثَمَانَ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، وَقَالَ: إِنْ أَصِيبَ زَيْدٌ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى النَّاسِ. فَإِنْ أَصِيبَ جَعْفَرُ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ عَلَى النَّاسِ...، فَلَمَّا قَتَلَ الثَّلَاثَةَ قَوَادٍ - فَاصْطَلَحَ النَّاسُ عَلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، فَلَمَّا أَخَذَ الرَّايَةَ دَافَعَ الْقَوْمَ. وَحَاشَى بِهِمْ ثُمَّ انْحَازَ وَانْحِيزَ عَنْهُ حَتَّى انْصَرَفَ بِالنَّاسِ (٢٥).

وقال الواقدي في المغازي: فَأَخَذَهُ خَالِدٌ فَأَنْكَشَفَ بِالنَّاسِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَاً، وَقَدْ جَعَلَ مُقَدِّمَتَهُ سَاقَتَهُ وَسَاقَتَهُ مُقَدِّمَتَهُ وَمِيمَتَهُ مِيسِرَتَهُ وَمِيسِرَتَهُ مِيمَتَهُ فَأَنْكَرُوا مَا كَانُوا يَعْرِفُونَ مِنْ رَايَاتِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ وَقَالُوا: قَدْ جَاءَهُمْ مَدَدٌ فَرُعِبُوا فَأَنْكَشَفُوا مِنْهُمْ مِيمَتَهُمْ فَقَتَلُوا مَقْتَلَهُ لَمْ يَقْتُلْهَا قَوْمٌ (٣٧).

وروى البخاري في صحيحه عن قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ يَقُولُ: لَقَدْ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيحَةٌ

(١) (حسن) أخرجه (حم) ١٧٨١٢ وقال شعيب الأرناؤوط إسناده حسن ويصلح في الشواهد والمتابعات.

يَمَانِيَّةٌ^(١) .

أخى في الله ، لقد حمل خالدُ الراية ، وما معه إلا بقية ثلاثة آلاف ، ويحيط به من العدو مئتا ألف ، فأتى بأعجوبة بفضل الله ومَنِّه ، واستطاع أن ينسحب من وسط هذا اللهب من غير أن يحترق ، لقد عمل خطةً أنقذ بها الجيش من الإبادة ، فشهد قادة الأعداء قبل الأصدقاء أن تاريخ الحروب لم يسجل مثلها ؛ إذ كان يقاتل وهو يريد الفرار بالجيش من هذا المأزق بدون أن يشعر العدو .

مَسِيرُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ لِهَدْمِ الْعُزَّى:

كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ لِعَشْرِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانَ ، بَعْدَهَا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، إِلَى الْعُزَّى ، وَكَانَتْ بِنَحْلَةٍ وَكَانَتْ بَيْتًا يُعْظَمُهُ هَذَا الْحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةٍ وَمُضَرَ كُلِّهَا ، وَكَانَتْ سَدَنَّتُهَا وَحُجَابُهَا بَنِي شَيْبَانَ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ حُلَفَاءَ بَنِي هَاشِمٍ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهَا خَالِدٌ هَدَمَهَا (٢٥) .

خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حرب الردة:

وجه أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خالد بن الوليد بعد فشل عكرمة بن أبي جهل وشرحبيل بن حسنة في القضاء على المرتدين في اليمامة إلى مسيلمة وأوعب معه الناس وعلى الأنصار ثابت بن قيس والبراء بن فلان وعلى المهاجرين أبو حذيفة وزيد وعلى القبائل على كل قبيلة رجل ، فقال خالد: أيها الناس امتازوا لنعلم بلاء كل حي ولنعلم من أين نؤتى ، فامتاز أهل القرى والبوادي وامتازت القبائل من أهل البادية وأهل الحاضر ، فوقف بنو كل أب على رأيهم فقاتلوا جميعا ، فقال أهل البوادي يومئذ: الآن يستحر القتل في الأجدع الأضعف فاستحرق القتل في أهل القرى وثبت مسيلمة ودارت رحاهم عليه ويأتي وحشي على مسيلمة وهو مزبد متساند لا يعقل من الغيظ فخرط عليه حربته فقتله ، وانتصر ثلاثة عشر ألف مسلم على بني حنيفة وقالوا: كان عدد بني حنيفة يومئذ أربعين ألف مقاتل ، وقد قتل من المهاجرين والأنصار من أهل قصبه المدينة يومئذ ثلثمائة وستون (١٢) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (نخ) ٤٠١٧ .

اللقاء الإيمانى التاسع والأربعون :

(مظاهر حفظ الله لهذا الدين <٢>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتى في الله ، ما زلنا في حفظ الله تعالى لكتابه العزيز ، والمتأخرون من أعداء الله تعالى ساءهم وجود هذا القرآن واستمراره ، فعندما اجتمعت الحكومة الإنجليزية في سالف الزمان ؛ لتنفيذ مؤامرة على المسلمين ، قام فيهم خطيبهم ، وحمل نسخة من المصحف الشريف ، وقال: ما دام هذا الكتاب موجوداً بأيدي المسلمين ، فلن تصلوا منهم إلى مرادكم أ.هـ .

فلذلك يبقى هذا الكتاب حافظاً لهذا الدين ؛ لأن المستقبل له ، فالمسلم إذا وجد ضيقاً ، وتكالت عليه الأمم يجد الفرج في كتاب الله ، وإذا وجد مرضاً وألماً يجد الفرج في كتاب الله ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] ، إذا جهل حكماً أو جهل خلقاً فيجد الجواب في كتاب الله ، فيه حل لكل المشكلات ؛ ولذلك لا يمكن أن يحس بالعربة من رفيقه القرآن ، ولا يمكن أن يحس بالعراء من يعيش في ظلال القرآن ، فلا بد أن تستذكر هذه الأمة ، وأن تستحضر هذه المعونة التي مجدها الله بها ، ببقاء كتاب الله بين أظهرها ، وهو تسلية عن كل ما يحصل ، فكلما جاءت ضائقة ، أو احتج المشركون بشبهة ؛ ففي القرآن ما يفرج ذلك ، اقرءوا إن شئتم قول الله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا (١٠٦) قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كَانُوا وَعَدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩)﴾ [الإسراء: ١٠٦-١٠٩] ، وكذلك اقرءوا قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣)﴾ [الفرقان: ٣٢-٣٣] .

إذا اشتكى الناس هزيمة من الهزائم ، لجأوا إلى القرآن ، فوجدوا فيه قصص السابقين وما نالوا من الأذى والضيق ، فعلموا حينها أن حالهم سيتسع ، إذا قرءوا

في وقت ضيق وشدة قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١١٠) ﴿يوسف: ١١٠﴾، عرفوا أن ما هم فيه إنما هو حلقة من حلقات سلسلة التاريخ، وسنة من امتحانات الله التي يمتحن بها العباد، وأنه كلما جاء العسر فمعه يسر إنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) ﴿الشرح: ٥-٦﴾، وإذا جاء الضيق وصبروا، فإن النصر مع الصبر، وإذا جاء الكرب فإن الفرج مع الكرب، وبهذا يتقوى المسلم قوة ليس لها حدود (٤٤).

* * *

على درب التوحيد (كفران نعمة الله)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنْجِياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد . .

قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣].

إخوتي في الله، يقول العلماء: أركان الشكر ثلاثة لا يصح الشكر إلا بها:

الركن الأول: التحدث بها ظاهراً، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (١١) ﴿الضحى: ١١﴾.

الركن الثاني: الاعتراف بها باطناً، أي تعترف في قرارة نفسك أنها من الله سبحانه وتعالى، فيكون قلبك موافقاً للسانك من الاعتراف بأنها من الله .

الركن الثالث: وأن تستعين بها على طاعة الله، فإن استعنت بها على معصية الله فإنك لا تكون شاكرًا لها .

قال مجاهد: يقول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي، فلا ينسب حصول المال إلى الله سبحانه وتعالى، وإنما ينسبه إلى آبائه وأجداده .

وكذلك إذا نسبته إلى كده وكسبه وحذقه ومعرفته، فإن هذا جُحود لنعمة الله، لأن المال فضلٌ من الله سبحانه وتعالى، وأما هذه فهي أسبابٌ إن شاء الله نفعت وإن شاء لم تنفع . وقال أبو العباس رحمه الله: يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به فكل من أضاف نعم الله إلى غيره فقد كفر نعمة الله، وأشرك به،

وهذا الشرك وكفر النعمة ليس من الكفر والشرك المخرج من الملة ، إذا كان الإنسان يعتقد أنّ إضافة النعمة إلى الشيء من إضافة المسبب إلى سببه ، وإنّما المنعم هو الله فهذا كفر أصغر ، أما إذا اعتقد أنّ النعم من إحداث المخلوق ومن صنع المخلوق ، فإنّ هذا كفر يُخرج من الملة (٦) .

مشاهد من الدار الآخرة (أول طعام أهل الجنة)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبي الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أخرج مسلم في صحيحه عن ثوبان رضي الله عنه قال: كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ ، فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا ، فَقَالَ: لِمَ تَدْفَعُنِي؟ فَقُلْتُ: أَلَا تَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي» ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟» قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنِي ، فَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعُودٍ مَعَهُ ، فَقَالَ: سَلْ ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ؟ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ» ، قَالَ: مَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً؟ قَالَ: «فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ» ، قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَمَا تُحَفَّتُهُمْ - أي ما يهدي إلى الرجل - حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «زِيَادَةُ كِبِدِ النَّوْنِ - أي الحوت - قَالَ: فَمَا غَدَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟ قَالَ: يُنَحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا» ، قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا» ، قَالَ: صَدَقْتَ ، . . . قَالَ الْيَهُودِيُّ: لَقَدْ صَدَقْتَ وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَذَهَبَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ سَأَلَنِي هَذَا عَنِ الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهُ وَمَا لِي عِلْمٌ بِشَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى أَتَانِي اللَّهُ بِهِ» ^(١) .

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٣١٥ .

سيف الله المسلول (خالد بن الوليد رضي الله عنه) <٢>

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .
أيها الأحبة في الله ، ما زلنا مع السيرة العطرة للقائد المغوار ، العبقريّة العسكرية سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه فهي بنا .

مواقف خالد رضي الله عنه التاريخية في معارك العراق:

جاء في (تاريخ الرسل والملوك) للإمام الطبري : بعد الإنهاء من معركة اليمامة إن أبا بكر أمر خالدًا في كتابه إذا دخل العراق أن يبدأ بفرج أهل السند والهند وهو يومئذ الإبله ليوم قد سماه ثم حشر من بينه وبين العراق فحشر ثمانية آلاف من ربيعة ومضر إلى ألفين كانا معه فقدم في عشرة آلاف على ثمانية آلاف ممن كان مع الأمراء الأربعة يعني بالأمراء الأربعة المثني ومذعورا وسلمى وحرمله . فلقي هرمزًا في ثمانية عشر ألفا وكتب خالد إلى هرمز: أما بعد فأسلم تسلم أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة وأقرر بالجزية وإلا فلا تلومن إلا نفسك فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة ، وقالوا: وأرسل هرمز أصحابه بالغد ليغدروا بخالد فواطؤوه على ذلك ثم خرج هرمز فنادى رجل ورجل أين خالد؟ وقد عهد إلى فرسانه عهدًا فلما نزل خالد نزل هرمز ودعاه إلى النزال ، فنزل خالد فمشى إليه فالتقيا فاختلفا ضربتين ، واحتضنه خالد وحملت حامية هرمز وغدرت فاستحملوا- أي منعوا- خالدًا فما شغله ذلك عن قتله ، وحمل القعقاع بن عمرو حمّة هرمز فهزمهم ، وركب المسلمون أكتافهم إلى الليل - أي يقاتلونهم ويبيدونهم - وجمع خالد الرثا - أي المتاع - وفيها السلاسل - حيث كان جيش الفرس مقيدًا بالسلاسل كل مجموعة معا منعًا للفرار فكانت وبالا عليهم - فكانت وقر بغير ألف رطل فسميت ذات السلاسل (١٢) .

ولو حاولنا سرد الانتصارات التي أحرزها جيش المسلمين على الفرس لما استطعنا في هذا المقام ويكفي القول: إن الفرس كان يملكهم الرعب والخوف إذا سمعوا بقدوم جيش المسلمين بقيادة خالد فيفرون ويتركون مدينتهم فيدخل المسلمون بدون مقاومة ، وحدث ذلك في مدينة أمغشيا بعد أن فر أهلها منها

وتركوا وراءهم كل شيء ، ثم جاء أمر الصديق بأن ينتقل خالد لقتال الروم في الشام فترك المثنى بن الحارثة على رأس الجيش في العراق .
خالد بن الوليد رضي الله عنه يوم اليرموك:

قال الإمام الطبري في (تاريخ الرسل والملوك) : لما نزل المسلمون اليرموك كان المشركون أربعين ومائتي ألف ، منهم ثمانون ألف مقيد وأربعون ألفا منهم مسلسل للموت وأربعون ألفا مربطون بالعمائم وثمانون ألف فارس وثمانون ألف راجل ، والمسلمون سبعة وعشرون ألفا ممن كان مقيما وقدم عليهم خالد في تسعة آلاف فصاروا ستة وثلاثين ألفا ، ومرض أبو بكر رحمه الله في جمادى الأولى وتوفى للنصف من جمادى الآخرة قبل الفتح بعشر ليال خبر اليرموك ، فأمر خالد عكرمة والقعقاع وكانا على مجنبي القلب فانشبا القتال ، وخرج جرجة حتى كان بين الصفين ونادى ليخرج إلى خالد فخرج إليه خالد وأقام أبا عبيدة مكانه فوافقه بين الصفين حتى اختلفت أعناق دابتيهما وقد أمن أحدهما صاحبه .

فقال جرجة: يا خالد أصدقني ولا تكذبي ، فإن الحر لا يكذب ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله ، هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاكه فلا تسله على قوم إلا هزمتهم ؟
قال: لا .

قال . فبم سميت سيف الله؟

قال: إن الله ﻋَﻠَﻤَ بعث فينا نبيه فدعانا فنفرنا عنه ونأينا عنه جميعا ، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه وبعضنا باعده وكذبه ، فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتله ، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به فتابعناه فقال: أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين ، ودعا لي بالنصر فسميت سيف الله بذلك فأنا من أشد المسلمين على المشركين .

قال: صدقتني ثم أعاد عليه جرجة يا خالد ، أخبرني إلام تدعوني؟

قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله والاقرار بما جاء به من عند الله .

قال: فمن لم يجيبكم؟

قال: فالجزية ، ومنعهم - أي ندافع عنكم -

قال: فإن لم يعطها؟

قال: نوذنه بحرب ، ثم نقاتله .

قال: فما منزلة الذي يدخل فيكم ويحييكم إلى هذا الامر اليوم؟

قال: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا شريفنا ووضعنا وأولنا وآخرنا .

ثم أعاد عليه جرجة: هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل مالكم من الأجر والذخر؟

قال: نعم وأفضل .

قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟

قال: إنا دخلنا في هذا الامر وبايعنا نبينا وهو حى بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ، ويخبرنا بالكتب ويرينا الآيات وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع ، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج فمن دخل في هذا الامر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا .

قال جرجة: بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ولم تألفني؟

قال: بالله لقد صدقتك وما بى إليك وإلى أحد منكم وحشة ، وإن الله لولى ما سألت عنه .

فقال: صدقتني وقلب الترس ومال مع خالد وقال: علمني الإسلام فمال به خالد إلى فسطاطه فشن عليه قربة من ماء ثم صلى ركعتين وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد ، وهم يرون أنها منه حملة ، فأزالوا المسلمين عن مواقعهم إلا المحامية عليهم عكرمة والحارث بن هشام وركب خالد ومعه جرجة والروم خلال المسلمين ، فتنادى الناس فثابوا وتراجعت الروم إلى مواقعهم فزحف بهم خالد حتى تصافحوا بالسيوف فضرب فيهم خالد وجرجة من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب ثم أصيب جرجة ولم يصل صلاة سجد فيها إلا الركعتين اللتين أسلم عليهما وصلى الناس الأولى والعصر إيماء وتضعض الروم - وانتصر المسلمون انتصارا عظيما على الروم - ، وأثناء معركة اليرموك إذ قدم البريد من المدينة بموت أبي بكر رحمه الله وتولي عمر بن الخطاب الخلافة ، وتأمر أبي عبيدة فأخفي الأمر عن الجيش حين تنتهي المعركة .

ويقول الإمام الطبري أيضاً ، عن عدي بن سهيل قال: كتب عمر إلى الأمصار إنني لم أعزل خالداً عن سخطه ولا خيانة ولكن الناس فُتِنُوا به فخفت أن ياكلوا إليه ويبتلوا به فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع وأن لا يكونوا بعرض فتنة (١٢) .

وما جرجة الروماني الذي كان أحد قادة جيوش الروم في معركة اليرموك إلا امتداداً للتحول الكبير الذي يحدثه الإسلام ، فتحول ليقاوم مع جيوش المسلمين واستشهد في تلك الغزوة فكان من التابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، وكان من القلائل الذي استشهدوا ولم يسجدوا لله سجدة واحدة .

وفي العصر الحديث كثير ممن أسلموا وحسن إسلامهم فنبد كل الأفكار والقيم والمعتقدات البالية ، نعم إنه الإسلام ، هذا الدواء الناجع الذي أرسله الله لنا شفاء لما في النفوس ، وتصحيحاً لما في العقول من مفاهيم .

نعم لقد تسلل الإسلام إلى قلوب الكثيرين في الماضي والحاضر ، فجعل منهم أنموذجاً حياً وواضحاً لأثره وتأثيره في التغيير ، فنقلهم من ذل المعصية إلى عز الطاعة ، ومن حدود الدنيا إلى حدود الخلود ، ومن قسوة القلب إلى قلب مملوء بالحب والرحمة والخشية فكانوا بذلك خير مثال لخير دين (٥٨) .

وفاة خالد بن الوليد رضي الله عنه:

قال الإمام الذهبي في (سير أعلام النبلاء) : قال محمد بن عبد الله بن نمير ، وإبراهيم بن المنذر ، وأبو عبيد: مات خالد بحمص سنة إحدى وعشرين .

وقال الإمام الذهبي أيضاً : عن أبي الزناد: إن خالد بن الوليد رضي الله عنه لما احتضر بكى وقال: لقيت كذا وكذا زحفاً ، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف ، أورمية بسهم ، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت العير - أي الحمار - فلا نامت أعين الجبناء - أي يفرح الجبناء بموتي - ، إن الإيمان بالقضاء والقدر ، يؤتي الإنسان شجاعة في الحق ، ويجعله لا يخاف (٢٤) .

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

اللقاء الإيمانى الخمسون :

(مظاهر حفظ الله لهذا الدين <٢>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتى في الله ، من مظاهر حفظ الله لهذا الدين ، وجود المجدين على رأس كل مائة سنة ، من مظاهر بقاء هذا الدين واستمراره: أن الله سبحانه وتعالى وعد النبي ﷺ بأن يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها ، وهؤلاء المجددون الذين يجددون أمر الدين ما فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم ، ولا ابتعثوا من قبل دولة ولا سلطة ، إنما ابتعثهم الملك الديان ؛ لتجديد أمر الدين ، وفاءً بوعده لرسوله الكريم ﷺ ، فهم يجددون ما جهله الناس من أمر الدين .

أخرج أبو داود في السنن وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُهَا دِينَهَا» (١) .

وهذا المجدد ليس ممن همه نفسه فحسب ، بل همه هم الأمة ، فيعيش لهذه الأمة ، ليقود خطوات الأمة الإسلامية في معركة الحياة ، فهو بهذا يجدد للأمة الإسلامية بربطها بالمنهج الصحيح ، وهو يجدد للبشرية المتلهفة للعدالة والإيمان المحتاجة إلى العقيدة أكثر من حاجتها للطعام والشراب (٤٤) .

كما أن المجدد قد يعيش ويموت ولا يعرف أنه كان يجدد هذه المائة ، بل يستنبط ذلك عند الوقوف على دراسة أحوال هذا القرن ومن قاموا بإسهامات فعالة في هداية الناس إلى طريق النبوة ، وهذا معروف كما أن المهدي - الذي يكون آخر المجدين - يعيش ولا يعرف نفسه ، حتى يعرفه أهل العلم بوصفه ويبايعونه بن الركن والمقام كما هو معلوم .

والمجدد يبعثه الله ليعيد الأمة لكتاب الله وسنة رسول الله ، وليس من المعقول أن يكون المجدد بدعياً من الفرق البدعية المخالفة للكتاب والسنة فلا يعقل أن يكون المجدد مبتدعاً رافضياً أو خارجياً مثلاً . بل إن هناك من ادعى أن "كمال أتاتورك"

(١) (صحيح) أخرجه (د ك هـ في المعرفة) وصححه الألباني في ص ج ١٨٧٤ .

مجدد الأمة في العصر الحديث ، وهكذا ستجد مثل هذا التخبط بسبب عدم الالتزام بالشروط والمؤهلات والصفات التي ينبغي أن تتوافر في "المجدد (٤٦) .

على درب التوحيد (فلا تجعلوا لله أندادا)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

قال تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢] .

إخوتي في الله ، الأنداد في الآية هو الشرك ، وهو أخفى من ديب النمل على صفة سوداء في ظلمة الليل ، وهو أن تقول: والله ، وحياتك يا فلانة ، وحياتي ، وتقول: لولا كلبية هذا لأتانا اللصوص ، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه ، لولا الله وفلان ، هذا كله به شرك . رواه ابن أبي حاتم .

وروى الإمام أحمد في مسنده والترمذي في السنن والحاكم في المستدرک عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: لَا وَالْكَعْبَةِ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: لَا يُحْلَفُ بِغَيْرِ اللَّهِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ ^(١) .

وأخرج الطبراني في المعجم الكبير موقوفاً عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً ^(٢) .

ومن المعلوم أن الحلف بالله كاذباً كبيرة من الكبائر لكن الشرك أكبر الكبائر ، وإن كان شركاً أصغراً كما تقدم بيان ذلك ، فإذا كان هذا حال الشرك الأصغر فكيف بالشرك الأكبر الموجب للخلود في النار؟ كدعوة غير الله والاستغاثة به ، والرغبة إليه ، وإنزال حوائجه به ، كما هو حال الأكثر من هذه الأمة في هذه الزمان: من تعظيم القبور ، واتخاذها أوثاناً ، والبناء عليها ، واتخاذها مساجد ، وبناء المشاهد باسم الميت لعبادة من بنيت باسمه وتعظيمه ، والإقبال عليه بالقلوب

(١) (صحيح) أخرجه (ت ح ك) وصححه الألباني في ص ج ٦٢٠٤ .

(٢) (صحيح موقوف) أخرجه (طب) وصححه الألباني في ص ٢٩٥٣ .

والأقوال والأعمال وقد عظمت البلوى بهذا الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ، وتركوا ما دل عليه القرآن العظيم من النهي عن هذا الشرك وما يوصل إليه ، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] .

وجاء في مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود وسنن النسائي عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ» ^(١) .

فتسوية المخلوق بالخالق شرك ، قال تعالى: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٩٧) إِذْ نَسَوْنَكُمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٩٨)﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨] .

مشاهد من الدار الآخرة (ربح الجنة)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد ...

عباد الله ، لقد أشهد الله سبحانه وتعالى عباده في دار الدنيا آثاراً من آثار الجنة من الرائحة الطيبة واللذات المشتهية والمناظر البهية والفاكهة الحسنة والسرور وقرة العين ، روى مسلم في صحيحه عَنْ ثَابِتٍ قَالَ: قَالَ أَنَسُ رضي الله عنه: عَمِّي الَّذِي سُمِّيتُ بِهِ لَمْ يَشْهَدْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَدْرًا قَالَ: فَشَقَّ عَلَيْهِ قَالَ: أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَيْبَتُ عَنْهُ ، وَإِنْ أَرَانِي اللَّهُ مَشْهَدًا فِيمَا بَعْدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيرَانِي اللَّهُ مَا أَصْنَعُ - أي ليرى الله ما أصنع - ، قَالَ: فَهَابَ أَنْ يَقُولَ غَيْرَهَا - أي أنه اقتصر على هذه اللفظة المبهمة وهي قوله ليراني الله ما أصنع مخافة أن يعاهد الله على غيرها فيعجز عنه - قَالَ: فَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ قَالَ: فَاسْتَقْبَلَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ لَهُ أَنَسٌ: يَا أَبَا عَمْرٍو أَيْنَ؟ فَقَالَ: وَاهَاً - أي كلمة تلهف - لِرَبِحِ الْجَنَّةِ أَجِدُهُ دُونَ أُحُدٍ - أي محمول على ظاهره وأن الله تعالى أوجده ربحها من موضع المعركة - ، قَالَ: فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ قَالَ: فَوُجِدَ فِي جَسَدِهِ بَضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ وَطَعْنَةٍ وَرَمِيَةٍ قَالَ: فَقَالَتْ أُخْتُهُ عَمَّتِي الرَّبِيعُ بِنْتُ النَّضْرِ: فَمَا عَرَفْتُ

(١) (صحيح) أخرجه (حم د ن) وصححه الألباني في ص. ج ٧٤٠٦ .

أُخِي إِلَّا بِنَانِهِ وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ قَالَ: فَكَانُوا يُرَوْنَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ ^(١).

وثبت في السنة الصحيحة أن رسول الله ﷺ أخبر بأن هناك أصنافاً من الناس لا تشم رائحة الجنة نذكر منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر من قتل معاهداً ، ومن ادعى لغير أبيه ، والمرأة التي تسأل زوجها الطلاق من غير بأس ، ومن يخضب شعره بالسواد ، ومن يسترعيه الله رعية ويموت وهو غاش لرعيته ، وقوم معهم أسواط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة .

أسد الله ، وسيد الشهداء

(حمزة بن عبد المطلب ﷺ)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﷺ ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .
أيها الأحبة في الله ، نحن اليوم مع السيرة العطرة لأسد الله ، وسيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ﷺ ، وأمه بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وهي ابنة عم آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ ، وهو شقيق صفية بنت عبد المطلب أم الزبير ، وهم عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة ، أرضعتها ثوية مولاة أبي لهب ، وأرضعت أبا سلمة بن عبد الأسد ، وكان حمزة ، ﷺ وأرضاه ، أسن من رسول الله ﷺ بسنتين ، وهو سيد الشهداء ، وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة (٣) .

إسلام حمزة بن عبد المطلب ﷺ عم النبي ﷺ :

جاء في سيرة بن هشام عن ابن إسحاق قال: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَسْلَمَ كَانَ وَاعِيَةً ، أَنَّ أَبَا جَهْلٍ مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ الصَّفَا ، فَأَذَاهُ وَشْتَمَهُ وَنَالَ مِنْهُ بَعْضَ مَا

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٩٠٣ .

يَكْرَهُ مِنَ الْعَيْبِ لِدِينِهِ وَالتَّضْعِيفِ لَأَمْرِهِ ، فَلَمْ يُكَلِّمهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَمَوْلَاةٌ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ فَعَمَدًا إِلَى نَادٍ مِنْ قُرَيْشٍ عِنْدَ الْكَعْبَةِ ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ فَلَمْ يَلْبَثْ حَمْزَةَ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ أَنْ أَقْبَلَ مُتَوَشِّحًا قَوْسَهُ رَاجِعًا مِنْ قَنْصٍ لَهُ وَكَانَ صَاحِبَ قَنْصٍ - أَي صَيْدٍ - يَرْمِيهِ وَيَخْرُجُ لَهُ ، وَكَانَ إِذَا رَجَعَ مِنْ قَنْصِهِ لَمْ يَصِلْ إِلَى أَهْلِهِ حَتَّى يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ ، وَكَانَ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَمُرَّ عَلَى نَادٍ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا وَقَفَ وَسَلَّمُ وَتَحَدَّثَ مَعَهُمْ ، وَكَانَ أَعَزَّ فَتًى فِي قُرَيْشٍ ، وَأَشَدَّ شَكِيمَةً فَلَمَّا مَرَّ بِالمَوْلَاةِ وَقَدْ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ قَالَتْ لَهُ : يَا أَبَا عُمَارَةَ لَوْ رَأَيْتَ مَا لَقِيَ ابْنُ أَخِيكَ مُحَمَّدٌ أَنْفًا مِنْ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ وَجَدَهُ هَاهُنَا جَالِسًا فَأَذَاهُ وَسَبَّهُ وَبَلَغَ مِنْهُ مَا يَكْرَهُ ثُمَّ أَنْصَرَفَ عَنْهُ وَلَمْ يُكَلِّمهُ مُحَمَّدٌ ﷺ ، فَاحْتَمَلَ حَمْزَةَ الْغَضَبُ لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ ، فَخَرَجَ يَسْعَى وَلَمْ يَقِفْ عَلَى أَحَدٍ ، مُعِدًّا لِأَبِي جَهْلٍ إِذَا لَقِيَهُ أَنْ يُوقِعَ بِهِ فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ نَظَرَ إِلَيْهِ جَالِسًا فِي الْقَوْمِ فَأَقْبَلَ نَحْوَهُ ، حَتَّى إِذَا قَامَ عَلَى رَأْسِهِ رَفَعَ الْقَوْسَ فَضَرَبَهُ بِهَا فَشَجَّهُ شَجَّةً مُنْكَرَةً ثُمَّ قَالَ : أَتَشْتُمُهُ وَأَنَا عَلَى دِينِهِ أَقُولُ مَا يَقُولُ ؟ فَرَدَّ ذَلِكَ عَلَيَّ إِنْ اسْتَطَعْتُ . فَقَامَتِ رَجَالٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ إِلَى حَمْزَةَ لِيَنْصُرُوا أَبَا جَهْلٍ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : دَعُوا أَبَا عُمَارَةَ فَأَنِّي وَاللَّهِ قَدْ سَبَّيْتُ ابْنَ أَخِيهِ سَبًّا قَبِيحًا ، وَتَمَّ حَمْزَةَ ﷺ عَلَى إِسْلَامِهِ وَعَلَى مَا تَابَعَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ .

فَلَمَّا أَسْلَمَ حَمْزَةُ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ عَزَّ وَامْتَنَعَ وَأَنَّ حَمْزَةَ سَيَمْنَعُهُ فَكَفُّوا عَنْ بَعْضِ مَا كَانُوا يَنَالُونَ مِنْهُ (٢٥) .

جهاده ﷺ في غزو بدر:

جاء في سيرة بن هشام عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ : وَقَدْ خَرَجَ الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيِّ ، وَكَانَ رَجُلًا شَرِسًا سَيِّئَ الْخُلُقِ فَقَالَ : أَعَاهِدُ اللَّهَ لِأَشْرَبَيْنِ مِنْ حَوْضِهِمْ أَوْ لِأَهْدَمَنَّهُ أَوْ لِأَمُوتَنِّ دُونَهُ فَلَمَّا خَرَجَ خَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَلَمَّا التَّقِيَا ضَرَبَهُ حَمْزَةُ فَأُطِنَ قَدَمُهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ وَهُوَ دُونَ الْحَوْضِ فَوَقَعَ عَلَى ظَهْرِهِ تَشَخُّبَ رَجُلِهِ دَمًا نَحْوَ أَصْحَابِهِ ثُمَّ حَبَا إِلَى الْحَوْضِ حَتَّى اقْتَحَمَ فِيهِ يُرِيدُ - زَعَمَ - أَنْ يُبْرِيَ يَمِينَهُ وَأَتْبَعَهُ حَمْزَةُ فَضَرَبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ فِي الْحَوْضِ ، ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ عُتْبَةَ ابْنِ رَبِيعَةَ ، بَيْنَ أَخِيهِ شَيْبَةَ ابْنِ رَبِيعَةَ وَابْنِهِ الْوَلِيدِ ابْنِ عُتْبَةَ ، حَتَّى إِذَا فَصَلَ مِنَ الصَّفِّ دَعَا إِلَى الْمُبَارَاةِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ فِتْنَةً مِنَ الْأَنْصَارِ ثَلَاثَةٌ وَهُمْ عَوْفٌ وَمُعَوَّذُ ابْنَا الْحَارِثِ - وَأُمُّهُمَا عَفْرَاءُ - وَرَجُلٌ آخَرُ يُقَالُ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، فَقَالُوا : مَنْ أَنْتُمْ ؟

فَقَالُوا: رَهْطٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، قَالُوا: مَا لَنَا بِكُمْ مِنْ حَاجَةٍ . ثُمَّ نَادَى مُنَادِيهِمْ يَا مُحَمَّدُ ، أَخْرِجْ إِلَيْنَا أَكْفَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُمْ يَا عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَقُمْ يَا حَمْزَةُ وَقُمْ يَا عَلِيٌّ ، فَلَمَّا قَامُوا وَدَنُوا مِنْهُمْ قَالُوا: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالَ عُبَيْدَةُ: عُبَيْدَةُ ، وَقَالَ حَمْزَةُ ، حَمْزَةُ ، وَقَالَ عَلِيٌّ: عَلِيٌّ ، قَالُوا: نَعَمْ أَكْفَاءٌ كِرَامٌ . فَبَارَزَ عُبَيْدَةُ وَكَانَ أَسَنَ الْقَوْمِ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَبَارَزَ حَمْزَةُ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وَبَارَزَ عَلِيٌّ الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ . فَأَمَّا حَمْزَةُ فَلَمْ يَمُهِلْ شَيْبَةَ أَنْ قَتَلَهُ وَأَمَّا عَلِيٌّ فَلَمْ يَمُهِلْ الْوَلِيدَ أَنْ قَتَلَهُ ، وَاخْتَلَفَ عُبَيْدَةُ وَعُتْبَةُ بَيْنَهُمَا ضَرْبَتَيْنِ كِلَاهُمَا أَثْبَتَ صَاحِبُهُ وَكَرَّ حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ بِأَسْيَافِهِمَا عَلَى عُتْبَةَ فَذَفَفَا عَلَيْهِ وَاحْتَمَلَا صَاحِبَهُمَا فَحَازَاهُ إِلَى أَصْحَابِهِ (٢٥) .

وأخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَزَلَتْ ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ (١٩) ﴾ [الحج: ١٩] ، فِي سِتَّةٍ مِنْ قُرَيْشٍ عَلِيٌّ وَحَمْزَةُ وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ (١) .
إستشهاد حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي غَزْوَةِ أَحَدَ:

تعالوا بنا نستمع لما قاله وحشي بن حرب قاتل حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي غَزْوَةِ أَحَدَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ قَالَ وَحْشِي: إِنَّ حَمْزَةَ قَتَلَ طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيٍّ بْنِ الْخِيَارِ بِدَرٍّ فَقَالَ لِي مَوْلَايَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ: إِنَّ قَتَلْتَ حَمْزَةَ بِعَمِّي فَأَنْتَ حُرٌّ قَالَ: فَلَمَّا أَنْ خَرَجَ النَّاسُ عَامَ عَيْنَيْنِ وَعَيْنَيْنِ جَبَلٍ بِحِيَالِ أَحَدٍ - أَيِ مِنْ نَاحِيَتِهِ - بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَادٍ خَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ إِلَى الْقِتَالِ ، فَلَمَّا أَنْ اصْطَفَوْا لِلْقِتَالِ خَرَجَ سِبَاعٌ - أَيِ ابْنِ الْعَزَى الْخَزَاعِي - فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُبَارَزٍ؟ قَالَ: فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ: يَا سِبَاعُ يَا ابْنَ أُمِّ أَمَّارٍ مَقْطَعَةُ الْبُطُورِ اتَّحَادُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ﷺ - أَيِ اتَّعَادِيهِمَا وَتَعَانَدِيهِمَا - قَالَ: ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ فَكَانَ كَأَمْسِ الدَّاهِبِ - أَيِ كُنَايَةِ عَنْ قَتْلِهِ فِي الْحَالِ وَإِعْدَامِهِ لَهُ - قَالَ: وَكَمَنْتُ لِحَمْزَةَ تَحْتَ صَخْرَةٍ فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي فَأَضَعَهَا فِي ثُنْتِهِ - أَيِ عَانَتِهِ - حَتَّى خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِ وَرِكَيْهِ قَالَ: فَكَانَ ذَلِكَ الْعَهْدُ بِهِ (٢) .

وباستشهاد حمزة وأصحاب رسول الله ﷺ فِي أَحَدَ تَحَقَّقَتْ رُؤْيَا رَسُولِ اللَّهِ

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٧٤٨ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٨٤٤ .

ﷺ ، التي رواها الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تَنفَلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَيْفَهُ ذَا الْفَقَارِ يَوْمَ بَدْرَ وَهُوَ الَّذِي رَأَى فِيهِ الرُّؤْيَا يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: رَأَيْتُ فِي سَيْفِي ذِي الْفَقَارِ فَلَا فَأَوْلَتْهُ فَلَا يَكُونُ فِيكُمْ وَرَأَيْتُ أَنِّي مُرَدِفٌ كَبْشًا فَأَوْلَتْهُ كَبْشَ الْكُتَيْبَةِ وَرَأَيْتُ أَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ فَأَوْلَتْهَا الْمَدِينَةَ وَرَأَيْتُ بَقْرًا تُذْبَحُ فَبَقَرُ وَاللَّهِ خَيْرٌ فَبَقَرُ وَاللَّهِ خَيْرٌ فَكَانَ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ^(١).

وأخرج الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سننه عن أَبِي بَنٍ كَعْبٍ رضي الله عنه ، أَنَّهُ أُصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ مِنَ الْأَنْصَارِ أَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ وَأُصِيبَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ سِتَّةٌ وَحَمَزَةٌ فَمَثَلُوا بِقَتْلَاهُمْ فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: لَيْنُ أَصْبَنَا مِنْهُمْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ لَنُرِينَ عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ نَادَى رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ لَا يُعْرِفُ: لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (١٢٦) [النحل: ١٢٦] ، الْآيَةُ ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : كَفُوا عَنِ الْقَوْمِ ^(٢).

فكان عاقبة هذا الخلق الكريم إسلام كثير من هؤلاء الطلقاء يوم فتح مكة ، هذا هو رسول الله ﷺ وهذا هو الإسلام .

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (إسناده حسن) أخرجه (حم) ٢٤٤٥ ، قال شعيب الأرنؤوط إسناده حسن .

(٢) (إسناده حسن) أخرجه (حم) ٢١٢٦٨ وقال شعيب الأرنؤوط إسناده حسن .

اللقاء الإيمانى الحادى والخمسون:

(مظاهر حفظ الله لهذا الدين <٤>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتى في الله ، لقد بين الله سنته الماضية في أحلك الظروف وأقساها على المسلمين ، عندما كان يوم الأحزاب ، وحوصر رسول الله ﷺ والمؤمنون معه في المدينة ، وجاءتهم قريش وأحلافها من جهة الغرب ، وغطفان وأحلافها من جهة الشمال ، واليهود ومن معهم من جهة الشرق ، فأحاطوا المدينة من كل جانب ، وأصبح الأعراب الذين حول المدينة يترصدون بهم الدوائر ، يريدون الاعتداء على سارحتها ، أو على زرعها ، ويظنون أن من فيها سيتخطفون في الأرض ، ولن تبقى لهم باقية ، واشتد الحال بالمسلمين حتى وصل إلى ما بين الله في محكم التنزيل في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١)﴾ [الأحزاب: ٩-١١] ، ثم جاء فرج الله عز وجل ، وهذا الفرج لم يكن متوقعا إلا لدى أهل الإيمان والتقوى ؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَافِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّئُوهَا﴾ [الأحزاب: ٢٥-٢٦] ، وكل ذلك بأمر الله سبحانه وتعالى وتقديره ، فكان المنافقون يقولون: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط ، وفي ذلك الوقت كان المسلمون لا يتجاوزن ألفا وخمسمائة مقاتل ، وهم محاصرون في المدينة ، ليس لهم مدد خارجي ، وليس لهم أي سلاح ضارب ، فلم تمضِ ست سنوات حتى دخلت الجزيرة العربية كلها في دين الله ، وخرجت الجيوش الإسلامية فاتحة إلى العراق والشام ، وتوالت الفتوح ، وفتحت كنوز كسرى وقيصر وأنفقت في سبيل الله .

إن هذه السرعة في ذلك الزمان الأول مؤذنة بسرعة النصر في هذا الزمان ، فزماننا هذا أسرع ، وما يحصل فيه مما ليس متوقعا أكثر ، فقبل سنوات قليلة من كان يتوقع منكم ما حصل اليوم من التطورات في هذا الزمان؟! فمثلا: التلفون المحمول! من كان يتوقع أننا سنستخدم مثل هذه التقنية عن طريق هذا الجهاز؟! لكن ذلك يقع بين الكاف والنون ، إذا أراد الله تحقق ، ومن هنا لا يُستغرب أن يأتي نصر الله تعالى ، لكن له شروط لا بد من تحقيقها ، وهذه الشروط يسهل جداً على الأمة الإسلامية أن تحققها ، فلا يطلب تحقيقها في جميع الأفراد ، بل يطلب تحقيقها في الطائفة المنصورة ، والفرقة الناجية ، وهذه الشروط بينها الله بقوله: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الحج: ٤١] ، وقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [النور: ٥٥] إذا هذه هي الشروط ، وهي ميسورة سهلة ، وتحقيقها ليس شاقاً ، وإذا تحققت لا بد أن يأتي النصر الموعود (44) .

على درب التوحيد (ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

أخرج ابن ماجة في السنن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلًا يَحْلِفُ بِأَيْبِهِ فَقَالَ: «لَا تَحْلِفُوا بِأَبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصِدْقْ، وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرِضْ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّهِ فَلْيَسْ مِنْ اللَّهِ» ^(١) .

قوله: من حلف بالله فليصدق هذا مما أوجبه الله على عباده وحضهم عليه في كتابه ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] ، وقوله: من حلف فليرض ، ومن لم يرض فليس من الله أما إذا لم يكن له بحكم الشريعة على خصمه إلا اليمين فأحلفه فلا ريب أنه يجب عليه الرضا ، وأما إذا كان فيما يجري بين الناس مما قد يقع في الاعتذارات من بعضهم لبعض ونحو

(١) (صحيح) أخرجه (هـ) وصححه الألباني في ص ج ٧٢٤٧ .

ذلك ، فهذا من حق المسلم على المسلم: أن يقبل منه إذا حلف له معتذراً أو متبرئاً من تهمة ، ومن حقه عليه أن يحسن به الظن إذا لم يتبين خلافه ، كما في الأثر عن عمر رضي الله عنه : ولا تظن بكلمة خرجت من مسلم شرّاً وأنت تجد لها في الخير محملاً ، وفيه من التواضع والألفة والمحبة وغير ذلك من المصالح التي يحبها الله ما لا يخفى على من له فهم . وذلك من أسباب اجتماع القلوب على طاعة الله ، ثم إنه يدخل في حسن الخلق الذي هو أثقل ما يوضع في ميزان العبد (31) .

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (سلام الرب سبحانه وتعالى والملائكة على أهل الجنة)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣)﴾ [الزمر: ٧٣] .

المعنى : وسيق الذين اتقوا ربهم بتوحيده والعمل بطاعته إلى الجنة جماعات ، حتى إذا جاؤوها وشُفّع لهم بدخولها ، فتحت أبوابها ، فترحبّ بهم الملائكة الموكّلون بالجنة ، ويحيونهم بالبشر والسرور ؛ لطهارتهم من آثار المعاصي قائلين لهم: سلام عليكم من كل آفة ، طابت أحوالكم ، فادخلوا الجنة خالدين فيها .

وجاء في صحيح مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ ، قال: «يُنَادِي مُنَادٍ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحُوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشَبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنَعُمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷻ ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣)﴾ [الأعراف: ٤٣]» (١) .

وجاء أيضاً في صحيح مسلم عن صهيب رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٨٣٧ .

إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ»^(١) .

وأخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالُوا: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلَّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»^(٢) .

أول سفير في الإسلام (مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله ، نحن اليوم مع السيرة العطرة لأول سفير في الإسلام ألا وهو ، مصعب بن عمير بن هاشم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ويكنى أبا عبد الله ، كان من فضلاء الصحابة وخيارهم ومن السابقين إلى الإسلام . أسلم ورسول الله ﷺ في دار الأرقم ، وكنتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه ، وكان يختلف إلى رسول الله ﷺ سرا فبصر به عثمان بن طلحة العبدري يصلي فأعلم أهله وأمه فأخذوه فحبسوه ، فلم يزل محبوساً إلى أن هاجر إلى أرض الحبشة ، وعاد من الحبشة إلى مكة ، ثم هاجر إلى المدينة بعد العقبة الأولى ليعلم الناس القرآن ويصلي بهم (٦) .

مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل الإسلام:

جاء في (الطبقات الكبرى) لابن سعد أن مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان أنعم غلام بمكة ، وأجوده حلة ، وكان أبواه يجبانه ، وكانت أمه مليئة كثيرة المال تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأرقه ، وكان أعطر أهل مكة ، يلبس الحضرمي من النعال (29) .

وقد نظر النبي ﷺ إلى مصعب بن عمير يوماً ، وهو مقبل وعليه إهاب - أي

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٨١ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٦١٨٣ ، و (م) ٢٨٢٩ .

فروة- كبش قد تنطق به ، فقال النبي ﷺ : «انظروا إلى هذا الرجل الذي نور الله قلبه، لقد رأيته بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب» فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون" ، ذكره العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ، وحسنه الألباني .

فليس لمجرد أن الشاب يحيا في رغد من العيش ، ولأنه يلقي عناية زائدة من والدته نعتبه لا يصلح للعمل الدعوي ، وتتوقف عن دعوته وعن الارتقاء بمستواه التربوي والدعوي ، وما فائدة الدعوة والتربية إذن ؟ .

أول سفير في الإسلام:

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا أَخَذَ عَلَى النَّسَاءِ أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا نَسْرِقَ ، وَلَا نَزْنِي ، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا ، وَلَا يَعْضَهُ بَعْضُنَا بَعْضًا ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ أَتَى مِنْكُمْ حَدًّا فَأُقِيمَ عَلَيْهِ فَهُوَ كَفَّارَتُهُ ، وَمَنْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَذَبُهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ ^(١) .

وقد بعث الرسول ﷺ مع المبايعين مصعب بن عمير ، يعلمهم الدين ويقرئهم القرآن فكان يسمى بالمدينة المقرئ (٤٧) .

يقول فضيلة الدكتور على الصلابي في (السيرة النبوية) : وقد نزل مصعب رضي الله عنه في يثرب على أسعد بن زرارة رضي الله عنه ونشط المسلمون في الدعوة إلى الله يقود تلك الحركة الدعوية الرائدة مصعب رضي الله عنه ، وقد انتهج منهج القرآن الكريم في دعوته وهذا الذي تعلمه من إمامه ﷺ ، وقد شرح لنا بعض الآيات القرآنية المكية بصورة عملية حية قال تعالى: ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهِمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥] (26) .

وجاء في (الرحيق المختوم) لفضيلة الشيخ صفى الرحمن المباركفوري : ومن أروع ما يروى من نجاحه في الدعوة أن أسعد بن زرارة خرج به يوماً يريد دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر ، فدخلوا في حائط من حوائط بني ظفر ، وجلسا على بئر يقال لها: بئر مرق ، واجتمع إليهما رجال من المسلمين وسعد بن معاذ وأسيّد بن

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٦١٢ و(م) ١٧٠٩ واللفظ لمسلم .

حُضِرَ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل يومئذ على الشرك فلما سمعا بذلك قال سعد لأسيد: اذهب إلى هذين اللذين قد أتيا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما ، وانهما عن أن يأتيا دارينا ، فإن أسعد بن زرارة ابن خالتي ، ولولا ذلك لكفيتك هذا ، فأخذ أسيد حربته وأقبل إليهما ، فلما رآه أسعد قال لمصعب: هذا سيد قومك قد جاءك فاصدق الله فيه ، قال مصعب: إن يجلس أكلمه . وجاء أسيد فوقف عليهما متشتمًا ، وقال: ما جاء بكما إلينا؟ تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة ، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمرا قبلته ، وإن كرهته كف عنك ما تكره ، فقال: أنصفت ، ثم ركز حربته وجلس ، فكلمه مصعب بالإسلام ، وتلا عليه القرآن . قال: فوالله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ، في إشراقه وتهلله ، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله؟ كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟

قالا له: تغتسل ، وتطهر ثوبك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ركعتين فقام واغتسل ، وطهر ثوبه وتشهد وصلى ركعتين .

وأقام مصعب في بيت أسعد بن زرارة يدعو الناس إلى الإسلام ، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ، إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد وخطمة ووائل . كان فيهم قيس بن الأسلت الشاعر وكانوا يطيعونه فوقف بهم عن الإسلام حتى كان عام الخندق سنة خمس من الهجرة ، وقبل حلول موسم الحج التالي - أي حج السنة الثالثة عشرة من النبوة - عاد مصعب إلى مكة يحمل إلى رسول الله ﷺ بشائر الفوز ، ويقص عليه خبر قبائل يثرب ، وما فيها من مواهب الخير ، وما لها من قوة ومنعة (19) .

جهاد مصعب بن عمير رضي الله عنه :

وأخرج البخاري في صحيحه عن خَبَابٍ رضي الله عنه قَالَ: هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نَلْتَمِسُ وَجْهَ اللَّهِ فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ ، فَمِنَّا مَنْ مَاتَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِيهَا - أَى كِنَايَةٍ عَنْ سَعَةِ الْعَيْشِ - قَتَلَ يَوْمَ أُحُدٍ فَلَمْ نَجِدْ مَا نُكَفِّنُهُ إِلَّا بُرْدَةً إِذَا غَطَيْنَا بِهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلَاهُ وَإِذَا غَطَيْنَا رِجْلَيْهِ خَرَجَ رَأْسُهُ فَأَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ : «أَنْ نُعْطِيَ رَأْسَهُ وَأَنْ نَجْعَلَ

عَلَى رَجُلَيْهِ مِنَ الْإِذْخِرِ»^(١).

أحبتي في الله ، لقد قتل مصعب ولم يطلب في يوم من الأيام نعمة ولا ثراء ، ولا سلطة ولا وجاهة ، ولم يكن يفكر يوماً بمنصب أو رئاسة ، ولم يكن له هم سوى انتصار دين الله على الكفر وأهله فأتاه الله أجره وأعطاه هو وإخوانه من كل شيء ، أعطاه من عنده كل ما يتمناه طلاب الدنيا وزيادة ، وأعطاه هو وإخوانه كذلك كل ما يتمناه طلاب الآخرة ويرجونه ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨] ، وشهد لهم سبحانه بالإحسان ، فقد أحسنوا الأدب وأحسنوا الجهاد .

تلك هي سيرة الصحابي الجليل مصعب بن عمير رضي الله عنه ، فهل لشبابنا أن يتخذوه قدوة لهم ويكونوا مثله على الأقل في مجال الدعوة إلى الله والعبادة والعمل الصالح؟ وهل لشبابنا أن يتغنوا ببطولات هؤلاء الرجال من صحابة رسول الله بدل بطولات لاعبي الكرة ومغامرات الزناة ومدمني المخدرات؟ (٥٨) .

أخي الداعي إلى الله ، ليس لمجرد أن الشاب يحيا في رغد من العيش ، ولأنه يلقي عناية زائدة من والدته نعتبره لا يصلح للعمل الدعوي ، ونتوقف عن دعوته وعن الارتقاء بمستواه التربوي والدعوي ، وما فائدة الدعوة والتربية إذن؟ (٣٨) .

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (بخ) ١٢١٧ .

اللقاء الإيمان الثاني والخمسون:

مظاهر حفظ الله لهذا الدين <ه> (

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، من مظاهر حفظ الله لهذا الدين ، أن هذه الأمة خاتمة الأمم وأكثرها عدداً ، أخرج ابن ماجه في سننه عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «نَحْنُ آخِرُ الْأُمَمِ وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ يُقَالُ أَيْنَ الْأُمَّةُ الْأُمِّيَّةُ وَنَبِيُّهَا فَنَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ»^(١) .

وأخرج البخاري في صحيحه عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «عَرَضْتُ عَلَى الْأُمَمِ فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأَفْقَ ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي ، فَقِيلَ : هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ ، ثُمَّ قِيلَ لِي : انْظُرْ ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأَفْقَ ، فَقِيلَ لِي : انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأَفْقَ ، فَقِيلَ : هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ وَمَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ»^(٢) .

وهذا واقع الآن ، فالأذان يرفع في جميع أصقاع الأرض ، فلا توجد مدينة في أنحاء العالم إلا وفيها من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وسيزداد ذلك ويعم ، فهذا وعد الله الذي لا يخلف الميعاد ، والله تعالى بين هذا الوعد في عدد من آيات كتابه ، فقد قال تعالى في سياق قصة موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨] .

وقال تعالى في ذكر زبور داود: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (١٠٥) إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ غَابِطِينَ (١٠٦) ﴿[الأنبياء: ١٠٥-١٠٦] .

وقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظِلْمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ

(١) (صحيح) أخرجه (هـ) وصححه الألباني في ص ج ٦٧٤٩ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٥٤٢٠ .

كثيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴿الحج: ٣٩-٤١﴾ .

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥] (44) .

على درب التوحيد (ما جاء في الإشراك في المشيئة والحلف وسب الدهر)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنَجِّياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

روى الإمام أحمد في مسنده وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما : أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : «أَجَعَلْتَنِي وَاللَّهِ عَدْلًا بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ» ^(١) .

إخوتي في الله ، قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: في هذا الحديث أن قول الرجل لغيره: ما شاء الله و شئت يعتبر شركاً في نظر الشارع ، و هو من شرك الألفاظ ، لأنه يوهم أن مشيئة العبد في درجة مشيئة الرب سبحانه وتعالى ، وسببه القرن بين المشيئتين ، ومثل ذلك قول بعض العامة وأشباههم ممن يدعى العلم ما لي غير الله وأنت ، و توكلنا على الله وعليك ، ومثله قول بعض المحاضرين: باسم الله و الوطن أو باسم الله والشعب ونحو ذلك من الألفاظ الشركية ، التي يجب الانتفاء عنها و التوبة منها أدبا مع الله تبارك و تعالى .

وأخرج الشيخان في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «قَالَ اللَّهُ ﻋَﻠَﻴْهِ : يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الْأَمْرُ أَقْلُبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» ^(٢) ، وفي رواية لمسلم : «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ» .

قال الشافعي وأبو عبيد وغيرهما من الأئمة في معنى قول رسول الله ﷺ : «لَا

(١) (صحيح) أخرجه (حم خد هـ ق ط ب حل خط كر) وصححه الألباني في س. ص ١٣٩ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٥٤٩ ، و(م) ٢٢٤٦ .

تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ» ، كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة قالوا: يا خيبة الدهر فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه ، وإنما فاعلها هو الله تعالى ، فكأنما إنما سبوا الله سبحانه ، لأنه فاعل ذلك في الحقيقة ، فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار لأن الله هو الدهر الذي يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال . هذا والله أعلم (31) .

من الفوائد المنتقاة من الحديث لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله :

- ١ - سب الدهر ينقص الإيمان ويضعف التوحيد ويغضب الله عز وجل لأن الدهر مخلوق مدبر ليس في يده تصرف فهو مدبر من الله عز وجل وسبه إيذاء لله عز وجل لأنه يغضبه سبحانه ، وسب الدهر هو سب الزمان وهو الليل والنهار مثل (قاتل الله هذه الساعة ، لعن الله هذه الساعة) وما شابه ذلك يعنى شتمه ولعنه والدعاء عليه ، أما وصفه بالشدة فهذا ليس من السب مثل (هذا يوم شديد ، هذا يوم عسر ، هذا يوم نحس ، هذا يوم بارد) فهذا ليس من السب .
- ٢ - قوله : «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ» ، يعنى مقلب الدهر وخالقه ومصرفه ، وقد غلط من قال أن الدهر من أسماء الله كابن حزم ، فليس الدهر من أسماء الله .

مشاهد من الدار الآخرة (صفة أشجار الجنة وزرعها وثمارها)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ نَّمُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) ﴾ [الواقعة: ٢٧-٣٣] .

المعنى: أن أصحاب اليمين ، ما أعظم مكانتهم وجزاءهم!! هم في سدر لا شوك فيه ، وموز متراكب بعضه على بعض ، وظل دائم لا يزول ، وماء جار لا ينقطع ، وفاكهة كثيرة لا تنفد ولا تنقطع عنهم ، ولا يمنعهم منها مانع .

وقال تعالى: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) ﴾

[الزخرف: ٧١] .

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ: «أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ فَقَالَ لَهُ: أَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ - أي من المشتريات والنعيم - قَالَ: بَلَى وَلَكِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ قَالَ: فَبَدَرَ فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ - أي أسرع نباته وسبق طرفه والطرف امتداد لحظ الإنسان حيث أدرك، وقيل: حركة العين - وَاسْتَوَاؤُهُ - أي قيامه على سوقه قويا شديدا - وَاسْتِحْصَادُهُ - أي أسرع ييسه وصار وقت قلعه - فَكَانَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ» فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: وَاللَّهِ لَا تَجِدُهُ إِلَّا قُرْشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ وَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ (١) .

وأخرج الشيخان في صحيحهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه: عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّائِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا» (٢) . وجاء في سنن الترمذي وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَا فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ إِلَّا وَسَاقُهَا مِنْ ذَهَبٍ» (٣) .

شيخ المقرئين وجامع القرآن (زيد بن ثابت رضي الله عنه)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله، نحن اليوم مع السيرة العطرة لكاتب الوحي، وشيخ المقرئين، وجامع القرآن، زيد بن ثابت رضي الله عنه، الإمام الكبير، فهو شيخ المقرئين، والفرضيين - أي علماء المواريث - ومفتي المدينة أبو سعيد، وأبو خارجة، كاتب الوحي، حدث عن النبي ﷺ، وعن صاحبيه، وقرأ عليه القرآن

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٢٢١ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٠٧٩ و (م) ٢٨٢٦ .

(٣) (حسن صحيح) أخرجه (ت) حب ابن أبي الدنيا) وقال الألباني في صت ٣٧٣٢ حسن صحيح .

بعضه أو كله ، ومناقبه جمة ، وكان عمر بن الخطاب يستخلفه إذا حج على المدينة ، وهو الذي تولى قسمة الغنائم يوم اليرموك ، فلما هاجر النبي ﷺ أسلم زيد ، وهو ابن إحدى عشرة سنة ، فأمره النبي ﷺ أن يتعلم خط اليهود ؛ ليقراً له كتبهم ، قال : فإنني لا آمنهم (24) .

إعجاب رسول الله ﷺ بزيد بن ثابت وكتابته للوحي :

أخرج أبو داود في السنن عَنْ خَارِجَةَ بِنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ : قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ﷺ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَ يَهُودٍ وَقَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي فَتَعَلَّمْتُهُ فَلَمْ يَمُرَّ بِي إِلَّا نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى حَذَقْتُهُ فَكُنْتُ أَكْتُبُ لَهُ إِذَا كَتَبَ وَأَقْرَأُ لَهُ إِذَا كَتَبَ إِلَيْهِ (١) .

وأخرج الإمام أحمد في مسنده وغيره عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مُحَسِّنُ السَّرْيَانِيَّةِ إِنَّهَا تَأْتِينِي كُتُبٌ ؟» قَالَ : قُلْتُ : لَا قَالَ : «فَتَعَلَّمَهَا» ، فَتَعَلَّمْتُهَا فِي سَبْعَةِ عَشَرَ يَوْمًا (٢) .

وهو دليل على جواز تعلم اللغة الأجنبية للمصلحة والحاجة وهذا لا ينازع فيه أهل العلم ، وأما تعلم هذه اللغة لغير حاجة فهذا دليل على الإعجاب بالغرب والتأثر بهم وهو مذموم شرعاً .

فالنبي ﷺ يحتاج إلى تعلم السريانية ويطلب من زيد رضي الله تعالى عنه أن يتعلم له لغة جديدة ، فتعلمها زيد بن ثابت في سبعة عشر يوماً ، الآن الإخوة الذين يعرفون اللغة الإنجليزية ، يا ترى هل فكروا في الدعوة إلى الله في وسط الأقوام الذين يتكلمون بهذه اللغة ؟ الذين عندهم أي نوع من أنواع الخبرات في الكمبيوتر أو غيره ، الذين عندهم خطابة ، الذين عندهم حسن خط ، الذين عندهم قدرات إنشائية في الكتابة ، والذين عندهم قدرات مالية ، والذين عندهم خبرات إدارية ، هؤلاء ماذا قدموا لهذا الدين ؟ (٤٧) .

وروى البخاري في صحيحه عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْبُودٍ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «ادْعُ لِي زَيْدًا وَلِيَجِيءَ بِاللُّوْحِ وَالِدَّوَاةِ وَالْكَتِفِ أَوْ الدَّوَاةِ» ثُمَّ قَالَ : أَكْتُبُ ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾

(١) (حسن صحيح) أخرجه (د) ٣٦٤٥ وقال الألباني حسن صحيح .

(٢) (صحيح) أخرجه (حم ك ت د) وصححه الألباني في س. ص ١٨٧ .

وَحَلَفَ ظَهَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَمْرُو بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنِي فَأَنِّي رَجُلٌ ضَرِيرُ الْبَصَرِ؟ فَزَلْتُ مَكَانَهَا ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥] (١).

قيامه بجمع القرآن في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

أخرج البخاري في صحيحه عن ابن السَّبَّاقِ أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ مِمَّنْ يَكْتُبُ الْوَحْيَ قَالَ: أُرْسِلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتُلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، وَعِنْدَهُ عُمَرُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِالنَّاسِ وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحَرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ فِي الْمَوَاطِنِ فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَنْ تَجْمَعُوهُ، وَإِنِّي لَأَرَى أَنْ تَجْمَعَ الْقُرْآنَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ عُمَرُ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يَرَاغِبُنِي فِيهِ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ لِي ذَلِكَ صَدْرِي وَرَأَيْتُ الَّذِي رَأَى عُمَرُ قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: وَعُمَرُ عِنْدَهُ جَالِسٌ لَا يَتَكَلَّمُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌ عَاقِلٌ وَلَا تَنْهَمُكَ، كُنْتُ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَتَّبِعُ الْقُرْآنَ فَاجْمَعُهُ، فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلَانِ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ فَلَمْ أَزَلْ أُرَاجِعُهُ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ اللَّهُ لَهُ صَدْرُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَقُمْتُ فَتَتَّبَعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الرَّقَاعِ وَالْأَكْتَفِ وَالْعُسْبِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ آيَتَيْنِ مَعَ خَزِيمَةِ الْأَنْصَارِيِّ لَمْ أَحْذِهِمَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وَكَانَتْ الصُّحُفُ الَّتِي جُمِعَ فِيهَا الْقُرْآنُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ (٢).

كانت المهمة الفريدة التي كلف بها زيد بن ثابت من مؤهلاتها أن يقوم بها شاب عنده من الأمانة والعلم والخبرات السابقة، وكلها توفرت في هذا الشاب، ومع أن الذي كان يحدثه هو أبو بكر خليفة المسلمين، ومعه عمر وزيره، وهما أفضل الصحابة وأكبرهم سناً إلى غير ذلك، ومع ذلك كله قال بكل رباطة جأش

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٧٠٤ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٤٠٢ .

وهمة تناسب الشاب: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ وهذا يدل على قوة هذه الشخصية، لكن بعد أن جاءت المراجعة وانشرح صدره لذلك قال: فوالله لو كلفني نقل جبل من مكانه لكان أهون علي، ثم انطلق وبدأ في هذه المهمة، وأتم هذه المهمة على أدق وأحكم وأمكن صورة، فهل تعلم شبابنا هذه العزيمة والإصرار لخدمة هذا الدين؟ (٥٩).

موقف زيد بن ثابت رضي الله عنه يوم السقيفة:

أخرج أبو داود الطيالسي في مسنده عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله، قام خطباء الأنصار، فتكلموا، وقالوا: رجل منا، ورجل منكم. فقام زيد بن ثابت، فقال: إن رسول الله كان من المهاجرين ونحن أنصاره؛ وإنما يكون الإمام من المهاجرين ونحن أنصاره. فقال أبو بكر رضي الله عنه: جزاكم الله خيراً يا معشر الأنصار، وثبت قائلكم، لو قلت غير هذا ما صالحناكم^(١).
الله أكبر! يا له من شاب موفق جمع كلمة الأنصار. فليتعلم شبابنا كيف يكونون مفاتيح للخير مغاليق للشر.

حان وقت الرحيل

يقول الإمام الذهبي في (سير أعلام النبلاء): قد اختلفوا في وفاة زيد رضي الله عنه على أقوال: فقال الواقدي، وهو إمام المؤرخين: مات سنة خمس وأربعين، عن ست وخمسين سنة، وتبعه آخرون. وعن ابن سعد في الطبقات عن أبي هريرة رضي الله عنه حين مات زيد بن ثابت: اليوم مات حبر هذه الأمة! ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً (٢٤).

وجاء في (الطبقات الكبرى) عن قتادة قال: لما مات زيد بن ثابت ودفن قال ابن عباس: هكذا يذهب العلم.

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (إسناد صحيح) أخرجه (الطيالسي) وقال الذهبي هذا إسناد صحيح.

اللقاء الإيمانى الثالث والخمسون :

(مظاهر حفظ الله لهذا الدين <٦>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتى في الله ، من مظاهر حفظ الله لهذا الدين وجود الآيات والدلائل التي تبين أن الحق هو هذا الدين ، فمن هذه المظاهر: أن الله سبحانه وتعالى يريهم من الآيات في هذا الكون ما يدل على صدق وعوده ، وصدق آياته المذكورة في كتابه ، كما قال: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣] ، فنحن اليوم نشهد حالات كثيرة من إيمان الكفرة الفجرة ، الذين يدخلون في دين الله أفواجا ، ويرجعون إلى هذا الدين طواعية من غير إكراه ، بعضهم يرجع إليه بسبب اكتشاف علمي اكتشفه ، فوجد أنه موجود لدى المسلمين في كتابهم ، أو في سنة نبيهم محمد ﷺ ، وهؤلاء الذين يُسلمون بسبب الإعجاز العلمي وعددهم كثير (44) .

يقول الدكتور زغلول النجار في مقابلة تلفزيونية مع عالم الجيولوجيا ، عندما سأله مقدم البرنامج عن هذه الآية ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ : فأجاب الدكتور زغلول قائلا: هذه الآية لها معي قصة ، فمنذ فترة كنت أهاضر في جامعة كارديف في غرب بريطانيا ، وكان الحضور خليطا من المسلمين وغير المسلمين ، وكان هناك حوار حي للغاية عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وفي أثناء هذا الحوار وقف شاب مسلم بريطاني عرف بنفسه وقال: أنا "داوود موسى بيتكوك" رئيس الحزب الإسلامي البريطاني ، ثم قال يا سيدي . . هل تسمح لي بإضافة؟ قلت له: تفضل قال: وأنا أبحث عن الأدیان قبل أن يسلم ، أهداني أحد الطلاب المسلمين ترجمة لمعاني القرآن الكريم ، فشكرته عليها وأخذتها إلى البيت ، وحين فتحت هذه الترجمة ، كانت أول سورة أطلع عليها سورة القمر ، وقرأت: اقتربت الساعة وانشق القمر ، فقلت: هل يعقل هذا الكلام؟ هل يمكن للقمر أن ينشق ثم يلتحم ، وأي قوة تستطيع عمل ذلك؟ يقول الرجل: فصدتني هذه الآية عن مواصلة القراءة ، وانشغلت بأمور الحياة ، لكن الله تعالى يعلم مدى إخلاصي في

البحث عن الحقيقة ، فأجلسني ربي أمام التلفاز البريطاني وكان هناك حوار يدور بين معلق بريطاني وثلاثة من علماء الفضاء الأمريكيين ، وكان هذا المذيع يعاتب هؤلاء العلماء على الإنفاق الشديد على رحلات الفضاء ، في الوقت الذي تمتلئ فيه الأرض بمشكلات الجوع والفقر والمرض والتخلف ، وكان يقول: لو أن هذا المال أنفق على عمران الأرض لكان أجدى وأنفع ، وجلس هؤلاء العلماء الثلاثة يدافعون عن وجهة نظرهم ويقولون: إن هذه التقنية تطبق في نواح كثيرة في الحياة ، حيث إنها تطبق في الطب والصناعة والزراعة ، فهذا المال ليس مآلاً مهدراً لكنه أعاننا على تطوير تقنيات متقدمة للغاية .

وفي خلال هذا الحوار جاء ذكر رحلة إنزال رجل على سطح القمر ، باعتبار أنها أكثر رحلات الفضاء كلفة فقد تكلفت أكثر من مائة ألف مليون دولار ، فصرخ فيهم المذيع البريطاني وقال: أي سفه هذا؟ مائة ألف مليون دولار لكي تضعوا العلم الأمريكي على سطح القمر؟

فقالوا: لا ، لم يكن الهدف وضع العلم الأمريكي فوق سطح القمر كنا ندرس التركيب الداخلي للقمر ، فوجدنا حقيقة لو أنفقنا أضعاف هذا المال لإقناع الناس بها ما صدقنا أحد . فقال لهم: ما هذه الحقيقة؟

قالوا: هذا القمر انشق في يوم من الأيام ثم التحم .

قال لهم: كيف عرفتم ذلك؟ قالوا: وجدنا حزاماً من الصخور المتحولة يقطع القمر من سطحه إلى جوفه ، فاستشرنا علماء الأرض وعلماء الجيولوجيا ، فقالوا: لا يمكن أن يكون هذا قد حدث إلا إذا كان هذا القمر قد انشق ثم التحم .

يقول رئيس الحزب الإسلامي البريطاني: فقفزت من الكرسي الذي كنت أجلس عليه وقلت: معجزة تحدث لمحمد ﷺ قبل ألف وأربعمائة سنة ، يسخر الله تعالى الأمريكيان لإنفاق أكثر من مائة ألف مليون دولار لإثباتها للمسلمين؟! لا بد أن يكون هذا الدين حقاً . يقول: فعدت إلى المصحف ، وتلوت سورة القمر ، وكانت مدخلي لقبول الإسلام دينا (38) .

على درب التوحيد (ما جاء في التسمي بأحد أسماء الله)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم

به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .
أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه : عن النبي ﷺ قال : «إِنَّ أَخْنَعَ - أي أفجر - اسم عند الله رجلٌ تسمى ملك الأملاك» زاد ابن أبي شيبَةَ في روايته «لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ» (١) .

وأخرج أبو داود والنسائي في سننهما عن شريح بن هانئ رضي الله عنه أنه لما وفد إلى رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكتونه بأبي الحكم فدعاه رسول الله ﷺ فقال : «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ فَلِمَ تُكْنَى أَبَا الْحَكَمِ؟» فقال : إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِي كِلَا الْفَرِيقَيْنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَا أَحْسَنَ هَذَا. فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟» قال : لي شريحٌ ومسلمٌ وعبدُ الله قال : «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ» : قلتُ : شريحٌ قال : «فَأَنْتَ أَبُو شَرِيحٍ» (٢) .

من الفوائد المنتقاة من هذا الحديث لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله :

أ - احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك .

ب - أن الإنسان يكتنى بأكبر أبنائه وهذا هو الأفضل ولهذا قال «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قلتُ : قال قلتُ : شريحٌ قال : «فَأَنْتَ أَبُو شَرِيحٍ»

ج - فيه شرعية الإصلاح بين الناس والجماعات .

د - الحديث يدل على أن التسمي بالحكم أو أبا الحكم أمر لا ينبغي لأن هذا وصف لله عز وجل فهو الحاكم بين عباده وله الحكم في الدنيا والآخرة ، في الدنيا بشرعه وفي الآخرة بنفسه سبحانه وتعالى .

إخوتي في الله ، قول النبي ﷺ : إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ ، فهو سبحانه الحكم في الدنيا والآخرة ، فالحكم إلي الله هو الحكم إلى كتابه ، والحكم إلى رسوله في حياته وإلى سنته بعد وفاته ، وأما يوم القيامة فلا يحكم بين الخلق إلا الله ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ .

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢١٤٣ .

(٢) (صحيح) أخرجه (د ن) وصححه الألباني في مختصر الإرواء ٢٦١٥ .

مشاهد من الدار الآخرة (أنهار الجنة وعيونها)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبي الذين اتقوا وعقبي الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

عباد الله ، قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) : قد تكرر في القرآن في عدة مواضع قوله تعالى : ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ وفي موضع ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ وفي موضع ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ وهذا يدل على عدة أمور :

أحدها : وجود الأنهار فيها حقيقية ، الثاني : أنهار جارية لا واقفة ، الثالث : أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم كما هو المعهود في أنهار الدنيا ، فإن أنهار الجنة وإن جرت في غير أخدود فهي تحت القصور والمنازل والغرف وتحت الأشجار وهو سبحانه لم يقل من تحت أرضها وقد أخبر سبحانه عن جريان الأنهار تحت الناس في الدنيا فقال ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ ﴾ (٦) [الأنعام: ٦] ، فهذا على ما هو المعهود والمتعارف (١٦) .

وقال تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ (١٥) [محمد: ١٥] .

فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا ، فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه ، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة وأن يصير قارصاً ، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي في اللذة وشربها ، وآفة العسل عدم تصفيته ، وهذا من آيات الرب تعالى أن تجري أنهار من أجناس لم تجر العادة في الدنيا بإجرائها ، ويجريها في غير أخدود ، وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها كما ينفي عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصداع والغول والإنزاف وعدم اللذة ، فهذه خمس آفات من آفات الدنيا تغتال العقل ، وآفات الخمر أضعاف أضعاف ما ذكرنا (٢٧) .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) ﴿[الإنسان: ٦] .

فهذا الشراب الذي مزج من الكافور هو عين يشرب منها عباد الله ، يتصرفون فيها ، ويُجَرُونَهَا حيث شَاءُوا إجراءً سهلاً .

وقال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (١٨) ﴿[الإنسان: ١٨] .

المعنى: وَيُسْقَى هؤلاء الأبرار في الجنة كأسًا مملوءة خمرًا مزجت بالزنجبيل ، يشربون من عين في الجنة تسمى سلسيلا ؛ لسلامة شرابها وطيبه .

وروي البخاري في صحيحه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعَصَعَةَ رضي الله عنه : أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةٍ أُسْرِيَ بِهِ « . ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فَإِذَا بَنُقُهَا مِثْلُ قِلَالٍ هَجَرَ وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيلَةِ قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنَّيْلُ وَالْفُرَاتُ . . . » (١) .

خادم رسول الله ﷺ (أنس بن مالك رضي الله عنه)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بستته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله ، نحن اليوم مع السيرة العطرة لخادم رسول الله ﷺ أنس ابن مالك بن النضر بن ضمضم رضي الله عنه ، الإمام ، المفتي ، المقرئ ، المحدث ، راوية الإسلام ، وآخر أصحابه موتاً ، روى عن النبي ﷺ علماً جماً ، - وعن كثير من الصحابة - ، وروى عنه خلق عظيم (24) .

أنس بن مالك رضي الله عنه في خدمة رسول الله ﷺ :

جاء في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٦٧٤ .

بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أُمَرَ عَلَى صَبِيَّانَ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَبِضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي قَالَ: فَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ: «يَا أَنَسُ أَذْهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَنَسُ: وَاللَّهِ لَقَدْ خَدَمْتُهُ تِسْعَ سِنِينَ مَا عَلِمْتُهُ قَالَ لَشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا أَوْ لَشَيْءٍ تَرَكْتُهُ هَلَا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا^(١) . فليتعلم الآباء من القدوة المعلم ﷺ كيف تكون التربية فلم يزره ولم يعنفه ولكن كان يحنو عليه .

حفظه سر رسول الله ﷺ :

جاء في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: أتى عليَّ رسولُ الله ﷺ وأنا أَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ قَالَ: فَسَلَّمَ عَلَيْنَا فَبَعَثَنِي إِلَيَّ حَاجَةً فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَةٍ قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ، قَالَتْ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدًا قَالَ أَنَسُ: وَاللَّهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثْتُكَ يَا ثَابِتُ^(٢) ، فليتعلم الأمهات من تربية أم أنس لابنها كيف علمته حفظ سر رسول الله .

دعاء النبي ﷺ له:

أخرج البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ فَأَتَتْهُ بِتَمْرٍ وَسَمْنٍ قَالَ: «أَعِيدُوا سَمْنَكُمْ فِي سِقَائِهِ - أي وعاء من الجلد - وَتَمْرَكُمْ فِي وَعَائِهِ فَإِنِّي صَائِمٌ» ثُمَّ قَامَ إِلَى نَاحِيَةِ مِنَ الْبَيْتِ فَصَلَّى غَيْرَ الْمَكْتُوبَةِ فَدَعَا لَأُمِّ سُلَيْمٍ وَأَهْلِ بَيْتِهَا فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي خُوَيْصَةً - أي تصغير خاصة ومعناه الذي يختص بخدمتك وصغرت له لصغر سنه - قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالَتْ: خَادِمُكَ أَنَسُ فَمَا تَرَكَ خَيْرَ آخِرَةٍ وَلَا دُنْيَا إِلَّا دَعَا لِي بِهِ قَالَ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالًا وَوَلَدًا وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ»، فَإِنِّي لَمِنْ أَكْثَرِ الْأَنْصَارِ مَالًا ، وَحَدَّثَنِي ابْنَتِي أُمَيَّةُ أَنَّهُ دُفِنَ لِصُلْبِي - أي من ولدي غير أحفادي وأسباطي والحفيد ولد الابن والسبط ولد البنت - مَقْدَمَ حَجَّاجِ الْبَصْرَةِ - أي سنة خمس وسبعين من الهجرة وكان عمر أنس رضي الله عنه عندها أكثر من ثمانين سنة وقد عاش بعدها إلى سنة ثلاث وتسعين وقد قارب المائة سنة - يَضَعُ

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٣١٠ .

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢٤٨٢ .

وَعِشْرُونَ وَمِائَةً^(١) .

قال ابن حجر: "وفيه التحدّث بنعم الله تعالى ، وبمعجزات النبي ﷺ في إجابة دعوته من الأمر النادر ، وهو اجتماع كثرة المال مع كثرة الولد".

كرامة ثابتة لأنس بن مالك رضي الله عنه :

جاء في (تاريخ دمشق) لابن عساكر أن ثابت البناني قال : جاء قيم أرض أنس - أي القائم على شئونها- ، فقال: عطشت أرضك ، فتردى أنس ، ثم خرج إلى البرية ، ثم صلى ، ودعا ، فثارت سحابة ، وغشيت أرضه ومطرت ، حتى ملأت صهريجه وذلك في الصيف ، فأرسل بعض أهله ، فقال: انظر أين بلغت ؟ فإذا هي لم تعد أرضه إلا يسيرا (13) قال الإمام الذهبي: هذه كرامة بينة ثبتت بإسنادين .

فانظر يا أخي رعاك الله إلى هذه المواقف التي حدثت في عهد الصحابة ، فهي تدل على استجابة الله تعالى للصالحين وشفاعتهم لأمتهم ، فهذه الرسالة تدعو لإحياء هذه السنة العظيمة والعمل بها ، والعض عليها بالنواجذ ، وتهيب بعلمائنا وصالحينا وعبادنا وكل من يحبون الخير لهذه الأمة ، بالدعاء والتضرع والاستسقاء للبلاد .

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (بخ) ١٨٨١ .

اللقاء الإيمانى الرابع والخمسون :

(مظاهر حفظ الله لهذا الدين <٧>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحيتي في الله ، من مظاهر حفظ الله لهذا الدين وجود الثوابت المسلمة التي لا يناقش فيها أحد ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في (مجموع الفتاوى):
اعلموا أن الجهاد فيه خير الدنيا والآخرة ، وفي تركه خسارة الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى في كتابه: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بَنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴾ [التوبة: ٥٢] .
يعني: إما النصر والظفر ، وإما الشهادة والجنة ، فمن عاش من المجاهدين كان كريماً له ثواب الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة . ومن مات منهم أو قتل فإلى الجنة (38) .

ومن هذه المظاهر: أن الله سبحانه وتعالى يريهم من الآيات في هذا الكون ما يدل على صدق وعوده ، وصدق آياته المذكورة في كتابه ، كما قال: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣] ، فنحن اليوم نشهد حالات كثيرة من إيمان الكفرة الفجرة بسبب مشاهد ومظاهر رأوها في وقت الحرب مع المسلمين ، فقد أسلم كثير من الجنود الأمريكان عندما رأوا جثث المجاهدين المستشهدين في أفغانستان تمكث الأسابيع ولا تتغير ، ليس لهم أية رائحة كريهة ، أو تغير في اللون ، أو اختلال في الجسم ، إنما يعلو محياهم النور ، وتظهر الابتسامة ، وكذلك أسلم عددٌ كثيرٌ من الجنود الروس ، بسبب ما شاهدوا من قبل في وقت الجهاد الأفغاني من النصرة التي نصر الله بها المؤمنين ، ومن غرائب ذلك ما أخبروا به اليوم ، فقد أخبروا الأمريكان في حربهم في أفغانستان ، وقالوا لهم: مادمت لم تشاهدوا الإبل ، فلا بأس عليكم .

قالوا: ما هي الإبل ؟ قالوا : كنا في الليل نرى بالرادار إبلاً أو جمالاً تقدم إلى المعسكر ، فنراقبها بالرادار والتصوير ، فإذا دخلت المعسكر تفجرت ، فكانت كالصواريخ أو القنابل!! وقد شاهدت في جريدة أمريكية عن بعض الجنود الأمريكان الذين كانوا مشاركين في تلك الحرب في أفغانستان أنهم شاهدوا في الليل

جمالاً عملاقاً يتقدم ، فذكروا نصيحة الروس ، فضربوه بالرصاص ؛ فلم يؤثر فيه ، كلما ضربوه قطع مسافة إليهم ، حتى وصل إلى المعسكر فتفجر ، وهو مشاهد على الشاشات ليس معه أي أحد ، وليس محملاً بأي شيء ، لكن هذا من مكر الله وكيده .

وكذلك عدد من الذين يحضرون هذه الحروب ، يشاهدون من المجاهدين الصبر والمثابرة في الجهاد في سبيل الله ، فيسلمون بسبب ذلك ، فأحدهم أسلم في باكستان وقال: إنه لن يخرج من باكستان حتى يحفظ القرآن ، وذلك بسبب أنه رأى الطائرات تقصف المجاهدين في خنادقهم ، فإذا ولت وفرغت حمولتها ، خرج منهم رجل فوضع إصبعه في أذنه وأذن ، فما يكتمل الأذان حتى يخرج الناس من الخنادق ، ويقيمون الصلاة ، ثم يرجعون إلى خنادقهم قبل أن تأتي الطائرات ، فهذه من الأمور التي يشاهدها الكفار ، فيشهدون بها ، وتكون سبب إسلام بعضهم (44) .

على درب التوحيد (ما جاء في نكران نعم الله)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٩) قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٥٠) ﴾ [الزمر: ٤٩ ، ٥٠] .

المعنى: فإذا أصاب الإنسان شدة وضر ، طلب من ربه أن يُفَرِّج عنه ، فإذا كشفنا عنه ما أصابه وأعطيناه نعمة منا عاد بربه كافراً ، ولفضله منكراً ، وقال: إن الذي أُوتِيَتْهُ إنما هو على علم من الله أني له أهل ومستحق ، بل ذلك فتنة يبتلي الله بها عباده ؛ لينظر مَنْ يشكره مَنْ يكفره ، ولكن أكثرهم - لجهلهم وسوء ظنهم وقولهم - لا يعلمون ؛ فلذلك يعدُّون الفتنة منحة . قد قال مقاتلهم هذه من قبلهم من الأمم الخالية المكذبة ، فما أغنى عنهم حين جاءهم العذاب ما كانوا يكسبونه من الأموال والأولاد .

وأخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَتْرَصُ، وَأَقْرَعُ، وَأَعْمَى فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَآتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْ أَنَّ حَسَنَ وَجِلْدِي حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ وَأَعْطَى لَوْ أَنَّ حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ أَوْ قَالَ: الْبَقَرُ شَبَّكَ إِسْحَقُ، إِلَّا أَنَّ الْأَبْرَصَ أَوْ الْأَقْرَعَ قَالَ أَحَدُهُمَا الْإِبِلُ وَقَالَ الْآخَرُ: الْبَقَرُ، قَالَ: فَأَعْطَى نَاقَةً عَشْرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، قَالَ: فَآتَى الْأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ وَأَعْطَى شَعْرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ فَأَعْطَى بَقْرَةً حَامِلًا، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، قَالَ: فَآتَى الْأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي، فَأَبْصَرَ بِهِ النَّاسُ قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ فَأَعْطَى شَاةً وَالِدًا، فَانْتَجَعَ هَذَانِ وَوَلَدَ هَذَا، قَالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مُسْكِينٌ قَدْ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحَبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاعَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالِ بَعِيرًا أَتَبْلُغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الْحَقُّوq كَثِيرَةٌ فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْدُرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالِ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ، قَالَ: وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: مِثْلُ مَا قَالَ لِهَذَا وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ، قَالَ: وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مُسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحَبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاعَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ بَكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبْلُغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ اللَّهُ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتَلَيْتُمْ فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ، وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ» ^(١).

الإخوة الفضلاء، إن حديث الأبرص والأقرع والأعمى حديث عظيم، وفيه معتبر: فإن الأبرص والأقرع جحدا نعمة الله، فما أقرا لله بنعمة، ولا نسبا النعمة إلى المنعم بها، ولا أديا حق الله فيها، فحل عليهما السخط. وأما الأعمى فاعترف

(١) (صحيح) أخرجه (بخ) ٣٢٧٧، و (م) ٢٩٦٤ واللفظ لمسلم.

بنعمة الله ، ونسبها إلى من أنعم عليه بها ، وأدى حق الله فيها ، فاستحق الرضا من الله بقيامه بشكر النعمة لما أتى بأركان الشكر الثلاثة التي لا يقوم الشكر إلا بها . وهي الإقرار بالنعمة ونسبتها إلى المنعم ، وبذلها فيما يجب (31) .

مشاهد من الدار الآخرة (طعام أهل الجنة وشرابهم)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

قال تعالى: ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَنَزَّارُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْنِيهِمْ (٢٣)﴾ [الطور: ٢٢ ، ٢٣] .

المعنى: وزدناهم فواكه ولحوماً مما يستطاب ويشتهى ، ومن هذا النعيم أنهم يتعاطون في الجنة كأساً من الخمر ، يناول أحدهم صاحبه ؛ ليم بذلك سرورهم ، وهذا الشراب مخالف لخمر الدنيا ، فلا يزول به العقل صاحبه ، ولا اللغو .

وروى مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا، وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَفَلُّونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشِحِ الْمُسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفْسَ»^(١) .

وجاء في مسند الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ طَيْرَ الْجَنَّةِ كَأَمْثَالِ الْبُخْتِ - أي الإبل - تَرَعَى فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَطَيْرٌ نَاعِمَةٌ فَقَالَ: أَكَلْتُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا قَالُوا: ثَلَاثًا وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَأْكُلُ مِنْهَا يَا أَبَا بَكْرٍ»^(٢) .

وروى الإمام أحمد في مسنده وغيره عن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ رضي الله عنه قال: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ؟ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: إِنَّ أَقْرَبَ لِي بِهِذِهِ خَصَمَتُهُ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٨٣٥ .

(٢) (حسن) أخرجه (حم) وحسنه الألباني في ص ٣٧٤٠ .

: «بَلَىٰ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيُعْطَىٰ قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الْمَطْعَمِ وَالْمُشْرَبِ وَالشَّهْوَةِ وَالْجَمَاعِ» قَالَ: فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ تَكُونُ لَهُ الْحَاجَةُ قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حَاجَةُ أَحَدِهِمْ عَرَقٌ يَفِيضُ مِنْ جُلُودِهِمْ مِثْلُ رِيحِ الْمِسْكِ فَإِذَا الْبَطْنُ قَدْ ضَمُرَ»^(١).

رجل اهتز لموته عرش الرحمن (سعد بن معاذ رضي الله عنه)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .
أيها الأحبة في الله ، نحن اليوم مع السيرة العطرة لرجل اهتز لموته عرش الرحمن . إنه سعد بن معاذ بن النعمان بن عبد الأشهل رضي الله عنه ، ويكنى أبا عمرو ، وأمه كبشة بنت رافع بن معاوية وهي من المبايعات (29) .
إسلام سعد بن معاذ رضي الله عنه :

جاء في (الرحيق المختوم) لفضيلة الشيخ صفى الرحمن المباركفوري : قال مصعب بن عمير - أول سفير في الإسلام والذي أرسله رسول الله إلى المدينة بعد بيعة العقبة الثانية للدعوة إلى الله - لسعد بن معاذ: أو تقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ، قال: قد أنصفت ، ثم ركز حربته فجلس . فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، قال: فعرّفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ، في إشراقه وتهلّله ، ثم قال: كيف تصنعون إذا أسلمتم؟ قالوا: تغتسل ، وتطهر ثوبك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلى ركعتين ففعل ذلك .

ثم أخذ حربته فأقبل إلى نادى قومه ، فلما رأوه قالوا: نلحف بالله لقد رجع بغير الوجه الذي ذهب به .

فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل ، كيف تعلمون أمرى فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً ، وأيمنا نقيبة ، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم على حرام

(١) (صحيح) أخرجه (حم ن طب حب ك) وصححه الألباني في ص ٣٧٣٩ .

حتى تؤمنوا بالله ورسوله . فما أمسى فيهم رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة ، إلا الأَصِيرَ تأخر إسلامه إلى يوم أحد (19) .

فلقد استطاع سفير رسول الله ﷺ أن يفعل في عام ما لم يفعله رسل كرام في عشرات الأعوام وما ذلك إلا بتوفيق الله تعالى ثم صدق ذلك الداعية وإخلاصه ، فأين سفراء دول المسلمين اليوم من سفير رسول الله ﷺ ؟ فعلى ولاة الأمر أن يختاروا السفير المؤمن الملتزم الموهوب الذي يستطيع أن يمثل بلاده ودينه قولاً وعملاً ، وخلقاً وسلوكاً ، فيرى الناس ويسمعون من خلاله (٢٦) .

وانظر أخي في الله: كيف يغير الإسلام الرجال إذا لامس شغاف القلوب ، فهذا هو سعد بن معاذ بعد أن كان مغضباً لدعوة مصعب وسعد بن زرارة لأفراد قبيلته وكان يريد أن يرحل ، تحول إلى النقيض تماماً فأصبح داعياً إلى الله تعالى فلما وقف على بني الأشهل قال: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيبة ، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله ، قال: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة ، فهلا تعلمنا من هذا الصحابي تحمل هم الدين بالدعوة إلى الله تعالى .

جهاده في غزوة بدر:

جاء في (الطبقات الكبرى) لابن سعد : عندما وصل جيش المسلمين دون بدر أتى رسول الله ﷺ الخبر بمسير قريش ، فأخبر به أصحابه واستشارهم في الأمر ، فقال المقداد بن عمرو البهراني: والذي بعثك بالحق ، لو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك حتى ننتهي إليه . ثم قال رسول الله ﷺ : أشيروا علي ، وإنما يريد الأنصار . فقام سعد بن معاذ فقال: أنا أجيب عن الأنصار ، كأنك يا رسول الله تريدنا؟ قال: أجل . قال: فامض يا نبي الله لما أردت ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك ما بقي منا رجل واحد . فقال رسول الله ﷺ : سيروا على بركة الله ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، فوالله لكأنني أنظر إلى مصارع القوم . وعقد رسول الله ﷺ يومئذ الألوية ، وكان لواء الأوس مع سعد بن معاذ (29) .

كانت كلمات سعد مشجعة لرسول الله ﷺ وملهبة لمشاعر الصحابة فقد

رفعت معنويات الصحابة وشجعتهم على القتال . إن حرص النبي على استشارة أصحابه في الغزوات يدل على تأكيد أهمية الشورى في الحروب بالذات ، ذلك لأن الحروب تقرر مصير الأمم .

جهاد سعد بن معاذ رضي الله عنه يوم الخندق وحكمه على بني قريظة واستشهاده:

جاء في (الطبقات الكبرى) لابن سعد عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت يوم الخندق أفقو آثار الناس فسمعت وثيد الأرض ورائي ، تعني حس الأرض ، فالتفت فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه بن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنه ، فجلست إلى الأرض ، قالت: فمر سعد وعليه درع قد خرجت منه أطرافه فأنا أتخوف على أطراف سعد . وكان سعد من أطول الناس وأعظمهم ، . . قالت: ويرمي سعدا رجل من المشركين من قريش يقال له ابن العرقه بسهم فقال: خذها وأنا ابن العرقه! فأصاب أكحله فدعا الله سعد فقال: اللهم لا تميتني حتى تشفيني من قريظة ، وكانوا مواليه وحلفاءه في الجاهلية ، قالت: فرقا كلمه ، تعني جرحه ، وبعث الله تبارك وتعالى الريح على المشركين فكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا ، فلحق أبو سفيان بمن معه بتهامة ، ولحق عيينة بمن معه بنجد ، ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصيههم ، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة فأمر بقبة فضربت على سعد بن معاذ في المسجد ، قالت: فجاءه جبريل ، وعلى ثناياه النقع فقال: أقدم وضعت السلاح؟ فو الله ما وضعت الملائكة السلاح بعد ، اخرج إلى بني قريظة فقاتلهم .

قالت: فلبس رسول الله ﷺ لأمته وأذن في الناس بالرحيل ، فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة ، فلما اشتد حصارهم واشتد البلاء عليهم قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله ﷺ . فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر فأشار إليهم أنه الذبح ، فقالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ ، فقال لهم رسول الله: انزلوا على حكم سعد بن معاذ ، فنزلوا على حكم سعد بن معاذ ، فبعث رسول الله ﷺ إلى سعد فحمل على حمار عليه إكاف من ليف وحف به قومه فجعلوا يقولون: يا أبا عمر حلفاؤك ومواليك وأهل النكابة ومن قد علمت ، ولا يرجع إليهم شيئا ، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال: قد أنى لي أن لا أبالي في الله لومة لائم . قال ابن سعد: فلما طلع على رسول الله ﷺ قال: قوموا إلى سيدكم فأنزلوه ، فقال عمر: سيدنا الله ، فقال: أنزلوه ، فأنزلوه فقال له رسول الله ﷺ: احكم فيهم ، قال: فإني

أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتقسم أموالهم ، فقال رسول الله ﷺ : لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله . قالت ثم دعا الله سعد فقال: اللهم إن كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئاً فأبقني لها ، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك . قالت فانفجر كلمه - أي جرحه - وقد كان برأ حتى ما يرى منه شيء إلا مثل الخرص ، ورجع إلى قبته التي ضرب عليه رسول الله ﷺ (29) .

قال فضيلة الدكتور على بن محمد الصلابي : وهذا جزاء عادل نزل بمن أراد الغدر وتبرأ من حلفه للمسلمين وكان جزاؤهم من جنس عملهم حين عرضوا بخيانتهم أرواح المسلمين للقتل وأموالهم للنهب ، ونساءهم وذراريهم للسخي ، فعوقبوا بذلك (٢٦) .

وروى النسائي في السنن عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «هَذَا - أي سعد ابن معاذ - الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةٌ ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ» (١) .

من أنفع أسباب النجاة من عذاب الآخرة أن يجلس المسلم عندما يريد النوم يحاسب نفسه فيما خسره ورجحه في يومه ، ثم يجدد له توبة نصوحا فينام على ذلك . وأخرج الشيخان في صحيحيهما عن البراء رضي الله عنه قَالَ: أَهْدِيَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ثَوْبُ حَرِيرٍ فَجَعَلْنَا نَلْمُسُهُ وَنَتَعَجَّبُ مِنْهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «أَتَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا؟» قُلْنَا: نَعَمْ قَالَ: «مَنَادِيلُ سَعْدِ ابْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ هَذَا» (٢) .

ولا يخفى أن المناديل هي أدنى الثياب ، فكيف وهي أعظم من حلل الملوك !
فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى .
(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (ن) وصححه الألباني في ص . ج ٦٩٨٧ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٤٧٣ (م) ٢٤٦٩ .

اللقاء الإيمان الخامس والخمسون:

شروط الاستخلاف والتمكين للمسلمين (<١>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبي في الله ، إن الخطر يكون على المسلمين إذا تخلوا عن هذا الدين ، فإن الله جنود السماوات والأرض ، ولذلك نستطيع أن نقول: هناك استخلاف وتمكين وأمن وطمأنينة في هذه الحياة على هذا الدين ، لكن بشرط أن يطبق المسلمون الشروط المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]. فهذه الآية اشتملت على ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أن للاستخلاف وللمتمكين في الأرض أربعة شروط:

الشرط الأول: قوله تعالى: ﴿آمَنُوا﴾ .

الشرط الثاني: قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ .

الشرط الثالث: قوله تعالى: ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ .

الشرط الرابع: قوله تعالى: ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ .

وتجد هذه الشروط الأربعة متماسكة ومتراطة مع بعضها ، بحيث لو تخلف أحدها عن الآخر لما تحقق الموعود .

الأمر الثاني: إذا توافرت هذه الشروط الأربعة تحققت هذه الموعودات .

الأمر الثالث: أن المسلمين لو غيروا ما اشترط عليهم بخصوص التمكين في

هذه الأرض فسوف يغير الله تعالى حالهم ، بدليل قوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥] (42) .

على درب التوحيد (ما جاء في الهزل بشيء فيه الله أو القرآن أو الرسول)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم

به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .
قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [التوبة: ٦٥] .

أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوماً: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء لا أرغب بطونا ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء ، فقال رجل في المجلس: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ونزل القرآن قال عبد الله: فأنا رأيت متعلقاً بحقب ناقة رسول الله تنكبه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ^(١) .

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : فقد أخبر الله جل وعلا أنهم كفروا بعد إيمانهم مع قولهم: إنما تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له ، بل إنما كنا نخوض ونلعب . وبين أن الاستهزاء بآيات الله كفر ، ولا يكون هذا إلا ممن شرح صدره بهذا الكلام ، ولو كان الإيمان في قلبه لمنعه أن يتكلم بهذا الكلام (31) .

ويقول فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى عن الفوائد المنتقاه فيما جاء في الهزل بشيء فيه الله أو القرآن أو الرسول :

- ١ - بيان حكم المستهزئين بالله أو الرسول أو القرآن أو بأي شيء من الدين وأن حكمهم أنهم مرتدون إذا كانوا مسلمين فلاستهزاء ردة عن الإسلام .
- ٢ - قوله (فقال له عوف بن مالك : كذبت ، ولكنك منافق) هذا فيه إنكار المنكر على من سمعه وأن من سمع مثله فعليه أن ينكره وأن يبلغ المسؤولين عنه ولا سيما مثل هذا المنكر العظيم .

مشاهد من الدار الآخرة (آنية أهل الجنة)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبي الذين اتقوا وعقبي الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا

(١) (رجالہ ثقات) أخرجه أبي حاتم في تفسيره قال مقبل الوادعي رجالہ رجال الصحيح .

شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٧١) ﴿[الزخرف: ٧١] .

وقال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ (١٨)﴾ [الواقعة: ١٨] .

المعنى: يطوف عليهم لخدمتهم غلمان لا يهرمون ولا يموتون ، بأقداح وأباريق وكأس من عين خمر جارية في الجنة .

وقال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا (١٥) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَتْ مِرْجُوحًا زَنْجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (١٨)﴾ [الإنسان: ١٥-١٨] .

المعنى: ويدور عليهم الخدم بأواني الطعام الفضية ، وأكواب الشراب من الزجاج ، زجاج من فضة ، قدّرها السقاة على مقدار ما يشتهي الشاربون لا تزيد ولا تنقص ، ويسقى هؤلاء الأبرار في الجنة كأساً مملوءة خمرًا مزجت بالزنجبيل ، يشربون من عين في الجنة تسمى سلسبيلا ؛ لسلامة شرابها وطيبه .

وأخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَنَّاتٍ مِنْ فِضَّةٍ أُنِيتُهُمَا وَمَا فِيهِنَّ، وَجَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ أُنِيتُهُمَا وَمَا فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءَ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ»^(١) .

الباحث عن الدين الحق (سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . . .

أيها الأحبة في الله ، نحن اليوم مع السيرة العطرة للباحث عن الحقيقة سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويكنى أبا عبد الله من قرية جي ، وقيل: سافر يطلب الدين مع قوم فغدروا به فباعوه من اليهود ثم أنه كوتب فأعانه النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتابته ، أسلم مقدم

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٧٠٠٦ و(م) ١٨٠ واللفظ لمسلم .

النبي ﷺ المدينة ، ومنعه الرق من شهود بدر واحد وأول غزاة غزاها مع النبي ﷺ الخندق وشهد ما بعدها وولاه عمر المدائن (28) .

قصة سلمان الفارسي عليه السلام :

أخرج الإمام أحمد في مسنده وابن سعد في الطبقات ، قال سلمان الفارسي عليه السلام : كُنْتُ رَجُلًا فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْهَا يُقَالُ لَهَا: جِيٌّ ، وَكَانَ أَبِي دِهْقَانَ قَرْيَتِهِ وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ أَيْ مُلَازِمَ النَّارِ كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَّةُ ، وَأَجْهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ حَتَّى كُنْتُ قَطْنَ النَّارِ الَّذِي يُوقِدُهَا لَا يَتْرُكُهَا تَخْبُو سَاعَةً قَالَ: وَكَانَتْ لِأَبِي ضَيْعَةٌ عَظِيمَةٌ قَالَ: فَشُغِلَ فِي بَيْتَانِ لَهُ يَوْمًا فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ فِي بَيْتَانِ هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضَيْعَتِي فَأَذْهَبْ فَاطْلَعْهَا ، وَأَمَرَنِي فِيهَا بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضَيْعَتَهُ فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى ، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ وَكُنْتُ لَا أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ لِحَبْسِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ ، فَلَمَّا مَرَرْتُ بِهِمْ وَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُونَ قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبَنِي صَلَاتُهُمْ وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ وَقُلْتُ: هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ ، فَوَاللَّهِ مَا تَرَكْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَتَرَكْتُ ضَيْعَةَ أَبِي وَلَمْ آتِهَا فَقُلْتُ لَهُمْ: أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ ؟ قَالُوا : بِالشَّامِ قَالَ : ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلْبِي وَشَغَلْتُهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ قَالَ : فَلَمَّا جِئْتُهُ قَالَ: أَيُّ بُنَيَّ أَيْنَ كُنْتَ أَلَمْ أَكُنْ عَاهَدْتُ إِلَيْكَ مَا عَاهَدْتُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : يَا أَبَتِ مَرَرْتُ بِنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ لَهُمْ فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ قَالَ : أَيُّ بُنَيَّ لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ دِينِكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ قَالَ : قُلْتُ: كَلَّا وَاللَّهِ إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ دِينِنَا قَالَ : فَخَافَنِي فَجَعَلَ فِي رِجْلِي قِيدًا ثُمَّ حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ قَالَ : وَبَعَثْتُ إِلَيَّ النَّصَارَى فَقُلْتُ لَهُمْ : إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكَبٌ مِنَ الشَّامِ تُجَارُّ مِنَ النَّصَارَى فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ قَالَ : فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكَبٌ مِنَ الشَّامِ تُجَارُّ مِنَ النَّصَارَى قَالَ : فَأَخْبَرُونِي بِهِمْ قَالَ : فَقُلْتُ لَهُمْ : إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ وَأَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ فَأَذِّنُونِي بِهِمْ قَالَ: فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ أَخْبَرُونِي بِهِمْ فَأَلْقَيْتُ الْحَدِيدَ مِنْ رِجْلِي ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ ، حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ فَلَمَّا قَدِمْتُهَا قُلْتُ: مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ ؟ قَالُوا: الْأَسْقَفُ فِي الْكَنِيسَةِ قَالَ: فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّينِ وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ أَخْدُمُكَ فِي كَنِيسَتِكَ وَأَتَعَلَّمَ مِنْكَ وَأَصْلِيَ مَعَكَ قَالَ : فَادْخُلْ فَدَخَلْتُ

مَعَهُ قَالَ: فَكَانَ رَجُلٌ سَوِيٌّ يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرْعَبُهُمْ فِيهَا فَلِذَا جَمَعُوا إِلَيْهِ مِنْهَا أَشْيَاءَ اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرَقٍ -
 أَيِ فِضَّةٍ - قَالَ: وَأَبْغَضْتُهُ بَغْضًا شَدِيدًا لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ ثُمَّ مَاتَ فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ النَّصَارَى لِيَدْفِنُوهُ فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلًا سَوِيًّا يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرْعَبُكُمْ فِيهَا فَلِذَا جِئْتُمُوهُ بِهَا اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا قَالُوا: وَمَا عَلِمُكَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَنَا أَذْكَكُمْ عَلَى كَنْزِهِ قَالُوا: فَذَلُّنَا عَلَيْهِ قَالَ: فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ قَالَ: فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا وَوَرَقًا قَالَ: فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا: وَاللَّهِ لَا نَذْفِنُهُ أَبَدًا فَصَلَبُوهُ ثُمَّ رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ ثُمَّ جَاءُوا بِرَجُلٍ آخَرَ فَجَعَلُوهُ بِمَكَانِهِ قَالَ: يَقُولُ سَلَمَانُ: فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا لَا يُصَلِّيَ الْخُمْسَ أَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ أَرْهَدُ فِي الدُّنْيَا وَلَا أَرْغَبُ فِي الْآخِرَةِ وَلَا أَذْأَبُ لَيْلًا وَنَهَارًا مِنْهُ قَالَ: فَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لَمْ أَحِبَّهُ مِنْ قَبْلِهِ وَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَانًا ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنِّي كُنْتُ مَعَكَ وَأَحْبَبْتُكَ حُبًّا لَمْ أَحِبَّهُ مِنْ قَبْلِكَ وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللَّهِ فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيُّ بَنِيِّ وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا الْيَوْمَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ وَبَدَلُوا وَتَرَكَوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا رَجُلًا بِالْمَوْصِلِ وَهُوَ فُلَانٌ فَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ فَالْحَقُّ بِهِ قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغِيبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ الْمَوْصِلِ فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنَّ فُلَانًا أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنَّ الْحَقَّ بِكَ وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ عَلَى أَمْرِهِ قَالَ: فَقَالَ لِي: أَقِمْ عِنْدِي فَأَقِمْتُ عِنْدَهُ فَوَجَدْتُهُ خَيْرَ رَجُلٍ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِهِ فَلَمْ يَلْبِثْ أَنْ مَاتَ فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنَّ فُلَانًا أَوْصَى بِي إِلَيْكَ وَأَمَرَنِي بِاللُّحُوقِ بِكَ وَقَدْ حَضَرَكَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا تَرَى فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيُّ بَنِيِّ وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ رَجُلًا عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ إِلَّا بَنَصِييْنِ وَهُوَ فُلَانٌ فَالْحَقُّ بِهِ وَقَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغِيبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ بَنَصِييْنِ فَجِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبْرِي وَمَا أَمَرَنِي بِهِ صَاحِبِي قَالَ: فَأَقِمْ عِنْدِي فَأَقِمْتُ عِنْدَهُ فَوَجَدْتُهُ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِهِ فَأَقَمْتُ مَعَ خَيْرِ رَجُلٍ فَوَاللَّهِ مَا لَبِثْتُ أَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنَّ فُلَانًا كَانَ أَوْصَى بِي إِلَيْ فُلَانٍ ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيُّ بَنِيِّ وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ أَحَدًا بَقِيَ عَلَى أَمْرِنَا أَمْرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ إِلَّا رَجُلًا بِعُمُورِيَّةٍ فَإِنَّهُ بِمِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَاتِهِ قَالَ: فَإِنَّهُ عَلَى أَمْرِنَا قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغِيبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ عُمُورِيَّةٍ وَأَخْبَرْتُهُ خَبْرِي فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي فَأَقَمْتُ مَعَ رَجُلٍ عَلَى هَدْيِ أَصْحَابِهِ وَأَمْرِهِمْ قَالَ: وَاکْتَسَبْتُ حَتَّى كَانَ لِي

بَقَرَاتٍ وَغَنِيمَةً قَالَ : ثُمَّ نَزَلَ بِهِ أَمْرُ اللَّهِ فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ : يَا فُلَانُ إِنِّي كُنْتُ مَعَ فُلَانٍ فَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ وَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي ؟ قَالَ : أَيُّ بَنِيَّ وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَمْرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظْلَكَ زَمَانُ نَبِيِّ هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ مُهَاجِرًا إِلَى أَرْضِ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ بَيْنَهُمَا نَخْلٌ بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَخْفَى يَأْكُلُ الْهَدْيَةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ فَافْعَلْ ، قَالَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ : ثُمَّ مَاتَ - أَيُّ صَاحِبِ عَمُورِيَّةَ - وَغَيْبَ فَمَكَّنْتُ بِعَمُورِيَّةَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَمُكَّتْ ثُمَّ مَرَّ بِي نَفَرٌ مِنْ كَلْبٍ - أَيُّ قَبِيلَةِ كَلْبٍ - تَجَارًا فَقُلْتُ لَهُمْ : تَحْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ وَأَعْطِيكُمْ بِقَرَاتِي هَذِهِ وَغَنِيمَتِي هَذِهِ قَالُوا : نَعَمْ فَأَعْطَيْتُهُمْوَهَا وَحَمَلُونِي حَتَّى إِذَا قَدِمُوا بِي وَادِي الْقَرَى ظَلَمُونِي فَبَاعُونِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ يَهُودَ عَبْدًا فَكُنْتُ عِنْدَهُ ، وَرَأَيْتُ النَّخْلَ وَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ الْبَلَدُ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي ، وَلَمْ يَحِقْ لِي فِي نَفْسِي فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَهُ قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمٍّ لَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي قَرِيطَةَ فَابْتَاعَنِي مِنْهُ فَاحْتَمَلَنِي إِلَى الْمَدِينَةِ فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا فَعَرَفْتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي ، فَأَقَمْتُ بِهَا وَبَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ فَأَقَامَ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ لَا أَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرِ مَعَا أَنَا فِيهِ مِنْ شُغْلِ الرِّقِّ ، قَالَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ : ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِي رَأْسِ عَذْقٍ لِسَيِّدِي أَعْمَلُ فِيهِ بَعْضَ الْعَمَلِ وَسَيِّدِي جَالِسٌ إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ : فُلَانُ قَاتِلُ اللَّهِ بَنِي قَبِيلَةٍ وَاللَّهِ إِنَّهُمْ الْآنَ لَمُجْتَمِعُونَ بِقَبَاءٍ عَلَى رَجُلٍ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَكَّةَ الْيَوْمَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ قَالَ : فَلَمَّا سَمِعْتُهَا أَخَذْتَنِي الْعُرَوَاءُ حَتَّى ظَنَنْتُ سَأَسْقُطُ عَلَى سَيِّدِي قَالَ : وَنَزَلْتُ عَنِ النَّخْلَةِ فَجَعَلْتُ أَقُولُ لِابْنِ عَمِّهِ ذَلِكَ مَاذَا تَقُولُ؟ مَاذَا تَقُولُ؟ قَالَ : فَغَضِبَ سَيِّدِي فَلَكَمَنِي لَكَمَةً شَدِيدَةً ثُمَّ قَالَ : مَا لَكَ وَلِهَذَا أَقْبَلُ عَلَى عَمَلِكَ قَالَ : قُلْتُ : لَا شَيْءَ إِلَّا مَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَشِيتَ عَمَّا قَالَ ، وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتُهُ فَلَمَّا أَمْسَيْتُ أَخَذْتُهُ ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِقَبَاءٍ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذَوُو حَاجَةٍ وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ قَالَ : فَفَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ : كُلُوا وَأَمْسِكْ يَدَهُ فَلَمْ يَأْكُلْ قَالَ : فَقُلْتُ فِي نَفْسِي هَذِهِ وَاحِدَةٌ ، ثُمَّ أَنْصَرَفْتُ عَنْهُ فَجَمَعْتُ شَيْئًا وَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ جِئْتُ بِهِ فَقُلْتُ : إِنِّي رَأَيْتُكَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا قَالَ : فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

ﷺ مِنْهَا وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي هَاتَانِ اثْنَتَانِ ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِبَيْعِ الْعَرَقِدِ قَالَ: وَقَدْ تَبِعَ جَنَازَةً مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ شِمْلَتَانِ لَهُ وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَدْرْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ هَلْ أَرَى الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي، فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَدْرْتُهُ عَرَفْتُ أَنِّي أُسْتَشِيتُ فِي شَيْءٍ وَصَفَ لِي قَالَ: فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ فَأَنْكَبْتُ عَلَيْهِ أَقْبَلَهُ وَأَبْكَيْ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تَحَوَّلْ فَتَحَوَّلْتُ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: فَأَعْجَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرَّقُّ حَتَّى فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَدْرٌ وَأَخَذَ قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَاتِبُ يَا سَلْمَانُ فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلَاثِ مِائَةِ نَخْلَةٍ أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ وَبِأَرْبَعِينَ أَوْقِيَةً فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: أَعِينُوا أَخَاكُمْ فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ وَدِيَّةً وَالرَّجُلُ بِعِشْرِينَ وَالرَّجُلُ بِخَمْسٍ عَشْرَةً وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ يَعْنِي الرَّجُلُ يَقْدِرُ مَا عِنْدَهُ حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلَاثُ مِائَةِ وَدِيَّةٍ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقَّرْ لَهَا فَإِذَا فَرَعْتَ فَأَتِنِي أَكُونُ أَنَا أَضْعُهَا بِيَدِي فَفَقَّرْتُ لَهَا وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي حَتَّى إِذَا فَرَعْتَ مِنْهَا جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعِي إِلَيْهَا فَجَعَلْنَا نُقَرِّبُ لَهُ الْوَدِيَّ وَيَضَعُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ فَادَّيْتُ النَّخْلَ وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ الْمَغَازِي فَقَالَ: مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتَّبُ؟ قَالَ: فَدُعِيتُ لَهُ فَقَالَ: خُذْ هَذِهِ فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ فَقُلْتُ: وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّا عَلَيَّ؟ قَالَ: خُذْهَا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ قَالَ: فَأَخَذْتُهَا فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ أَرْبَعِينَ أَوْقِيَةً فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ وَعَتَقْتُ فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْخَنْدَقَ ثُمَّ لَمْ يَفْتِنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ^(١).

كم عانى هذا الصحابي الجليل من أجل أن يعتنق هذا الدين ونحن ولدنا مسلمين!!

فهل أدينا شكر نعمة الإسلام؟ فمن أداء شكر هذه النعمة: الإستقامة على الكتاب والسنة، والعمل جاهداً في تبليغ دعوته سبحانه وتعريف عباده عليه، بإرشادهم لطريق طاعته وتحذيرهم من مغبة معصيته.

(١) (حسن) أخرجه (حم بن سعد) وحسنه الألباني في س. ص ٨٩٤.

حكمة سلمان الفارسي رضي الله عنه :

أخرج البخاري عن أبي جحيفة قال: أَخْبَى النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَدِّلَةً فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَتْ: أَخْوَكُ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا ، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فَقَالَ: كُلْ قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ قَالَ: مَا أَنَا بِأَكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ قَالَ: فَأَكَلَ فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ قَالَ: نَمْ فَنَامَ ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ: سَلْمَانُ قُمْ الْآنَ فَصَلِّ يَا سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَأَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ، فَاتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ صَدَقَ سَلْمَانُ ^(١) ، لَقَدْ أُوتِيَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ رضي الله عنه الْحِكْمَةَ وَصَدَقَ مِنْ قَالَ ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] .

ذكر نبذة من تواضعه:

جاء في (الطبقات الكبرى) : عن ثابت قال: كان سلمان أميراً على المدائن فجاء رجل من أهل الشام ومعه حمل ثُبْنٍ وعلى سلمان أُنْدَرَا وِبَرْدٍ وعباءة فقال سلمان: تعال واحمل ، وهو لا يعرف سلماناً . فحمل سلمان فرآه الناس فعرفوه فقالوا: هذا الأمير . فقال: لم أعرفك . فقال له سلمان: لا حتى أبلغ منزلك (٢٩) .
حان وقت رحيله:

جاء في (حلية الأولياء) للأصبهاني : عن الشعبي ، قال: حدثني الخزل عن امرأة سلمان بقيرة ، قالت: لما حضر سلمان الموت دعاني وهو في عليّة لها أربعة أبواب ، فقال: افتحي الأبواب يا بقيرة فإن لي اليوم زوارا لا أدري من أي هذه الأبواب يدخلون علي ، ثم دعا بمسك له ثم قال: أذيفيه في تور ، ففعلت ، ثم قال: انضحيه حول فراشي ثم انزلي فامكثي فسوف تطلعين فتريني على فراشي ، فاطلعت فإذا هو قد أخذ روحه فكأنه نائم على فراشه أو نحواً من هذا (١٧) .

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ١٨٦٧ .

اللقاء الإيمانى السادس والخمسون:

(شروط الاستخلاف والتمكين للمسلمين <٢>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحيتي في الله ، إن من شروط الاستخلاف والتمكين لهذا الدين هو الإيمان والتوحيد فيروي لنا التاريخ في عهد أبي حنيفة رحمه الله: أن ناساً طلبوا من الشيخ أبي حنيفة أن يثبت لهم وجود الخالق سبحانه وتعالى .

فتقدم لهم الإمام أبو حنيفة نيابة عن شيخه ، وكان يومها لم يزل غلاماً لا يتجاوز الرابعة عشرة من عمره ، فقال: أنا الذي أخبرهم بوجود الخالق بدليل عقلي . وحدد يوم للمناظرة وكان المكان خلف نهر دجلة في العراق ، واجتمع كثير من الناس لحضور المناظرة والنقاش بين أبي حنيفة وبين هؤلاء ، فتأخر أبو حنيفة قليلاً عن الموعد المحدد واجتمع الناس .

فلما جاء أبو حنيفة متأخراً قليلاً قيل له: إنك تأخرت!

قال أبو حنيفة: ما تأخرت ، لكنني وقفت على حافة النهر أبحث عن قارب يحملني إليكم فما وجدت إلا قارباً صغيراً يعوم في الماء بدون قائد ، فأشرت إليه فجاء فحملني إليكم ثم رجع .

فقالوا: انظروا إلى أبي حنيفة المجنون يقول: إن قارباً جاء إليه وحمله ورجع وليس له قائد . ثم قالوا له: يا أبا حنيفة! أنت مجنون؟

قال: لا ، فإذا كنتم تتصورون أن هذه الحياة بكل أفلاكها وعظمتها وسمائها وأرضها تدور وتتحرك بدون قيادة ، ولا تتصورون أن قارباً صغيراً يستطيع أن يعبر نهر دجلة بدون قيادة فأنتم المجانين . فغلبهم بحجته رحمه الله تعالى (42) .

على درب التوحيد (تحريم كل اسمٍ مُعبَّدٍ لغير الله)

الحمد لله الذى جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد

أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .
 إحتوي في الله ، اتفق العلماء على تحريم كل اسم مُعَبَّدٍ لغير الله "ك (عبد
 النبي) ، و (عبد الرسول) و (عبد الكعبة) ، و (عبد الحارث) وغير ذلك ، لأنّ
 التعبيد يجب أن يكون لله سبحانه وتعالى ، لأنّ الخلق كلهم عبادُ الله كما قال
 تعالى: ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (٩٣) [مريم: ٩٣] ،
 فكلُّ الخلق عباد الله المؤمن والكافر .

ولا يجوز أن يسمّى أحد الآن عبد المطلب ، فلا وجه للاستثناء ، وإنّما يقال :
 عبد المطلب لجَد الرسول خاصة ، حكاية للماضي ، كما يقال ؛ (عبد الكعبة) و
 (عبد شمس) ، و (عبد مناف) ، حكاية لِمَا مضى ، أما بعد الإسلام فلا يجوز أن
 يسمّى أحد بهذه الأسماء .

كما أن تعبيد الأسماء لغير الله يُعتبر من الشرك الأصغر ، وهو شرك الطاعة ،
 إذا لم يقصد به معنى العبودية ، فإنّ قصد به معنى العبودية والتألّه صار من
 الشرك الأكبر ، كما عليه عبّاد القبور الذين يسمّون أولادهم: (عبد الرسول) أو
 غير ذلك (6) .

يقول فضيلة الشيخ محمد صالح المنجد : والأصل في الأسماء الجواز ، غير أن
 هناك بعض المحاذير الشرعية التي ينبغي اجتنابها عند اختيار الأسماء منها :

- ١- التعبيد لغير الله عز وجل ، سواء لني مرسل أو ملك مقرب ، فلا يجوز
 التعبيد لغير الله عز وجل مطلقاً ، ومن الأسماء المعبدة لغير الله عبد الرسول ، عبد
 النبي ، عبد الأمير ، وغيرها من الأسماء التي تفيد التعبيد أو الذلة لغير الله عز
 وجل . وهذه الأسماء يجب تغييرها لمن تسمى بها أو سماه أهله بها .
 - ٢- التسمية باسم من أسماء الله تبارك وتعالى ، التي اختص بها نفسه سبحانه ، كأن
 يسمي الخالق أو الرازق أو الرب أو الرحمن ونحوها مما اختص بها الله عز وجل .
 - ٣- التسمية بأسماء الكفار الخاصة بهم ، الدالة عليهم دون غيرهم ، مثل عبد
 المسيح وبطرس وجرجس ونحوها من الأسماء الدالة على ملة الكفر .
 - ٤- التسمية بأسماء الطواغيت المعبودة من دون الله ، كالترسمي بشيطان ونحوه .
- وكل ما سبق من الأسماء لا يجوز التسمي به بل هو حرام ، وعلى من تسمى
 به أو سماه به غيره أن يغيّره .

٥- يكره التسمي بما تنفر النفوس من معناه من الأسماء ، إما لما يحمله من معنى قبيح أو مثير للسخرية ، كما أن فيه مخالفة لهدي النبي ﷺ في الأمر بتحسين الأسماء ، ومثال ذلك اسم حرب ، ورشاش ، وهيام وهو اسم مرض يصيب الإبل ونحوها من الأسماء التي تحمل معان قبيحة وغير حسنة .

٦- يكره التسمي بأسماء فيها معان رخوة أو شهوانية ، ويكثر هذا في تسمية الإناث ، مثل بعض الأسماء التي تحمل أوصافاً جنسية أو شهوانية .

٧- يكره تعمد التسمي بأسماء الفساق من المغنيين والمغنيات والممثلين والممثلات ونحوهم ، فإن كانوا يحملون أسماء حسنة فيجوز التسمي بها لكن لأجل معانيها الحسنة وليس لأجل التشبه بهم أو تقليدهم .

٨- يكره التسمي بأسماء فيها معان تدل على الإثم والمعصية ، مثل سارق وظالم ، أو التسمي بأسماء الفراعنة والعصاة مثل فرعون وهامان وقارون .

٩- ويكره التسمي بأسماء الحيوانات المشهورة بالصفات المستهجنة ، مثل الحمار والكلب والقرد ونحوها .

١٠- تكره التسمية بكل اسم مضاف إلى الدين والإسلام ، مثل نور الدين وشمس الدين وكذلك نور الإسلام وشمس الإسلام ، لما فيها من إعطاء المسمى فوق حقه ، وقد كان علماء السلف يكرهون تلقيبهم بهذه الألقاب ، فقد كان الإمام النووي رحمه الله تعالى يكره تلقيبه بمحيي الدين ، وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كان يكره تلقيبه بتقي الدين ويقول : لكن أهلي لقبوني بذلك فاشتهر .

١١- وتكره الإضافة إلى اسم الله عز وجل غير عبد الله ، وذلك مثل حسب الله ، ورحمة الله ونحوه . وكذلك الإضافة إلى لفظ الرسول .

١٢- ويكره التسمي بأسماء الملائكة ، وكذلك بأسماء سور القرآن مثل طه ويس ونحوها ، وهذه الأسماء هي من الحروف المقطعة وليست من أسماء النبي ﷺ .

مشاهد من الدار الآخرة (لباس وحلي ومناديل وفرش أهل الجنة)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل

الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَكَئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (٣١)﴾ [الكهف: ٣٠-٣١] .

المعنى : إن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحات لهم أعظم المثوبة ، إنا لا ننضيع أجورهم ، ولا ننقصها على ما أحسنوه من العمل . أولئك الذين آمنوا لهم جنات يقيمون فيها دائماً ، تجري من تحت غرفهم ومنازلهم الأنهار العذبة ، يحلّون فيها بأساور الذهب ، ويلبسون ثياباً ذات لون أخضر نسجت من رقيق الحرير وغلظه ، يتكئون فيها على الأسيرة المزدانة بالستائر الجميلة ، نعم الثواب ثوابهم ، وحسنت الجنة منزلاً ومكاناً لهم .

وقال تعالى: ﴿مُتَكَئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤)﴾ [الرحمن: ٥٤] .

أي متكئين على فرش مبطنة من غليظ الديباخ ، وثمر الجنتين قريب إليهم .

وقال تعالى: ﴿مُتَكَئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبَقَرٍ حِسَانٍ (٧٦)﴾ [الرحمن: ٧٦] .

أي متكئين على وسائد ذوات أغطية خضر وفرش حسان .

وقال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَهَارٌ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزُرَابِيٌّ مُبْتُوَةٌ (١٦)﴾ [الغاشية: ١٣-١٦] .

المعنى: في الجنة سرر عالية وأكواب معدة للشاربين ، ووسائد مصفوفة ، الواحدة جنب الأخرى ، وبسط كثيرة مفروشة .

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ» ^(١) .

وأخرج الشيخان في صحيحهما عن البراء رضي الله عنه قال: أُرْهِدِي لِلنَّبِيِّ ﷺ ثَوْبُ حَرِيرٍ فَجَعَلْنَا نَلْمُسُهُ وَنَتَعَجَّبُ مِنْهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَتَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا؟ قُلْنَا: نَعَمْ

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٨٣٦ .

قَالَ: «مَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ هَذَا»^(١).

وجاء في مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُورَةٌ وَجُوهُهُمْ عَلَى مِثْلِ صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالزُّمَرَةُ الثَّانِيَةُ عَلَى لَوْنٍ أَحْسَنَ مِنْ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ عَلَى كُلِّ زَوْجَةٍ سَبْعُونَ حُلَّةً يَرَى مُخَ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ حُومِهَا وَدَمِهَا وَحُلِّهَا»^(٢)، وأخرج الترمذي في السنن والحاكم في المستدرک عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ فَيَرْضَى عَنْهُ فَيُقَالُ لَهُ اقْرَأْ وَارْقُ وَتُرَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةٌ»^(٣).

رجل ساقاه أثقل في الميزان من جبل أحد

(عبد الله بن مسعود رضي الله عنه)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله، نحن اليوم مع السيرة العطرة لرجل ساقاه أثقل في الميزان من جبل أحد. إنه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ويكنى أبا عبد الرحمن. أمه أم عبد أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم ويقال: كان سادسا في الإسلام وهاجر إلى الحبشة الهجرتين وشهد بدرا والمشاهد كلها، وكان صاحب سر رسول الله ﷺ، وكان يشبه بالنبي ﷺ في هديه ودله وسمته وكان خفيف اللحم قصيرا شديد الأدمة، وكان من أجود الناس ثوبا، ومن أطيب الناس ريحا، وولي قضاء الكوفة وبيت المال لعمر وصدرا من خلافة عثمان ثم صار إلى المدينة فمات بها سنة ٣٢ هـ ودفن بالبقيع وهو ابن بضع وستين (28).

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٤٧٣ (م) ٢٤٦٩.

(٢) (صحيح) أخرجه (حم ت) وصححه الألباني في ص. ج. ٢٥٦٤.

(٣) (صحيح) أخرجه (ت ك) وصححه الألباني في ص. ج. ٨٠٣٠.

إسلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

جاء في مسند الإمام أحمد والطيالسي في مسنديهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَرَعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا غَلَامُ هَلْ مِنْ لَبَنٍ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَلَكِنِّي مُؤْتَمَنٌ قَالَ: فَهَلْ مِنْ شَاةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ؟ فَأَتَيْتُهُ بِشَاةٍ فَمَسَحَ ضَرْعَهَا فَنَزَلَ لَبَنٌ فَحَلَبُهُ فِي إِنَاءٍ فَشَرِبَ وَسَقَى أَبَا بَكْرٍ ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: اقْلِصْ فَقَلَصَ قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ هَذَا فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ قَالَ: فَمَسَحَ رَأْسِي وَقَالَ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَإِنَّكَ غَلِيمٌ مُعَلَّمٌ ^(١).

وهكذا كان مفتاح إسلامه كلمتين: الأولى قالها عن نفسه: إني مؤتمن والثانية قالها رسول الله ﷺ: إنك غلام معلّم، ولقد كان لهاتين الكلمتين دور عظيم في حياته، وأصبح فيما بعد من أعيان علماء الصحابة (٢٦).

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أول من جهر بالقرآن:

قال ابن الأثير في (أسد الغابة): اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهم؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا. فقالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة تمنعه من القوم إن أرادوه! فقال: دعوني، فإن الله سيمعني. فغدا عبد الله حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها، حتى قام عند المقام، فقال رافعاً صوته: ﴿الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢)﴾ [الرحمن: ١، ٢]، فاستقبلها فقراً بها، فتأملوا فجعلوا يقولون: هذا الذي خشينا عليك! فقال: ما كان أعداء الله قط أهون علي منهم الآن، ولئن شئتم غاديتهم بمثلها غداً؟ قالوا: حسبك، قد أسمعتهم ما يكرهون (3).

ولا شك أن هذا العمل الذي قام به عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يعتبر تحدياً عملياً لقريش التي ما كانت لتتحمل مثل هذا الموقف، ويلاحظ جرأة عبد الله عليهم بعد هذه التجربة على الرغم مما أصابه من أذى.

مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

أخرج البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقْرَأُ عَلَيَّ قَالَ: قُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟ قَالَ: «إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ

(١) (حسن الاسناد) أخرجه (حم) ٣٥٩٨ وقال شعيب الأرناؤوط إسناده حسن.

غَيْرِي» قَالَ: فَقَرَأْتُ النَّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قَالَ لِي: «كُفَّ أَوْ أَمْسَكَ» فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَذَرِفَانِ (١)، وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ أَيْضًا أَنَّهُ ذَكَرَ ابْنُ مَسْعُودٍ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ: ذَاكَ رَجُلٌ لَا أَزَالُ أَحِبُّهُ بَعْدَ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اسْتَفْرُئُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَبَدَأَ بِهِ، وَسَلَامُ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ، وَأَبِي بَنْ كَعْبٍ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ» قَالَ: لَا أَذْرِي بَدَأَ بِأَبِي أَوْ بِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (٢).

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكَ مِنَ الْأَرَاكِ وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ فَجَعَلَتْ الرِّيحُ تَكْفُوهُ فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مِمَّ تَضْحَكُونَ» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ دَقَّةٍ سَاقِيهِ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ» (٣). يَا لَهَا مِنْ بَشَائِرٍ عَظِيمَةٍ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَهَنِيئًا لَهُ، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوَفِّقَنَا لِلتَّأْسِي بِهِمْ، وَأَنْ نُحْشَرَ فِي زِمْرَتِهِمْ.

عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغزوة بدر:

لَمَّا انْتَهَتْ الْمَعْرَكَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَنْظُرُ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ؟». . . فَجَاءَ بِهِ - أَيُّ بَنِ مَسْعُودٍ - إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا رَأْسُ عَدُوِّ اللَّهِ أَبِي جَهْلٍ، فَقَالَ: «اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ؟ فَرَدَّدَهَا ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَّقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، انْطَلِقْ أَرْنِيهِ»، فَانْطَلَقْنَا فَأَرَيْتُهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: «هَذَا فَرَعُونَ هَذِهِ الْأُمَّةُ» (19).

وحان وقت الرحيل:

عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ أَوْصَى إِلَى الزَّبِيرِ أَنْ يَصْلِيَ عَلَيْهِ، وَعَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: مَاتَ ابْنُ مَسْعُودٍ بِالْمَدِينَةِ، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ سَنَةَ ٣٢ هـ (24).

فَرْضِي اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ وَأَسْكِنَهُ فِسْحَ جَنَاتِهِ جَنَّةَ الْفَرْدَوْسِ الْأَعْلَى.

(سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ)

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٧٦٨.

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٥٤٨.

(٣) (حسن) أخرجه (حم) وحسنه الألباني في شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٧٣.

اللقاء الإيمان السابع والخمسون:

شروط الاستخلاف والتمكين للمسلمين (<٢>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبي في الله ، الإيمان بوحداية الله ﷻ والإيمان بأسمائه وصفاته كل ذلك من شروط التمكين ، فمن المعلوم أن فرعون موسى قال للناس: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨] ويقول سبحانه: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ﴾ [النمل: ١٤] ومعلوم ما آل إليه فرعون وجنوده .

إذا الإيمان بالخالق سبحانه وتعالى فطرة فطر الله الناس عليها ، كما قال الله ﷻ: ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٠] ، فهذه الفطرة نطق بها كل مخلوق من بني آدم قبل أن يخرجوا إلى هذه الحياة بشكلهم الطبيعي ، يقول ﷻ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ، ولذلك هذا العهد ينسأه طائفة من الناس أو يتناسونه ، وهو ما عناه الله تعالى بقوله: ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠٢] ، فالإيمان بالخالق سبحانه وتعالى فطرة ، لكن هذه الفطرة ربما تتأثر بكثير من المؤثرات ، وأظن أن الفطرة في وقتنا الحاضر قد بدأت تعود إلى طبيعتها وإلى مجاريها الطبيعية ، وقد تأثرت هذه الفطرة منذ زمن ليس بالبعيد ، ولكن كفى الله المؤمنين القتال ، فالإيمان بالله ﷻ وبملائكته وبرسوله ، وباليوم الآخر والإيمان بوحداية الله ﷻ وبأسمائه وصفاته وغير ذلك من شروط الاستخلاف والتمكين (42) .

* * *

على درب التوحيد (التوسل المشروع وغير المشروع)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنْجِياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

إخوتي في الله ، هناك عدة صور للتوسل المشروع مثل:

- ١- التوسل بأسماء الله وصفاته فتقول مثلاً: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث .
- ٢- التوسل بالإيمان بالله ﷻ وبرسوله فتقول: اللهم إني آمنت بك وبرسولك فاغفر لي أو فوقني .
- ٣- التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بالعمل الصالح ومنه قصة النفر الثلاثة الذي آووا إلى غار ليبيتوا فيه .

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ يَتَمَشُّونَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ فَأَوُوا - أي التجؤوا ودخلوا - إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ ، انْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ ، فَأَنْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : انظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَا ، لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ فَقَالَ أَحَدُهُمْ : اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، وَأُمْرَأَتِي ، وَلِي صَبِيَّةٌ صَغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ - أي إذا رددت المشاة إلى موضع مبيتها - حَلَبْتُ ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ ، وَأَنَّهُ نَأَى - أي بعد - بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ فَلَمْ أَتِ حَتَّى أُمْسَيْتُ ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا ، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ فَجِئْتُ بِالْحَلَابِ - أي الإناء الذي يجلب فيه - ، فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصَّبِيَّةَ قَبْلَهُمَا ، وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاعَوْنَ - أي يصيحون من الجوع - عِنْدَ قَدَمَيَّ ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِي - أي حالي - ، وَدَأْبُهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ ، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ ، فَأَفْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ ، فَفَرَجَ اللَّهُ مِنْهَا فُرْجَةً فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ ، وَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةٌ عَمَّ أَحَبَّيْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ ، حَتَّى آتَيْتُهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ ، فَتَعَبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ ، فَجِئْتُهَا بِهَا ، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا - أي جلست لوقاعها - ، قَالَتْ : يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ - أي بنكاح لا بزنى - ، فَقُمْتُ عَنْهَا ، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ ، فَأَفْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً ، فَفَرَجَ لَهُمْ ، وَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا ، بَفَرَقَ - أي إناء يتسع ثلاثة أصع - أُرْزُ ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ ، قَالَ : أَعْطِنِي حَقِّي فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَقَهُ فَرَغِبَ عَنْهُ - أي كرهه - ، فَلَمْ أَزَلْ أُرْزِعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرِعَاءَهَا ، فَجَاءَنِي فَقَالَ : اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي ، قُلْتُ أَذْهَبُ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا فُخِذَهَا ، فَقَالَ : اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي ، فَقُلْتُ : إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ خُذْ ذَلِكَ الْبَقَرِ وَرِعَاءَهَا ، فَأَخَذَهُ فَذَهَبَ بِهِ ، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ

أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَأَفْرُجْ لَنَا مَا بَقِيَ فَفَرَجَ اللَّهُ مَا بَقِيَ» ^(١).

من هذا الحديث يتبين لنا أنه لما انطبق عليهم الغار بصخرة لا يستطيعون زحزحتها ، فتوسل كل منهم إلى الله بعمل صالح فعله ، أحدهم توسل إلى الله تعالى ببر والديه ، والثاني بعفته التامة ، والثالث بوفائه لأجيريه ، قال كل منهم: اللهم إن كنت فعلت ذلك من أجلك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت .

٤- التوسل إلى الله تعالى بذكر حاله وما هو عليه من حاجة ومنه قول موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ (٢٤) [القصص: ٢٤] .

٥- التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابته فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسألون النبي ﷺ أن يدعو الله لهم بدعاء عام وبدعاء خاص ، روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا ، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قَالَ: فَيَسْقُونَ ^(٢) .

ومن التوسل غير المشروع ما يلي :

١- دعاء ميت ، فلا يجوز دعاء الأموات بأي حال من الأحوال حتى ولو كان رسول الله ﷺ .

٢- التوسل بجاه النبي فيقول: اللهم إني أسألك بجاه نبيك كذا وكذا ، وذلك أن جاه رسول الله ﷺ ليس مفيدا بالنسبة إليك ، ولا يفيد إلا الرسول ، والأولى أن يقال: اللهم إني أسألك بإيماني برسولك أو بالحبة لرسولك أو ما أشبه ذلك (33) .

مشاهد من الدار الآخرة (غلمان ونساء أهل الجنة)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبي الذين اتقوا وعقبي الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٢٠٨ و (م) ٢٧٤٣ واللفظ لمسلم .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٩٦٤

عباد الله ، ولدان الجنة مخلدون كاللؤلؤ المنثور ، وقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا (١٩)﴾ [الإنسان: ١٩] .

أما نساء الجنة مطهرون من الحيض والبول . الخ ، وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥)﴾ [البقرة: ٢٥] .

ونساء الجنة كالخور العين أي واسعات العين جيلات . قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَرَزَوْنَاهُمْ بِخُورٍ عَيْنٍ (٥٤)﴾ [الدخان ٥٤] .

ونساء الجنة أبصارهن قاصرات على أزواجهن ، ولم يطأهن انس ولا جان من قبل ، وهن كالياقوت والمرجان من الحسن ، قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ (٥٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (٥٨)﴾ [الرحمن: ٥٥-٥٨] .

ونساء الجنة أنشأهن الله نشأة كاملة لا تقبل الفناء ، فجعلن أبكاراً ، متحبات إلى أزواجهن ، في سن واحدة ، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) غُرْبًا أَتْرَابًا (٣٧)﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٧] .

وأيضاً نساء الجنة في سن واحدة ثديهن كالرمان غير متدلية لأسفل ، وقال تعالى عنهن ﴿وَكَوَّاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣)﴾ [النبا: ٣١-٣٣] .

وأيضاً نساء الجنة كأنهن بيض مصون لم تمسه الأيدي ، قال تعالى عنهن: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ (٤٩)﴾ [الصافات: ٤٨-٤٩] .

جاء في صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى أَنَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ لَا تَبَاغُضُ بَيْنَهُمْ وَلَا تَحَاسَدُ، لِكُلِّ امْرِئٍ زَوْجَتَانِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ يُرَى مَخُضُّهُنَّ مِنْ وَرَاءِ الْعِظَمِ وَاللَّحْمِ» (١) .

وجاء عند سمويه عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : «إِنَّ الْحُورَ الْعِينِ لَتَغْنِيَنَّ فِي الْجَنَّةِ

(١) (صحيح) أخرجه (بخ) ٣٠٨١ .

يقلن: نحن الحور الحسان خبئنا لأزواج كرام»^(١).

شيطان في الجاهلية، وحواري في الإسلام

(عمير بن وهب رضي الله عنه)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به أصحابه الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . . أيها الأحبة في الله ، نحن اليوم مع السيرة العطرة لرجل كان شيطاناً في الجاهلية ولكنه بعدما أسلم أصبح حوارياً في الإسلام . إنه عمير بن وهب بن خلف رضي الله عنه ، يكنى أبا أمية ، وكان له قدر وشرف في قريش ، وهو ابن عم صفوان بن أمية بن خلف ، وشهد بدرًا مع المشركين كافرين ، وله قصة في إسلامه مع صفوان بن أمية وكان يلقب بشيطان قريش قبل إسلامه وسرعان ما أصبح من دعاة الإسلام بعدما أسلم (3) .

إِسْلَامُ عُمَيْرِ بْنِ وَهْبٍ ثُمَّ عَمَلُهُ بِالدَّعْوَةِ مُبَاشَرَةً:

جاء في سيرة بن هشام عن ابن إسحاق ، عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم من عدوهم إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ علي باب المسجد متوشحاً بالسيف ، فقال: هذا الكلب عدو الله عمر بن وهب والله ما جاء إلا لشر وهو الذي حرش بيننا ، وحزرتنا للقوم يوم بدر . ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله هذا عدو قال: «فادخله علي» قال: فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلببه بها ، وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون ثم دخل به على رسول الله ﷺ ، فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر أخذ بحمالة سيفه في عنقه قال: «أرسله يا عمر أذن يا عمير» ، فدنا ثم قال: انعموا صباحاً ، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم فقال رسول الله ﷺ : «قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير بالسلام تحية أهل الجنة» فقال: أما والله يا محمد إن

(١) (صحيح) أخرجه (سمويه) وصححه الألباني في ص ج ١٦٠٢ .

كُنْتُ بِهَا لِحَدِيثٍ عَهْدٍ قَالَ: «فَمَا جَاءَ بِكَ يَا عُمَيْرُ؟» قَالَ: جِئْتُ لِهَذَا الْأَسِيرِ الَّذِي فِي أَيْدِيكُمْ فَأَحْسِنُوا فِيهِ قَالَ: «فَمَا بَالُ السَّيْفِ فِي عُنُقِكَ؟» قَالَ: قَبَحَهَا اللَّهُ مِنْ سَيُوفٍ وَهَلْ أَغْنَتْ عَنَّا شَيْئًا؟ قَالَ: «أُصِدُّقُنِي مَا الَّذِي جِئْتَ لَهُ؟» قَالَ: مَا جِئْتُ إِلَّا لِذَلِكَ، قَالَ: «بَلْ قَعَدْتَ أَنْتَ وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ فِي الْحَجَرِ، فَذَكَرْتُمَا أَصْحَابَ الْقَلِيبِ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ قُلْتَ: لَوْلَا دَيْنٌ عَلَيَّ وَعِيَالٌ عِنْدِي لَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْتُلَ مُحَمَّدًا، فَتَحَمَّلَ لَكَ صَفْوَانُ بِدَيْنِكَ وَعِيَالِكَ، عَلَى أَنْ تَقْتُلَنِي لَهُ وَاللَّهُ حَائِلٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ» قَالَ عُمَيْرُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَدْ كُنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ نُكَذِّبُكَ بِمَا كُنْتَ تَأْتِينَا بِهِ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ وَمَا يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَحْيِ وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ يَحْضُرْهُ إِلَّا أَنَا وَصَفْوَانُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ مَا أَتَاكَ بِهِ إِلَّا اللَّهُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ وَسَاقَنِي هَذَا الْمَسَاقَ ثُمَّ شَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «فَقُهِمُوا أَحَاكُمُ فِي دِينِهِ . وَأَقْرَبُوا الْقُرْآنَ وَأَطْلِقُوا لَهُ أَسِيرَهُ، فَفَعَلُوا»

ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ جَاهِدًا عَلَى إطفاءِ نُورِ اللَّهِ شَدِيدَ الْأَذَى لِمَنْ كَانَ عَلَى دِينِ اللَّهِ ﷻ وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ تَأْذَنَ لِي ، فَأَقْدِمَ مَكَّةَ ، فَأَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ وَإِلَى الْإِسْلَامِ لَعَلَّ اللَّهَ يَهْدِيهِمْ كُنْتُ أُوْذِي أَصْحَابَكَ فِي دِينِهِمْ؟ قَالَ: فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَحِقَ بِمَكَّةَ (25) .

ويتضح من هذه القصة رحمة رسول الله ﷺ وقد تجلّت في موقفه من عمير وعفوه عنه ، مع أنه كان ينوي قتله ﷺ ، ويظهر أثر الإحسان في الناس ، وماذا يفعل العفو في قلوب البشر ، إنه يغيّر القلوب ويزلزلها ، ويجعلها ترجع إلى الحق وتعود إلى الصواب ، وكذلك ينبغي على مَنْ أَسَاءَ أَنْ يَحْسَنَ ، وَأَنْ لَا يَبْأَسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ كَمَا فَعَلَ عُمَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَإِنَّهُ لَمَّا أَسْلَمَ وَكَانَ يُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ عَزَمَ عَلَى أَنْ يَنْصُرَ الْإِسْلَامَ ، وَأَخَذَ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ جَمِيعٌ .

عمل عمير بن وهب في دعوة صديقة صفوان بن أمية للإسلام:

أَخْرَجَ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ: أَنَّ نِسَاءً كُنَّ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُسْلِمْنَ بِأَرْضِهِنَّ وَهُنَّ غَيْرُ مُهَاجِرَاتٍ وَأَزْوَاجِهِنَّ حِينَ أَسْلَمْنَ كَفَّارٌ مِنْهُنَّ بِنْتُ الْوَلِيدِ بِنْتُ الْمُغِيرَةِ وَكَانَتْ تَحْتَ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ فَأَسْلَمَتْ يَوْمَ الْفَتْحِ وَهَرَبَ زَوْجُهَا صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ مِنَ الْإِسْلَامِ فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ابْنَ عَمِّهِ وَهَبَ ابْنَ عُمَيْرٍ بِرَدَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمَانًا لِصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَنْ يَقْدِمَ عَلَيْهِ فَإِنْ رَضِيَ أَمْرًا قَبِلَهُ وَإِلَّا سِيرَهُ شَهْرَيْنِ فَلَمَّا قَدِمَ صَفْوَانُ

عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِرَدَائِهِ نَادَاهُ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ هَذَا وَهْبُ
 بَنِ عُمَيْرٍ جَاءَنِي بِرَدَائِكَ وَزَعَمَ أَنَّكَ دَعَوْتَنِي إِلَى الْقُدُومِ عَلَيْكَ فَإِنْ رَضِيتُ أَمْرًا
 قَبْلَتُهُ وَإِلَّا سَيَّرْتَنِي شَهْرَيْنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْزِلْ أَبَا وَهْبٍ» فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا
 أَنْزِلُ حَتَّى تَبَيَّنَ لِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلْ لَكَ تَسِيرٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ» فَخَرَجَ رَسُولُ
 اللَّهِ ﷺ قَبْلَ هَوَازِنَ يَحْنَنٍ فَأَرْسَلَ إِلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ يَسْتَعِيرُهُ أَدَاةً وَسِلَاحًا عِنْدَهُ
 فَقَالَ صَفْوَانُ: أَطَوْعًا أَمْ كَرْهًا فَقَالَ: «بَلْ طَوْعًا» فَأَعَارَهُ الْأَدَاةَ وَالسِّلَاحَ الَّذِي
 عِنْدَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ صَفْوَانُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ كَافِرٌ فَشَهِدَ حَنِينًا وَالطَّائِفَ وَهُوَ
 كَافِرٌ وَأَمْرَأَتُهُ مُسْلِمَةٌ وَلَمْ يُفَرِّقْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَمْرَأَتِهِ حَتَّى أَسْلَمَ صَفْوَانُ
 وَاسْتَقَرَّتْ عِنْدَهُ أَمْرَأَتُهُ بِذَلِكَ النِّكَاحِ ^(١) .

انظر أخي في الله: كم كان عمير بن وهب حريصا على أن ينقذ صاحبه من
 النار ، فهل عندك هذا الحرص على إخوانك؟!

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (إسناده مرسل) أخرجه (مالك) وقال الألباني في إرواء الغليل ٢٣٧/٦ إسناده مرسل وقال ابن
 عبد البر عنه شهرة هذا الحديث أقوى من إسناده .

اللقاء الإيمانى الثامن والخمسون :

شروط الاستخلاف والتمكين للمسلمين (<٤>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحيى في الله ، إن من شروط الإستهلاف والتمكين العمل الصالح وهو الذي يتوافر فيه شرطان: الإخلاص لله ﷻ ، والمتابعة للرسول ﷺ .

فالإخلاص: أن لا يصرف نوعاً من هذه العبادة لغير الله .

والمتابعة : هي السير على المنهج الذي جاء به محمد ﷺ من عند الله دون زيادة ولا نقص ، ودون شطط ولا ميل ، هذا هو العمل الصالح .

وكم من الناس اليوم من يقول: (لا إله إلا الله) وهو مع ذلك ينحني لغير الله ويخاف غير الله ، ويسجد لضريح ويطوف على أعتاب ميت ، ويخشع لغير الله ويذل نفسه لغير الله ﷻ ، وهذا كثير جداً في أيامنا الحاضرة .

فلا تعجب حينما يتأخر الوعد ، ولو نظرنا نظرة أخرى إلى العالم الإسلامي لوجدناه قد ضيع كثيراً من هذه الواجبات العظيمة التي شرعها الله ﷻ على سبيل المثال :

١- كثير من المسلمين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات .

٢- كثير من المسلمين عطلوا الزكاة .

٣- كثير من المسلمين ركبوا المحرمات ، وركبوا المحرمات يستلزم ترك الصالحات ؛ لأن الأمر بالشئ نهى عن ضده ، ولذلك كم في بلاد المسلمين من بنوك الربا؟! وكم في بلاد المسلمين من وسائل الترفيه التي يقولون عنها: بريئة؟! وكم في بيوت المسلمين من الأجهزة الراقصة اللاهية اللاعبة؟! إلى غير ذلك من الأمور التي نسأل الله أن يعافينا ويعافي المسلمين من شرها ويحفظنا جميعاً بحفظه ، وهذا الشرط إذا تحقق وقوعه تحقق الوعد الذي وعد الله ﷻ به (42) .

على درب التوحيد (لا يقال السلام على الله)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنَجِّياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

أخرج الشيخان في صحيحيهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ قَبْلَ عِبَادِهِ ، السَّلَامُ عَلَى جِبْرِيلَ ، السَّلَامُ عَلَى ميكائيلَ ، السَّلَامُ عَلَى فَلَانٍ وَفَلَانٍ ، فَلَمَّا أَنْصَرَفَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ فَإِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ ذَلِكَ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ثُمَّ يَخْتَارُ بَعْدَ مِنَ الْكَلَامِ مَا شَاءَ» ^(١).

إخوتي في الله ، لَمَّا كَانَ السَّلَامُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَإِنَّهُ لَا يُقَالُ: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ وَأَيْضاً: لِأَن مَعْنَى السَّلَامِ الدُّعَاءُ لِلْمُسْلِمِ عَلَيْهِ بِالسَّلَامَةِ مِنَ الْآفَاتِ ، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا مَنْزَهُ عَنْ أَنْ يَنَالَهُ شَيْءٌ مِنَ النِّقْصِ أَوْ مِنَ الْآفَاتِ أَوْ مِنَ الْمَكْرُوهِاتِ ، فَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ لَيْسَ فِي حَاجَةٍ إِلَى أَحَدٍ ، فَيُقَالُ السَّلَامُ عَلَى فَلَانٍ أَيْ عَلَيْكَ السَّلَامَةُ وَالْعَافِيَةُ لِأَنَّهُ مَحْتَاجٌ إِلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم السَّبَبُ فِي هَذَا التَّهْنِئَةِ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣]» .

فحينما يقول المسلم على الناس: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فمعناه: أَنَّهُ يَقُولُ: أَدْعُو لَكُمْ بِالسَّلَامَةِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، أَوِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيْ: اسْمُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، بِمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ يَحْفَظُكُمْ مِمَّا تَكْرَهُونَ (6) .

مشاهد من الدار الآخرة (رؤية أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى ورضا الله عنهم)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٥٨٧٦ و(م) ٤٠٢ .

شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

معاشر الأخوة ، إن أهل السنة والجماعة يشبّون رؤية أهل الجنة لربهم ﷻ وما فيها ، ويُنكر الرؤية فرق الجهمية والمعتزلة ، ومن تبعهم من الخوارج والشيعة الإمامية وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة .

قال تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢٦) ﴿ [يونس: ٢٦]

التفسير: للمؤمنين الذين أحسنوا عبادة الله فأطاعوه فيما أمر ونهى ، الجنة ، وزيادة عليها ، وهي النظر إلى وجه الله تعالى في الجنة ، والمغفرة والرضوان ، ولا يغشى وجوههم غبار ولا ذلة ، كما يلحق أهل النار . هؤلاء المتصفون بهذه الصفات هم أصحاب الجنة ماكثون فيها أبداً .

وقال بعض العلماء : في هذه الآية أن رؤية رب العالمين في الجنة مناسب لجعله جزاءً لأهل الإحسان ؛ لأن الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه وينظر إليه في حال عبادته فكان جزاء ذلك النظر إلى الله عياناً في الآخرة ، وعكس هذا ما أخبر به تعالى عن جزاء الكفار في الآخرة ﴿ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥] وجعل ذلك جزاءً لحالهم في الدنيا وهو تراكم الران على قلوبهم حتى حُجبت عن معرفته ومراقبته في الدنيا ؛ فكان جزاؤهم على ذلك أن حجّبوا عن رؤيته في الآخرة .

وقال تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] **التفسير:** وجوه أهل السعادة يوم القيامة مُشْرِقة ، ترى خالقها ومالك أمرها ، فتمتع بذلك .

ورؤية المؤمنين في الجنة لربهم ، عامة بالإنس والجن ، للرجال وللنساء ، ولم يدل دليل على اختصاص الرؤية بالرجال دون النساء ولا على اختصاص الرؤية بالإنس دون الجن .

قال تعالى : ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ ﴾ (٥٦) ﴿ [يس: ٥٦] .

وقال تعالى : ﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴾ (٢٣) ﴿ [المطففين: ٢٣]

التفسير: فمن نعيم أهل الجنة أنهم يتمتعون هم وأزواجهم على الأسرة ينظرون إلى ربهم ، وإلى ما أعدّ لهم من خيرات .

وجاء في صحيح مسلم عن صهيب رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ آيَةَ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦]» (١).

وأخرج الشيخان في صحيحيهما عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تَعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالُوا: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلَّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» (٢).

مؤذن الرسول (بلال بن رباح رضي الله عنه)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله، نحن اليوم مع السيرة العطرة لمؤذن رسول الله ﷺ بلال بن رباح الحبشي المؤذن رضي الله عنه، وهو مولى أبي بكر ويقال له: بلال بن حمامة وهي أمه، أسلم قديماً فعذب في الله فصبر فاشتراه الصديق فأعتقه، شهد بدراً وما بعدها. وكان عمر يقول: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا، ولما توفي رسول الله ﷺ ترك الأذان، ثم خرج إلى الشام مجاهداً (٨).

تعذيب الكفار لبلال رضي الله عنه وقصة عتقه:

روى ابن ماجه في السنن عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصَهْبِيُّ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَنْعَهُ اللَّهُ - أَيِ عَصَمَهُ مِنْ أَذَاهُمْ - يَعْمَهُ أَبِي

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٨١ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٦١٨٣ و (م) ٢٨٢٩ .

طَالِبٍ ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ وَالْبُسُوهُ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ وَصَهْرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ - أي ألقوهم في الشمس - ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ - أي وافقوا المشركين على ما أرادوا منهم تقيّة - عَلَى مَا أَرَادُوا إِلَّا بِلَالًا فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ - أي صغرت لله تعالى وفي شأنه - وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ^(١) .

هكذا يفعل الإيمان بأهله ، فبعد أن لامس الإيمان شغاف قلب بلال رضي الله عنه ، تحول إلى إنسان آخر ، فقد كان صابرا على البلاء ثابتا على الإسلام ، مرددا للكلمة التوحيد أحد أحد .

مناقب بلال بن رباح رضي الله عنه :

روى مسلم في صحيحه عَنْ عَائِدِ بْنِ عَمْرِو رضي الله عنه ، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصَهْبٍ وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَخَذْتُ سَيْوفُ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَا خَذَهَا قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخٍ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ لَئِنْ كُنْتُ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ» ، فَاتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهُ أَغْضَبْتَكُمْ قَالُوا: لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَخِي^(٢) .

وأخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لِبِلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ: «يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ - أي تحريك - بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ؟» قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطَّهُورِ مَا كَتَبَ لِي أَنْ أَصَلِّي^(٣) ، هكذا عاش بلال رضي الله عنه مع رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بقية حياته ملازماً له .

الأذان:

جاء في سيرة بن هشام عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: قَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ قَدِمَهَا - أي المدينة - إِنَّمَا يَجْتَمِعُ النَّاسُ إِلَيْهِ لِلصَّلَاةِ لِحِينَ مَوَاقِيتِهَا ، بِغَيْرِ دَعْوَةٍ فَهُمْ

(١) (حسن) أخرجه (هـ) ١٥٠ وحسنه الألباني في صحيح السيرة النبوية صفحة ١٥٤ .

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢٥٠٤ .

(٣) (صحيح) أخرجه (خ) ١٠٩٨ ، و(م) ٢٤٥٨ واللفظ للبخاري .

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ قَدِمَهَا أَنْ يَجْعَلَ بُوْقًا كَبُوقَ يَهُودَ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِهِ لِصَلَاتِهِمْ ثُمَّ كَرِهَهُ ثُمَّ أَمَرَ بِالنَّاقُوسِ فَنُحِتَ لِيُضْرَبَ بِهِ لِلْمُسْلِمِينَ لِلصَّلَاةِ. فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ رَأَى عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ، أَخُو بَلْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ النَّدَاءَ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ طَافَ بِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ طَائِفٌ مَرَّ بِي رَجُلٌ عَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَخْضَرَانِ يَحْمِلُ نَاقُوسًا فِي يَدِهِ فَقُلْتُ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَتَبِيعُ هَذَا النَّاقُوسَ؟ قَالَ: وَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَدْعُو بِهِ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ: أَفَلَا أَذْكَ عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَلَمَّا أَخْبَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَقٍّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَالْقِهَا عَلَيْهِ فَلْيُؤَدِّنْ بِهَا، فَإِنَّهُ أُنْدَى صَوْتًا مِنْكَ». فَلَمَّا أَدَّنَ بِهَا بِلَالٌ سَمِعَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَهُوَ فِي بَيْتِهِ فَخَرَجَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَجْرُ رِدَاءَهُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَقَدْ رَأَيْتَ مِثْلَ الَّذِي رَأَى؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ» (٢٥).

بلال بن رباح رضي الله عنه وغزوة بدر:

جاء في سيرة بن هشام عن ابن إسحاق، عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال قال لي أمية بن خلف، وأنا بينه وبين ابنه أخذ بأيديهما: يا عبد الله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره؟ قال: قلت: ذاك حمزة بن عبد المطلب، قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل قال عبد الرحمن: فوالله إنني لأقودهما إذ رآه بلال معي - وكان هو الذي يُعَذِّبُ بِلَالًا بِمَكَّةَ عَلَى تَرْكِ الْإِسْلَامِ فَيُخْرِجُهُ إِلَى رَمَضَاءَ مَكَّةَ إِذَا حَمَيْتَ، فَيُضْجِعُهُ عَلَى ظَهْرِهِ ثُمَّ يَأْمُرُ بِالصَّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ فَيُضَعُّ عَلَى صَدْرِهِ ثُمَّ يَقُولُ: لَا تَزَالُ هَكَذَا أَوْ تُفَارِقَ دِينَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ بِلَالٌ: أَحَدٌ أَحَدٌ. قَالَ: فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ رَأْسُ الْكُفْرِ أُمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ: لَا نَجُوتُ إِنْ نَجَا. قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ بِلَالٍ أَبَاسِيرِي قَالَ: لَا نَجُوتُ إِنْ نَجَا. قَالَ: قُلْتُ: أَتَسْمَعُ يَا ابْنَ السُّودَاءِ قَالَ لَا نَجُوتُ إِنْ نَجَا. قَالَ: ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا أَنْصَارَ اللَّهِ رَأْسُ الْكُفْرِ أُمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، لَا نَجُوتُ إِنْ نَجَا. قَالَ: فَأَحَاطُوا بِنَا حَتَّى جَعَلُونَا فِي مِثْلِ الْمُسْكَةِ وَأَنَا أَذُبُّ عَنْهُ. قَالَ فَأَخْلَفَ رَجُلٌ السَّيْفَ فَضْرَبَ رَجُلَ ابْنِهِ فَوَقَعَ وَصَاحَ أُمِيَّةُ صَيْحَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ. قَالَ: فَقُلْتُ: أَنْجِ نَفْسِكَ، وَلَا نَجَاءَ بِكَ فَوَاللهِ مَا أَغْنِي عَنْكَ

شَيْئًا . قَالَ فَهَيَّرُوهُمَا بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى فَرَعُوا مِنْهُمَا (٢٥) .

وصدق من قال: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ
الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١] .

بلال رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ :

جاء في (أسد الغابة) لابن الأثير أنه لما توفي رسول الله ﷺ أراد أن يخرج إلى الشام ، فقال له أبو بكر: بل تكون عندي ، فقال: إن كنت أعتقتني لنفسك فاحبسني ، وإن كنت أعتقتني لله ﻋَﻠَﻲَّ فذرني أذهب إلى الله ﻋَﻠَﻲَّ فقال: اذهب ، فذهب إلى الشام ، فكان به حتى مات . وقيل: إنه أذن لأبي بكر رضي الله عنه بعد النبي ﷺ والله أعلم (٣) .

جاء في (سير أعلام النبلاء) للإمام شمس الدين الذهبي أن سعيد بن عبد العزيز قال: لما احتضر بلال قال: غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه ، قال: تقول امرأته: واويلاه! فقال: وافرحاه! (٢٤) .

وصدق النبي ﷺ حين قال: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»^(١) .

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (حم ق ت ن) وصححه الألباني في ص . ج ٥٩٦٤

اللقاء الإيمانى التاسع والخمسون :

شروط الاستخلاف والتمكين للمسلمين <ه>

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتى في الله ، إن من شروط الاستخلاف والتمكين أن تكون العبودية لله وحده ولذلك فقد أدرك المؤمنون أن هذه العبودية يجب أن تكون لله ، وأن لا يكون منها شيء للمخلوق .

فالإنسان حر طليق إلا أنه عبد لله ﷻ ؛ لأنه يعلم أن الحياة والموت بيد الله وأن الرزق بيد الله ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦٠] .

وأن الأرض ملك لله يورثها من يشاء من عباده ، وأن ما في هذه الأرض من الطيبات إنما هي للمؤمنين ، يشاركون فيها الكافرون في الحياة الدنيا ويختص بها المؤمنون في الحياة الآخرة ، يقول ﷻ : ﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [الأعراف: ٣٢] .

ولقد كان سلفنا الصالح يعتزون بالعبودية لله ، فهذا الفضيل بن عياض رحمه الله عليه عندما كان يعيش حياة منحرفة مدة من الزمن فأنقذه الله ﷻ ليكون عبداً له بدلاً من أن يكون عبداً للشهوات ، وذلك عندما كان يتسلق داراً ليسرقها فسمع قارئاً يقرأ في الدار: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦] .

فقال: والله لقد آن ، فصار مع كل جزء من هذه الآية ينزل درجة من السلم ويقول: والله لقد آن (٤٢) .

على درب التوحيد (لا يقال : اللهم اغفر لي إن شئت)

الحمد لله الذى جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنَجِّياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

أخرج الشيخان في صحيحهما عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي، إِنْ شِئْتَ لِيَعَزَمَ الْمَسْأَلَةَ- أَيْ يُلِحَّ عَلَى اللَّهِ فِي الدَّعَاءِ-؛ فَإِنَّهُ لَا مُكْرَهَ لَهُ» ^(١).

إخوتي في الله، إن الذي يدعو الله تعالى يجب أن يعزم الدعاء، ولا يعلّقه بالمشيئة، لأنه إذا علقه بالمشيئة تضمن ذلك أمرين:
الأمر الأول: أن هذا يدلّ على فتوره في طلب الدعاء من الله سبحانه وتعالى، كأنه غني عن الله.

والأمر الثاني: كأنه يرى بأن الله جل وعلا قد يُجيب الدعاء وهو كاره، والله جل وعلا لا مُكْرَهَ له، يعطي سبحانه وتعالى ما يشاء ما لا يعلمه إلا هو، بلا حصر ولا حساب، ولا تنفذ خزائنه، كما في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْخَيْطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ» ^(٢) (٦).

مشاهد من الدار الآخرة (وصف النار)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

عباد الله، وصف الله ﷻ النار بأن وقودها الناس والحجارة وعليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)﴾ [التحريم: ٦].

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (١٦)﴾ [الزمر: ١٦].

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٥٩٨٠، و(م) ٢٦٧٩.

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢٥٧٧.

فأخبر الله ﷻ أن أولئك الخاسرين لهم يوم القيامة في جهنم من فوقهم قطع عذاب من النار كهية الظلل المبنية ، ومن تحتهم كذلك .

وقال تعالى ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [الأحزاب: ٦٦] .

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (٤٨) ﴿[القمر: ٤٨] .

المعنى : يوم يُجرُّون في النار على وجوههم ، ويقال لهم: ذوقوا شدة عذاب جهنم .
وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (٦٥) ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (٦٦) ﴿[الفرقان: ٦٥ ، ٦٦] .

المعنى: والذين هم مع اجتهداهم في العبادة يخافون الله فيدعونه أن ينجيهم من عذاب جهنم ، إن عذابها يلزم صاحبه . إن جهنم شر قرار وإقامة .
وقال تعالى : ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا (١٢) وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣) لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا (١٤)﴾ [الفرقان : ١٢-١٤] .

المعنى : إذا رأت النار هؤلاء المكذبين يوم القيامة من مكان بعيد ، سمعوا صوت غليانها وزفيرها ، من شدة تغيظها منهم . وإذا ألقوا في مكان شديد الضيق من جهنم - وقد قرنت أيديهم بالسلاسل إلى أعناقهم - دَعَوْا على أنفسهم بالهلاك للخلاص منها . فيقال لهم تبيسًا ، لا تَدْعُوا اليوم بالهلاك مرة واحدة ، بل مرات كثيرة ، فلن يزيدكم ذلك إلا غمًا ، فلا خلاص لكم .

وأخرج مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُجْرُونَهَا» (١) .

أخي في الله ، هل حسبت عدد الملائكة الذين يجرون نار جهنم إلى أرض المحشر يوم القيامة إنه تقريبا ٩,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ملك ، الله أكبر ! لو تركت هذه النار على أهل المحشر عباد الله لأتت على برهم وفاجرهم . . . فلا إله إلا الله . .

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٨٤٢ .

رجل صوته في الجيش خير من ألف رجل (أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله ، نحن اليوم مع السيرة العطرة لرجل صوته في الجيش خير من ألف رجل . إنه الصحابي الجليل أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه ، وهو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام ، الخزرجي النجاري ، صاحب رسول الله ﷺ ، ومن بني أخواله ، وأحد أعيان البدرين ، وأحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة ، روى عنه ربيه وأنس بن مالك ، وآخرون (٢٤) .

قصة إسلام أبي طلحة رضي الله عنه من أم سليم:

أخرج النسائي في السنن عن أنس رضي الله عنه قال: خَطَبَ أَبُو طَلْحَةَ أُمُّ سُلَيْمٍ فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا مِثْلُكَ يَا أَبَا طَلْحَةَ يُرَدُّ، وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ كَافِرٌ وَأَنَا امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ، وَلَا يَحِلُّ لِي أَنْ أَتَزَوَّجَكَ فَإِنْ تُسَلِّمَ فَذَاكَ مَهْرِي، وَمَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ فَأَسْلَمَ فَكَانَ ذَلِكَ مَهْرَهَا، قَالَ ثَابِتٌ: فَمَا سَمِعْتُ بِامْرَأَةٍ قَطُّ كَانَتْ أَكْرَمَ مَهْرًا مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ الْإِسْلَامَ فَدَخَلَ بِهَا فَوَلَدَتْ لَهُ^(١). إنه نموذج فريد لامرأة تنازلت عن حقها المادي ، واشترطت مهرها الإسلام لإنقاذ رجل من براثن الشرك وغياب الضلال ، واجتذبت به إلى نور الهدى ، فنالت أجره وثوابه ، فليكن من هذا الموقف لك أخي الداعية منطلقاً في ترغيب النساء باختيار الكفاء من الرجال (٣٨) .

قصة أم سليم مع أبي طلحة رضي الله عنه يوم أن مات ابنه:

جاء في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: مَاتَ ابْنُ لَأْبِي طَلْحَةَ مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ فَقَالَتْ لِأَهْلِهَا: لَا تَحْدِثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِابْنِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَحَدُهُ، قَالَ: فَجَاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ عِشَاءً فَأَكَلَ وَشَرِبَ فَقَالَ: ثُمَّ تَصَنَعْتُ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَ تَصْنَعُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَوَقَعَ بِهَا، فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارَوْا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ أَلْهَمَ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟ قَالَ: لَا قَالَتْ: فَاحْتَسِبْ ابْنَكَ قَالَ: فَغَضِبَ وَقَالَ: تَرَكْتَنِي حَتَّى تَلْطُخْتُ ثُمَّ أَخْبَرْتَنِي بِابْنِي فَأَنْطَلِقَ

(١) (صحيح) أخرجه (ن) ٣٣٤١ وصححه الألباني .

حَتَّى أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ فِي غَائِرٍ لَيْلَتِكُمَا ^(١).

وبعض النساء يهملن زينتهن بعد الزواج انطلاقاً من فهم خاطئ لوظيفة هذه الزينة ، فبعض الفتيات يعتقدن أن الخطوبة والأيام أو السنوات الأولى من الزواج هي فترة التجميل والتزين ، وإذا حدثت عن أن الزينة من حسن التبعل للزوج أجبن: "كبرنا على ذلك"، هؤلاء ينسين أن تزين المرأة لزوجها يجب ألا يصرفها عنه صارف إلا ما أقره الشرع كالحداد على قريب مدة لا تزيد عن ثلاثة أيام ، فهذه أم سليم تتزين لزوجها في يوم موت ابنها (٦١) .

طعام أبي طلحة رضي الله عنه لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ والجيش يوم الخندق:

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لَأُمِّ سُلَيْمٍ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ضَعِيفًا أَعْرَفُ فِيهِ الْجُوعَ ، فَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ ، فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا لَهَا فَلَفَّتْ الْخُبْزَ بِبَعْضِهِ ، ثُمَّ دَسَّتْهُ - أَيِ أَدْخَلَتْهُ بِقُوَّةٍ - تَحْتَ يَدَيَّ وَلَا تَنِي بِبَعْضِهِ - أَيِ لَفَتْ بَعْضَهُ عَلَى رَأْسِهِ وَبَعْضَهُ عَلَى إِبْطِهِ - ، ثُمَّ أَرْسَلْتَنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ النَّاسُ ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَرْسَلَكِ أَبُو طَلْحَةَ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: «بَطْعَامٌ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَنْ مَعَهُ: «قُومُوا» ، فَاَنْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ ، فَقَالَتْ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَاَنْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «هَلُمَّ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا عِنْدَكَ» ، فَآتَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَفَتَّ وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً - أَيِ وَعَاءٍ مِنْ جِلْدٍ يُوَضَعُ فِيهِ السَّمْنُ - فَأَدَمَتْهُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ، ثُمَّ قَالَ: «اِئْذَنْ لِعَشْرَةٍ» ، فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ، ثُمَّ خَرَجُوا ، ثُمَّ قَالَ: «اِئْذَنْ لِعَشْرَةٍ» ، فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ، ثُمَّ خَرَجُوا ، ثُمَّ قَالَ: «اِئْذَنْ لِعَشْرَةٍ» ، فَأَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا ،

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢١٤٤ .

وَالْقَوْمُ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَانُونَ رَجُلًا^(١) .

من فوائد هذه القصة:

١- الحب الشديد لأبي طلحة رضي الله عنه لرسول الله ﷺ .

٢- يقين أم سليم بأن الله ورسوله أعلم .

وهذه القصة من دلائل نبوة رسول الله حيث تزايد طعام بضعة رجال ليكفي سبعين أو ثمانين رجلاً ببركة النبي ﷺ .

مناقب أبي طلحة رضي الله عنه :

روى الحاكم في المستدرک عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لصوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف رجل»^(٢) .

وأخرج مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أَحَدٍ انْهَزَمَ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ عَلَيْهِ بِحِجْفَةٍ - أي مترس عنه ليقه سلاح الكفار - قَالَ: وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ وَكَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا قَالَ: فَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ الْجَعْبَةُ - أي كنانة السهام - مِنَ النَّبْلِ فَيَقُولُ: انْثُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ قَالَ: وَيُشْرِفُ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ بِأَيِّ أَنْتَ وَأُمِّي ، لَا تُشْرِفْ - أي لا تتطلع - لَا يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ . . وَلَقَدْ وَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَدَيْ أَبِي طَلْحَةَ إِمَّا مَرَّتَيْنِ وَإِمَّا ثَلَاثًا مِنَ النَّعَاسِ - أي لثلاث يوهنهم الغم والخوف -^(٣) .

فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ وَأَرْضَاهُ ، مَا أَعْلَى مَا فَدَى بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ، فَدَاهُ بِنَحْرِهِ وَوَقَاهُ بِصَدْرِهِ ، وَجَعَلَ نَفْسَهُ حَائِطًا يَصُدُّ سِهَامَ الْقَوْمِ عَنْ جَسَدِ الْحَبِيبِ ، أَخِي فِي اللَّهِ ، هَلْ دَافَعْتَ عَنْ حَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذْ رَأَيْتَ بَعْضَ الْكُفَّارِ يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ وَذَلِكَ بِاتِّبَاعِكَ لِسُنَّتِهِ وَالدَّعْوَةَ إِلَيْهَا ، وَمَقَاطِعَةَ مَنَاجِدَ كُلِّ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ ؟

وأخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ رضي الله عنه أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَحْلِ ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٣٨٥ و (م) ٢٠٤٠ واللفظ للبخاري .

(٢) (صحيح) أخرجه (ك) وصححه الألباني في ص ج ٥٠٨١ .

(٣) (صحيح) أخرجه (م) ١٨١١ .

إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ الْمَسْجِدِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ ، قَالَ أَنَسٌ : فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (٩٢) [آل عمران: ٩٢] ، قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٢] وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَهَا وَدُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ ، فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ ، قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « بَخْ ذَلِكَ مَالٌ رَابِعٌ ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِعٌ ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تُجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ » فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ : أَفَعَلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ ^(١) .

أُخِي فِي اللَّهِ ، يَتَضَحَّ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ كَانَ مِمَّنْ يَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ بِتَفْعِيلِ كُلِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَكَذَلِكَ مِمَّنْ يَطِيعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي كُلِّ أَمْرِهِ بَدُونِ تَرَدُّدٍ ، لِذَلِكَ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَخْرُجَ صَدَقَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ فابْدَأْ بِالْأَقَارِبِ فَإِنَّهُمْ أَوْلَى بِالْمَعْرُوفِ ، وَإِذَا كَانُوا فَقَرَاءَ تَصَبَّحَ صَدَقَةً وَصَلَةَ ، وَإِذَا كَانُوا أَغْنِيَاءَ أَذْهَبَ إِلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ .

موت أبي طلحة رضي الله عنه :

أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه ، أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ رضي الله عنه قَرَأَ سُورَةَ بَرَاءة فَأَتَى عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ ﴿ **انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا** ﴾ [التوبة: ٤٢] ، فَقَالَ : أَلَا أَرَى رَبِّي يَسْتَنْفِرُنِي شَابًا وَشَيْخًا جَهْزُونِي ، فَقَالَ لَهُ بَنُوهُ : قَدْ غَزَوْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قَبِضَ ، وَغَزَوْتَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى مَاتَ ، وَغَزَوْتَ مَعَ عُمَرَ ، فَتَحَنَّنَ نَغْزُو عَنْكَ فَقَالَ : جَهْزُونِي فَجَهْزُوهُ وَرَكِبَ الْبَحْرَ فَمَاتَ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ جَزِيرَةً يَدْفِنُونَهُ فِيهَا إِلَّا بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ فَلَمْ يَتَغَيَّرْ ، إِنَّهَا لِكِرَامَةِ الْأَبِي طَلْحَةَ حَفِظَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَيَاتِهِ فَحَفِظَ اللَّهُ تَعَالَى جَسَدَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ .

فَرْضِي اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ وَأَسْكِنَهُ فِسِيحَ جَنَاتِهِ جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (بخ) ٢١٩٣ ، و(م) ٩٩٨ واللفظ للبخاري .

اللقاء الإيمانى الستون :

(شروط الاستخلاف والتمكين للمسلمين <٦>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتى فى الله ، من شروط الاستخلاف والتمكين تمام العبودية لله عز وجل فلقد كان سلفنا الصالح يعتززون بالعبودية لله تعالى ، فهذا بشر الحافى فى التاريخ بعد أن هداه الله ، كان بشر رجلاً فاسقاً من أبناء الأشراف ، وورث مالا كثيراً ، وكان شاباً مترفاً يعيش ليله مع نهاره فى معصية الله ﷻ ، تدار كتوس الخمر فى داره حتى الهجيع الأخير من الليل ، كما يحدث لكثير من الناس ، نسأل الله العافية والسلامة ، فالراقصات والمغنيات واللهو واللعب فى داره إلى الصباح ، وكان فى حياة أشبه ما تكون بالغيوبة لم يفهم معنى العبودية ، فأراد الله له الهداية ، فمر ذات يوم بداره إبراهيم بن أدهم رحمة الله عليه الرجل الصالح ، فتمزق قلب إبراهيم بن أدهم حينما سمع اللهو واللعب وكتوس الخمر تدار فى بيت رجل يقول: إنه من المسلمين .

ففرع إبراهيم بن أدهم باب بشر ، ففتحت له إحدى الراقصات فقال: هذا بيت من؟ قالت: بيت بشر .

قال: بالله أخبريني أبشر حر أم عبد؟ فتأمل كيف تصل الموعظة إلى قلوب الناس الأشقياء إذا أراد الله ﷻ لهم السعادة والهداية ، قالت: لا ، بل هو حر .

قال: قولي له: إن كان حراً فليفعل ما يشاء ، وانصرف الرجل ، فلما رجعت الراقصة سألها بشر: من كان عند الباب؟ قالت: رجل صفته كذا .

قال: ماذا قال؟ قالت: سأل عنك أحر أنت أم عبد؟ قال: وماذا قلت له؟ قالت: قلت له: إنك حر .

قال: وماذا قال؟ قالت: قال: إن كان حراً فليفعل ما يشاء .

بدأ بشر يفكر فى معنى العبودية والحرية ، فالتاس لا يتصورون الرق إلا للعبد المملوك الذى يباع ويشترى ، ثم قال: أين ذهب الرجل؟ قالت: من هنا ، فمشى حافياً لأول مرة فى حياته يركض وراء إبراهيم بن أدهم فلحقه ، فقال: قف يا

رجل ، ماذا تقول ؟ قال : أبداً يا بشر ، وإنما سألت عنك أحر أنت أم عبد ؟ فقالوا : إنك حر ، فقلت : إن كنت حراً فافعل ما تشاء .

قال : ويحك يا رجل ! ماذا تقول ؟ قال : لا أقول أكثر من ذلك ، يا بشر ! إن كنت حراً فافعل ما تشاء ، وإن كنت عبداً فليست هذه صفة العبيد لله .

فصار يضرب برجله الأرض ويقول : والله إني لعبد ، والله إني لعبد .

تصور أن هذه العبودية أنقذته من ذلك الرق ، فرجع إلى بيته يكسر زجاجات الخمر ويسرح المغنيات ليكون بشراً الحافي الذي لا ترد كلمة بشر إلا ويتصور الناس منتهى الورع والتقوى والاستقامة على دين الله (٤٢) .

على درب التوحيد (لا يُردُّ من سأل بالله ﷻ)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

أخرج الإمام أحمد في مسنده وغيره عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَفَّيْتُمُوهُ »^(١) .

إخوتي في الله ، السؤال بالله جائز ، قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ﴾ ومعنى ﴿ تَسَاءَلُونَ بِهِ ﴾ يعني : يسأل بعضكم بعضاً بالله ، وفي هذا الحديث : " مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ " فدلَّ على جواز السؤال بالله .

لكن من سأل بالله لا يجوز له أن يردَّ السائل إجلالاً لله سبحانه وتعالى . قول رسول الله ﷺ : " مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ كَأَن يَقُولَ : وَاللَّهِ لَتُعْطِيَنِي هَذَا الشَّيْءَ ، وَلَكِنْ هَذَا فِيهِ تَفْصِيلٌ ؛ فَإِذَا سَأَلَ بِاللَّهِ شَيْئًا لَهُ فِيهِ حَقٌّ وَجِبَ إِعْطَاؤُهُ ، أَوْ كَانَ مُضْطَرًّا فَإِنَّهُ لَهُ الْحَقُّ فِي أَنْ يَأْخُذَ مِنْ مَالٍ غَيْرِهِ مَا يَدْفَعُ ضَرُورَتَهُ .

أما إذا سأل شيئاً ليس له فيه استحقاق ، وهو ليس محتاجاً ولا مضطراً ؛ فهذا

(١) (صحيح) أخرجه (حم د ن ح ك) وصححه الألباني في ص ج ٦٠٢١ .

يستحبّ للمسؤول أن يُعطيّه ، فإن لم يعطيه في هذه الحالة الأخيرة يكون فاعلاً لمكروه ، وإذا أعطاه كان فاعلاً لمستحبّ (٦) .

من فوائد هذا الحديث لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى :

١ - المشروع لأهل الإيمان أن يعطوا من سأل بالله تعظيماً لله عز وجل وقد جاءت أحاديث تدل على كراهة السؤال بالله لما فيه من التشديد على الناس ولكن من سأل حقاً له كالزكاة وحقه في بيت المال أو كان مضطراً وجب أن يعطى وأما إذا كان غير ذلك فالأفضل أن يعطى ولا ينبغي له أن يسأل بالله عملاً بالأحاديث الدالة على كراهة ذلك .

٢ - من استعاذ بالله شرع أن يعاذ ، فالمقصود أن من استعاذ بالله فإنه يشرع أن يعاذ إذا كان ليس حقاً عليه أما إذا كان يستعيز بالله في إسقاط حق عليه فلا ، ولا يجوز أن يستعاذ بالله في ترك الحقوق فيقول : أعوذ بالله أن تلزموني بالصلاة أو بأداء الحقوق عليّ .

٣ - قوله «وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ» يشرع إجابة الدعوة سواء كانت لعرس أو لغير عرس وأهمها وأعظمها دعوة العرس ، فالواجب أن تجاب الدعوة إلا أن يكون بها مانع أو يكون له مانع كأن يكون مريضاً أو بعيداً فيشق عليه الحضور للدعوة أو كانت الدعوة بها منكر كالأغاني والملاهي وشرب الخمر ، أما إذا كانت الدعوة مستقيمة وكان المدعو مستطيع وجب أن يجيب أو تأكد على الأقل لقوله صلى الله عليه وسلم «وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ» .

مشاهد من الدار الآخرة (أبواب النار ودركاتها)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ (٤٤)﴾ [الحجر: ٤٤] .

المعنى: وإن النار الشديدة لموعدهم إجماعاً وإتباعه أجمعين ، لها سبعة أبواب كل باب أسفل من الآخر ، لكل باب من أتباع إبليس نصيب بحسب أعمالهم .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ
نَصِيرًا (١٤٥)﴾ [النساء: ١٤٥] .

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ
(٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٩)﴾ [الهمزة: ٥ - ٩] .

المعنى: وما أدراك - أيها الرسول - ما حقيقة النار؟ إنها نار الله الموقدة التي
من شدتها تنفذ من الأجسام إلى القلوب . إنها عليهم مطبقة في سلاسل وأغلال
مطوّلة ؛ لئلا يخرجوا منها .

وأخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى عن عتبة بن عبد رضي الله عنه قال: قال رسول
الله ﷺ: «الجنة لها ثمانية أبواب والنار لها سبعة أبواب» ^(١) .

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، إِذْ
سَمِعَ وَجْبَةً فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : تَدْرُونَ مَا هَذَا؟ قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «هَذَا
حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى
قَعْرِهَا» ^(٢) .

أمين سر رسول الله ﷺ (حذيفة بن اليمان رضي الله عنه) <١>

الحمد لله الذي منّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بستته
عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا
قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله ، نحن اليوم مع السيرة العطرة لأمين سر رسول الله ﷺ إنه
الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وهو حذيفة بن حسل بن جابر ، واليمان
لقب حسل بن جابر ، وحذيفة صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين ؛ أعلمه بهم
رسول الله ﷺ وسأله عمر: أفي عمالي أحد من المنافقين قال: نعم واحد قال: من
هو قال: لا أذكره . قال حذيفة: فعزله كأنما دل عليه ، وكان عمر إذا مات أحد
يسأل عن حذيفة فإن حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر وإن لم يحضر حذيفة

(١) (صحيح) أخرجه (ابن سعد) وصححه الألباني في ص. ج ٣١١٩

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢٨٤٤

الصلاة عليه لم يحضر عمر ، وشهد حذيفة الحرب بنهاوند فلما قتل النعمان بن مقرن أمير ذلك الجيش أخذ الراية ؛ وكان فتح همذان والري والدينور على يده وشهد فتح الجزيرة ونزل نصيبين وتزوج فيها ، وكان يسأل النبي ﷺ عن الشر ليتجنبه (٣) .

حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يوم بدر:

جاء في صحيح مسلم عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه قَالَ: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ قَالَ: فَأَخَذْنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَا نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ فَقَالَ: «انْصَرِفَا نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ»^(١) .

هذه صورة مشرقة في حرص النبي ﷺ لحفظ العهود وتربية أصحابه على تطبيق مكارم الأخلاق الرفيعة وإن كان في ذلك إجحاف بالمسلمين ومفوت لهم جهد بعض أفراد المجاهدين (٢٦) .

أحبي في الله ، ائتوني بلغة على وجه الأرض تجسد هذا الوفاء! هذا هو ديننا ، وهذه هي أخلاق نبينا (٤٥) .

حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يوم أحد:

أخرج البخاري في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ هُزِمَ الْمُشْرِكُونَ فَصَاحَ إِبْلِيسُ أَيُّ عِبَادَ اللَّهِ أَخْرَاكُمْ - أي احذروا الذين من ورائكم متأخرين عنكم ، والخطاب للمسلمين أراد اللعين تغليظهم ليقاتل المسلمون بعضهم بعضا ، فرجعت الطائفة المستقدمة قاصدين لقتال من خلفهم ظانين أنهم من المشركين ، ويحتمل أن يكون للكافرين أي فاقتلوا أخراهم - فَرَجَعَتْ أَوْلَاهُمْ فَاجْتَلَدَتْ هِيَ وَأَخْرَاهُمْ - أي تقاتلت الطائفتان المسلمتان - فنظر حذيفة فإذا هو بِأَبِيهِ الْيَمَانِ فَقَالَ: أَيُّ عِبَادَ اللَّهِ أَبِي أَبِي فَوَاللَّهِ مَا احْتَجَزُوا - أي ما امتنعوا منه - حَتَّى قَتَلُوهُ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ . قَالَ عُرْوَةُ: فَمَا زَالَتْ فِي حُذَيْفَةَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ خَيْرٌ - أي بقية دعاء واستغفار لقاتل أبيه ، وقيل: ما زال فيه شيء من حزن على

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٧٨٧ .

قتل أبيه من المسلمين - حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ ^(١) .

وهذا موقف عظيم لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه حيث تصدق بدية والده على المسلمين ، ودعا لهم بالمغفرة لكونهم قتلوا والده خطأ (٢٦) .

حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يوم الخندق:

جاء في مسند الإمام أحمد عن مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ قَالَ: قَالَ فَتَى مَنَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ لِحَذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ رَأَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَصَحْبَتُمُوهُ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا ابْنَ أَخِي قَالَ: فَكَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ كُنَّا نَجْهَدُ قَالَ: وَاللَّهِ لَوْ أَدْرَكْنَاهُ مَا تَرَكْنَاهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ ، وَلَجَعَلْنَاهُ عَلَى أَعْنَاقِنَا قَالَ: فَقَالَ حَذِيفَةُ: يَا ابْنَ أَخِي وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْخَنْدَقِ ، وَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ هَوِيًّا ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ يَشْرُطُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ يَرْجِعُ أَذْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ؟» فَمَا قَامَ رَجُلٌ ثُمَّ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَوِيًّا مِنَ اللَّيْلِ ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ يَشْرُطُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّجْعَةَ ، أَسْأَلَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟» فَمَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ مَعَ شِدَّةِ الْخَوْفِ ، وَشِدَّةِ الْجُوعِ ، وَشِدَّةِ الْبَرْدِ فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمْ يَكُنْ لِي بُدٌّ مِنَ الْقِيَامِ حِينَ دَعَانِي: «فَقَالَ: يَا حَذِيفَةُ ، فَادْهَبْ فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ فَانْظُرْ مَا يَفْعَلُونَ وَلَا تُحَدِّثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنَا» قَالَ: فَذَهَبْتُ فَدَخَلْتُ فِي الْقَوْمِ وَالرَّيْحُ وَجُنُودُ اللَّهِ تَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ ، لَا تَقْرَأُ لَهُمْ قِدْرٌ وَلَا نَارٌ وَلَا بِنَاءٌ ، فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لِيَنْظُرُ أَمْرٌ مِنْ جَلِيسِهِ فَقَالَ حَذِيفَةُ: فَأَخَذْتُ يَدَ الرَّجُلِ الَّذِي إِلَى جَنْبِي فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ قَالَ: أَنَا فَلَانُ ابْنُ فَلَانٍ ثُمَّ قَالَ: أَبُو سُفْيَانَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّكُمْ وَاللَّهِ مَا أَصَبَحْتُمْ بِدَارٍ مُقَامٍ ، لَقَدْ هَلَكَ الْكُرَاعُ وَأَخْلَفْتَنَا بَنُو قُرَيْظَةَ بَلَّغْنَا مِنْهُمْ الَّذِي نَكْرَهُ ، وَلَقِينَا مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ مَا تَرَوْنَ ، وَاللَّهِ مَا تَطْمَئِنُّ لَنَا قِدْرٌ وَلَا تَقُومُ لَنَا نَارٌ وَلَا يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ فَارْتَحَلُوا فَإِنِّي مُرْتَحِلٌ ، ثُمَّ قَامَ إِلَيَّ جَمَلِهِ وَهُوَ مَعْقُولٌ فَجَلَسَ عَلَيْهِ ثُمَّ ضَرَبَهُ فَوَثَبَ عَلَيَّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَمَا أَطْلَقَ عِقَالَهُ إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ ، وَلَوْ لَا عَهْدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا تُحَدِّثُ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي وَلَوْ شِئْتُ لَقَتَلْتُهُ بِسَهْمٍ ، قَالَ حَذِيفَةُ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي مِرْطٍ لِبَعْضِ نِسَائِهِ مُرَحِّلٍ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ أَذْخَلَنِي إِلَى رَحْلِهِ

(١) (صحيح) أخرجه (بخ) ٣١١٦ .

وَطَرَحَ عَلَيَّ طَرَفَ الْمِرْطِ ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ وَإِنَّهُ لَفِيهِ فَلَمَّا سَلَّمَ أَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ وَسَمِعْتُ غَطْفَانُ بِمَا فَعَلْتُ قُرَيْشٌ وَأَنْشَمَرُوا إِلَى بِلَادِهِمْ^(١) .

الإخوة الفضلاء ، هذا تابعي يلتقي بالصحابي الجليل حذيفة رضي الله عنه ويتخيل أنه لو وجد مع رسول الله ﷺ لاستطاع أن يفعل ما لم يفعله الصحابة الكرام ، والخيال شيء والواقع شيء آخر ، والصحابة رضي الله عنهم بشر ، لهم طاقات البشر ، وقدراتهم ، وقد قدموا كل ما يستطيعون ، فلم ييخلوا بالأنفس فضلاً عن المال والجهد ، وقد وضع رسول الله ﷺ الأمور في نصابها بقوله: خير الناس قرني ، فيبين أن عملهم لا يعدله عمل ، فالذين جاءوا من بعد وجدوا سلطان الإسلام ممتداً ، وعاشوا في ظل الأمن والرخاء والعدل ، بعيدين عن الفتنة والابتلاء ، هم بحاجة إلى أن يستشعروا أجواء الماضي بكل ما فيه وبعد ذلك يمكنهم تقدير الجهد المبذول من الصحابة حتى قام الإسلام في الأرض (٢٦) .

حذيفة بن اليمان أعلم الناس بمواقع الفتن:

روى البخاري في صحيحه عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٌّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» ، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَفِيهِ دَحْنٌ» قُلْتُ: وَمَا دَحْنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدًى تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ» ، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ دُعَاءٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا ، قَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا» قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ» ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعْصُ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»^(٢) .

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (حم) ٢٣٣٨٢ وصححه شعيب الأرناؤوط .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٦٧٣ .

اللقاء الإيماني الحادي والستون :

(شروط الاستخلاف والتمكين للمسلمين <٧>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحيتي في الله ، من شروط الاستخلاف والتمكين تمام العبودية لله ﷻ ، فلقد كان سلفنا الصالح يعتزون بالعبودية لله ، فهذا عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه ورحمه الذي يثني عليه التاريخ ثناءً عاطراً ؛ لأنه فهم معنى العبودية ، حين وقع في أسر الرومان في موقعة في زمن عمر كان الرجل الصائم العابد الراكع الساجد في جنح الليل المظلم وهو في معتقله في بلاد الروم ، فذكرت بعض صفاته من عبادته وتقواه وصلاحه وعقله ورزاقته لملك الروم ، فقال قيصر الروم: مثل هذا لو دخل في ديني لكان مكسباً عظيماً .

فدعا عبد الله بن حذافة رضي الله عنه ، فجاء به وأوقف بين يديه وقال له قيصر: يا عبد الله! لو تنصرت لشاطرتك ملكي .

يريد أن يصرفه من عبودية الله إلى عبودية الملك والمركز الذي يسيل له لعاب كثير من الناس ، ولربما يرتدون عن الإسلام لما هو أصغر من ذلك بكثير ، فقال: والله لو كانت لي الدنيا بأسرها ما تركت شيئاً من ديني .

إذاً العبودية للمركز والملك فشلت ، فلم يتنازل عن شيء من دينه ليكون مشاطراً لقيصر الروم في ملكه ؛ لأنه ملأ قلبه بالعبودية لله ﷻ ، فما استطاع هذا القلب أن يستوعب مكاناً آخر غير الله ﷻ ، فقال قيصر الروم: ردوه إلى معتقله ودلوني على طريق أكسب به هذا الفتى .

فقالوا: إنه بعيد عن أهله منذ أشهر وإنه شاب قوي ، ولو فتنته بالشهوة لأصبح عبداً لها . فقال: اتوني بأجل فتاة في بلادك .

فجاء بأجل فتاة في بلاد الروم وأغريت كل الإغراء إن هي فتن عبد الله ابن حذافة ، فدخلت الفتاة وتجردت من كل ملابسها ، وصارت تتابعه بجسدها المترف ، وكلما دنت منه ابتعد عنها وأغمض عينيه ، وأقبل على القرآن يتلو ويستعيد بالله من شرها ، وصارت هذه الفتاة تتابعه جهة جهة حتى يئست منه ، وعرفت أنه قد

امثلاً قلبه بالعبودية لله ﷻ، فقالت: أخرجوني. فقابلها شياطين الإنس عند الباب وقالوا لها: ماذا حدث؟ قالت: والله لا أدري أعلى بشر أدخلتموني أم على حجر؟.

تخير قيصر الروم في أمر هذا الشاب فقال: لا بد من أن تدلوني على سبيل أفتن به هذا الرجل. فقيل له: كل الناس يخافون من الموت. لكن عبد الله بن حذافة لا يخاف من الموت ومن هم على شاكلته لا يخافون من الموت؛ لأنهم يعرفون أن الموت لا يأتي إلا بأجل معلوم (٤٢).

على درب التوحيد (ما جاء في اللو)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنْجِياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد.. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِلْإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، اخْرُصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^(١).

الإخوة الفضلاء، المراد الحرص على فعل الأسباب التي تنفع العبد في دنياه وأخراه مما شرعه الله تعالى لعباده من الأسباب الواجبة والمستحبة والمباحة، ويكون العبد في حال فعله السبب مستعيناً بالله وحده دون كل ما سواه ليتم له سببه وينفعه. ويكون اعتماده على الله تعالى في ذلك، لأن الله تعالى هو الذي خلق السبب والمسبب، ولا ينفعه سبب إلا إذا نفعه الله به، فيكون اعتماده في فعل السبب على الله تعالى. ففعل السبب سنة، والتوكل على الله توحيد. فإذا جمع بينهما تم له مراده بإذن الله.

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٦٦٤.

فإن (لو) تفتح عمل الشيطان لما فيه من التحسر على ما فات ولوم القدر وذلك ينافي الصبر والرضى ، فالصبر واجب ، والإيمان بالقدر فرض (٣١) .
 وخلاصة الأمر أنه لا ينبغي استعمال كلمة "لو" بمعارضة القدر عند مرض أو موت قريب أو غير ذلك ، فأمر الله وقدره نافذ وإنما شرع الأسباب لحكمة بالغة ، والأسباب إذا تعاطاها المؤمن ونزل القضاء فليس له أن يعترض بعد ذلك بل يجب التسليم والصبر .

مشاهد من الدار الآخرة (أودية جهنم وسجنها)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا (٥٩)﴾ [مريم: ٥٩] .

المعنى: فأتى من بعد هؤلاء المنعم عليهم أتباع سوء تركوا الصلاة كلها ، أو ضيعوا وقتها أو أركانها وواجباتها ، واتبعوا ما يوافق شهواتهم ، فسوف يلقون شراً في جهنم .

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاقُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)﴾ [الماعون: ٤-٧] .

المعنى: يدخل المصلون الذين لا يقيمونها على وجهها ، ولا يؤدونها في وقتها وادي ويل الذي فيه صديد أهل النار ، والذين هم يتظاهرون بأعمال الخير مرآة للناس . ويمنعون إعارة ما لا تضر إعارته من الآنية وغيرها .

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢)﴾ [غافر: ٦٩-٧٢] .

المعنى: هؤلاء المشركون الذين كذبوا بالقرآن والكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله لهداية الناس ، فسوف يعلم هؤلاء المكذبون عاقبة تكذيبهم . حين تُجعل

الأغلال في أعناقهم ، والسلاسل في أرجلهم ، وتسحبهم زبانية العذاب . في الماء الحار الذي اشتد غليانه وحره ، ثم في نار جهنم يوقد بهم .

وقال تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) ﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٢] .

المعنى: يقال لخزنة جهنم: خذوا هذا المجرم الأثيم ، فاجمعوا يديه إلى عنقه بالأغلال ، ثم أدخلوه الجحيم ليقاسي حرها ، ثم في سلسلة من حديد طولها سبعون ذراعاً فأدخلوه فيها .

أخرج النسائي والترمذي في سننهما عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، عن النبي ﷺ قال: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ - أي النمل - فِي صُورِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَيَسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ تَغْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عَصَاةٍ أَهْلُ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ^(١) .

أمين سر رسول الله ﷺ (حذيفة بن اليمان رضي الله عنه <٢>)

الحمد لله الذي من على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به أصحابه الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .
أيها الأحبة في الله ، ما زلنا مع سيرة أمين سر رسول الله ﷺ العطرة فيها بنا .

حذيفة بن اليمان رضي الله عنه صاحب سر رسول الله ﷺ :

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في زاد المعاد: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَّ إِلَى حَذِيفَةَ أَسْمَاءَ أَوْلَيْكَ الْمُنَافِقِينَ وَلَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِمْ أَحَدًا غَيْرَهُ وَبِذَلِكَ كَانَ يُقَالُ لِحَذِيفَةَ إِنَّهُ صَاحِبُ السِّرِّ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ وَلَمْ يَكُنْ عُمَرُ ، وَلَا غَيْرُهُ يَعْلَمُ أَسْمَاءَهُمْ وَكَانَ إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ وَشَكَّوْا فِيهِ يَقُولُ عُمَرُ: أَنْظِرُوا فَإِنْ صَلَّى عَلَيْهِ حَذِيفَةُ وَإِلَّا فَهُوَ مُنَافِقٌ مِنْهُمْ الثَّانِي .

(١) (حسن) أخرجه (ن ت) وحسنه الألباني في ص ٢٩١١ .

من جهاده رحمته في فتح العراق:

جاء في (البداية والنهاية) للحافظ بن كثير رحمه الله تعالى : كتب عمر رحمته إلى نائب الكوفة عبد الله بن عبد الله أن يعين جيشا ويبعثهم إلى نهاوند ، وليكن الأمير عليهم حذيفة بن اليمان حتى ينتهي إلى النعمان ابن مقرن ، فإن قتل النعمان ، فحذيفة ، فإن قتل فنعيم بن مقرن ، وولي السائب بن الأقرع قسم الغنائم ، فسار حذيفة في جيش كثيف نحو النعمان ابن مقرن ليوافوه بماء ، وسار مع حذيفة خلق كثير من أمراء العراق وقد أرصد في كل كورة ما يكفيها من المقاتلة ، وجعل الحرس في ناحية واحتاطوا احتياطا عظيما ثم انتهوا إلى النعمان بن مقرن حيث اتعدوا ، فدفع حذيفة بن اليمان إلى النعمان كتاب عمر وفيه الأمر له بما يعتمده في هذه الواقعة فكمل جيش المسلمين في ثلاثين ألفا من المقاتلة .

فسار الناس نحو نهاوند ، حتى انتهوا إلى الفرس وعليهم الفيرزان ومعه من الجيش كل من غاب عن القادسية في تلك الأيام المتقدمة ، وهو في مائة وخمسين ألفا ، فلما تراء الجمعان كبر النعمان وكبر المسلمون ثلاث تكبيرات فزلزلت الأعاجم ورعبوا من ذلك رعبا شديدا ، وحمل وحمل الناس على المشركين ، وجعلت راية النعمان تنقض على الفرس كأنقضاض العقاب على الفريسة حتى تصافحوا بالسيوف ، فاقتتلوا قتالا لم يعهد مثله في موقف من المواقف المتقدمة ولا سمع السامعون بوقعة مثلها ، قتل من المشركين ما بين الزوال إلى الظلام من القتلى ما طبق وجه الأرض دما بحيث إن الدواب كانت تطبع فيه حتى قيل إن الأمير النعمان بن مقرن زلق به حصانه في ذلك الدم فوق وقع وجاءه سهم في خاصرته فقتله ، ولم يشعر به أحد سوى أخيه سويد وقيل نعيم وقيل غطاه بثوبه وأخفى موته ، ودفع الراية إلى حذيفة بن اليمان فأقام حذيفة أخاه نعيما مكانه وأمر بكتف موته حتى ينفصل الحال لئلا ينهزم الناس ، فلما أظلم الليل انهزم المشركون مدبرين وتبعهم المسلمون وكان الكفار قد قروا منهم ثلاثين ألفا بالسلاسل ، وحفروا حولهم خندقا فلما انهزموا وقعوا في الخندق وفي تلك الأودية نحو مائة ألف وجعلوا يتساقطون في أودية بلادهم ، فهلك منهم بشر كثير نحو مائة ألف أو يزيدون سوى من قتل في المعركة ولم يفلت منهم إلا الشريد (٨) .

انظر إلى استجابة القواد لتعليمات عمر رحمته فهل لنا أن نستجب لأمرائنا في

المعروف وصدق من رسول الله ﷺ حين قال: « مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ يَعِصَنِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمَنْ يُطِيعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ يَعِصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي »^(١) .
 حذيفة بن اليمان سببا في جمع القرآن في مصحف واحد:

أخرج البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق - أي وكان عثمان رضي الله عنه يجهز جيشا من أهل الشام والعراق لغزو أرمينية وأذربيجان - فأفزع حذيفة اختلافهم - أي اختلاف أهل الشام وأهل العراق - في القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالمصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف^(٢) .

فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، فما نحن فيه من انتشار القرآن في ربوع المعمورة إلا بهذا الرأي المبارك وهذا الجهد الميمون .
 وفاة حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:

جاء في (صفة الصفوة) لابن الجوزي عن أبي وائل قال: لما ثقل حذيفة أتاه أناس من بني عبس فأخبرني خالد العبيسي قال: أتيناوه وهو بالمدائن حين دخلنا عليه جوف الليل فقال لنا: أي ساعة هذه؟ قلنا: جوف الليل أو آخر الليل فقال: أعود بالله من صباح إلى النار ثم قال: أجيئكم معكم بأكفان؟ قلنا: نعم قال: فلا تغالوا بأكفاني فإنه إن يكن لصاحبكم عند الله خير فإنه يبدل بكسوته كسوة خيرا منها وإلا يسلب سلبا ، قال أهل السير: مات حذيفة بعد قتل عثمان رضي الله عنه بأشهر (٢٨) .
 فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (ق حم ن هـ) وصححه الألباني في ص ج ٦٠٤٤ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٧٠٢ .

اللقاء الإيمانى الثانى والستون :

(شروط الاستخلاف والتمكين للمسلمين <٨>)

الحمد لله الذى كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتى فى الله ، من شروط الاستخلاف والتمكين عدم الشرك بالله ، فلا شرك لمخلوق حي ولا ميت ، ولا لضريح ولا لملك ولا لزعيم ولا لرئيس ولا لمشروع كما يقولون ، ولا لصاحب قانون ولا لصاحب نظام مع الله ﷻ ، ولو كانت كل وسائل الهلاك والعذاب بيد هذا المخلوق ؛ إذا الشرك بالله ﷻ أياً كان هذا الشرك لا يجوز ، سواء أكان شرك الأحياء كالذين يشرعون القوانين والأنظمة ويتقبلها البشر ، وينسون أن الله تعالى يقول: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ٦٠] .

أم كان شرك الطاعة فى معصية الخالق سبحانه وتعالى ، كما قال الرسول ﷺ حينما أنزل الله ﷻ: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] ، فقال عدي بن حاتم: يا رسول الله! والله ما كنا نعبدهم ، قال: أليسوا يحرمون ما أحل الله ويحلون ما حرم الله فتطيعونهم؟ قال: بلى قال: فتلك إذا عبادتهم .

إذا كلمة توحيد الله ﷻ تستلزم أن يقدم المسلم أوامر الله على أوامر المخلوقين ، فإذا توافقت أوامر المخلوقين مع أوامر الله ﷻ فحينئذ نقبل أوامر المخلوقين ما دامت لا تتنافى مع أوامر الله ﷻ ، وإذا تنافت أوامر المخلوقين مع أوامر الله ﷻ فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق (٤٢) .

على درب التوحيد (ما جاء فى سب الریح)

الحمد لله الذى جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنْجِياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

روى الترمذى عن أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا

الرَّيْحَ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أَمَرْتُ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أَمَرْتُ بِهِ»^(١).

إخوتي في الله ، الرياح إنما هي بأمر الله سبحانه وتعالى فقد يُرسلها بالخير قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ﴾ [الأعراف: ٥٧] ، وقد يُرسلها أيضاً بالشر والعذاب ، كما أرسلها على عاد: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١) مَا تَدْرٍ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ الرَّمِيمَ (٤٢)﴾ [الذاريات: ٤١] .

كلّ هذا بأمر الله سبحانه وتعالى ، فينبغي أن ينسب الإنسان الأشياء إلى الله وأن الله هو الذي قدّرها بسبب فعله عقوبة له ، وأوجدّها وهو الذي أمرها بذلك ، فهي مأمورة مدبرة (١٢) .

مشاهد من الدار الآخرة (طعام أهل النار)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد ...

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ (٤٦)﴾ [الدخان: ٤٣-٤٦] .

المعنى: إن شجرة الزقوم التي تخرج في أصل الجحيم ، ثمرها طعام صاحب الآثام الكثيرة ، وأكبر الآثام الشرك بالله ، وهي تغلي في بطون المشركين كالمعدن المنصهر .

وقال تعالى: ﴿أَذْلِكَ خَيْرٌ نَزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَا كِيلُونَ مِنْهَا فَمَا يُولُونُ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّهُمْ عَلَى شُوبٍ مِّنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّهُمْ مَرْجِعُهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ (٦٨)﴾ [الصافات: ٦٢-٦٨] .

المعنى: أذلك الذي سبق وصفه من نعيم الجنة خير ضيافة وعطاء من الله ، أم

(١) (صحيح) أخرجه (ت) ٢٢٥٢ وصححه الألباني في مش ١٥١٨ .

شجرة الزقوم الخبيثة الملعونة ، طعام أهل النار؟ إنا جعلناها فتنة افتتن بها الظالمون لأنفسهم بالكفر والمعاصي ، وقالوا مستنكرين: إن صاحبكم ينبئكم أن في النار شجرة ، والنار تأكل الشجر . إنها شجرة تنبت في قعر جهنم ، ثمرها قبيح المنظر كأنه رؤوس الشياطين ، ثمرها قبيح المنظر كأنه رؤوس الشياطين ، ثم إنهم بعد الأكل منها لشاربون شراباً خليطاً قبيحاً حاراً ، ثم إن مردّهم بعد هذا العذاب إلى عذاب النار .

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ ﴿٦﴾ [الغاشية: ٦] .

المعنى: ليس لأصحاب النار طعام إلا من ضريع وهو نبات شائك لاصق بالأرض .

وقال تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلٍ (٣٦) [الحاقة: ٣٦] .

المعنى: فليس لهذا الكافر يوم القيامة قريب يدفع عنه العذاب ، وليس له طعام إلا من صديد أهل النار .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾ (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣) [المزمل: ١٢-١٣] .

المعنى: إن لهم عندنا في الآخرة قيوداً ثقيلة وناراً مستعرة يُحرقون بها ، وطعاماً كريهاً ينشّب في الحلق لا يستساغ ، وعذاباً موجعاً .

أبو المساكين (جعفر بن أبي طالب)

الحمد لله الذي منّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله ، نحن اليوم على موعد مع السيرة العطرة لأبي المساكين الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب أبي عبد الله الهاشمي رضي الله عنه ، الطيار في الجنة ، ذي الجناحين ، صاحب الهجرتين ، استشهد بمؤتة في حياة رسول الله ﷺ أميراً ، سنة ثمان في جمادى الأولى ، شبيه رسول الله ﷺ خلقاً وخلقا ، وكان النبي ﷺ

يسميه أبا المساكين ، كان أسن من عليٍّ بعشر سنين ، وكان عقيل أخوه أسن من جعفر بعشر سنين (٣٦) .

مناقب جعفر عليه السلام:

جاء في صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَقُولُونَ: أَكْثَرَ أَبَوَيْ هُرَيْرَةَ ، - أي في روايته للحديث - وَإِنِّي كُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشَبَعِ بَطْنِي - أي رضيت بشبع بطني ، ولم أطلب زيادة على ذلك فتهيأ لي من سماع حديثه ما لم يتهيأ لغيري - ، حَتَّى لَا أَكُلُ الْخَمِيرَ - أي الخبز الذي خمر وجعل في عجينه الخميرة - وَلَا أَلْبَسُ الْحَبِيرَ - أي الحديد - ، وَلَا يَخْدُمُنِي فَلَانٌ وَلَا فُلَانَةٌ ، وَكُنْتُ أُلْصِقُ بَطْنِي بِالْحَصْبَاءِ - أي بالأرض - مِنَ الْجُوعِ وَإِنْ كُنْتُ لَأَسْتَقْرِئُ الرَّجُلَ الْآيَةَ هِيَ مَعِيَ كَيْ يَنْقَلِبَ بِي فَيُطْعِمَنِي ، وَكَانَ أَخِيرَ النَّاسِ لِلْمَسْكِينِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؛ كَانَ يَنْقَلِبُ بِنَا فَيُطْعِمُنَا مَا كَانَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى إِنْ كَانَ لَيُخْرِجُ إِلَيْنَا الْعُكَّةَ - أي وعاء من جلد يجعل فيه السمن - الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ فَتَشُقُّهَا فَتَلْعَقُ مَا فِيهَا ^(١) ، فرضي الله عنه ؛ يخرج العكة وليس فيها شيء إلا البقايا على جدرانها وأطرافها ، فيشقها ليلعق ضيوفه ما فيها ، فالداعية إلى الله كريم ، بل ينبغي أن يكون بيته مفتوحاً للمساكين والفقراء ، وأن يتخذ الإكرام وسيلة لاستمالة قلوبهم ، كان يحيز النبي ﷺ كثيراً ما يجعل من إكرامه للناس وسيلة لاستمالة قلوبهم ، كان يحيز الضيف ويعطيه ، وإذا فتح الله عليه بشيء وزعه على الناس يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، حتى كان ذلك سبباً في إزالة الشحنة من قلوب كثير من أعدائه ، ودخول الألداء من خصومه في دين الله سبحانه وتعالى (٤٧) .

هجرة جعفر عليه السلام إلى الحبشة :

جاء في (الرحيق المختوم) : عز على المشركين أن يجد المهاجرون - من المسلمين إلى الحبشة في الهجرة الثانية - مأمناً لأنفسهم ودينهم ، فاختاروا رجلين جليدين لبيبين ، وهما: عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبي ربيعة أي قبل أن يسلم - وأرسلوا معهما الهدايا المستطرفة للنجاشي ولبطارقه ، وبعد أن ساق الرجلان تلك الهدايا إلى البطارقة ، وزوداهم بالحجج التي يطرد بها أولئك المسلمين ، وبعد أن اتفقت البطارقة أن يشيروا على النجاشي بإقصائهم ، حضرا إلى النجاشي ، وقدا

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٥٠٥ .

له الهديا ثم كلماه فقالا له: أيها الملك، إنه قد صَوَى إلى بلدك غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائهم؛ لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم، وعاتبوهم فيه.

وقالت البطارقة: صدقا أيها الملك، فأسلمهم إليهما، فليردهم إلى قومهم وبلادهم. ولكن رأى النجاشي أنه لا بد من تمحيص القضية، وسماع أطرافها جميعًا. فأرسل إلى المسلمين، ودعاهم، فحضرُوا، وكانوا قد أجمعوا على الصدق كائنًا ما كان. فقال لهم النجاشي: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في ديني ولا دين أحد من هذه الملل؟

قال جعفر بن أبي طالب - وكان هو المتكلم عن المسلمين: أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية؛ نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل منا القوي الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - فعدده عليه أمور الإسلام - فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاءنا به من دين الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورجعنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك.

فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم. فقال له النجاشي: فاقرأه على، فقرأ عليه صدرًا من: ﴿كهيعص﴾ فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال لهم النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون - يخاطب

عمرو بن العاص وصاحبه - فخرجا ، فلما خرجا قال عمرو بن العاص لعبد الله بن أبي ربيعة: والله لآتينه غداً عنهم بما أستأصل به خضراءهم . فقال له عبد الله بن أبي ربيعة: لا تفعل ، فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا ، ولكن أصر عمرو على رأيه .

فلما كان الغد قال للنجاشي: أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً ، فأرسل إليهم النجاشي يسألهم عن قولهم في المسيح ففزعوا ، ولكن أجمعوا على الصدق ، كائناً ما كان ، فلما دخلوا عليه وسألهم ، قال له جعفر: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول .

فأخذ النجاشي عوداً من الأرض ثم قال: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود ، فتناخرت بطارقه ، فقال: وإن نَحَرْتُمُ والله .

ثم قال للمسلمين: اذهبوا فأنتم شيوءٌ - أي آمنون - بأرضي من سببكم غرم ، من سببكم غرم ، من سببكم غرم ، ما أحب أن لي دبراً من ذهب وأني آذيت رجلاً منكم - والدبر: الجبل بلسان الحبشة ، ثم قال لحاشيته: ردّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها ، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي ، فأخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه (١٩) .

ولقد امتازت شخصية جعفر ﷺ بعدة أمور جعلتها تتقدم لسد هذه الثغرة العظيمة منها ؛ فجعفر ألصق الناس برسول الله ﷺ فقد عاش معه في بيت واحد ، فهو أخبر الناس بقائد الدعوة وسيد الأمة من بين كل المهاجرين إلى الحبشة ، وهذا الموقف بين يدي النجاشي يحتاج لفصاحة ، وهو ابن عم رسول الله ﷺ ، وهذا يجعل النجاشي أكثر اطمئناناً وثقة بما يعرض عن ابن عمه (٢٦) .

عودة جعفر ﷺ من الحبشة:

أخرج الحاكم في المستدرک عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: لما قدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة قال رسول الله ﷺ : «ما أدري بأيهما أنا أفرح بفتح خير أم بقدوم جعفر»^(١) ، ولعلنا نتساءل كيف كافأ رسول الله ﷺ هذا القادم بعد

(١) (حسن) أخرجه (ك) وحسنه الألباني في فقه السيرة صفحة ٣٤٧ / ١ .

هذا الغياب الطويل كافأه بأن أتاح له الفرصة مرة أخرى ليعمل للدين ويقدم للدين ، فيعين النائب الأول للسرية المتوجهة لغزوة مؤتة ويذهب حفا فرحا بفرصة المشاركة للعمل للدين ، فحياته كلها أوقفها لله عز وجل ، أخي في الله ، هل حاسبت نفسك على ما قدمت لدين الله تعالى ، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة إلى الله تعالى ، والجهاد في سبيله سبحانه؟

غزوة مؤتة واستشهاد جعفر رضي الله عنه :

جاء في (سيرة بن هشام) مختصرا أن ابن إسحاق قال: قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزَّيْبَرِ رضي الله عنه بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعَثَهُ إِلَى مُؤْتَةَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَمَانَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، وَقَالَ: إِنْ أَصِيبَ زَيْدٌ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى النَّاسِ ، فَإِنْ أَصِيبَ جَعْفَرُ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ عَلَى النَّاسِ . فَتَجَهَّزَ النَّاسُ ثُمَّ تَهَيَّأُوا لِلْخُرُوجِ وَهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ ، فَلَمَّا حَضَرَ خُرُوجَهُمْ وَدَعَ النَّاسُ أَمْرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسَلَّمُوا عَلَيْهِمْ ، فَبَلَغَ النَّاسُ أَنَّ هِرَقْلَ قَدْ نَزَلَ مَابَ ، مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ ، فِي مِئَةِ أَلْفٍ مِنَ الرُّومِ ، وَأَنْضَمَّ إِلَيْهِمْ مِنْ لَحْمٍ وَجَذَامٍ وَالْقَيْنَ وَبَهْرَاءَ وَبَلِي مِئَةَ أَلْفٍ مِنْهُمْ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ بَلِيٍّ ثُمَّ أَحَدُ إِرَاشَةَ يُقَالُ لَهُ مَالِكُ بْنُ زَافِلَةَ .

وقال ابن إسحاق: فَمَضَى النَّاسُ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِتُخُومِ الْبَلْقَاءِ لَقِيَتْهُمْ جَمُوعٌ هِرَقْلَ مِنَ الرُّومِ وَالْعَرَبِ بِقَرْيَةٍ مِنْ قَرَى الْبَلْقَاءِ يُقَالُ لَهَا مَشَارَفُ ، ثُمَّ دَنَا الْعَدُو ، وَأَنْحَازَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا مُؤْتَةُ . فَالْتَقَى النَّاسُ عِنْدَهَا: ثُمَّ التَقَى النَّاسُ وَاقْتَتَلُوا ، فَقَاتَلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بِرَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى شَاطَ فِي رِمَاحِ الْقَوْمِ ، وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ: إِنَّ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخَذَ اللَّوَاءَ بِيَمِينِهِ فَقَطَعَتْ ، فَأَخَذَهُ بِشِمَالِهِ فَقَطَعَتْ ، فَاحْتَضَنَهُ بَعْضُ دِيهِ حَتَّى قُتِلَ رضي الله عنه وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً فَأَثَابَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ جَنَاحَيْنِ فِي الْجَنَّةِ يَطِيرُ بِهِمَا حَيْثُ شَاءَ . وَيُقَالُ: إِنَّ رَجُلًا مِنَ الرُّومِ ضَرَبَهُ يَوْمَئِذٍ ضَرْبَةً فَقَطَعَهُ بِنِصْفَيْنِ (٢٥) . إِنَّهَا لِشَخْصِيَّةٍ مَبَارَكَةٍ عَاشَتْ وَمَاتَتْ مِنْ أَجْلِ هَذَا الدِّينِ جَزَاهُ اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرَ الْجَزَاءِ .

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

اللقاء الإيمانى الثالث والستون :

(الجزء الديوى لمن نفذ شروط التمكين ١)

الحمد لله الذى كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، وعد الله الاستخلاف ، والتمكين ، والأمن بعد الخوف للذين يحققون شروط التمكين ، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥] ، وهذه الأمور يفرح بها كل الناس حتى الكفرة والعصاة والملاحدة ، فجميعهم يريدون هذه الأمور الثلاثة ، وهي الاستخلاف في الأرض ، والتمكين للدين الذى ارتضاه الله لهم ، والطمأنينة في هذه الحياة ، لكنها لا تكون إلا للمؤمنين الذين ينفذون الشروط الأربعة المذكورة في الآية وهي: آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، يَعْبُدُونَنِي، لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، أما الاستخلاف في الأرض فهو أن تكون السلطة بأيدي هذه الأمة بدلاً من أن تكون السلطة بأيدي الكافرين الذين يسومون المسلمين سوء العذاب ، كما يوجد في كثير من البلاد الإسلامية اليوم ، يتسلط الكفار على المؤمنين وطغاة البشر على الأتقياء فيسومونهم سوء العذاب ، وهذا الاستخلاف لم يكن للأمة الإسلامية في صدرها الأول كما كان الحال في الحياة المكية التي عاشها المسلمون ، لقد كان الأذى يصب على رءوس المؤمنين صباً ؛ فلقد اشتدت الحياة في مكة على المسلمين ، حتى أنزل الله ﷻ وصفاً دقيقاً لتلك الحياة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢] .

وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤] ، ثم يأتي النصر: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤] ، تلك الحياة التي صورها لنا خباب بن الارت فقال: شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: «قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ يُؤْخَذُ

الرَّجُلُ فَيُخَفِّرْ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيَجْعَلُ فِيهَا فَيْجَاءً بِالْمِنْشَارِ فَيُوضِعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنِ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيَكَيِّمَنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّائِكُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذُّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» ^(١) (٤٢) .

على درب التوحيد (ما جاء في سوء الظن بالله <١>)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنَجِّياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَفُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] .

إخوتي في الله ، هذه الآية ذكرها الله في سياق قوله تعالى في ذكر وقعة أحد ، ثم كان من رحمة الله بالمؤمنين المخلصين أن ألقى في قلوبهم من بعد ما نزل بها من هم وغمٍ اطمئناناً وثقة في وعد الله ، وكان من أثره نعاس غشي طائفة منهم ، وهم أهل الإخلاص واليقين ، وطائفة أخرى أهمهم خلاص أنفسهم خاصة ، وضعفت عزيمتهم وشغلوا بأنفسهم ، وأسأوا الظن بربهم وبدينه وبنبيه ، وظنوا أن الله لا يُتِمُّ أمر رسوله ، وأن الإسلام لن تقوم له قائمة ، ولذلك تراهم نادمين على خروجهم ، يقول بعضهم لبعض: هل كان لنا من اختيار في الخروج للقتال؟ قل لهم - أيها الرسول - : إن الأمر كله لله ، فهو الذي قدَّر خروجكم وما حدث لكم ، وهم يُخَفُّونَ في أنفسهم ما لا يظهرونه لك من الحسرة على خروجهم للقتال ، يقولون: لو كان لنا أدنى اختيار ما قُتِلنا هاهنا . قل لهم: إن الآجال بيد الله ، ولو

(١) (صحيح) أخرجه (بخ) ٦٥٤٤ .

كنتم في بيوتكم ، وقدّر الله أنكم تموتون ، لخرج الذين كتب الله عليهم الموت إلى حيث يُقتلون ، وما جعل الله ذلك إلا ليختبر ما في صدوركم من الشك والنفاق ، ولیميز الخبيث من الطيب ، ويظهر أمر المؤمن من المنافق للناس في الأقوال والأفعال . والله عليم بما في صدور خلقه ، لا يخفى عليه شيء من أمورهم (٣١) .

وخلاصة الأمر أن كثيراً من الناس لا يسلم الله حكمته وقدره السابق ، بل يسيء الظن بالله عز وجل فيظن أن ما وقع من الأشياء التي تخالف هواه أنه لم يكن عن حكمة وعن قدر سابق ، ومنهم من يظن أنه مجرد المشيئة لا عن حكمة ، ومنهم من يظن أن الله قد جار على عباده وظلمهم فأفقر فلاناً وأمراض فلاناً ، والمنافقون ظنوا بالله ظن السوء من جهة أن الله لا ينصر أولياؤه ورسوله ، ومن جهة أن أفعال الله لا تقع عن حكمة بل مجرد المشيئة المجردة ، ففتش في نفسك هل أنت هل أنت سالم من هذه الأمور أم لا ؟ .

مشاهد من الدار الآخرة (شراب أهل النار)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد ...

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (٢٩) [الكهف: ٢٩] .

وقال تعالى: ﴿ مَن وَرَّأَيْهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧) ﴾ [إبراهيم: ١٦-١٧] .

وقال تعالى: ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ (١٥) ﴾ [محمد: ١٥] .

وقال تعالى: ﴿ هَذَا فَلْيَذُقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨) ﴾ [ص: ٥٧-٥٨] ، ولقد ذكر في هذه الآيات أربعة أشربة لأهل النار وهم: المهمل والصديد والحميم والغساق .

أولاً: المهمل: قال مجاهد بماء كالمهل ، مثل القيح والدم الأسود كعكر الزيت .

ثانياً: الصديد: قال مجاهد عن الصديد أى القيح والدم .

ثالثا: الحميم: حميم أن أى شراب بلغ منتهى الحرارة يقطع الأمعاء .

رابعا: الغساق: قال ابن عمرو: الغساق: القيح الغليظ لو أن قطرة منه تهرق في المغرب لأنتنت أهل المشرق ولو اهرقت في المشرق لأنتنت أهل المغرب .

وجاء في صحيح مسلم عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَجُلًا قَدِيمَ مِنْ جَيْشَانَ وَجَيْشَانُ مِنْ الْيَمَنِ فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ شَرَابٍ يَشْرَبُونَهُ بِأَرْضِهِمْ مِنَ الدَّرَّةِ يُقَالُ لَهُ الْمَزْرُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَوْ مُسْكِرٌ هُوَ ؟ » قَالَ : نَعَمْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ ، إِنَّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ ؟ قَالَ : « عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ أَوْ عُصَاةُ أَهْلِ النَّارِ » ^(١) (١٨) .

من المكثرين في رواية الحديث (جابر بن عبد الله بن حرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله ، نحن اليوم على موعد مع الصحابي الجليل جابر بن عبد الله بن عامر بن حرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي ، وعن أبو الزبير ، أنه سمع جابرا يقول: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة ، قال جابر: لم أشهد بدرا ولا أحدا ؛ منعتني أبي ، فلما قتل يوم أحد ، لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة قط ، وكان من المكثرين في الحديث (٣) .

جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغزوة أحد:

روى البخاري في صحيحه عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا حَضَرَ أَحَدٌ دَعَانِي أَبِي مِنْ اللَّيْلِ فَقَالَ: مَا أَرَانِي إِلَّا مَقْتُولًا فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَإِنِّي لَا أَتْرُكُ بَعْدِي أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْكَ غَيْرَ نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَإِنَّ عَلَيَّ دَيْنًا فَاقْضِ وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْرًا ، فَأَصْبَحْنَا فَكَانَ أَوَّلَ قِتِيلٍ وَدُفِنَ مَعَهُ آخَرُ - أي هو عمرو بن الجموح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي قَبْرِ ثُمَّ لَمْ تَطِبْ نَفْسِي - أي لم تكن نفسي مستريحة وما أحببت - أَنْ أَتْرُكَهُ مَعَ الْآخِرِ فَاسْتَخَرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ فَإِذَا هُوَ كَيَوْمٍ وَضَعْتُهُ

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٠٠٢ .

هَيْئَةً - أي قريبا - غَيْرَ أَذْنِهِ^(١) الله أكبر! لم يتغير جسد عبد الله بن حرام رضي الله عنه بعد دفنه لمدة ستة أشهر! وهذا يرجع لفضل الشهادة في سبيل الله .

وجاء في صحيح البخاري أيضا عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه: أَنَّ أَبَاهُ اسْتَشْهَدَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَتَرَكَ عَلَيْهِ دَيْنًا وَتَرَكَ سِتَّ بَنَاتٍ ، فَلَمَّا حَضَرَ جَزَاؤُ النَّخْلِ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ وَالِدِي قَدْ اسْتَشْهَدَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَتَرَكَ دَيْنًا كَثِيرًا وَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ يَرَكَ الْغُرَمَاءُ فَقَالَ: «اذْهَبْ فَبَيْدِرْ - أَيِ اجْعَلْ كُلَّ صَنْفٍ فِي بَيْدِرٍ يَخْصُهُ وَالْبَيْدِرُ الْمَكَانُ الَّذِي يَجْعَلُ فِيهِ التَّمْرُ الْمَقْطُوعُ وَالَّذِي يَدَّاسُ فِيهِ الزَّرْعُ - كُلُّ تَمْرٍ عَلَى نَاحِيَةٍ» ، فَفَعَلْتُ ثُمَّ دَعَوْتُهُ ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ كَانَتْهُمْ أَغْرُوا بِي - أَيِ لَجُوا فِي مَطَالِبِي وَأَلْحُوا - تِلْكَ السَّاعَةَ ، فَلَمَّا رَأَى مَا يَصْنَعُونَ أَطَافَ حَوْلَ أَعْظَمِهَا بَيْدِرًا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ ادْعُ لِي أَصْحَابَكَ ، فَمَا زَالَ يَكِيلُ لَهُمْ حَتَّى آدَى اللَّهُ عَنْ وَالِدِي أَمَانَتَهُ ، وَأَنَا أَرْضَى أَنْ يُؤَدِّيَ اللَّهُ أَمَانَةَ وَالِدِي وَلَا أَرْجِعَ إِلَى أَخَوَاتِي بِتَمْرَةٍ فَسَلَّمَ اللَّهُ الْبَيَادِرَ كُلَّهَا وَحَتَّى إِنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْبَيْدِرِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ كَانَتْهَا لَمْ تَنْقُصْ تَمْرَةً وَاحِدَةً^(٢) ، الله أكبر! الله أكبر! ياله من عمل مبارك من دلائل النبوة لرسول الله ﷺ .

غزوة ذات الرقاع:

جاء في (سيرة بن هشام) عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه ، قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ مِنْ نَخْلٍ ، عَلَيَّ جَمَلٌ لِي ضَعِيفٌ فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: جَعَلْتَ الرِّقَاقُ تَمْضِي ، وَجَعَلْتَ أَتَخَلَّفُ حَتَّى أَدْرِكَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا لَكَ يَا جَابِرُ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْطَأَ بِي جَمَلِي هَذَا ، قَالَ: «أَنْخُهُ» قَالَ: فَأَنْخْتُهُ ، وَأَنَاخَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «أَعْطِنِي هَذِهِ الْعَصَا مِنْ يَدِكَ ، أَوْ أَقْطَعْ لِي عَصًا مِنْ شَجَرَةٍ» قَالَ: فَفَعَلْتُ . قَالَ: فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَسَّهُ بِهَا نَخْسَاتٍ ثُمَّ قَالَ: «ارْكَبْ فَرَكِبْتُ فَخَرَجَ وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ يُوَاقِقُ نَاقَتَهُ مُوَاهِقَةً» . قَالَ: وَتَحَدَّثْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِي: «أَتَبِيعُنِي جَمَلُكَ هَذَا يَا جَابِرُ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلْ أَهْبُهُ لَكَ ، قَالَ: «لَا ، وَلَكِنْ بَعْنِيهِ» قَالَ: قُلْتُ: فَسَمِّنِيهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: قَدْ أَخَذْتَهُ بِدِرْهِمٍ

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ١٢٨٦ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٨٢٧ .

قَالَ: قُلْتُ: لَا . إِذَنْ تَعْنِينِي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَيَدْرِهَمَيْنِ قَالَ قُلْتُ: لَا . قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ثَمَنِهِ حَتَّى بَلَغَ الْأَوْقِيَّةَ . قَالَ: فَقُلْتُ: أَفَقَدْ رَضِيتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: فَهُوَ لَكَ؛ قَالَ: قَدْ أَخَذْتَهُ . قَالَ: «ثُمَّ قَالَ يَا جَابِرُ هَلْ تَزَوَّجْتَ بَعْدُ؟» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «أَثِيبًا أَمْ بِكَرًا؟» قَالَ: قُلْتُ: لَا ، بَلْ ثِيبًا؛ قَالَ: «أَفَلَا جَارِيَّةٌ تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبِي أُصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ بَنَاتٍ لَهُ سَبْعًا ، فَتَكَحَّتْ امْرَأَةٌ جَامِعَةً تَجْمَعُ رُءُوسَهُنَّ وَتَقُومُ عَلَيْهِنَّ قَالَ: «أَصَبْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمَا إِنَّا لَوْ قَدْ جِئْنَا صِرَارًا - أي مكان قبل المدينة - أَمْرًا بِجَزُورٍ فَنُحِرَتْ وَأَقَمْنَا عَلَيْهَا يَوْمَنَا ذَاكَ وَسَمِعَتْ بِنَا ، فَفَضَّصَتْ نَمَارِقَهَا - أي تستعد زوجة جابر له - . قَالَ: قُلْتُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا مِنْ نَمَارِقٍ قَالَ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فَإِذَا أَنْتَ قَدِمْتَ فَاعْمَلْ عَمَلًا كَيْسًا» قَالَ: فَلَمَّا جِئْنَا صِرَارًا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِجَزُورٍ فَنُحِرَتْ وَأَقَمْنَا عَلَيْهَا ذَلِكَ الْيَوْمَ ، فَلَمَّا أَمْسَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ وَدَخَلْنَا ، قَالَ: فَحَدَّثْتُ الْمَرْأَةَ الْحَدِيثَ وَمَا قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: فَدُونِكَ ، فَسَمِعُ وَطَاعَةً . قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخَذْتُ بِرَأْسِ الْجَمَلِ فَأَقْبَلْتُ بِهِ حَتَّى أَنْخُتَهُ عَلَى بَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ثُمَّ جَلَسْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَرِيبًا مِنْهُ قَالَ: وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَأَى الْجَمَلَ فَقَالَ مَا هَذَا؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا جَمَلٌ جَاءَ بِهِ جَابِرٌ قَالَ: فَأَيْنَ جَابِرٌ؟ قَالَ: فَدُعِيتُ لَهُ قَالَ: فَقَالَ: «يَا ابْنَ أَخِي خُذْ بِرَأْسِ جَمَلِكَ ، فَهُوَ لَكَ ، وَدَعَا بِلَالًا ، فَقَالَ لَهُ اذْهَبْ بِجَابِرٍ فَأَعْطِهِ أَوْقِيَّةً» قَالَ: فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَأَعْطَانِي أَوْقِيَّةً وَزَادَنِي شَيْئًا يَسِيرًا . قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَنْمِي عِنْدِي ، وَيَرَى مَكَانَهُ مِنْ بَيْتِنَا ، حَتَّى أُصِيبَ أُمْسٌ فِيمَا أُصِيبَ لَنَا يَعْنِي يَوْمَ الْحَرَّةِ (٢٥) ، يقول فضيلة الدكتور على الصلابي : هذه صورة جميلة وخلق راقٍ لرسول الله ﷺ مع أصحابه من حيث لطف الحديث ، والتواضع الرفيع ، ورقة الحديث وفكاهة المحاورة ومحبة شديدة لأصحابه والوقوف على أحوالهم والمواساة في مشكلاتهم الاجتماعية ماديًا ومعنويًا ، تلك من بعض أخلاق رسول الله ﷺ ، الذي بعثه ربه ليتمم مكارم الأخلاق ، فليتعلم الدعاة ، حسن الصحبة ، وصدق الأخوة وبر الخلة والمصاحبة (٢٦) .

جابر رضي الله عنه يطلب العلم:

جاء في الأدب المفرد للبخاري عن ابن عقيل أن جابر رضي الله عنه حدثه أنه بلغه حديث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ ، فابتعت بعيرا فشددت إليه رحلي شهرا

حتى قدمت الشام ، فإذا عبد الله بن أنيس ، فبعثت إليه أن جابرا بالبواب فرجع الرسول فقال: جابر بن عبد الله؟ فقلت: نعم ، فخرج فاعتنقني قلت: حديث بلغني لم أسمع خشيته أن أموت أو تموت قال: سمعت النبي ﷺ يقول: يحشر الله العباد أو الناس عراة غرلا بهما ، قلنا: ما بهما؟ قال: ليس معهم شيء فيناديهم بصوت يسمعه من بعد أحسبه قال: كما يسمعه من قرب أنا الملك لا ينبغي لأحد من أهل الجنة يدخل الجنة ، وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة ولا ينبغي لأحد من أهل النار يدخل النار ، وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة قلت: وكيف وإنما نأتي الله عراة بهما قال بالحسنات والسيئات ^(١) .

يا لها من همة مباركة! فهلا إقتدينا به في طلب العلم الشرعي ؟ ، فلقد قال رسول الله ﷺ : «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» ^(٢) .
وفاة جابر بن عبد الله ﷺ :

وتوفي جابر ﷺ سنة أربع وسبعين ، وقيل: سنة سبع وسبعين ، وصلى عليه أبان ابن عثمان ، وكان أمير المدينة ، وكان عمر جابر ٦٤ سنة (٣) .
فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى .
(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (حسن) أخرجه (خد) ٩٧٠ وصححه الألباني .
(٢) (صحيح) أخرجه (هـ) وصححه الألباني في ص ٧٢ .

اللقاء الإيمانى الرابع والستون:

(الجزء الدنيوي لمن نفذ شروط التمكين ٢)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتى في الله ، عندما كان المسلمون على المنهج الصحيح ، كان المسلم لا يجد وهو يسير في أكثر من نصف الكرة الأرضية دائرة جوازات ولا جمارك ولا أحوالاً مدنية ولا من يقول له: من أنت ، ولو قيل له: من أنت لقال: أنا المؤمن الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، هذه الدولة التي انقسمت الآن إلى عشرات الدول أو الدويلات التي تعيش مستضعفة تحت مطارق الكافرين ، تلك الدولة التي يقول عنها المؤرخون: كان هارون الرشيد ذات يوم جالساً في بغداد ، فمرت سحابة من فوق رأسه فصار يخاطب السحابة ويقول لها: يا سحابة! أمطري أنى شئت فسيأتيني خراجك ولو بعد حين فلقد كانت الدولة الإسلامية تسابق الشمس على مطالعها .

إن العز والاستخلاف تجده في قصة قتبية بن مسلم حينما كان في بلاد ما وراء النهر يفتح وينشر الإسلام ، فيقول لقادته يوماً: يا قومي! أي بلاد تقع أمامنا؟ قالوا: بلاد الصين . قال: والله لا أرجع إلى وطني حتى أطمأ بأقدامى هذه تراب الصين - ويشير إلى أقدامه - وأضع وسم المسلمين على الصينيين ، وأفرض الجزية عليهم . ووصلت الأخبار والتجسسات إلى ملك الصين تخبره بقسم قتبية ، فهل تظن أن ملك الصين سوف يرسل له إخطاراً تهديداً؟ لا ، هو قتبية بن مسلم الذي جاء ينشر الإسلام ، فيرسل إليه ملك الصين صحافاً من ذهب مملوءة بالتربة من أرض الصين ، ويقول: هذه التربة ليطأها قتبية وهو في مكانه ويرب بقسمه ، وهؤلاء أولادي الأربعة يضع عليهم الوسم ، وهذه الجزية سوف تصله كل عام (٤٢) .

إخوتي في الله: يقول المؤرخون عن عقبة بن نافع الفاتح المظفر للمغرب العربي أنه مر في طريقه في تونس وكلفه الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أن يبني مدينة تكون مركزاً للمسلمين وهي مدينة القيروان في تونس فقرر أن يبني المدينة لتكون مركزاً للمسلمين في تلك البلاد ، فجاءه أهل البلاد وقالوا: أيها القائد! هذه

أرض موحشة مسبعة يرجع كل الفاتحين دونها ، اجث عن مكان مناسب .قال :
والله لا أبنيها إلا في هذا المكان .

يقولون : فوق عقبة بن نافع رحمة الله عليه على حافة الغابة وقال : أيتها
الوحوش ! نحن أصحاب محمد ﷺ جئنا هنا لننشر الإسلام .

يقول شاهد عيان : والله لقد رأينا الوحوش تحمل أولادها من الغابة لتخليها لـ
عقبة بن نافع ليقم عليها مدينة القيروان .

ثم يسير عقبة بن نافع ليصل إلى المحيط الأطلسي فيغرز قوائم فرسه في ماء
المحيط ويقول : والله لو أعلم أن وراء هذا الماء أحداً لحضته على فرسي ، هذه عزة
المؤمنين التي يقول الله ﷻ عنها : ﴿ **وَاللَّهُ الْعَزِيزُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [المنافقون : ٨] .

وفقدوا كثير من الناس اليوم ؛ لأنهم لم يأخذوا بكثير من أسبابها ، فتمزق
الدولة الإسلامية إلى دويلات صغيرة لا تخفى علينا أخبارها ، ويسام المسلمون سوء
العذاب ، وتضيع الأندلس ، وتضيع فلسطين ، وتضيع مواطن كثيرة .

إذاً الاستخلاف في الأرض مرهون باتباع أمر الله ﷻ ، لكنني واثق
- بإذن الله ﷻ - أن الاستخلاف في الأرض سيعود مرة أخرى ،
قال ﷻ : ﴿ **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [يوسف : ٢١] .

وكذلك التمكين للدين الذي ارتضاه الله لهم ، يقول الله تعالى : ﴿ **وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ
دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ** ﴾ [النور : ٥٥] ، فالله تعالى قد ارتضى لهذا العالم ديناً واحداً هو
دين الإسلام ، ونسخ به كل الأديان ، ولن يقبل الله ﷻ ديناً سواه ، ومن قدم على
الله يوم القيامة بدين غير دين الإسلام فإن الله لا يقبله منه ، أما التمكين لهذا الدين
فإنه سنة من سنن الله ﷻ وعد الله ﷻ بذلك المؤمنين ، يقول سبحانه ﴿ **لِيُظْهِرَهُ عَلَى
الدِّينِ كُلِّهِ** ﴾ [الصف : ٩] ، لكنه كلفنا بالجهاد في سبيله ليكون الدين كله لله ، كما قال
الله ﷻ : ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ** ﴾ [الأنفال : ٣٩] (٤٢) .

على درب التوحيد (ما جاء في سوء الظن بالله <٢>)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم
به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنَجِّياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد ..

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: ١٥] .

المعنى: من كان يعتقد أن الله تعالى لن يؤيد رسوله محمداً بالنصر في الدنيا بإظهار دينه ، وفي الآخرة بإعلاء درجته ، وعذاب من كذبه ، فلْيَمْدُدْ حبلاً إلى سقف بيته وليخنق به نفسه ، ثم ليقطع ذلك الحبل ، ثم لينظر: هل يُذْهِبَنَّ ذلك ما يجد في نفسه من الغيظ؟ فإن الله تعالى ناصر نبيه محمداً ﷺ لا محالة .

إخوتي في الله ، قال الإمام ابن القيم رحمه الله : فمن ظن أن الله لا ينصر رسله ولا يتم أمره ولا يؤيده ويؤيد حزبه ويعليهم ويظفرهم بأعدائهم ويظهرهم ، وأنه لا ينصر دينه وكتابه ، فقد ظن بالله ظن السوء ، ومن ظن به أنه إذا أغضبه وأسخطه وأوضع في معاصيه ثم اتخذ من دونه أولياء ودعا من دونه ملكاً أو بشراً حياً أو ميتاً يرجو بذلك أن ينفعه عند ربه ويخلصه من عذابه ، فقد ظن به ظن السوء (٣١) .

مشاهد من الدار الآخرة (ملابس وأسرة أهل النار)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبي الذين اتقوا وعقبي الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد ...

قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ (٥٠)﴾ [إبراهيم: ٤٩-٥٠] .

المعنى: وترى - أيها الرسول - المجرمين يوم القيامة مقيدين بالقيود ، قد قرنت أيديهم وأرجلهم بالسلاسل ، وهم في ذل وهوان ثيابهم من القطران الشديد الاشتعال تلفح وجوههم النار فتحرقها .

وقال تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩)﴾ [الحج: ١٩] .

أي هذان فريقان اختلفوا في ربهم: أهل الإيمان وأهل الكفر ، كل يدعي أنه محق ، فالذين كفروا يحيط بهم العذاب في هيئة ثياب جعلت لهم من نار يلبسونها ، فتشوي أجسادهم ، ويُصَبُّ على رؤوسهم الماء المتناهي في حره .

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٤١)﴾ [الأعراف: ١٦].

أي هؤلاء الكفار مخلدون في النار ، لهم من جهنم فراش من تحتهم ، ومن فوقهم أغطية تغشاهم . وبمثل هذا العقاب الشديد يعاقب الظالمين الذين تجاوزوا حدود الله فكفروا به .

قال تعالى: ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (١٦)﴾ [الزمر: ١٦].

أخرج مسلم في صحيحه عن الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ النَّارِ عَذَابًا مِّنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَآكَانِ مِّنْ نَّارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ كَمَا يَغْلِي الْمَرْجُلُ مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا» ^(١).

وأخر مسلم أيضاً في صحيحه عن أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِّنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْإِسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ وَقَالَ: النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتَّبِ قَبْلَ مَوْتِهَا تَقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِّنْ قَطْرَانٍ وَدِرْعٌ مِّنْ جَرَبٍ» ^(٢).

أكثر الصحابة رواية للحديث (أبو هريرة رضي الله عنه)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله ، نحن اليوم على موعد مع السيرة العطرة لأكثر الصحابة رواية للحديث إنه أبو هريرة رضي الله عنه ولقد اختلفوا في اسمه واسم أبيه على ثمانية عشرة قولاً وأشهرها عبد شمس بن عامر فسمي في الإسلام عبد الله وكان له هرة صغيرة فكني بها ، وقدم المدينة في سنة سبع ورسول الله ﷺ بخير فسار إلى خيبر حتى قدم مع رسول الله ﷺ المدينة - وأبو هريرة من قبيلة دوس التي أسلمت على

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢١٣ .

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٩٣٤ .

يد الطفيل بن عمرو الدوسي - (٢٨) .

وهو أشهر من سكن الصفة طول عمر النبي ﷺ ولم يتنقل عنها ، وكان أحد أعلام الفقراء والمساكين ، وزهد في لبس اللين والحرير (١٧) .

أبو هريرة رضي الله عنه يلزم الصفة:

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: كَانَ يَقُولُ أَللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنْ كُنْتُ لِأَعْتَمِدُ بِكَدِّي عَلَى الْأَرْضِ - أَيِ الْأَصْقِ بَطْنِي بِالْأَرْضِ - مِنْ الْجُوعِ وَإِنْ كُنْتُ لِأَشُدُّ - أَيِ أَرْبُطُ - الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمْ - أَيِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ رضي الله عنهم - الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشِيعَنِي فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشِيعَنِي فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ رضي الله عنه فَتَبَسَّمَ حِينَ رَأَى بِي وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ: «بَا أَبَا هُرَيْرٍ قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «الْحَقُّ» وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ ، فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لِي فَدَخَلَ فَوَجَدَ لَبْنًا فِي قَدَحٍ فَقَالَ: «مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبْنُ» قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةٌ قَالَ: «أَبَا هُرَيْرٍ» قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «الْحَقُّ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي» قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الْإِسْلَامِ - أَيِ ضِيُوفِ الْمُسْلِمِينَ - لَا يَأْوُونَ - أَيِ لَا يَنْزِلُونَ - إِلَى أَهْلِ وَلَا مَالٍ وَلَا عَلَى أَحَدٍ إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا ، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا ، فَسَاءَ نَبِيٌّ ذَلِكَ - أَيِ أَهْمَنِي وَأَحْزَنِي - فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبْنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبْنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا فَإِذَا جَاءَ - أَيِ الَّذِي أَمْرَنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِدَعْوَتِهِ وَهُمْ أَهْلُ الصُّفَّةِ - ، أَمْرَنِي فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبْنِ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ بُدًّا ، فَاتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا فَاسْتَأْذَنُوا ، فَأَذِنَ لَهُمْ وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ قَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرٍ» قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «خُذْ فَأَعْطِهِمْ» قَالَ: فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرَوْى ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَأَعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرَوْى ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ حَتَّى أَنْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ رَوَى الْقَوْمُ كُلَّهُمْ ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ فَظَرَّ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ فَقَالَ: أَبَا هُرَيْرٍ قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ» قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: اقْعُدْ فَاشْرَبْ فَقَعَدْتُ: فَشَرِبْتُ فَقَالَ: «اشْرَبْ» فَشَرِبْتُ فَمَا زَالَ

يَقُولُ: «أَشْرَبُ»، حَتَّى قُلْتُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا، قَالَ: «فَارِنِي» فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ فَحَمِدَ اللَّهُ وَسَمَّى وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ ^(١).

من فوائد هذا الحديث: بيان كرم النبي ﷺ وإثاره على نفسه ورحمته بالمؤمنين وكان يعطي عطاءً من لا يخشى الفقر، كما أن الأولى لمن قدم له إناء أن يتناول منه هو الأول ثم يعطي من يليه، بالرغم أن كثير من الناس حيث يظن أن من الأدب التعفف عن أكل شرب الفضلة، وفي هذا الحديث معجزة من معجزات النبي ﷺ.

بر أبو هريرة رضي الله عنه بأمره ودعا الرسول لهما:

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعْتَنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعْتَنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ» فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ - أي مغلق - فَسَمِعْتُ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ - أي صوتهما في الأرض - فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَسَمِعْتُ خُضْخُضَةَ الْمَاءِ - أي صوت تحريكه - قَالَ: فَاغْتَسَلْتُ وَلَبِسْتُ دِرْعَهَا وَعَجَلْتُ عَنْ خِمَارِهَا فَفَتَحَتِ الْبَابَ ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبَشِّرْ قَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: خَيْرًا قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحِبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُحِبِّبَهُمَ إِلَيْنَا قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ هَذَا - يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ - وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ»، فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي ^(٢)، فلقد بر أمه فأكرمه ربه.

دعاء رسول الله ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه:

جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: إِنَّكُمْ تَقُولُونَ إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَقُولُونَ مَا بَالُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لَا

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٠٨٧.

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢٤٩١.

يُحَدِّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانُوا يَشْعَلُهُمْ صَفْقٌ - أي العمل - بِالْأَسْوَاقِ، وَكُنْتُ أَلْزِمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مِلِّ بَطْنِي، فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا، وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا، وَكَانَ يَشْعَلُ إِخْوَتِي مِنَ الْأَنْصَارِ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ - أي ما يتعلق بإصلاح أموالهم من مزارع ونحوها - وَكُنْتُ أَمْرًا مَسْكِينًا مِنْ مَسَاكِينِ الصُّفَّةِ - أي موضع مظلل في المسجد كان يأوي إليه الغرباء وفقراء الصحابة رضي الله عنهم - وَمَنْ لَيْسَ لَهُ مَنْزِلٌ مِنْهُمْ - أَعْيِي حِينَ يَنْسَوْنَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فِي حَدِيثٍ يُحَدِّثُهُ «إِنَّهُ لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ ثَوْبَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ ثُمَّ يَجْمَعَ إِلَيْهِ ثَوْبُهُ إِلَّا وَعَى مَا أَقُولُ»، فَسَطَّ نَمْرَةً - أي كساء مخطط أو ملون - عَلَيَّ حَتَّى إِذَا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتهُ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي، فَمَا نَسِيتُ مِنْ مَقَالَةٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ مِنْ شَيْءٍ^(١)، وَبِرَكَّةٍ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٥٣٧٤ حَدِيثٌ.

أخوتي في الله، ليسأل كل منا نفسه ماذا قدم لدين الله تعالى؟

شبهة والرد عليها ووفاة أبو هريرة رضي الله عنه:

أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ «وَعَاءَيْنِ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَشَّتُهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَشَّتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ»^(٢). قَالَ الشَّيْخُ شُعَيْبُ الْأَرْنَؤُوطُ فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ فِي سِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ: وَقَدْ حَمَلَ الْعُلَمَاءُ الْوَعَاءَ الَّذِي لَمْ يَبْشُهُ عَلَى الْإِحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا تَبَيَّنَ أَمْرَاءُ السُّوءِ وَأَحْوَالُهُمْ وَزَمَنُهُمْ، وَقَدْ كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَكْنِي عَنْ بَعْضِهِ، وَلَا يَصْرَحُ بِهِ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُمْ، كَقَوْلِهِ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ رَأْسِ السَّيِّئِ وَإِمَارَةِ الصَّيِّانِ، يَشِيرُ إِلَى خِلَافَةِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ، لِأَنَّهَا كَانَتْ سَنَةً سَتَيْنِ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَاسْتَجَابَ اللَّهُ دَعَاءَ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَمَاتَ قَبْلَهَا بِسَنَةٍ، وَلَقَدْ بَكَى أَبُو هُرَيْرَةَ فِي مَرَضِهِ، وَقَالَ: أَمَا إِنِّي لَا أَبْكِي عَلَى دُنْيَاكُمْ هَذِهِ، وَلَكِنِّي أَبْكِي عَلَى بُعْدِ سَفَرِي، وَقِلَّةِ زَادِي، وَأَنِّي أَصْبَحْتُ فِي صَعُودٍ مَهْبِطٍ عَلَى جَنَّةٍ وَنَارٍ، لَا أَدْرِي أَيُّهُمَا يُؤْخَذُ بِي (١٧)، فَهَلْ مِنْ مَعْتَبَرٍ يَا أَخُوهُ؟

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ١٩٤٢.

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ١٢٠.

اللقاء الإيماني الخامس والستون:

(من أسباب تأخر موعود الله >١)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، من الأسباب الى أدت إلى تأخر موعود الله عز وجل ما يلي:-

١- تسلط وطغيان الباطل على المسلمين مع ضعف إيمان أكثر المسلمين
فيتراجعوا في منتصف الطريق ، ويكونون من الذين قال الله ﷻ فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ [الحج: ١١] ، أو من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠] ، هذا التسلط خطير جداً ، خصوصاً مع ضعف الإيمان في نفوس أكثر المسلمين (٤٣) .

فلا تعجب حينما يتأخر موعود الله عز وجل ، ولو نظرنا نظرة أخرى إلى العالم الإسلامي لوجدناه قد ضيع كثيراً من الواجبات التي شرعها الله ﷻ ، ولذلك كثير من المسلمين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، وكثير من المسلمين عطلوا الزكاة ، وكثير من المسلمين ركبوا المحرمات ، وركوب المحرمات يستلزم ترك الصالحات ؛ لأن الأمر بالشيء نهى عن ضده ، ولذلك كم في بلاد المسلمين من بنوك الربا؟! وكم في بلاد المسلمين من وسائل الترفيه التي يقولون عنها: بريئة؟! وكم في بيوت المسلمين من الأجهزة الراقصة اللاهية اللاعبة؟! إلى غير ذلك من الأمور التي نسأل الله أن يعافينا ويعافي المسلمين من شرها ويحفظنا جميعاً بحفظه (٤٢) .

لذا فإن مسئولية الدعاة جد عظيمة فينبغي عليهم مضاعفة جهودهم في الحركة لهذا الدين لزيادة الإيمان في نفوس المسلمين ، وبذلك يتمكن المسلمون من مواجهة هذا التسلط بكل قوة كما فعل سحرة فرعون الذين قال لهم فرعون: ﴿فَلَا تُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلَبَتُكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ وَلَسْتَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧١] ، فقال السحرة: ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٢] .

٢- ضعف دعاة الحق ونشاط دعاة الباطل ، إن ضعف دعاة الحق يعد من

أقوى الأسباب ، لاسيما إذا كان هناك نشاط لدعاة الباطل ، ولاسيما إذا كان دعاة الباطل من أبناء جلدتنا - نعوذ بالله - ومن يتكلمون بألسنتنا ، فمن كان اسمه أحمد ، أو محمد ، أو عبد الله ، أو عبد الرحمن فإن هؤلاء يطعنون في الإسلام أكثر مما طعن فيه أبو جهل و أبو لهب ، هذه حقيقة خطيرة في وقت قل فيه دعاة الحق ، وأضعفوا وأوقفوا أو كادوا يوقفوا ، لكن لنا أمل في الله ﷻ أن تعود المياه إلى مجاريها .

٣- الإعراض عن شرع الله ، فالإعراض عن شرع الله ﷻ موجود ، فالآن لا تجد دولة تحكم بشرع الله فهل يمكن أن يظهر هذا الدين في وقت لا نجد فيه إلا دولة واحدة في العالم تحكم بشرع الله ؟ نقول: الخير في هذه الأمة إلى يوم القيامة ، وأبناء هذه الصحوة -وهم اليوم حتى في أمريكا وفي روسيا والحمد لله- الآن يؤذنون بخير وبصبح قد أقبل ، وبأنهم سوف يعيدون للأمة الإسلامية شرع الله وحكم الله في الأرض .

٤- وجود المغريات وكثرتها ، فمن أسباب وجود مغريات في هذا العصر ، منها السفر إلى الخارج فهو ميسر ، ومنها الأفلام ، فهي أفلام تصل إلى قعر بيوت المسلمين ، ولربما يعدوننا بالبث المباشر ، ويخوفوننا بالذين من دون الله ، إلى غير ذلك من هذه الأمور ، وهذه حقيقة مخيفة ، لكن المؤمن إذا عرف الله ﷻ لا يتأثر بكل هذه الأمور ؛ لأن المؤمن ينطلق من منطلق قوي وهو إيمانه بالله ﷻ (٤٣) .

على درب التوحيد (ما جاء في منكري القدر)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

إخوتي في الله ، في آخر عصر الصحابة بعد عهد الخلفاء الراشدين وبعد خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وفي آخر حياة ابن عمر وابن عباس وغيرهما من الصحابة ظهر بالبصرة رجلٌ يُقال له: مَعْبَدُ الْجَهَنِيِّ ، يُنكر القدر ، فعَنْ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ أَتَيْتُ أَبِي بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ لَهُ : وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي قَالَ : « لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَآوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَابَهُمْ

وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَأَنَّ مَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ » قَالَ : ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ ثُمَّ أَتَيْتُ حَذِيفَةَ بْنَ الْيَمَانِ فَقَالَ : مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ : ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ ^(١) .

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وَأَنَّ مَا أَخْطَاهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ ^(٢) .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ ، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ : وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ » ^(٣) . وهذه الأحاديث وما في معناها فيها الوعيد الشديد على عدم الإيمان بالقدر وهي الحجة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم . ومن مذهبهم : تخليد أهل المعاصي في النار . وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر وأعظم المعاصي .

يقول فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى عن هؤلاء القدرية : قد كان المسلمون في عهده ﷺ قد آمنوا بالقدر وسلموا لله أمره ثم نبتت نابتة بعد ذلك في آخر عهد الصحابة فأنكروا القدر وقالوا الأمر أنف وزعموا أن في إثبات القدر خلافاً ومنافاة للعدل وأنه كيف تقدر الأمور ثم يعاقب العاصي والكافر على ما فعلوا وكان الإمام الشافعي يقول في شأن القدرية : ناظروهم بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن أنكروه كفروا ، والمعنى قولوا لهم : هل يعلم الله الأشياء قبل وجودها ؟ فإن قالوا : نعم يعلمها قبل وجودها ، فهذا هو القدر أن الله علم الأشياء قبل وقوعها وكتبها عنده وهو يعلمها قبل أن تقع ، وإن أنكروا وقالوا : لا يعلم ، كفروا لأنهم في هذه الحالة نسبوا الله إلى الجهل ، والله يقول : ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة : ٢٣١] ، فمن نسب ربه إلى الجهل وأنه لا يعلم الأشياء فقد طعن وتنقص غاية التنقص فيكون كافراً ولهذا ذهب جمع غفير من أهل العلم من أهل السنة إلى كفر القدرية لأنهم كذبوا بالقدر وأنكروا العلم في الحقيقة .

(١) (صحيح) أخرجه (حم د ه ح ط ب) وصححه الألباني ص ج ٥٢٤٤ .

(٢) (صحيح) أخرجه (ت) ٤٦٩٥ وصححه الألباني ص ج ٧٥٨٥ .

(٣) (صحيح) أخرجه (م) ٢٦٥٣ .

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (سقوط الكفار والمشركين وعصاة المسلمين في النار ثم خروج عصاة أهل التوحيد من النار بالشفاعة)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ « . . . إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَنٌ مُؤَدَّنٌ لِيَتَّبِعَ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقُطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ فَيُدْعَى الْيَهُودُ فَيَقَالُ لَهُمْ : مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا : كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ فَيَقَالُ : كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ فَمَاذَا تَبْغُونَ ؟ قَالُوا : عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا ، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَّا تَرُدُّونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهُمْ سَرَابٌ يَحْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقُطُونَ فِي النَّارِ ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيَقَالُ لَهُمْ : مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا : كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ ، فَيَقَالُ لَهُمْ : كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ فَيَقَالُ لَهُمْ : مَاذَا تَبْغُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا قَالَ : فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَّا تَرُدُّونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهُمْ سَرَابٌ يَحْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقُطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا قَالَ : فَمَا تَنْتَظِرُونَ تَتَّبِعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ ؟ قَالُوا : يَا رَبَّنَا فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرُ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نَصَاحِبْهُمْ فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا حَتَّى إِنْ بَعْضُهُمْ لِيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ فَيَقُولُ : هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ أَتْقَاءَ وَرِيَاءٍ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَقَالَ : أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبَّنَا ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ وَتُحْلِلُ الشَّفَاعَةُ وَيَقُولُونَ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجِسْرُ ؟ قَالَ : دَخَضٌ مَزَلَّةٌ - أي الموضع الذي تزل فيه الأقدام - فِيهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيبٌ وَحَسَكٌ تَكُونُ بَنَجْدٌ فِيهَا شَوْيَكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرَفِ الْعَيْنِ ، وَكَالْبَرْقِ ، وَكَالْرِيحِ ، وَكَالطَّيْرِ ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَّابِ

فَنَاجِ مُسَلِّمٌ وَخُدُوشُ مُرْسَلٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشِدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ : رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيُخْرِجُونَ فَيَقَالُ لَهُمْ : أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ فَتُحَرَّمُ صُورُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقِيهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ فَيَقُولُ : ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا ثُمَّ يَقُولُ : ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا ثُمَّ يَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا ، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : شَفَعْتُ الْمَلَائِكَةَ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبُضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهْرُ الْحَيَاةِ فَيُخْرِجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحَبَّةُ فِي حِمْلٍ السَّيْلِ . . . (١)

رجل يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله

(صهيب بن سنان بن مالك رضي الله عنه)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا ، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا ، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، أما بعد . .

أيها الأحبة في الله ، نحن اليوم على موعد مع السيرة العطرة لرجل يشري نفسه إبتغاء مرضاة الله عز وجل إنه الصحابي الجليل صهيب بن سنان بن مالك الرومي رضي الله عنه وأصله من اليمن أبو يحيى بن قاسط وكان أبوه أو عمه عاملاً لكسرى على الأيلة ، وكانت منازلهم على دجلة عند الموصل ، وقيل على الفرات فأغارت على بلادهم الروم فأسرته وهو صغير ، فأقام عندهم حيناً ثم اشترته بنو كلب فحملوه

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٧٠٠١ ، (م) ١٨٣ واللفظ لمسلم .

إلى مكة ، فابتاعه عبد الله بن جدعان فأعتقه ، وأقام بمكة حيناً ، فلما بعث رسول الله ﷺ آمن به وكان ممن أسلم قديماً هو وعمار في يوم واحد بعد بضعة وثلاثين رجلاً ، وكان من المستضعفين الذين يعذبون في الله ﷻ ، ولما هاجر رسول الله ﷺ هاجر صهيب بعده بأيام ، وشهد بدرًا وأحداً وما بعدهما ، ولما جعل عمر الأمر شورى كان هو الذي يصلي بالناس حتى تعين عثمان ، وهو الذي ولى الصلاة على عمر ، وكان له صاحباً وكان أحمر شديد الحمرة ليس بالطويل ولا بالقصير أقرن الحاجبين كثير الشعر ، وكان لسانه فيه عجمة شديدة وكان مع فضله ودينه فيه دعابة وفكاهة وانسراح ، وكانت وفاته بالمدينة ٣٨ هـ وقد نيف على السبعين (٨) .

قصة إسلامه وتحمله الأذى:

روى ابن ماجة في السنن عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَالْبُسُوفُ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهْرُهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا - أي وافقوا المشركين على ما أرادوا منهم تقية والتقية جائزة لقوله تعالى ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِّنَ اللَّهِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦] - إِلَّا بِلَالًا فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ - أي حقر نفسه من أجل الله تعالى - وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوَلْدَانَ فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ^(١)، هكذا عذبوهم يوم أن رضوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً .

هجرة صهيب رضي الله عنه من مكة إلى المدينة:

جاء في (البداية والنهاية) للحافظ بن كثير رحمه الله تعالى ، أن صهيب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أرأيت دار هجرتكم سبخة بين ظهرائي حرتين ، فإما أن تكون هجر ، أو تكون يثرب قال: وخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وخرج معه أبو بكر ، وكنت قد هممت معه بالخروج فصدني فتيان من قريش فجعلت ليلتي تلك أقوم لا أقعد فقالوا: قد شغله الله عنكم ببطنه ، ولم أكن شاكياً ، فناموا فخرجت

(١) (حسن) أخرجه (هـ) وحسنه الألباني في صحيح السيرة النبوية صفحة ١٥٤ .

ولحقني منهم ناس بعد ما سرت يريدوا ليردونني ، فقلت لهم: إن أعطيتكم أواقني من ذهب وتخلوا سبيلي وتوفون لي ففعلوا ، فتبعتهم إلى مكة فقلت: احفروا تحت أسكفة الباب- أي خشبة الباب التي يوطأ عليها- فإن بها أواقني ، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحلتين ، وخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ بقباء قبل أن يتحول منها فلما رأي قال: «يا أبا يحيى ربح البيع» ، فقلت: يا رسول الله ما سبقني إليك أحد ، وما أخبرك إلا جبرائيل عليه السلام (٨) .

وعن أبي عثمان: أن صهيبا حين أراد الهجرة ، قال له أهل مكة: أتيتنا صعلوكا حقيرا ، فتغير حالك! قال: رأيتم إن تركت مالي ، أطخلون أنتم سبيلي؟ قالوا: نعم ، فخلع لهم ماله ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «ربح صهيب!»^(١) .

أحبتي في الله ، إن حادثة صهيب في الميزان البشري تعد خسارة لصهيب ، ولكن قول رسول الله ﷺ له: يا أبا يحيى ربح البيع ، تدل على أنه ربح في ميزان الله ، فالله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] .

فعلى هذا يكون من باع نفسه وماله في سبيل الله راجحاً وضامناً للجنة التي لا يوجد شيء على الأرض أغلى منها ، بل إن الحورية من الجنة لو أطلعت لغطت شعاع الشمس ، ولو وقع خمارها على الأرض لعطر الأرض كلها ، إلى ما فيها من أنهار العسل والدين والخمر والماء ، وما فيها من الأشجار ، التي سيقانها من الذهب ، وما فيها من القصور المبنية من الذهب . الخ (٣٨) .

ذكر وفاته ﷺ :

جاء في (صفة الصفوة) ، توفي صهيب رضي الله عنه بالمدينة في شوال سنة ٣٨هـ وهو ابن سبعين سنة وقال المدائني: عاش ثلاثا وسبعين سنة ، وقال الفسوي: عاش أربعاً وثمانين سنة ، وله نحو من ثلاثين حديثاً ، روى له مسلم منها ثلاثة أحاديث (٢٨) .

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (رجالہ ثقات) أخرجه (ابن سعد) ٣ / ٢٢٧ ، ٢٢٨ وقال شعيب الأرئوط رجالہ ثقات .

اللقاء الإيمانى السادس والستون :

حتى لا تكون فلسطين أندلساً أخرى (

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أخي في الله ، هل تعلم أن تعداد المسلمين في أسبانيا والبرتغال الآن لا يتجاوز ١٠٠ ألف مسلم معظمهم حديثي العهد جداً بهذه البلاد؟ وهل تعلم ما تفسير ذلك بالرغم من أن حضارة المسلمين إمتدت في الأندلس ما يزيد عن ثمانية قرون؟ وهل تعلم لماذا أحتلت كثير من البلاد الإسلامية مثل مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب ومع ذلك فما زال جل السكان فيها من المسلمين؟ تفسير ذلك أن الاحتلال الأسباني للأندلس كان إحتلالاً إستيطانياً إحتلالياً بمعنى أنه كانوا إذا أغاروا على بلد من بلاد المسلمين في الأندلس قتلوا أهلها جميعاً أو هجروهم خارجها ثم يأتون بالأسبان من أماكن أخرى يوطنونهم في هذه البلاد وبذلك قاموا بعملية إحتلال للشعب الأسباني والبرتغالي بدلاً من الشعب الأندلسي المسلم ، حتى إذا إنتهوا من آخر مدن الأندلس لم يبق في الأندلس مسلم واحد ، ولما طرد المسلمون من الأندلس تعلق قلوب المسلمين في البلاد الإسلامية ببلاد الأندلس وتاقت إلى تحريرها ، مدة من الزمان ، ولكن فتر ذلك بمرور الزمن فلقد مر اليوم خمسة قرون ونسي المسلمون قصة الأندلس ، وما عادوا يذكرون الآن إلا أسبانيا والبرتغال دولتان أوربيتان يضمنان في بلادهما عدداً من الآثار الإسلامية والمساجد التي حولت إلى كنائس ولا حول ولا قوة إلا بالله ، كان هذا هو الاحتلال الأسباني الإستيطاني الإحتلالي ، أما إحتلال الدول الأخرى للبلاد الإسلامية كان إحتلالاً بالجيوش وإحتلال الجيوش لا بد أن ينتهى لأن الجيوش لا بد أن تخرج وتعود إلى بلادها مهما طال الزمان أو قصر .

والوضع في فلسطين يشبه لحد كبير ما حدث في الأندلس ، فاليهود يقومون بعملية إستيطان وإحتلال للشعب الفلسطيني المسلم باليهود ولن يبقى الحال كما هو عليه بل قد يتكرر ما حدث في الأندلس وقد يجيء زمان على المسلمين يزورون المسجد الأقصى بفيضة سياحة من السفارة الإسرائيلية كما يزورون الآن أكبر مسجد في العالم مسجد قرطبة في أسبانيا بفيضة سياحية من السفارة الأسبانية ، أنا أخطب

عموم المسلمين ولا أخاطب الحكومات ، يا أخوتي هناك ستة واجبات أو ست وسائل إذا فعلتها على الوجه الأمثل كنت ممن أدى حق فلسطين ، وكنت قد ساهت في تحرير فلسطين إن شاء الله تعالى ويوم القيامة تقول ياربي فعلت كذا وكذا لفلسطين .

الواجب الأول: فهم القضية الفلسطينية وتحريكها بأقصى سرعة فلا يجب أن تموت القضية الفلسطينية أو تنسى ، وكذا لا يجب أن يمر عليك يوما أو يومين ولا تذكر فلسطين أو تُذكر بها ، تحدث عن فلسطين مع أبيك وأمك وأخيك وأختك وأولادك وأحفادك ، وأهلك وأصحابك وزملائك في دائرة العمل بدلا من أن تتكلم عن المباريات والأفلام والتمثيليات . . ولا مانع من كتابتك لمقالة في مجلة أو جريدة أو رسالة على الإنترنت مع المحافظة على الضوابط الإسلامية الشرعية بدون سباب أو شتم فليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا بالفاحش ولا بالبذيء ، ولا تستخدم الشعارات الضالة التي قد تؤخر القضية فضلا عن أنها قد تعجل بموتها ، وتوضح بعض المفاهيم ، فلماذا نريد تحرير فلسطين؟ الجواب: نريد تحريرها لأنها إسلامية وخطاري من أن تقول لأنها عربية لأن ذلك من دعوى الجاهلية التي أمرنا رسول الله ﷺ بأن ندعها فقال دعوها فإنها منتنة ، وخطاري أن تقول من أجل الأقصى مسرى رسول الله ﷺ وهو ثالث الحرمين ، فقد يقال لك خذ الأقصى واترك لنا فلسطين ، ففلسطين فتحتها المسلمون في عهد الخليفة الراشد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عام ١٣ هـ وأتموا فتحها عام ١٨ هـ وبذلك أصبحت فلسطين بكاملها أرض إسلامية ولا يجوز التفريط في شبر من أرض فلسطين (٥١) .

أحبي في الله ، لعل من المناسب هنا أن نذكر نبذة سريعة عن إنشاء دولة إسرائيل فلقد ذُكرت الموسوعة العربية العالمية أنه في عام ١٩١٧م في محاولة من دول الحلفاء (بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وروسيا) لكسب الدعم اليهودي لها في الحرب ، أصدرت بريطانيا وعد بلفور ، ونص الوعد على تعهد بريطانيا بمساعدة اليهود في إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين ، دون الإخلال بالحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية الموجودة في فلسطين ، وبعد الحرب العالمية الأولى ، قامت عصبة الأمم بتقسيم الكثير من أراضي الدولة العثمانية - وذلك بعد هزيمة ألمانيا والنمسا والمجر والإمبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م) من الحلفاء - إلى أراضي واقعة تحت الانتداب ، وفي عام ١٩٢٠م تلقت بريطانيا

تكليفاً بالانتداب المؤقت على فلسطين وكانت مقدمة التنفيذ لوعد بلفور قد بدأت في عهد الانتداب البريطاني ، حيث جعلت بريطانيا اللغة العبرية من اللغات الرسمية في فلسطين ، ومنحت اليهود الحرية الكاملة في إنشاء مدارس يهودية وجامعة عبرية ، كما عينت بريطانيا أحد اليهود الصهاينة ، هو هربرت صمويل ، مندوباً سامياً في فلسطين ، وقد سعى هذا بدوره إلى إلحاق أعداد كبيرة من اليهود بالدوائر الحكومية وتمليك الصهاينة الأراضي الفلسطينية ، ووضع اقتصاديات فلسطين تحت تصرف اليهود كما طلب بتهجير ثلاثة ملايين يهودي إلى فلسطين ، فأصدرت بريطانيا قانون الهجرة لتنفيذ هذا الأمر .

كما امتلك اليهود أغلبية الأراضي بمساعدة - المندوب السامي البريطاني اليهودي هربرت صمويل الذي استغل وجود قانون عثماني قديم بإعطاء الأرض التابعة للدولة لمن يستثمرها فحول معظم هذه الأراضي لليهود .

ثم أوصت هيئة الأمم بتقسيم فلسطين إلى دولتين ؛ عربية ويهودية ، وطلبت وضع القدس تحت الوصاية الدولية ، وتبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة هذه الخطة في نوفمبر ١٩٤٧ م . وأصدرت قرارها في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ م الذي تضمن التوصية بتقسيم فلسطين وإنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين ولكنها تجاهلت بقرارها حق شعب فلسطين في تقرير مصيره ، وأعطت اليهود ٥٦% من أراضي شعب فلسطين ، في حين أنهم كانوا يمثلون فقط ٦, ٥% من مجموع السكان قبل التقسيم ، وفي ١٤ مايو ١٩٤٨ م ، أعلن اليهود قيام دولتهم المستقلة ، وانسحب البريطانيون من فلسطين ، ويلاحظ أنه حينما دخلت بريطانيا إلى فلسطين كان عدد اليهود ٥٦ ألفاً وحينما غادرتها كان عددهم ٧٥٠ ألفاً .

وفي اليوم التالي ، قامت الدول العربية المجاورة بمحاولة مساعدة أهل فلسطين في محنتهم ضد اليهود ، فنشبت حرب عام ١٩٤٨ م فدخلت الجيوش العربية إلى فلسطين لمساعدة الشعب الفلسطيني في محنته ، إلا أنها لم تتمكن من تحقيق هذا الهدف - لحدوث بعض الخيانات - وهزمت في جميع الجبهات وكان من نتائج تلك الحرب إحكام سيطرة اليهود على أكثر من ثلاثة أرباع مساحة فلسطين (٧٨%) وتشريد وطرد ما يقارب ٧٧٥٠٠٠ شخص من الشعب الفلسطيني إلى الأقطار العربية المجاورة ، وعند نهاية الحرب لم يكن قد تبقى من فلسطين تحت السيطرة العربية سوى الضفة الغربية وقد ضمت إلى شرق الأردن لتكونا معاً المملكة

الأردنية الهاشمية وقطاع غزة فقد بقي تحت إدارة الجيش المصري .

وفي الخامس من يونيو عام ١٩٦٧م شنت إسرائيل عدوانها على مصر والأردن وسوريا . وتمكنت إسرائيل في هذه الحرب ، من إلحاق هزيمة بالدول العربية مصر وسوريا والأردن واحتلال الضفة الغربية (بما فيها القدس الشرقية) ، وشبه جزيرة سيناء المصرية وقطاع غزة الفلسطيني ومرتفعات الجولان السورية ، وكان من نتائج الحرب تشريد ونزوح أكثر من نصف مليون فلسطيني من الضفة الغربية إلى الأردن والأقطار المجاورة أ . هـ .

الواجب الثاني: التغلب على الانهزامية وعلاج الإحباط الذي دخل في نفوس كثير من المسلمين ولقد تناولنا هذا الواجب بالتفصيل في جميع اللقاءات الإيمانية السابقة .

الواجب الثالث: التبرع بالمال لفلسطين ، "إقتطع جزءاً من راتبك لتنفق على إخوانك اللاجئين المشردين المنكوبين . . في فلسطين" .

الواجب الرابع: المقاطعة لكل الشركات اليهودية أو الشركات العالمية التي تدعم إسرائيل .

الواجب الخامس: الدعاء لأهل فلسطين بأن يوحد الله صفوفهم ويقوي شوكتهم ويثبت أقدامهم وينصرهم على عدوهم ويمكّن لهم في الأرض ويزلزل الأرض من تحت أقدام أعدائهم قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] ، وأعلم أخي في الله أن الدعاء يرفعه العمل الصالح وأن هذا هو السلاح الخفي الذي غفل عنه كثير من المسلمين .

الواجب السادس: تقوى الله وهجر المعاصي وإصلاح النفس والمجتمع وتقديم أمر الآخرة على أمر الدنيا ، فلن نتصر إلا إذا قدمنا أمر الآخرة على أمر الدنيا ، روى الإمام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه ، عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعِيَ عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمُهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ» فَقَالَ قَائِلٌ: يَا

رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»^(١).

أخي الكريم، إن وجدت تقدماً لأهل الرذيلة وعلموا لأهل الفسوق وتأخيراً للعلماء وسجناً للدعاة، وإذا وجدت الولد يهمل والديه، والرجل يكره وطنه، والحاكم يظلم شعبه، والأجسام هادمة، والعقول خاملة، والعزائم فاترة، فاعلم أن الدنيا مقدمة على الآخرة وهذا متبوع بالهلاك، ثم متبوع بالاستبدال قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] (٥١).

على درب التوحيد (ما جاء في المصورين)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته وسبيلاً إلى جناته، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد . .

إخوتي في الله، يعد التصوير سبباً من أسباب الشرك، الذي هو ضدّ التوحيد، كما حدث لقوم نوح لما صوروا صور الصالحين ونصبوها في مجالسهم وآل بهم الأمر إلى أن عبدوهم من دون الله، فأولُ شركٍ حصل في الأرض كان بسبب الصور وبسبب التصوير. وكذلك قوم إبراهيم الذين بعث إليهم كانوا يعبدون التماثيل التي هي صور مجسّمة لذوات الأرواح، وكذلك بنو إسرائيل عبدوا التماثيل الذي هو على صورة عجل صنعه لهم السامري.

فدلّ هذا: على أنّ التصوير سببٌ لحُدوث الشرك ووسيلةٌ إلى الشرك، وذلك أنه إذا صنعت الصورة وعلّقت أو نُصبت مثل صور للزُعماء والصّالحين والعلماء فإنّها في النهاية تعظّم، ثم الشيطان يأتي الناس ويقول لهم: إنّ هذه الصور فيها نفعٌ لكم، وفيها دفعٌ ضرر، فيعظّمونها ويتبرّكون بها، ويدبحون دها وينذرون لها، حتى تُصبح أوثاناً تعبد من دون الله.

لأنّ الله جل وعلا تفرّد بالخلق، وتفرّد بالتّصوير: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]، فالله جل وعلا هو المصوّر، فالذي يحاول أن يضع شكلاً يشبه الصورة التي خلقها الله جل وعلا يجعل نفسه شريكاً لله في التّصوير، أخرج

(١) (صحيح) أخرجه (حم د) وصححه الألباني في ص. ج ٨١٨٣

مسلم في صحيحه عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فَقَالَ: إِنِّي رَجُلٌ أُصَوِّرُ هَذِهِ الصُّورَ فَأُفْتِنِي فِيهَا فَقَالَ لَهُ: أَذْنُ مِنِّي فَدَنَا مِنْهُ ثُمَّ قَالَ: أَذْنُ مِنِّي فَدَنَا حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ» (١).

وأخرج مسلم عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ رضي الله عنه أَلَا أَعْبَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَنْ لَا تَدْعَ تَمَثَّالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ» (٢).

وطمسها يكون بإزالة الرأس أو قطعه أو تلطيخه وإخفائه تماما، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته المشرف: المرتفع، بأن يُبنى على القبر بناية من أجل تعظيم القبر، كما يفعل من بناء الأضرحة، أو يزداد عليها غير ترابها حتى تصبح مرتفعة أكثر من شبر، أو تخصص القبور ويكتب عليها، وما أشبه ذلك، فهذا كله حرام، لأنه وسيلة إلى الشرك (٦).

قال فضيلة الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى أما التصوير باليد فحرام بل هو كبيرة من كبائر الذنوب، وأما التصوير بالآلة وهي (الكاميرا) فهذه موضع خلاف بين المتأخرين فمنهم من منعها، ومنهم من أجازها، والاحتياط الامتناع من ذلك؛ لأنه من المتشابهات ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، لكن لو احتاج إلى ذلك لأغراض معينة كإثبات الشخصية فلا بأس به؛ لأن الحاجة ترفع الشبهة.

مشاهد من الدار الآخرة (أصناف أهل النار وأول من تسعربهم النار)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد . . .

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩)﴾ [البقرة: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢١١٠.

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٩٦٩.

المأوى (٣٩) ﴿ [النازعات: ٣٧-٣٩] .

وروى مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا . . وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبَرَ لَهُ الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا - أى ليس له قوة وحرص على ما ينفعه فهو تابع مهين للفجرة المسرفين - ، وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ - أي لو توفرت له فرصة الخيانة لخان - ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُجَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ - أي أصحاب الوجهين - ، وَذَكَرَ الْبُخْلُ أَوْ الْكَذِبَ، وَالشَّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ - أي سيئ الخلق الذى يتكلم بفاحش الكلام ويتركه الناس إلقاء لفحشه - » ^(١) .

وجاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ» ^(٢) .

عباد الله ، هؤلاء الثلاثة الذين ذكروا في الحديث وقعوا في آفة الرياء والرياء من الشرك الأصغر وهو أن يعمل الرجل العمل من أجل ثناء الناس لذا ينبغي علينا أن نحذر من الرياء وأن نجدد النية في أول العمل وأثناء القيام بالعمل وبعد الانتهاء من العمل .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٨٦٥ .

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ١٩٠٥ .

اللقاء الإيماني السابع والستون:

قيام دولة المرابطين وأسباب النصر والتمكين)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، موعدنا اليوم مع ما سجله التاريخ عن قيام دولة المرابطين هذه الدولة العظيمة التي سجلت في التاريخ بمداد من ذهب ، ففي عام ٤٤٠ هـ كانت جنوب مورتانيا مملوءة بطوائف البربر المنتشرة في الشمال الإفريقي صنهاجة وأكبر قبيلتين في صنهاجة هما جدالة ولتونة وكان على رأس قبيلة جدالة يحيى ابن إبراهيم الجدالي وكان هذا الرجل على فطرة حسنة طيبة وكانت هذه القبائل جميعاً من المسلمين ، نظر يحيى ابن إبراهيم الجدالي إلى قبيلته فوجدها مليئة بالمنكرات وجد أن الناس قد اعتادوا شرب الخمر وفشا الزنا حتى أن الرجل كان يزاني حليمة جاره وجاره لا يعترض على ذلك لأنه هو الآخر يعمل هذا الأمر ، وكثر الزواج لأكثر من أربعة نساء ، وكثر السلب والنهب فالقبيلة القوية تأكل القبيلة الضعيفة ، والقبائل مشتتة مفرقة .

ولقد كان يحيى ابن إبراهيم الجدالي يعرف أن هذا منكر لكن لم يكن لديه طاقة للتغيير لسببين الأول: الشعب كله عاش في ضلال وبعد عن الدين ، ثانياً: لم يكن لديه من العلم ما يغير به الناس . فأخذ يفكر وهداه ربه لفكرة عظيمة وهي أن يذهب للحج وعند عودته يمر على مدينة القيروان التي كانت في ذلك التاريخ مدينة العلم وهناك قابل الإمام أبو عمران الفاسي شيخ المالكية في القيروان وكان على المذهب المالكي بل لقد كانت جميع دول شمال أفريقيا والأندلس على هذا المذهب فحكى له ما يدور في بلاده فأرسل معه الإمام عبد الله ابن ياسين الذي كان له طلاب كثيرون في الجزائر وتونس ، فانطلقا إلى جنوب مورتانيا وأخذ الإمام عبد الله ابن ياسين يعلم الناس في أناة شديدة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ولكن ثارت عليه جميع القبائل وثار عليه الشعب لأن الشعب يحب أن يعيش في شهواته وأصحاب المصالح مستفيدون من هذا الوضع ، كما أن يحيى بن إبراهيم الجدالي لم يستطيع حماية عبد الله ابن ياسين حتى بلغ الأمر أن طردوه خارج البلاد فانطلق

حتى وصل إلى شمال السنغال وهناك نصب خيمته بجوار أحد الأنهار وبعث برسالة إلى أهل جدالة في جنوب مورتانيا قائلاً لهم من أراد أن يلحق بي في شمال السنغال حتى يتعلم العلم الشرعي فليأتني في مكان كذا وكذا، فلحق به خمسة رجال فأخذ يعلمهم الإسلام كما أنزل كدين شامل ينظم أمور الحياة كلها، ولما تعلم هؤلاء الرجال دينهم شعروا أن من حق إخوانهم في بلادهم أن يعلموهم ما تعلموه فذهبوا وأتى كل رجل برجل وظل الإمام عبد الله ابن ياسين يعلمهم الإسلام كمنهج حياة، وازداد عدد هؤلاء الرجال حتى بلغوا في عام ٤٤٤هـ ١٠٠٠ رجل فقال عبد الله ابن ياسين لمن معه لن يغلب ١٠٠٠ من قلة فنزل الرجال إلى بلادهم يعلمون الناس تعاليم الإسلام وبدأ هذا العدد يزداد ببطيء وفي عام ٤٤٥هـ إقتنع بفكرة الإمام عبد الله ابن ياسين زعيم قبيلة لمتونة الأمير يحيى بن عمر اللمتوني ودخل في جماعة الإمام عبد الله ابن ياسين ومن خلفه قبيلته، فارتفع العدد من ١٣٠٠ رجل إلى ٧٠٠٠ رجل وبعد قليل يموت الأمير يحيى بن عمر اللمتوني ويتولى زعامة قبيلة لمتونة أبو بكر ابن عمر اللمتوني وتوسعت دولة المرابطين في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأثناء قيام الإمام عبد الله ياسين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أحد القبائل حاربوه وقتلوه وخلف من ورائه ١٢ ألف رجل على منهج أهل السنة والجماعة عام ٤٥١هـ، ويتولى من بعده الشيخ أبو بكر ابن عمر اللمتوني زعامة جماعة المرابطين ويستمر عامين في زعامة هذه الجماعة الناشئة ويكونوا في التاريخ ما يعرف بدويلة المرابطين في شمال السنغال وحنوب مورتانيا، وفي سنة ٤٥٣هـ حدث خلافا بين المسلمين في جنوب السنغال في منطقة بعيدة تماما عن دويلة المرابطين، وحيث أن الخلاف كله شر فالخلاف يصد عن الدعوة إلى الله، لذا قام الشيخ أبو بكر اللمتوني بتقسيم مجاهدي دولة المرابطين إلى جماعتين كلا منها قوامه ٧ آلاف مجاهد أخذ معه ٧ آلاف مجاهد وتوجه لحل الخلاف في جنوب السنغال وخلف على باقي مجاهدي المرابطين ابن عمه يوسف ابن تاشفين وبعد أن قام بحل الخلاف فوجيء بأن هناك قبائل وثنية فانشغل بدعوتهم إلى الإسلام فدخل منهم جمع وقاومه آخرون وأخذ الأمير أبو بكر ابن عمر اللمتوني يتوسع من قبيلة لأخرى حتى عاد عام ٤٦٨هـ أي بعد خمسة عشر عاما فوجد العجب وجد أن الأمير يوسف ابن تاشفين قد توسع هو الآخر وامتدت دولة المرابطين لتشمل على السنغال كلها ومورتانيا بكاملها

والمغرب العربي بكامله والجزائر بكاملها وتونس بكاملها ووجد أن السبعة آلاف مجاهد الذي تركهم عام ٤٥٣ هـ مع الأمير يوسف ابن تاشفين أصبح قوامهم ١٠٠ ألف فارس وأن الأمير يوسف ابن تاشفين بنى مدينة مراكش واتخذها عاصمة له وكان متقشفا زاهدا ورعا عالما بدينه ففعل أبو بكر ابن عمر اللمتوني شيئا عجبا قال للأمير يوسف ابن تاشفين أنت أحق بالحكم منى أنت تستطيع أن تجمع الناس وتستطيع أن تنتشر ، أما أنا فسأعود مرة أخرى لنشر الإسلام في أدغال إفريقيا ونزل أبو بكر ابن عمر اللمتوني إلى أدغال إفريقية يدعو من جديد فدخل الإسلام علي يديه في أكثر من خمسة عشر دولة إفريقية منهم غنيا بيساو وسيراليون وساحل العاج ومالي والنيجر والكاميرون وإفريقيا الوسطى والجابون . الخ وأصبح قوام مجاهدي دولة المرابطين في أدغال إفريقيا ٥٠٠ ألف مجاهد لتصبح دولة المرابطين عام ٤٧٨ هـ دولة واحدة تمثل أكثر من ثلث إفريقيا وتضم أكثر من ٢٠ دولة إفريقية من الدول المعاصرة ثم يستشهد أبو بكر ابن عمر اللمتوني عام ٤٨١ هـ ، ويطلق الأمير يوسف ابن تاشفين على نفسه أمير المسلمين وناصر الدين وعندما سئل لما لا تسمى نفسك أمير المؤمنين فقال هذا شرف لا أدعيه وهو يخص العباسيين وأنا رجل من رجالهم ، سبحان الله العباسيين آنذاك لا يتواجدون إلا في بغداد وأين العباسيين من ابن تاشفين ولكنه لا يريد شق عصا الخلافة وكان يتمنى أن لو ضم قوته لقوة الخليفة العباسي ويصبح رجل من رجاله ، وفي هذا الوقت كان التفكك على أشده في الأندلس قسمت الأندلس إلى دويلات كثيرة محكومة بملوك الطوائف بل وأصبحت هذه الدويلات تدفع لمملكة النصارى قشتالة الجزية أكثر من ثمانين عاما قبل عام ٤٨٣ هـ ثم سقطت طليطلة أحد دويلات الأندلس وحوصرت أشبيلية التى كانت تدفع الجزية هي الأخرى إلى ألفونسو السادس قائد قشتالة وذلك إثر حدوث خلاف بين أمير أشبيلية المعتمد على الله محمد بن عباد ، وألفونسو ملك قشتالة ، وبعد أن استمر الحصار عدة شهور أرسل ألفونسو إلى المعتمد على الله قائلا أن الذباب قد آذاني حول مدينتك فإن أردت أن ترسل لي مروحة أروح بها عن نفسي فافعل ، فقلب المعتمد على الرسالة وكتب على ظهرها لئن لم ترجع لأروحن لك بمروحة من المرابطين فبمجرد أن قرأ ألفونسو ذلك عاد مباشرة بجيشة إلى مملكته ، ولما رأى ملوك الطوائف ذلك أيقنوا أن جميع دويلات الأندلس ستسقط الواحدة تلو الأخرى والتى تبلغ ٢٠ دويلة آنذك فعقدوا مؤتمر القمة الأندلسي

الأول وإتفقوا على إرسال وفد من ملوك الطوائف لدولة المرابطين حتى يستعينوا بهم لطرد النصارى عن بلادهم فذهب الوفد إلى مراکش وقابلوا الأمير يوسف ابن تاشفين فوافق على الفور وأخذ معه ٧٠٠٠ مجاهد فقط بالرغم أنه يملك ١٠٠ ألف فارس في الشمال و ٥٠٠ ألف فارس في الجنوب والسبب في ذلك أنه لا يستطيع أن يترك هذه المساحات الشاسعة بلا حراسة ولا حماية ، ويعبر بهؤلاء المجاهدين مضيق جبل طارق واستقبله هناك ملوك الطوائف اسقبال الفاتحين وتوجه مع المجاهدين إلى منطقة الزلاقة شمال أشبيلية وحدود قشتالة المملكة النصرانية حيث اجتمع حوله من بلاد الأندلس ٢٣٠٠٠ ألف مجاهد ليصبح جيش المسلمين عند منطقة الزلاقة ٣٠٠٠٠ ألف مجاهد في حين تقدم جيش ألفونسو السادس إلى هناك أيضا ليصل عدد جيش النصارى ٦٠ ألف ثم أرسل الأمير يوسف ابن تاشفين رسالة إلى ألفونسو مفادها علمت أنك دعوت أن يكون لك سفن حتى تعبر إلينا ، فلقد يسرنا لك الأمر وعبرنا إليك وستعلم عاقبة دعائك وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ، وإني يا ألفونسو أعرض عليك الإسلام ، أو أن تدفع الجزية عن يد وأنت صاغر ، أو الحرب ولن أؤجلك عن ثلاث ، فأرسل ألفونسو رساله له مفادها أنني اخترت الحرب فكتب الأمير يوسف ابن تاشفين على ظهرها: الجواب ما ستراه بعينك لا ماتسمعه بأذنك ، فكتب ألفونسو إلى الأمير يوسف فى تحديد يوم المعركة فكتب إليه: إن بعد غد الجمعة لا نحب مقابلتكم فيه لأنه عيدكم ، وبعده السبت يوم عيد اليهود ، وهم كثير فى محلتنا ، وبعده الأحد عيدنا ، فنحترم هذه الأعياد ، ويكون اللقاء يوم الاثنين ، فكان جواب الأمير يوسف: اتركوا اللعين وما أحب ، فاعترض المُعْتَمِد على الله وقال للأمير يوسف: إنها حيلة منه وخديعة إنما يريد غدرنا فلا تطمئن إليه ، وقصده الفتك بنا يوم الجمعة فليكن الناس على استعداد له يوم الجمعة كل النهار ، واستعد المسلمون لرصد تحركات النصارى فقام الأمير يوسف ابن تاشفين بتقسيم جيش المسلمين إلى ثلاثة أقسام خمسة عشر ألفا من الأندلسيين يقودهم الأمير المعتمد على الله محمد ابن عباد وذلك في المقدمة ، وإحدى عشر ألفا مجاهدا بقيادته خلف الجبال ، وأربعة آلاف مجاهد من السودانيين المدربين على أعلى درجة ومعهم السيوف الهندية الفتاكة والحراش وذلك في المؤخرة ، وكان توقع المُعْتَمِد على الله صائبا صحيحا ، فانقض الجيش الذي يقوده رودريك بمنتهى العنف على معسكر المسلمين فجر يوم الجمعة ، على مقدمة جيش المسلمين بقيادة

الأمير المعتمد على الله وأبلى المسلمون فيها بلاء حسنا حتى قيل أنه قتل تحت الأمير المعتمد على الله ثلاثة خيول وإستمر القتال حتى العصر حتى أنهك الفريقان بعد ذلك دخلت المجموعة الثانية بقيادة الأمير يوسف ابن تاشفين المعركة فحدثت مقتلة عظيمة في صفوف النصارى وعند غروب الشمس دخلت المجموعة الثالثة المعركة فقتل من النصارى ٥٩,٥٥٠ ألف وفر ٤٥٠ فارس مع ألفونسو وقد قطعت ساقه وهلك منهم ٣٥٠ تأثرا بجراحهم الشديدة في طريق عودتهم ولم يصل مع ألفونسو إلى ١٠٠ مقاتل فقط ، وسميت هذه المعركة بالزلاقة لكثرة القتل حتى أصبحت الأرض زلقة من الدماء ، وأصبح يوم الزلاقة عند المغاربة والأندلسيين مثل يوم القادسية واليرموك ، فياله من فتح ما كان أعظمه ، يوم كبير ما كان أكرمه ، ففي يوم الزلاقة ثبت قدم الدين بعد زلقتها وعادت ظلمة الحق إلى إشراقها. ثم عاد الأمير يوسف ابن تاشفين بلاده تاركا غنائم عظيمة للملوك الطوائف والمفاجأة هو أن عمر الأمير يوسف ابن تاشفين آنذاك كان يناهز ٧٩ عاما ، ولكن سرعان ما تقاتل ملوك الطوائف عليها فأرسل العلماء هناك رسالة إلى الأمير يوسف ابن تاشفين يسألوه النجدة ، ولقد كره الأمير يوسف ابن تاشفين في بادئ الأمر أن يقاتل المسلمين ولكن عندما أشار عليه مشايخ المالكية آنذاك بأنه ينبغي أن يضم هذه الدويلات إلى دولة المرابطين قبل أن تسقط الواحدة تلو الأخرى عندئذ سار بجيشه واستطاع أن يدخل جميع هذه الدويلات إلى دولة المرابطين عام ٤٨٣هـ أي بعد معركة الزلاقة بأربعة سنوات وبذلك إمتدت دولة المرابطين من شمال الأندلس إلى وسط إفريقيا ، وأصبحت من أقوى دول العالم في هذا الوقت .

معاشر الإخوة ، من قصة قيام دولة المرابطين يتبين لنا أهمية العلماء فى قيادة الأمة نحو المجد والعزة والكرامة ، وكيف حرصوا على الأخذ بالأسباب المادية والمعنوية التى حققت النصر والتمكين على الأعداء نذكر منها: الإيمان والعمل الصالح ، والتوكل على الله مع الأخذ بالأسباب المادية من قوة ومن رباط الخيل ، المشاورة بين المسؤولين ، والثبات عند لقاء العدو ، والدعاء وكثرة الذكر ، وطاعة الله ورسوله ﷺ ، والاجتماع وعدم النزاع ، الصبر والمصابرة ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] ، وعن أهمية سنة التدرج فى تغيير الشعوب وبناء الدول ، ويعطى للتربية الربانية أهمية قصوى فى تحقيق الأهداف العظمى للأمة سواء على مستوى القادة فى

أخلاقهم وعلمهم وجهادهم ، أو على مستوى الشعوب فى استجابتها لكتاب ربّها
وسنة نبیّها وقيادتها المخلصة (٥١) .

على درب التوحيد (ما جاء في كثرة الحلف)

الحمد لله الذى جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم
به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

جاء في معجم الطبراني وشعب الإيمان للبيهقي ، عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَشْيَمُطُ زَانٍ - أي عجوز زان -
، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ - أي فقير متكبر - ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهُ بَضَاعَةً ، لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ ،
وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ»^(١) ، وأخرج الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ
قَالَ: «الْحَلْفُ مُنْفَقَةٌ - أي مروجة - لِلسَّلْعَةِ مُمَحَقَّةٌ - أي مذهب - لِلْبَرْكََةِ»^(٢) .

فكثرة الحلف على السلعة له صور: فقد يحلف البائع أنه أعطى فيها كذا وكذا ،
أو أنه اشتراها بكذا وكذا ، وقد يظنه المشتري صادقاً فيما حلف عليه فيأخذها
بزيادة على قيمتها ، والبائع كاذب وبذلك يكون قد عصى الله تعالى ، فيعاقب بمحق
البركة ، فإذا ذهبت بركة كسبه دخل عليه من النقص أعظم من تلك الزيادة التي
دخلت عليه بسبب حلفه ، وربما ذهب ثمن تلك السلعة بأكمله وما عند الله لا ينال
إلا بطاعته وإن تزخرت الدنيا للعاصي فعاقبتها اضمحلال وذهاب وعقاب ، ،
وكثرة الحلف تدل على أن صاحبها إن كان موحداً فتوحيدة ضعيف (٥٧) .

مشاهد من الدار الآخرة (تلاعن وندامة أهل النار)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل
الجنة عقبي الذين اتقوا وعقبي الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

(١) (صحيح) أخرجه (طب هب) وصححه الألباني في ص. ج ٣٠٧٢ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ١٩٨١ ، و(م) ١٦٠٦ .

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آمَنَّا مِنْهُمْ ضَعُفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُتِمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨)﴾ [الأحزاب: ٦٧-٦٨] .

المعنى: وقال الكافرون يوم القيامة: ربنا إنا أطعنا أئمتنا في الضلال وكبراءنا في الشرك ، فأزالونا عن طريق الهدى والإيمان . ربنا عذبهم من العذاب مثلي عذابنا الذي تعذبنا به ، واطردهم من رحمتك طرداً شديداً . وفي هذا دليل على أن طاعة غير الله في مخالفة أمره وأمر رسوله ، موجبة لسخط الله وعقابه ، وأن التابع والمتبوع في العذاب مشتركون ، فليحذر المسلم ذلك .

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨) وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْيَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠)﴾ [غافر: ٤٧-٥٠] .

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢)﴾ [إبراهيم: ٢٢] .

والمعنى: وقال الشيطان - بعد أن قضى الله الأمر وحاسب خلقه ، ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار-: إن الله وعدهم وعداً حقاً بالبعث والجزاء ، ووعدتكم وعداً باطلاً أنه لا بعث ولا جزاء ، فأخلفتكم وعدي ، وما كان لي عليكم من قوة أقهركم بها على اتباعي ، ولا كانت معي حجة ، ولكن دعوتكم إلى الكفر والضلال فاتبعتموني ، فلا تلووموني ولوموا أنفسكم ، فالذنب ذنبكم ، ما أنا بمغيثكم ولا أنتم بمغيثي من عذاب الله ، إني تبرأت من جعلكم لي شريكاً مع الله في طاعته في الدنيا . إن الظالمين لهم عذاب مؤلم موجه .

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٦٦)﴾ [الأحزاب: ٦٦] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

اللقاء الإيمانى الثامن والستون :

سقوط الخلافة العباسية على أيدي التتار وأسباب السقوط

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أما بعد . .

أحبتي في الله ، موعدنا اليوم مع قصة سقوط الخلافة العباسية فلقد ظهرت قوة التتار في عام ٦٠٣هـ وكان ظهور هذه الدولة أول ما ظهرت في " منغوليا " بشمال الصين وكان أول زعمائها هو " جنكيز خان " وتعني باللغة المنغولية " قاهر العالم " أو " ملك ملوك العالم " وكان ذلك الرجل سفاحا وسفাকা للدماء وكان قائدا عسكريا شديد البأس وكانت له القدرة علي تجميع الناس حوله ، وخرج من التتار قبائل أخرى كثيرة منها قبيلة المغول وقبائل الترك والسلاجقة وغيرها وعندما سيطر المغول على هذه المنطقة بقيادة جنكيز خان أطلق أسم المغول على هذه القبائل كلها ، وكان لهم ديانة غريبة جدا وهي خليط من أديان مختلفة جمعها جنكيز خان من شرائع الإسلام والمسيحية والبوذية واختلق لهم أشياء أخرى ؛ وأخرج لهم في النهاية كتابا جعله كالدستور للتتار ويسمى هذا الكتاب بأسم " الياسق " وأصبح ذلك هو دستور دولة التتار وعقيدتهم .

وكانت حروب التتار تتميز بأشياء خاصة تميزهم دائما عن غيرهم ومن أهم هذه الأشياء: سرعة انتشار رهبة ، أعداد هائلة من البشر ، نظام محكم وترتيب دقيق ، تحمل الظروف القاسية من (حر أو برد أو صحراء أو أدغال) بمعنى أنهم يقاتلون في كل مكان ، قيادة عسكرية بارعة جدا ، وأنهم بلا قلب فحروبهم كلها كانت حروب تخريب غير طبيعية فكانوا يبيدون إبادة جماعية لأهل المدن من أطفال ونساء وكهول لا يفرقون بين مدني وعسكري الكل عندهم سواء لا يفرقون بين ظالم ومظلوم وكانوا كما قيل " أن قصدهم هو أفناء النوع وإبادة العالم لا قصد الملك أو السلطان " ، رفض قبول الآخر والسير على مبدأ القطب الأوحده وليس هناك مجالا للتعامل مع دول أخرى

محيطه ، والغريب أنهم كانوا يدعون أنهم ما جاءوا إلى البلاد إلا ليقيموا الدين ولينشروا العدل وليخلصوا البلاد من الظالمين ، و كانوا لاعهد لهم مطلقا

ولا أيسر عندهم من نقض العهود وإخلاف المواثيق .

ولقد أرسل الصليبيين وفدا رفيع المستوى من أوروبا إلي منغوليا ؛ مسافة تزيد علي ١٢ ألف كم ذهابا فقط ؛ ليحفزوا التتار على غزو البلاد الإسلامية وإسقاط الخلافة العباسية ؛ وأنهم سيساعدونهم على حرب المسلمين ؛ وبذلك تم إغراء التتار إغراء كاملا وحدث ماتوقعه الصليبيين ؛ فقد سال لعاب التتار على أملاك الخلافة العباسية وقرروا فعلا غزو هذه البلاد الواسعة وبدأوا يخططون بحماسة شديدة لإسقاط الخلافة العباسية ودخول بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية .

معاشر الإخوة ، عندما قرر جنكيز خان غزو العالم الإسلامي فكر في أن يتمركز في منطقة أفغانستان وأوزبكستان لكبر المسافة بين الصين والعراق ولابد من وجود قواعد إمداد ثابتة للجيش التتري في منطقة متوسطة بين العراق والصين ، ولهذا قرر جنكيز خان خوض حروب متتالية مع هذه المنطقة الشرقية من الدولة الإسلامية التي تعرف بالدولة " الخوارزمية " والتي تمتد حدودها من غرب الصين شرقا إلي أجزاء كبيرة من إيران غربا ؛ وكانت تضم بين طياتها عدة أقاليم إسلامية هامة مثل : أفغانستان وأوزبكستان والتركمنستان وكازاخستان وطاجكستان وباكستان وأجزاء من إيران . . وكانت عاصمة هذه الدولة الشاسعة هي مدينة "أورجندة" في تركمنستان حاليًا وكانت هذه الدولة علي خلاف طويل وعقيم مع الخلافة العباسية ، فجاء جنكيز خان بجيشه الكبير لغزوها ، فدخلت قوات التتار بخارى فقتلوا من أهلها خلقا لا يعلمه إلا الله عز وجل - وأسروا الذرية والنساء وفعلوا مع النساء الفواحش بحضرة أهلن فارتكبوا الزنا مع البنت في حضرة أبيها ومع الزوجة في حضرة زوجها فمن المسلمين من قاتل دون حريمه حتى قتل ومنهم من أسر فعذب بأنواع العذاب ، وكثر البكاء والضجيج في البلد من النساء والأطفال والرجال ثم أشعل النار في دور بخارى ومدارسها ومساجدها فاحترقت المدينة تماما حتى صارت خاوية على عروشها " وهكذا هلك بخارى في عام ٦١٦هـ وكان هلاكها البداية وليس النهاية ؛ وكان هذا هو بداية الطوفان التتري الذي اجتاحت العالم الإسلامي بأسره ، حتى سيطروا على بلاد خوارزم كلها بعد حروب مريعة مع المسلمين ، وفي عام ٦٢٤هـ توفي جنكيز خان وخلف امبراطورية تمتد من كوريا الى منتصف ايران ومن سيبيريا الى المحيط الهندي ، وهدأت الأمور نسبيا ولكن بعد خمس سنوات بدأت الأمور تشتعل من جديد ، ولكن هل أفاق

المسلمون؟! لا! بل إنشغل كل حاكم بالبحث عن أمنه المحدود في بلده ، وفي عام ٦٢٩ هـ حدث اجتياح رهيب على بلاد ايران ثم روسيا ثم أوروبا حتى وصلت القوات التتارية إلى بولندا والمجر وكرواتيا ، ثم عادوا بعد ذلك للمسلمين مرة أخرى ، وفي عام ٦٤٩ هـ في عهد قائد التتار منكو خان عقدت التحالفات مع أمراء الممالك الصليبية ووعدهم ملك التتار بأن يعطيهم المقدس هدية إذا ساعدوه في إسقاط الخلافة العباسية إلا أن أمراء الإمارات الصليبية بالشام ترددوا في ذلك بإستثناء واحد فقط وهو أمير أنطاكيا وكان يدعى "بوهمند" ، كما عقد هولاءكو شقيق منكو خان ملك التتار معاهدات مع أمراء المسلمين الضعفاء ؛ فجاء كلا من: بدر الدين لؤلؤ " أمير الموصل ليتحالف معه وبذلك تكون منطقة شمال العراق وهم الأكراد قد تحالفوا مع التتار لدخول بغداد من الشمال ، وجاء كلا من "كيكاوس الثاني" و "قلج أرسلان الرابع" سلطانا السلاجقة ليتحالفا مع هولاءكو وهم أمراء تركيا التي تقع إلى الشمال من العراق ؛ وأرسل "الناصر يوسف" أمير حلب ودمشق حفيد صلاح الدين الأيوبي ابنه العزيز ليقدم فروض الولاء والطاعة إلى هولاءكو ، وجاء "الأشرف الأيوبي" أمير حمص ليقدم ولاءه لهولاءكو ، كما اتصل هولاءكو بمؤيد الدين ابن العلقمي الشيعي الوزير الأول للخليفة المستعصم وأتفق معه على تسهيل دخول الجيوش التتارية إلى بغداد بالمساعدة بالآراء الفاسدة والإقتراحات المضللة للخليفة وهذا سيكون في مقابل أن يكون له شأن في مجلس الحكم الذي سيدير بغداد بعد سقوط الخلافة فقام الوزير الفاسد بدوره على أكمل وجه حيث طلب هولاءكو من الوزير الفاسد " مؤيد الدين بن العلقمي " أن يقنع الخليفة العباسي أن يخفض من ميزانية الجيش وأن يقلل من أعداد الجنود حتى لا تثير حفيظة التتار ويظهر لهم أننا رجال سلام ولسنا أصحاب حرب ؛ فبعد أن كان يبلغ تعداد الجيش مائة ألف فارس في آخر أيام المستنصر بالله والد المستعصم بالله وذلك في سنة ٦٤٠ هـ- أصبح هذا الجيش لا يزيد على عشرة آلاف فارس فقط في سنة ٦٥٤ هـ ، وفي هذه السنة أدرك هولاءكو أن الظروف قد أصبحت ملائمة للهجوم المباشر على الخلافة العباسية فبدأ بحصار بغداد بأكثر من مائتي ألف جندي هذا بخلاف الأعداد الهائلة من الجنود المنتشرين في شمال وشرق وغرب وجنوب العراق والقوات المكلفة بحماية الطرق وتأمين الإمداد والتموين هذا غير الفرق المساعدة للجيش من فرق الإمداد والتموين والإستطلاع والمراقبة . وقرر هولاءكو عدم

دخول بغداد إلا بعد أن يقضي على طائفة الإسماعيلية التي تتمركز في الجبال في غرب وشرق العراق تماماً وبالفعل دارت حروب شرسة بين الفريقين إنتهت بسحق كامل للإسماعيلية وخلوا المنطقة تماماً منهم وأصبح الطريق مفتوحاً لبغداد وهذه الحروب أخذت سنة ٦٥٥ هـ بكاملها . . وضرب الحصار على بغداد فارتاع الخليفة لذلك وعقد إجتماع عاجل وجمع فيه كبار مستشاريه وعلى رأسهم الوزير الخائن " مؤيد الدين بن العلقمي " وكان من رأيه مهادنة التتار وإقامة مباحثات سلام فلا مانع عنده من بعض التنازلات وكان رأيه هو السلام غير المشروط مع التتار ؛ لكن قام رجلان من الوزراء في مجلس الخليفة وهما " مجاهد الدين أيبك " و " سليمان شاه " قاما ليشيرا على الخليفة بحتمية الجهاد ؛ ونتيجة لحالة الرعب التي مني بها الخليفة العباسي وافق على إجراء المفاوضات مع التتار ؛ وبعث رجلين ليديرا المفاوضات معهم وهما مؤيد الدين العلقمي الشيعي الذي يكن في قلبه كل الحقد والغل على الخلافة العباسية وأرسل معه متيكا بطيرك بغداد النصراني ، فأعطيت الوعود العظيمة من هولاكو لكليهما إن ساعدا على إسقاط بغداد وبعض العروض والوعود ؛ فالوعود كانت :إنهاء حالة الحرب بين الدولتين ، وإقامة علاقة الزواج بين ابنة القائد هولاكو الذي سفك دماء الملايين من المسلمين وابن الخليفة المستعصم ، ويبقى المستعصم بالله على كرسي الحكم ، و إعطاء الأمان لأهل بغداد جميعاً .

أما الشروط كانت : قمع حركة الجهاد التي أعلنت في بغداد فهذه الدعوة إلى الجهاد ستنسف كل مباحثات السلام فعلى الخليفة أن يسلم إلى هولاكو رءوس الحركة الإسلامية في بغداد وهما مجاهد الدين أيبك وسليمان شاه ، ومن ثم أتباعهما ، وتدمير الحصون العراقية وردم الخنادق وتسليم الأسلحة ، والموافقة على أن يكون حكم بغداد تحت رعاية أو مراقبة تترية . وختم هولاكو المباحثات مع المبعوثين بأنه ما جاء إلى هذه البلاد إلا لإرساء قواعد العدل والحرية والأمان وبمجرد أن تستقر الأمور وفق الرؤية التترية سيعود إلى بلاده ويترك العراقيين يضعون دستورهم ويديرون بلادهم بأنفسهم .

فاقنع مؤيد الدين العلقمي الخليفة بهذه الشروط والوعود ورغبه في قبولها فتردد الخليفة في قبول هذه المفاوضات ولكنه قبلها بعد ذلك بناء على نصائح مؤيد الدين العلقمي ونفذ كل شروطهم فقتلت صفوة المجاهدين في بغداد مجاهد الدين

أيك ، وسليمان شاه ، وجنودهما ، ودمرت الحصون العراقية ، ودمت الخنادق ، وسلمت الأسلحة ثم خرج المستعصم بأولاده وكبار الدولة فقتلوا جميعا وسقطت بغداد ، وقتل ما لا يقل عن مليون شخص بل يزيد من أبناء بغداد من مليوني شخص من بينهم الخليفة المستعصم وتدمير كل مظاهر الحضارة في بغداد وكذا الإلقاء بالكتب الموجودة في مكتبة بغداد في نهر دجله حتى تغير لون المياه للون الأسود واستمر التتار ٤٠ يوما في بغداد يقتلون ولا يرفع مسلم فيها سيفاً للهزيمة النفسية الرهيبة وبعد أربعين يوما خرج هولاءكو بجنده من بغداد حتى لا يصاب جنده بالطاعون نتيجة للوباء الناتج عن تحييف جثث المسلمين في الطرقات ، وجعل على البلاد الوزير العلقمي وجعل معه مراقبين من التتار .

ثم صنع الجيش التتري جسوراً على نهر الفرات ، وعبر النهر إلى الشام ، حتى وصلوا إلى حلب في شهر صفر عام ٦٥٨ هـ ، فأرسل الطاغية هولاءكو رسالة إلى أهل حلب ، يقول فيها: نحن إنما جئنا لقتال الملك الناصر بدمشق ولم نأت لقتالكم ، وطلب منهم أن يجعلوا عندهم بعض قواته ، فردوا عليه بعزة المؤمنين: مالك عندنا إلا السيف . فتعجب هولاءكو من ضعفهم وجوابهم ، وزحف إليهم وحاصرهم ، وبعد سبعة أيام من الحصار أعطاهم هولاءكو الأمان ، فلما دخل هو وجنده البلد غدروا بأهلها وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وفعلوا فيها ما فعلوه ببغداد . وبعد أن استولوا على حلب ، جاء صاحب حماه وسلم مفاتيحها إلى هولاءكو ثم تقدم الجيش التتري إلى دمشق وحاصروها ، وفي عام ٦٥٨ هـ ألقى القبض على الناصر يوسف الذي كان يعاونهم من قبل ودخل التتار عاصمة الخلافة الأموية دمشق وتقدم صفوف التتار القائد التتري كتبغا نوين النصراني وعن يمينه أمير آرمينيا النصراني وعن يساره أمير أنطاكية النصراني وهذا لم يحدث من قبل في تاريخ دمشق منذ دخل الإسلام فيها ، ثم بعد ذلك تقدم التتار إلى فلسطين واحتلوا نابلس ثم غزة ولم يقتربوا من المقدسات النصرانية في حيفا وعكا وبيت المقدس وصيدا وأصبح معلوماً عند الجميع أن الخطوة القادمة مصر (٥١) ، (٥٢) .

معاشر الإخوة ، أظن أنكم ستشاركوني العجب من الشبه الكبير بين الماضي والحاضر ، فما أشبه الليلة بالبارحة ، وكأن التاريخ يعيد نفسه .

الإخوة الفضلاء ، يتبين لنا مما سبق أن هناك عدة أسباب للهزيمة التي منى بها المسلمون على أيدي التتار نذكر منها:

١- عدم التربية الإسلامية للأمة والتي نتج عنها ضعف الإيمان في نفوس الناس فانتشرت الفواحش والمعاصي والذنوب وكثر الظلم ونقض عهد الله ورسوله ، فسلط الله على المسلمين التتار ، أخرج ابن ماجة في السنن والحاكم في المستدرک عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ...» ^(١) .

٢- التنازع والتفرق والترشذم فهو أيضا من أسباب الهزيمة قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦] .

٣- الهزيمة النفسية التي حلت بالمسلمين نتيجة لضعف الإيمان قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] .

٤- عدم إعداد القوة والعتاد والعدة العسكرية لارهاب العدو ، والأسوء من ذلك تدمير الآلة العسكرية وتسريح الجيش لإرضاء العدو لتجنب الجهاد ، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] .

٥- عدم تربية الأمة على روح الجهاد ، خصوصا جهاد الدفاع الذي هو فرض عين على المسلمين ، حتى يندفع شر الأعداء لرد إعتداء المعتدين ، ولتمييز المؤمنين وكشف المنافقين ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ^(٣٨) [التوبة: ٣٨] .

٥- اللهو والسهو والغفلة وعدم تحمل المسؤولية من ولي الأمر .

٦- عدم استشارة العلماء العاملين واستشارة بطانة السوء كما هو الحال من أخذ الخليفة بمشورة الخائن الوزير ابن العلقمي الرافضي .

٧- من أعظم البلاء أن يكون من المسلمين من ينصر أعداء الدين على إخوانه المسلمين ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُوا عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩] (٥١) ، (٥٢) .

(١) (صحيح) أخرجه (هـ ك) وصححه الألباني في ص . ج ٧٩٧٨ .

على درب التوحيد (ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه)

الحمد لله الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .

إخوتي في الله ، لقد نهى سبحانه وتعالى عن نقض العهود ، فقال ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١] ، ونقض العهود فيه نقضٌ في التوحيد ، لأنه يدل على عدم احترام عهد الله .

وأخرج مسلم في صحيحه عن سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْ صَاهُ فِي خَاصَّتِهِ - أَي فِي حَقِّ نَفْسِ ذَلِكَ الْأَمِيرِ خُصُوصًا - يَتَّقُوا اللَّهَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ، ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا - أَي الْخِيَانَةَ فِي الْغَنَمِ أَيْ لَا تَخُونُوا فِي الْغَنِيمَةِ - ، وَلَا تَغْدِرُوا - أَي لَا تَنْقُضُوا الْعَهْدَ - ، وَلَا تَمْتَلُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا - أَي صَبِيًا لَا يَقَاتِلُ - ، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خُصَالٍ أَوْ خِلَالٍ فَأَيُّنَهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَأَقْبَلْ مِنْهُمْ ، وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَأَقْبَلْ مِنْهُمْ ، وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلُّهُمْ الْجَزْيَةَ ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَأَقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ - أَي عَهْدَ اللَّهِ - وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ - أَي عَهْدَ نَبِيِّهِ - فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا - أَي تَنْقُضُوا - ذِمَّتْكُمْ - أَي عَهْدَكُمْ - وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ

فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتَصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لَا^(١) .

وبذلك إذا حصل خطأ في اجتهدا البشر فإنه لا ينسب إلى حكم الله تعالى ولهذا قال في ختام الحديث: فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتَصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لَا (٥٧) .

مشاهد من الدار الآخرة (حوار أهل الجنة وأهل الأعراف وأهل النار)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

قال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجُلًا لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيَائِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٤٨) أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٤٩) وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لُهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٥١)﴾ [الأعراف: ٤٨-٥١] .

فأصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم يرجون رحمة الله تعالى ويقفون على الأعراف وهو حاجز عظيم بين الجنة والنار ، حتى يقال لهم ادخلوا الجنة يا أصحاب الأعراف فقد غفر لكم .

قال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (٤٥) وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيَائِهِمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٧)﴾ [الأعراف: ٤٤-٤٧] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٧٣١ .

اللقاء الإيماني التاسع والستون:

انتصار المسلمون على التتار في عين جالوت وأسباب النصر والتمكين)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه ، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، موعداً اليوم مع انتصار المسلمون على التتار في موقعة عين جالوت بقيادة الأمير سيف الدين قطز ، ففي سنة ٦٤٨ هـ استقر الملك بمصر للسلطان المملوكي الأول المعز عز الدين أيبك ، والذي تزوجت به شجرة الدر بعد وفاة زوجها الملك الصالح أيوب ، وبقي المعز في الحكم ما يقارب السبع سنوات ، وفي عام ٦٥٥ هـ اكتشفت شجرة الدر أن المعز خطب ابنة صاحب الموصل ، فتغيرت عليه ، ثم تغير هو عليها وهم بقتلها ، فاتفقت مع مماليكها فقتلوه ، ثم قام مماليك المعز بعد موته بقتلها ، واتفقوا على ولاية ولده المنصور علي بن المعز وكان صغيراً كثير اللعب ، فتولى الأمور نيابة عنه كبير الأمراء سيف الدين قطز . وفي عام ٦٥٧ هـ وأمام هذا الخطر العظيم قام سيف الدين قطز نائب المنصور بجمع العلماء والقضاة لمناقشة الخطر من وجود التتار على مشارف مصر في غزة بفلسطين ، ووقع الاتفاق على خلع الملك الصغير المنصور ومبايعة سيف الدين قطز بالملك ، فلقب بالملك المظفر سيف الدين قطز ، وفي هذه الأثناء قام المظفر سيف الدين قطز بعمل عظيم فأصدر قراراً بالعفو عن المماليك الصالحية الذين هربوا إلى الشام جراء خلاف حدث بينهم وبين مماليك العز أي مماليك عز الدين أيبك فيما قبل ، وأرسل إلى بيبرس وتودد إليه ، فقدم بيبرس واستقبله سيف الدين قطز استقبالا حافلا ، وأنزله بدار الوزارة ، وبدأت جموع المماليك الصالحية تتوافد إلى مصر ، وبهذا اتحدت كلمة المماليك ، والتأم شملهم ، على يد المظفر سيف الدين قطز رحمه الله وبعد سقوط دمشق أرسل الطاغية هولاكو رسالة تهديد ووعيد إلى المظفر سيف الدين قطز ، وكان مما جاء فيها (من ملك الملوك شرقاً وغرباً ، باسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء . . يعلم الملك المظفر سيف الدين قطز ، الذي هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا أننا جند الله في أرضه ، خلقنا من سخطه ، فسلموا إلينا تسلموا قبل أن تندموا ، وقد سمعتم أننا خربنا البلاد وقتلنا العباد ، فلکم منا الهرب ولنا خلفكم الطلب ، فعجلوا لنا بالجواب قبل أن تُضرم الحرب نارها

وترميكم بشرارها ، فما بقي لنا مقصدٌ سواكم ، والسلام) .
وبعد وصول الرسالة عقد سيف الدين قطز اجتماعاً عاجلاً استشار فيه أمراء المماليك وقال لهم: إن القوم لا دين ولا أيمان لهم .

وبعد المداوولات انتهى الاجتماع بقرار الحرب ضد التتار ، وفي تصرف سريع وحازم ، أحضر سيف الدين قطز رسل هولاكو وأمر بتوسيطهم أي بضرب الواحد منهم بالسيف في وسطه فيقسم قسمين .

ثم بدأ سيف الدين قطز يحشد الحشود ويجهز الجيش ، ويستعين بالعلماء في الحث على الجهاد والنفرة في سبيل الله ، وكان على رأس هؤلاء العلماء الإمام العز بن عبد السلام .

ثم ظهرت مشكلة أخرى ، وهي عدم وجود الأموال الكافية لتجهيز الجيش ، فاجتمع بالعلماء وقال إنه يريد فرض الضرائب على الناس فاعترض العلماء عليه ، وأعلن العز بن عبد السلام أن على الأمير قبل أن يفرض الضرائب أن يخرج الحلبي التي في بيته وبيوت الأمراء وأن يضربها نقوداً فإذا لم تف الحاجة فليفرض الضرائب على الناس .

وكان للعز بن عبد السلام منزلةٌ كبيرةٌ عند المماليك ، فامتثل سيف الدين قطز أمر العز بن عبد السلام ، وكان هذا من توفيق الله لهما وللأمة .

وكانت خطة المظفر سيف الدين قطز أن يبادر التتار قبل أن يبادروه ، لأنه من الأفضل نقل المعركة لأرض الخصم ، وأن يفاجيء الأعداء قبل أن يستعدوا له ولقد فطن الظاهر سيف الدين قطز أن الذي يهب الحياة هو الله فيهب الحياة لمن حرص على الشهادة ويهب النصر لمن حرص على الجنة ، لكن بعض الأمراء كانوا لا يرون الخروج إلى الشام ، فتجهز سيف الدين قطز للخروج واختار معه الأمراء الذين يوافقونه على الخروج إلى الشام ، وواعد بقية الأمراء في الصالحية - بلدة في مصر شرق دلتا النيل - وكان خروجه في رمضان أو آخر شعبان عام ٦٥٨ هـ .

وبعد أن وصل إلى الصالحية وتجمع الأمراء خطبهم خطبة عظيمة قال فيها: "يا أمراء المسلمين ، لكم زمان تأكلون بيت المال وأنتم للغزاة كارهون! وأنا متوجه إلى الله ورسوله ، فمن اختار منكم الجهاد يصحني ، ومن لم يختار ذلك يرجع إلى بيته فإن الله مطلع عليه " .

ثم تكلم الأمراء الذين معه وأيدوه ، فوافق الآخرون وساروا جميعاً إلى الشام وبلغ عدد جيش المسلمين ١٢٠ ألفاً ، وجعل سيف الدين قطز على مقدمة الجيش بيرس فقط ، وجعل المقدمة كبيرة جداً أراد أن يفهم التتار أن المقدمة هي كل جيش المسلمين ، وساروا حتى وصلوا إلى غزة ، والتقت مع حامية التتار بغزة وقاتلتها بشدة وانتصرت عليها وفر التتار إلى الشمال يخبرونهم بأن جيش المسلمين في مصر جاء إلى فلسطين ، واعتقد التتار أن جيش المسلمين هي المقدمة فقط وتعتمد سيف الدين قطز ذلك فكان لا يظهر جيشه الذي يقوده ولكن يعتمد لإظهار جيش الظاهر بيبرس ، ثم سلكوا طريق الساحل حتى بلغوا عكا ، وكانت بيد الفرنج ، فالتقى سيف الدين قطز بملكهم ، وعرض ملك الفرنج عليه المساعدة فرفض ، وطلب منهم أن يكونوا على الحياد ، وهددهم بالقتل إن بدرت منهم بادرة شر .

وكان هولاءكو بعد استيلائه على دمشق قد بلغه نبأ وفاة أخيه (مانغو) ملك التتار ، وكان هولاءكو يطمع في الملك ، فغادر الشام متوجهاً إلى الصين لحضور اجتماع رؤساء التتار لانتخاب الملك الجديد ، وعيّن مكانه أحد الأمراء الكبار وهو كتبغا نوين ، وجاءت الأخبار له بخروج الجيش المصري إلى الشام فتوجه بجيشه إليهم ، وسار الفريقان حتى التقيا في عين جالوت في الخامس العشرين من رمضان عام ٦٥٨ هـ .

وتقدم كتبغا بكل جيشه ٢٠٠ ألف جندي ، ولم يدع له ظهرا (تدبير رب العالمين) ، ولما تراءى الجمعان ، ورأى سيف الدين قطز كثرة التتار أمر جيشه أن لا يبدؤوا القتال حتى تزول الشمس ، ويدعوا لهم الخطباء والناس في صلاة الجمعة . وبدأت المعركة فتلقى الظاهر بيبرس الضربة الأولى بصبر شديد وتناثرت أشلاء المسلمين على أرض عين جالوت ، وجرت دماءهم ، ولكن ما فر رجل واحد منهم ثم تظاهر الظاهر بيبرس إلى التراجع إلى داخل السهل لا استدراكهم ، فحدث لهم ما أراد فدخل التتار إلى مكامن المسلمين ، فأشار سيف الدين قطز إلى قوات جيشه الموجودة خلف التلال وأحاطت بقوات التتار الهائلة كإحاطة السوار بالمعصم وكانت هذه المعركة من أشرف المعارك في تاريخ المسلمين ، وثبت المسلمون ثباتاً عظيماً ولكن التتار لم يلبثوا أن تداركوا أنفسهم وبدؤوا يحاربون في منتهى العنف وظهرت مهاراتهم وبراعتهم في القتال فحدث تردد في جيش المسلمين وبدأت جيوش المسلمين تعود للخلف ، فلاحظ سيف الدين قطز هذا فقام

بشجاعة نادرة فألقى خوزته على الأرض تعبيراً على اشتياقه للشهادة وطلبه للموت وأطلق صيحته الخالدة وا اسلاماه ، وا اسلاماه ، وا اسلاماه ، واندفع نحو نيران التتار ، كالسيل الجرار ورأى جنود الإسلام قائدهم أمامهم ، يقاتل كالأسد ، فالتفوا حوله ، واستبسلوا في القتال والجيش من ورائه ، وقام الأمير جمال الدين الشمسي بحمله صادقة على جيش التتر فوجد أمامه كتبغا قائد التتر فحمل عليه حملة صادقة وقتل كتبغا ودب الاضطراب في جيش التتار وأسر ابن كتبغا وانسحب التتار بسرعة إلى مكان بعيد عن مكان الموقعة ، ثم عادوا من جديد يرتبون صفوفهم قرب بيسان وانطلق خلفهم سيف الدين قطز بجيشه وكانت موقعة جديدة أشرف من الأولى وكانت بالنسبة للتتار الحياة أو الموت ، وبالنسبة للمسلمين النصر أو الشهادة وقاتل التتار قتالاً مريراً وعاد سيف الدين قطز يصيح صيحته الخالدة وا اسلاماه وا اسلاماه وا اسلاماه ثم دعا ربه قائلاً اللهم انصر عبدك قطز على التتار فنزلت رحمت الله على جيش قطز ، ولعنات الله على جيش التتر وقاتل سيف الدين قطز قتالاً شديداً حتى قتل فرسه فكان يقاتل وهو مترجلاً حتى أعطاه أحد جنوده فرسه وانكسر جيش التتر كسرة لا قيام بعدها في أرض الشام ، وانطلق المسلمون خلفهم يقتلون ويأسرون وقتل جيش التتار بأكمله في موقعة عين جالوت ، ولم يفر إلا الشريد وحينما اطمأن سيف الدين قطز إلى نصر الله ، ترجل عن فرسه ، ومرغ وجهه في التراب تواضعاً لله ، وسجد لله شكراً على هذا النصر المبين .

ثم انطلق بيبرس ومجموعة من الأمراء وراء التتار الذين فروا من المعركة حتى أدركوهم في حلب ، وبدأ المسلمون بتطهير البلاد من التتار .

وفي دمشق وصلت البشارة بالنصر فتبادر المسلمون إلى مواجهة من بقي من التتار في دمشق ، يقتلونهم ويطلقون أسرى المسلمين الذين كانوا في أيديهم .

وطارت الأخبار بانتصار المسلمين وانكسار التتار ، فابتهج المسلمون في الأمصار ، وبدأ التتار يفرون من بلاد الشام خوفاً من انتقام المسلمين ، بل إن منهم من دخل في الإسلام بعد معركة عين جالوت .

معاشر الإخوة ، أسباب للنصر من واقع قصة التتار والمسلمين كما يلي:

(١) انتصرنا لما نصرنا الله بالجهاد ذروة سنام الإسلام ، فكان الجهاد في سبيل

الله وحده بعيداً عن شعارات القومية والوطنية والعرقية ، لقد سمع الله صيحة قطز وهو يصرخ (وإسلاماه) ، فلما علم الله صدق النية أنجز وعده ، ونعني به الجهاد المشروع ، المبني على تحقيق المصلحة العامة ، بعيداً عن الأفكار المنحرفة كالغلو في التكفير ، أو الاجتهادات الخاطئة التي تنقل المواجهة داخل بلاد المسلمين .

(٢) انتصرنا لما خُلصت المقاصد ، وصحت العقائد ، وتعلقت قلوب المسلمين بالله وحده ، فلم يلوذوا بالبدوي ، ولم يطوفوا بالقبور .

(٣) انتصرنا لما ربينا الأمة والشباب تربيةً إيمانيةً علميةً جهادية ، فأتت هذه التربية أكلها بإذن ربها ، وأخرجت للأمة أبطال الميدان ، وفرسان الإيمان . قلوبهم واعية ، وعقولهم زاكية ، وهمتهم عالية ، وسيوفهم ماضية ، هكذا كان الأيوبيين وبعدهم المماليك يربون الأبطال ، ويصنعون الرجال ، لم يكونوا يربونهم على الأغاني والتمثيلات ، ولا على المباريات ، ولا على الملهيّات . . نعم .

(٤) انتصرنا لما اتفق المسلمون واجتمع شملهم وتناسوا الخلافات فيما بينهم ، وتحروا من مخلفات النزاع الشخصي ، فيعفو سيف الدين قطز عن بقية المماليك ، ويكرم بيبرس ويدفن الخلافات الشخصية في سبيل مصلحة الأمة .

(٥) انتصرنا لما اتحدت كلمة أولي الأمر من الأمراء والعلماء فاشتد تماسك المجتمع ، ورضي الله عن الأمراء الذين كانوا يجلون العلماء ، وينزلونهم منازلهم ، ويصدرون عن رأيهم ، ورضي الله عن العلماء الذين صدعوا بكلمة الحق ، ورجبوا الناس في التضحية والجهاد ، فاجتمع السيف بالقرآن وكان النصر لأهل الإيمان .

(٦) انتصرنا بالتضحية ، لما ضحينا بدينانا في سبيل ديننا ، فلم تلهنا الشهوات والملذات عن الاستجابة لأمر الله ، فهذا هو قطز وأمرؤه يمثلون أمر العز بن عبد السلام فيحضرون الحلي والجواهر من قصورهم ، ليجهزوا بها الجيش المسلم .

(٧) انتصرنا عندما نشرنا الدين والعلم والدعوة ، لما رفعنا راية الدين .

(٨) انتصرنا بالقدوة الحسنة ، لما رأى الناس علماءهم وأمراءهم يتقدمونهم في التضحية والبذل لهذا الدين ، فلم تكن قدوات المجتمع حفنة من المغنين أو الممثلين أو اللاعبيين واللاهين .

(٩) انتصرنا بالسلاح المعطل الذي لا تصمد أمامه أي قوة على وجه الأرض عندما كان الخطباء والمسلمون في عين جالوت ، يبتهلون إلى الله بالدعاء يوم

الجمعة . . عندما كان قطز يصيح بين الصفوف: اللهم انصر عبدك قطز على التار .
(١٠) انتصرنا لما لم نستعن بالصليين ولا بغيرهم وهو يتضح من رفض سيف الدين قطز لمعاونة نصارى عكا لهم (٥١)، (٥٢) .

على درب التوحيد (ما جاء في الأقسام على الله ﷻ)

الحمد لله الذى جعل التوحيد دليلاً على مرضاته ، وسبيلاً إلى جناته ، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته ، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . .
أخرج مسلم في صحيحه عَنْ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: «وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ عَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَخْبَطْتُ عَمَلَكَ» أَوْ كَمَا قَالَ ^(١) .

إخوتي في الله: الأقسام على الله هو: الحلف على الله ، فإن كان هذا الحلف على الله بأنه لا يرحم عباده ولا يغفر لهم ولا يدخل أحداً منهم الجنة فهذا محرم ، وهو سوء أدب مع الله تعالى ، لأنّ معناه: الحجر على الله تعالى ، ولا أحد يمنع الله من أن يتصرف في خلقه ، وأن يرحم من شاء ويعذب من شاء ، ويغفر لمن شاء ؟ .

فهذا النوع يُعتبر مُخللاً بالتوحيد فقد يوفّق العبد للتوبة قبل الموت بلحظات ثم يدخله الله الجنة ، أخرج البخاري في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ» ^(٢) .

ومن الأقسام على الله: أن يكون على وجه حسن الظن بالله أن يفعل الخير ، وأن يغفر لعباده وأن يسقيهم المطر ، وأن ينصرهم على الأعداء ، فهذا لا بأس به ، لأنّه حسن ظن بالله ، وروى البخاري في صحيحه عَنْ أَنَسٍ قَالَ: أَنَّ الرُّبَيْعَ وَهِيَ ابْنَةُ النَّضْرِ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ - أي مقدم الأسنان - جَارِيَةٍ - أي المرأة الشابة - فَطَلَبُوا الْأَرْضَ - أي الدية - وَطَلَبُوا الْعَفْوَ فَأَبَوْا فَأَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ ، فَأَمَرَهُمْ بِالْقِصَاصِ فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ: أَتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيْعِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ ، لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا تُكْسَرُ

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٦٢١ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) 6123 .

ثَنِيَتْهَا فَقَالَ: «يَا أَنْسُ كِتَابُ اللَّهِ الْقَصَاصُ» فَرَضِيَ الْقَوْمُ وَعَفَوْا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بُرَّه»^(١).

مشاهد من الدار الآخرة (خطاب أصحاب النار مع رب العالمين ومع خزنة جهنم)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

عباد الله ، قال محمد بن كعب رحمه الله تعالى: لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله ﷻ في أربعة فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعد أبداً . . . ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ (١١) ﴾ [غافر: ١١] ، فيقول الله تعالى لهم ذَلِكَم ﴿ بَأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (١٢) ﴾ [غافر: ١٢] ، ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ (٤٤) ﴾ [إبراهيم: ٤٤] ، فيجيبهم الله تعالى ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (٤٤) ﴾ [إبراهيم: ٤٤] ، فيقولون ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ (٣٧) ﴾ [فاطر: ٣٧] ، فيجيبهم الله تعالى ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧) ﴾ [فاطر: ٣٧] ثم قالوا ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا عِندُنَا فَأِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) ﴾ [المؤمنون: ١٠٧] ، فيكون الرد من الله ﴿ قَالَ اخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨) ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] (٣٦).

خطاب أصحاب النار لخزنة جهنم: قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠) ﴾ [غافر: ٥٠] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

اللقاء الإيماني السبعون :

فتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح وأسباب النصر والتمكين

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أما بعد . .

أحبتي في الله ، موعدنا اليوم مع فتح القسطنطينية العظيم على يد السلطان محمد الفاتح ، فلقد كان يراود خلفاء المسلمين بدءًا بمعوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه ، وسليمان ابن عبد الملك فتح القسطنطينية فلقد كانت مدينة القسطنطينية محط أنظار المسلمين بجمالها وبهائها ، كأنها درة قد احتضنها خليج البسفور من الشرق والشمال ، وامتدت من جهة الغرب لتتصل بالبر ولكن لم يشأ الله عز وجل أن تفتح حصونها لسوء الأحوال الجوية وبرودة الجو الذي لم يعتاده العرب أثناء الحصار الذي فرضوه على المدينة ، بالإضافة إلى قوة تحصين المدينة التي حالت دون فتحها ، ثم جاء السلطان العثماني محمد الفاتح وتولى حكم الخلافة العثمانية في ١٦ محرم ٨٥٥ هـ ، وعمره ٢٢ سنة ، وكان محمد الفاتح شخصية فذة ، جمعت بين القوة والعدل ، وهو السلطان السابع في سلسلة آل عثمان محمد الثاني بن مراد الثاني ، ويُلقَّب بالفاتح ، وقد حكم نحو ثلاثين سنة ، كانت خيرًا وبركة على المسلمين ، وكان قد تسلم قيادة أعظم إمبراطورية إسلامية تقف وحدها مدافعة عن المسلمين بعد سقوط الأندلس ، وبعد انهيار خلافة العباسيين ، وبعد أن تداعت دولة المماليك آيلة للسقوط أبطال موقعة عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ .

وحمل العثمانيون الراية بعد تداعي هذه القوى (العباسية ، والأيوبية والمماليك) فصَدّوا أوروبا ، التي كانت قد زحفت على شمال إفريقيا (تونس والجزائر ومراكش) بعد سقوط غرناطة بالأندلس سنة ٨٩٧ هـ فكان ظهور العثمانيين إنقاذًا من الله عز وجل للعالم الإسلامي .

وكان محمد الفاتح محبًا للعلماء ، يقربهم لمجالسه ، وقد تعلم منهم بعض الأحاديث النبوية ، التي تثني على فاتح القسطنطينية ، ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ فَلَنَعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا وَلَنَعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ »^(١) ، ولهذا

(١) (ضعيف) أخرجه (حم عم تخ ط ب ك خط كر) ضعفه الألباني في س. ض. ٨٧٨ .

كان الفاتح يطمح في أن يكون هو المقصود بحديث رسول الله ﷺ ، ولقد أثمرت تربية العلماء له حب الإسلام والإيمان ، والعمل بالقرآن وسنة سيد الأنام ولذلك نشأ على حب الالتزام بالشرعية الإسلامية ، واتصف بالثقى والورع ، وكان محباً للعلم والعلماء ، وكان الفاتح يميل لدراسة كتب التاريخ ، وقد سار على المنهج الذي سار عليه أجداده في الفتوحات ؛ ولهذا برز بعد توليه سلطة الدولة العثمانية فأعاد تنظيم إدارات الدولة المختلفة .

ولقد بذل السلطان محمد الفاتح جهوداً خارقة في مجال التخطيط لفتح القسطنطينية والتي طالما اعتزت بها الإمبراطورية البيزنطية بصورة خاصة والمسيحية بصورة عامة ، فدعم الجيش العثماني بالقوى البشرية ، حتى وصل تعداده إلى قرابة ربع مليون مجاهد ، كما عنى بتدريب تلك الجموع على فنون القتال المختلفة ، وبمختلف أنواع الأسلحة ، التي تؤهلهم للجهاد المنتظر .

كما اعتنى الفاتح بإعدادهم إعداداً معنوياً قوياً ، وغرس روح الجهاد فيهم ، وتذكيرهم بثناء الرسول ﷺ على الجيش الذي يفتح القسطنطينية ، وعسى أن يكونوا هم هذا الجيش المقصود بذلك .

وفي الناحية التكتيكية العسكرية صمم الفاتح على إقامة قلعة روملي حصار في الجانب الأوربي على مضيق البسفور في أضيق نقطة منه مقابل القلعة التي أسست في عهد السلطان العثماني بايزيد في البر الآسيوي ووصل ارتفاعها إلى ٨٢م ، وأصبحت القلعتان متقابلتين ، ولا يفصل بينهما سوى ٦٦٠م تتحكمان في عبور السفن من شرقي البسفور إلى غربيه ، وتستطيع نيران مدافعهما منع أي سفينة من الوصول إلى القسطنطينية من شرقها مثل مملكة طرابزون ، وغيرها من الأماكن التي تستطيع دعم المدينة عند الحاجة .

كما اعتنى السلطان بتطوير الأسلحة اللازمة لهذه العملية المقبلة ، حيث أحضر مهندساً مجرياً يدعى أوربان كان بارعاً في صناعة المدافع ، وقد تمكن هذا المهندس من تصميم وتنفيذ العديد من المدافع الضخمة ، كان على رأسها المدفع السلطاني المشهور ، والذي ذكر أن وزنه كان يصل إلى مئات الأطنان ، وأنه يحتاج إلى مئات الثيران القوية لتحريكه ، كما أعطى الفاتح عناية خاصة بالأسطول العثماني ؛ فتعدت عدد السفن أربعمئة سفينة .

ثم زحف السلطان محمد الفاتح على القسطنطينية فوصلها في ٢٦ ربيع الأول ٨٥٧هـ، فحاصرها من البر بمائتين وخمسين ألف مقاتل، ومن البحر بأربعمائة وعشرين شراعاً، ومن ثمّ قام السلطان محمد الفاتح بتوزيع جيشه البري أمام الأسوار الخارجية للمدينة، كما أقام الفاتح جيوشاً احتياطية خلف الجيوش الرئيسية، وعمل على نصب المدافع أمام الأسوار، ومن أهمها المدفع السلطاني العملاق، كما وضع فرقاً للمراقبة في مختلف المواقع المرتفعة والقريبة من المدينة، وقد انتشرت السفن العثمانية في المياه المحيطة بالمدينة، فوقع الرعب في قلوب أهل المدينة؛ إذ لم يكن عندهم من الحامية إلا خمسة آلاف مقاتل، معظمهم من الأجانب، وبقي الحصار ٥٣ يوماً، ولم ينفك العثمانيون أثناءها عن إطلاق القنابل، إلا أنها في عجزت عن الوصول إلى القرن الذهبي؛ حيث كانت السلسلة العملاقة تمنع أي سفينة من دخوله، بل وتحطم كل سفينة تحاول الاقتراب.

لكن الله ألهم السلطان الفاتح إلى طريقة يستطيع بها إدخال سفنه إلى القرن الذهبي دون الدخول في قتال مع البحرية البيزنطية متجاوزاً السلسلة التي تغلق ذلك القرن، وهذه الطريقة تتمثل في جرّ السفن العثمانية على اليابسة والتي قدرت بثلاثة أميال حتى تتجاوز السلسلة التي تغلق المضيق والدفاعات الأخرى، ثم إنزالها مرة أخرى إلى البحر. ولقيت هذه الفكرة التشجيع من المختصين لتنفيذها، وبدأ العمل بصمتٍ على تسوية الطريق وتجهيزها، دون أن يعلم البيزنطيون الهدف من ذلك، كما جمعت كميات كبيرة من الأخشاب

والزيوت، ثم تابع السلطان مدّ الأخشاب على الطريق الذي كان قد سوّى، ثم دهنت تلك الأخشاب بالزيوت، وجرت السفن من البسفور إلى البر؛ حتى وصلت إلى نقطة آمنة فأُنزلت في القرن الذهبي، وتمكن العثمانيون في تلك الليلة من سحب أكثر من سبعين سفينة وإنزالها في القرن الذهبي على حين غفلة من العدو، واستيقظ أهل المدينة على صيحات العثمانيين وأصواتهم يرفعون التكبير والأنشيد التركية في القرن الذهبي، وفوجئوا بالسفن العثمانية وهي تسيطر على ذلك المعبر المائي.

ولجأ العثمانيون في المراحل المتقدمة من الحصار إلى طريقة جديدة ومبتكرة في محاولة دخول المدينة؛ حيث عملوا على حفر أنفاق تحت الأرض من أماكن مختلفة إلى داخل المدينة، التي سمع سكانها ضربات شديدة تحت الأرض أخذت تقترب

من داخل المدينة بالتدريج ، فأسرع الإمبراطور بنفسه ومعه قوّاده ومستشاروه إلى ناحية الصوت ، وأدركوا أن العثمانيين يقومون بحفر أنفاق تحت الأرض ، وإلى جانب ذلك لجأ العثمانيون إلى طريقة جديدة في محاولة الاقتحام ، وذلك بأن صنعوا قلعة خشبية ضخمة متحركة تتكون من ثلاثة أدوار ، وبارتفاع أعلى من الأسوار ، وقد كسيت بالدروع والجلود المبللة بالماء لتمنع عنها النيران ، وكان الرجال الذين في الدور العلوي من الرماة يقذفون بالنبال كل من يطل برأسه من فوق الأسوار .

ثم وجّه السلطان الجنود إلى الخشوع ، وتطهير النفوس ، والتقرب إلى الله تعالى بالصلاة ، وعموم الطاعات والتذلل ، والدعاء بين يديه ؛ لعل الله أن ييسر لهم الفتح ، وانتشر هذا الأمر بين عامة الجند المسلمين ، كما قام الفاتح بنفسه ذلك اليوم بتفقد أسوار المدينة ، واستمر الجنود وسلاطنتهم يجتهدون لاخترق أسوار المدينة حتى تمكن المهاجمون من ناحية باب أدرنة من اقتحام الأسوار والاستيلاء على بعض الأبراج ، والقضاء على المدافعين فيها ، ورفع الأعلام العثمانية عليها ، وتدفق الجنود العثمانيون نحو المدينة من تلك المنطقة . ولما رأى الإمبراطور البيزنطي ذلك خلع ملابسه حتى لا يُعرف ، ونزل عن حصانه ، وقاتل حتى هلك في ساحة المعركة . ولم تأت ظهيرة ذلك اليوم الثلاثاء ٢٠ جمادى الأولى ٨٧٥هـ ، إلا والسلطان محمد الفاتح في وسط المدينة يحيطه جنده وقواده وهم يرددون: ما شاء الله ! فالتفت إليهم وقال:

لقد أصبحتم فاتحي القسطنطينية ، الذين أخبر عنهم رسول الله ﷺ ، وهنأهم بالنصر ، ونهاهم عن القتل ، وأمرهم بالرفق بالناس ، والإحسان إليهم .

ثم ترجل عن فرسه ، وسجد لله على الأرض شكراً وحمداً وتواضعاً ، ثم قام وتوجه إلى كنيسة آيا صوفيا ، وقد اجتمع بها خلقٌ كبير من الناس ومعهم القسوس والرهبان ، الذين كانوا يتلون عليهم صلواتهم وأدعيتهم ، فلما اقترب من أبوابها خاف النصارى داخلها ووجلوا وجلّاً عظيماً ، وقام أحد الرهبان بفتح الأبواب له ، فطلب من الراهب تهدئة الناس وطمأننتهم والعودة إلى بيوتهم بأمان ، فاطمأن الناس ، وكان بعض الرهبان مختبئين في سراديب الكنيسة ، فلما رأوا تسامح محمد الفاتح وعفوه ، خرجوا وأعلنوا إسلامهم .

وقد أعطى السلطان للنصارى حرية إقامة الشعائر الدينية ، واختيار رؤسائهم الدينيين ، الذين لهم حق الحكم في القضايا المدنية ، كما أعطى هذا الحق لرجال

الكنيسة في الأقاليم الأخرى (٥٣) .

معاشر الإخوة ، لقد ذكر المؤرخون أسباب كثيرة في فتح القسطنطينية منها:

١- ضعف الدولة البيزنطية ، والصراعات العقدية بداخلها .

٢- زيادة إهتمام سلاطين الدولة العثمانية بفتح القسطنطينية .

٣- التربية الربانية لكل من السلطان محمد الفاتح وكذا جيشه ، ولقد أعد محمد الفاتح الجيش الذي حاصر القسطنطينية إعداداً ربانياً على معاني الإيمان والتقوى ، وتحمل الأمانة وأداء الرسالة المنوطة به ومعاني العقيدة الصحيحة وأشرف العلماء الربانيون على تلك التربية الربانية من الكتاب والسنة .

٤- التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب المادية من قوة ومن رباط الخيل: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

٥- الثبات عند لقاء العدو الصبر والمصابرة ، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] .

٦- زيادة همة الجنود بتوعيتهم بفضل الجهاد ، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (١٠) تَأْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) ﴾ [الصف: ١٠-١١] (٥٣) .

أخرج مسلم في صحيحه عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَا يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ؟ قَالَ: «لَا تَسْتَطِيعُونَهُ» قَالَ: فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ لَا تَسْتَطِيعُونَهُ وَقَالَ فِي الثَّلَاثَةِ: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ قَائِمًا بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَفُتُّ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى» (١) .

وروى الترمذي وابن ماجه في سننهما عن الْمُقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٨٧٨

الْعَيْنِ، وَيُشَفِّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ»^(١).

قال فضيلة الدكتور أحمد فريد ولقد شرع الله جهاد الطلب في سبيل الله من أجل نشر الدين الإسلامي وذهب جمهور العلماء أن هذا الجهاد فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين فمن منافعه هداية الخلق بإدخالهم في دين الله تعالى ويكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين (٥٤).

٧- ارتباط السلطان وجنوده بالله عز وجل بكثرة الدعاء والذكر، هذا هو السلاح الفتاك الذي غفل عنه المسلمون فينبغي الدعاء على كل من أراد بالإسلام والمسلمين سوءاً بأن يجعل الله كيده في نحره، وأن يشغله بنفسه، وأن يولى على المسلمين من يتقي الله فيهم ويحكم بشرعه ويسعي لوحدة الصف ونبذ الفرقة، ولقد تجلت أخلاق الإسلام والمسلمين في هذه المعارك وفي سماح السلطان محمد الفاتح مع النصارى على نقيض ما يدعيه بعض الحاقدين على الإسلام والمسلمين (٥٣).

على درب التوحيد (ما جاء في قول الله تعالى: وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبي الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد . . .

أخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إصْبَعٍ وَالْأَرْضِينَ عَلَى إصْبَعٍ وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إصْبَعٍ وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إصْبَعٍ وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إصْبَعٍ ثُمَّ يَهْزُهُنَّ فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ تَصَدِّيقًا لَهُ ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]^(٢).

(١) (صحيح) أخرجه (ت هـ) وصححه الألباني في ص ١٣٧٥.

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٥٣٣، و(م) ٢٧٨٦.

إخوتي في الله ، الملاحدة ما قدروا الله حقَّ قدره ، الذين نفوا وجود الله ووجود الخالق . وكذلك المشركون الذي أقرّوا أن الخالق الرّازق المحيي المدبّر هو الله سبحانه وتعالى ، واعترفوا بتوحيد الرّبّوبية ، ولكنّهم خالفوا في العبادة ، وخالفوا في توحيد الألوهيّة ، فعبدوا مع الله غيره من الأصنام والأحجار والأشجار والقبور والأضرحة ، هؤلاء ما قدروا الله حقَّ قدره ، حيث إنّهم أشركوا معه غيره في عبادته ، من لا يخلُق ولا يرزق ولا يملك .

وكذلك ما قدر الله حقَّ قدره من جحد الأسماء والصفّات ، فمن أنكر الأسماء والصفّات التي أثبتّها الله لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ أو تأوّلها على غير معناها وألحد فيها ؛ ما قدر الله حقَّ قدره ، فالذي قال: لا يوصف الله بأنّه في العلو عالٍ على خلقه مستو على عرشه" ، ثم راح يؤوّل هذه الصفّات إلى معان لا تحتملّها ، فهذا ما قدر الله حقَّ قدره سبحانه وتعالى ، حيث إنّّه ألحد في أسمائه ، وألحد في صفاته .

مشاهد من الدار الآخرة (خلود أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر ، كتب الفناء على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد . . .

قال تعالى: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ (٧٧) لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨)﴾ [الزخرف: ٧٨] .

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيَذْبَحُ قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ قَالَ:» ثُمَّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْحُسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ

وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ [مريم: ٣٩] وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا ^(١) .

عباد الله ، يالها من حسرة شديدة حيث يعلم الانسان أنه من المخلدين في النار فلا ينفعه ماله ولا يشفع له ولده وينجيه منصبه ، ويا فرحة أهل الجنة عندما يعرفون أنهم مخلدون في الجنة يشربون من أنهارها وعيونها ، ويأكلون من طيرها وثمرها ، ويتلذذون بحورها ، ويتجلى عليهم ربهم برؤيته ، نسأل الله تعالى أن نكون من أهل الجنان .

وأخيرا ، فهذا ما يسره الله لي ، فما كان فيه من صواب فهو محض فضل الله عليّ فله الحمد والمنة ، وما كان فيه من خطأ فأستغفر الله تعالى وأتوب إليه ، والله ورسوله بريء منه ، وأدعو الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب إخواني المسلمين ، وأن يذكرني من يقرأه في دعائه ؛ فإن دعوة الأخ لأخيه في ظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى ، وأدعوا الله عز وجل أن يجعلنا من الذين قال فيهم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠) ﴾ [يونس: ٩-١٠] ، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (بخ) ٤٤٥٣ ، و(م) ٢٨٤٩ واللفظ لمسلم .

